

د. فرهاد دفتري

# الاسماء عيلون

في العصر الوسيط



ترجمة: سيف الدين القصير

اهداءات ٢٠٠٣

اسرة ا.د/مزي طعي

القاهرة

297.822

P

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

١١١٤

الاسماحيليون في العصر الوسيط  
تاريخهم وفكرهم

## منشورات



Author : Farhad Daftary (ed)  
Title : Mediaeval Ismaili  
History and Thought  
Translator: Seif el-Din al-Qassir  
Al Mada : Publishing Company  
First Edition 1998  
Copyright © Al mada

اسم المحرر : د. فرهاد دفتري  
عنوان الكتاب : الاسماعيليون في العصر الوسيط  
تاريخهم وفكرهم  
ترجمة : سيف الدين القاسر  
الناشر : المدي  
الطبعة الأولى : ١٩٩٨  
الحقوق محفوظة  
لوحة الخلافة : صفحة من الخشب المحفور لأحد الأبواب  
من العصر الفاطمي / للفنان ناصر خسرو

## دار المدا للنشـر

سوريا - دمشق صندوق بريد : ٨٢٧٢ أو ٧٣٦٦  
تلفون : ٢٧٧٢٠٩٩ - ٢٧٧٨٦٤ - فاكس : ٢٧٧٣٩٩٢  
بيروت - لبنان صندوق بريد : ٣١٨١ - ١١ فاكس : ٤٢٦٢٥٢ - ٩٦١١

**Al Mada : Publishing Company F.K.A.**  
Nicosia - Cyprus , P.O.Box : 7025  
Damascus - Syria , P.O.Box : 8272 or 7366 . Tel: 2776864 , Fax: 2773992  
P.O. Box : 11 - 3181 , Beirut - Lebanon, Fax : 9611- 426252

All rights reserved. No parts of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system , or transmitted in any form or by any means , electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior permission, in writing, of the publisher.

مجموعة مؤلفين

---

# الاسماعيليون في العصر الوسيط تاريخهم وفكرهم

تحرير: فرهاد دفتري

هذا الكتاب  
ملك الأساذ الدكتور  
السيد زكي بطرس  
ترجمة: سيف الدين القصير





إلى ذكرى فلاديمير ايشانوف (١٨٨٦ - ١٩٧٠) .  
الرائد في الدراسات الاسماعيلية الحديثة .





## تقديم

كانت دراسة المسلمين الاسماعيليين الشيعة والحكم عليهم تتم حصرياً حتى عهد حديث على أساس من روايات أعدائهم من المسلمين المناوئين والحكايات الخيالية للصليبيين ولمصادر غربية أخرى عديدة . وكانت النتيجة أن انتشرت حول الاسماعيليين مفاهيم مغلوطة كثيرة ، وخرافات عديدة تناولت تعاليمهم وممارساتهم بحيث أدت إلى اشتهاهم في أوروبا باسم الحشاشين أو القتلة .

لكن ، ومع بداية العقد الرابع من القرن الحالي ( ١٩٣٠ ) ، بدأت نصوص اسماعيلية صحيحة وموثوقة تظهر الى الوجود على نطاق واسع من مجموعات خاصة من المخطوطات في اليمن وسورية وإيران وآسية الوسطى والهند مما أدى الى إلقاء ضوء جديد على تاريخ الاسماعيليين وفكرهم في العصر الوسيط .

ويقوم الكتاب الحالي الذي يشكّل أول جهد جمعي من نوعه في هذا الفرع من الدراسات الاسلامية ، بتجميع عدد من نتائج التبحر العصري الأصلية في هذا الميدان ، وهي التي قام بكتابتها وتصنيفها مرجعيات معاصرة رائدة إضافة الى عدد من المختصين البارزين في الدراسات الاسلامية .

وتتناول فصول هذا الكتاب ، وهي التي غطت موضوعات مختارة وتطوّرات لها علاقة بفترة ما قبل الفاطميين ، والفترة الفاطمية والنزارية من التاريخ الاسماعيلي ، تتناول مجالاً واسعاً ومنوعاً من الموضوعات التي تراوحت ما بين قرامطة البحرين وعلاقاتهم بالفاطميين ، والعقيدة الكوزمولوجية الأقدم للاسماعيليين ، والتراث العلمي وتطور الفقه في ظل الفاطميين ، الى فهم الاسماعيليين « للآخر » ، وأصول الحركة الاسماعيلية النزارية ، ومنظور

سلجوقي الى النزاريين الأوائل ، ونظرة جديدة حول الانتماءات الدينية لنصير الدين الطوسي ، وتراث الجنان عند الاسماعيليين الهنود الخوجا .

وماهو بارز في هذا الكتاب في ما يتعلق بالدراسات الاسماعيلية المعاصرة ، هو مساهمته في إظهار غنى التراث الأدبي «الاسماعيلي» ، وتنوع خبراتهم السياسية - الدينية إضافة الى تراثهم الفكري .

## تمهيد

إن التقدم الحديث في الدراسات الاسماعيلية ، هو الذي ابتدأ في الثلاثينات (١٩٣٠) من هذا القرن ، واستمر خلال العقود القليلة الماضية بخطى حثيثة متلاحقة مثيرة للدهشة . وكانت النتيجة أن العديد من جوانب فكر الاسماعيليين وتاريخهم لم يمد يكتنفها الغموض ، وأن الأرض قد مهتدت بشكل فعال لطرد خرافات العصر الوسيط حول الاسماعيليين ، الأمر الذي حان وقته منذ زمن طويل . ولقد كنت مقتنعاً منذ سنوات عديدة بأهمية جمع بعض من نتائج التبخر الحديث المتبشرة التي تتناول على وجه الخصوص موضوعات مختارة لم تلق سابقاً اهتماماً ومعالجة كافيين في أدب الدراسات التبهرية . فمثل تلك المجموعة قد تساعد في إظهار غنى الموروث الأدبي للاسماعيليين وتنوع خبرتهم الدينية - السياسية وتقاليدهم الفكرية ، وتحقق ، وهو ما نأمل ، فهماً أفضل للإسماعيلية .

وفي عام ١٩٩٢ كان وضع بذرة المشروع الحالي وتم ، مع المحافظة على تلك الأهداف في ذهن ، إرسال دعوات إلى بعض كبار المتبحرين في الدراسات الاسماعيلية لكتابة مقالات أصلية لمجلد جامع تقدم نتائج عقود عديدة من البحث والحكمة في هذا الحقل . وبالإضافة إلى مساهمته بمقالة جديدة ، فقد وافق البروفسور مادلونج مشكوراً على تضمين هذا المجلد نسخة إنكليزية محدثة نوعاً ما لدراسته الكلاسيكية لقراطة البحرين وعلاقتهم بالفاطميين . وتم توسيع مجال الدعوات للمساهمة في هذا العمل يشمل عدداً من الدارسين المتميزين الآخرين الذين قد يساعدون ، ولو أنهم غير نشيطين في مجال الدراسات الاسماعيلية على وجه الخصوص ، في تسليط الضوء على مسائل محددة من التاريخ الاسماعيلي مستفيدين من معرفتهم التخصصية في الدراسات الإسلامية والإيرانية . وإن نتائج هذا المجهود التعاوني للدارسين الاسماعيليين وغير الاسماعيليين ، من ذوي الأصول الغربية

واشترقية ، هي الآن في هذا المجلد . وغني عن الاضافة أنه ليس لأحد من الأفراد لمسهمين أن يشترك بالضرورة بجميع الآراء أو التفسيرات المعتبر عنها في هذا الكتاب . وتبقى مسؤولية ماورد في كل فصل من هذه الفصول هي حقاً عائدة لمؤلف ذلك الفصل وحده .

وأود أن أنقل امتناني الخالص الى جميع المتبحرين الكبار الذين ساهموا في هذا المشروع المشترك . كما أود أيضاً تقديم شكري الى السيدة (عزيزة آزودي) التي قدمت ، انسجماً مع مستوياتها العالية الخاصة في مجال الدراسة ، بترجمة ثلاث من المقالات التي ساهم بها كل من البروفسور (ولفريد مادلونغ وهاينز هالم) من الألمانية الى الانكليزية . ودين بامتنان خالص للدكتورة (باتريشيا كرون) التي قرأت مسودة أولية للكتاب وتقدمت باقتراحات مفيدة لتحسينه ، والى (فرهاد حكمت زاده) الذي فتش عن رسم توضيحي لسفلاف . ويبقى أخيراً أن أسجل شكري (لجيل توماس) الذي ساعد في ولادة هذا المجلد و(لماريغولدا آكلاند) الذي تولى اتمامه بشكل مثق .

ولعل هذا الكتاب يبرهن عن قدرته على تمثيل خطوة أخرى بعد الى الأمام على درب لتقدم الحديث في الدراسات الاسماعيلية ، وعساه يكون مصدر اطمئنان ورضى لجميع أولئك الذين اشتركوا في إخراجه .

فرهاد دفتري

## الاسماعيليون والدراسات الاسماعيلية

فرهاد دفتري\*

ظهر الاسماعيليون ، وهم جماعة شيعية مسلمة ذات شأن ، على مسرح التاريخ إثر وفاة الإمام جعفر الصادق في العام ١٤٨هـ / ٧٦٥م .

وكان هذا الإمام العلوي ، الذي في زمنه تمكن العباسيون من الإطاحة بالأمويين وتنصيب سلالتهم الخاصة في الخلافة ، قد نجح في تثبيت دعائم الشيعية على أسس من لمسلمة والاستكانة وطبقاً لشخصيتها المتميزة بصورة فرعها الأمامي الذي يشكل الموروث المشترك لكل الاسماعيليين والاثني عشريين . غير أن خلافة الإمام الصادق أصبحت موضع نزاع بين أولاده وكانت النتيجة أن انقسم أتباعه من الشيعة الإمامية الى عدد من الجماعات المنفصلة ، ومن هؤلاء الاسماعيليون الأوائل .

ورسّى لاسماعيليون الأوائل الأسس لجماعة إسماعيلية وحركة متميزة . غير أن فترة الاسماعيلية لمبكرة ، وهي التي امتدت حتى تأسيس الخلافة الفاطمية ، تبقى موضوعاً غامضاً ، والسبب في ذلك هو أن حفنة من النصوص الاسماعيلية الصحيحة وحسب هي ماوصلت من تلك الفترة التكوينية من التاريخ الاسماعيلي في الوقت الذي بقيت فيه المصادر

\* د. فرهاد دفتري ، رئيس دائرة المطبوعات والبحث الأكاديمي في معهد الدراسات الاسماعيلية ، لندن . متخصص في الدراسات لاسماعيلية ، وله عدة أبحاث ومنشورات منها «الاسماعيليون تاريخهم وعقائدهم» (كمبريدج ، ١٩٩٠) نقله الى العربية سيف مدين القصير (دار الينابيع ، ١٩٩٦ - ١٩٩٥) ، وخرافات الحشاشين وأساطير الاسماعيليين (لندن ، ١٩٩٤) ونقله الى العربية سيف مدين القصير (دار المدى ، ١٩٩٦) ، ومختصر تاريخ الاسماعيليين (قيد الانجاز) ، بالإضافة الى العديد من المقالات المنشورة في المجالات العلمية والموسوعات .

الأخرى غير الاسماعيلية معادية عموماً للاسماعيليين . ومع ذلك ، فإن فهمنا للاسماعيلية المبكرة قد تحسّن وتطوّر بشكل كبير خلال العقود القليلة الماضية بفضل نتائج دراسات الحديثة في هذا المضمار ، ولاسيما دراسات س . م . شتيرن ( ١٩٢٠ - ١٩٦٩ ) ووفيرد مادلونغ .

وهناك اتفاق عام بين الدارسين الاسماعيليين الآن حول أن خطأ من القادة لمركزيين ، متحذرين من جعفر الصادق ، قد عملوا سراً خلال تلك الفترة المبكرة الفاضية . من عدة مراكز قيادية ، على تنظيم حركة شيعية ثورية مناوئة للعباسيين الذين كانوا ، في أعين الشيعة ، قد اغتصبوا الحقوق الشرعية « للأسرة العلوية » في زعامة الأمة الإسلامية . وبدأت هذه الحركة . وهي التي سميت « بالدعوة » أو « الدعوة الهادية » ، من قبل أتباعها من الاسماعيليين لأوئل ، بدأت تحقق نجاحاً بشكل خاص منذ حوالي منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، عندما بدأت أعداد كبيرة من الدعاة نشاطاتها في العراق وفارس وشرقي شبه الجزيرة العربية واليمن . وكان هؤلاء الدعاة يدعون المسلمين الى ولاية الامام - المهدي الاسماعيلي نذي كن سيخلصهم من مظالم النظام القائم . كما أن حكمه سيؤذن بعودة الخلافة لى لعوييين المنحوعين منها ، وهم انقادة الحقيقيون الذين ينتمون الى أسرة النبي ، أي أهل البيت .

وتوج انتصار الاسماعيلية المبكرة بإقامة الخلافة الفاطمية عام ٩٠٩/٢٩٧ في شمال افريقية ، عندما تم تنصيب الإمام الاسماعيلي في تلك الآونة في منصب جديد ، كان الأول من نوعه . أي الخلافة الشيعية ، ولم يكن إلا قبل ذلك بعقد واحد ، أي في العام ٨٩٩/٢٨٦ ، عندما انقسمت الحركة الموحدة حتى ذلك التاريخ للاسماعيلية الى فرعين متنافسين اثنين ، الاسماعيليين الفاضيين والقرامطة ، وذلك حول مسألة ذات أهمية قصوى هي مسألة الإمامة . وقد أسس القرامطة المنشقون ، الذين لم يعترفوا بعبد الله ( عبيد الله ) المهدي ( ت ٩١٤/٣٢٢ ) ولا بخلفائه من السلالة الفاطمية أئمة لهم ، دولة خاصة بهم في البحرين ، شرقي شبه الجزيرة العربية ، وتهددوا العالم الاسلامي بالخطر قربة قرنين من الزمن . وبلغت أعمال النهب لقرامطة البحرين ذروتها بحصارهم لمكة في موسم حج عام ٩٣٠/٣١٧ . وقامت المؤسسة السنية ، وهي التي كانت على استعداد دائم لنير من سمعة لاسماعيليين والتشهير بهم ، باستغلال أفعال التدمير والتخريب لقرامطة البحرين وتضخيمها لتدل من مجمل الحركة الاسماعينية ، مدعية أيضاً أن قادة القرامطة كانوا يتقون أو مرهم سراً من الأئمة - الخلفاء الفاطميين . وفي الحقيقة ، فإن حرباً معلنة بين الفاطميين وقرامطة كانت قد نشبت في أعقاب احتلال الفاطميين لمصر عام ٩٦٩/٣٥٨ .

وأرسى الاسماعيليون الأوائل أيضاً أسس التراث الفكري الاسماعيلي ، الذي ازداد تعقيداً وتطوراً خلال الفترة الفاطمية . فقد وضعوا تمييزاً أساسياً بين الجوانب الظاهرة والباطنة للكتب المقدسة والتعاليم الدينية ، واعتقدوا بأن لكل معنى حرفي آخر باطنياً مستوراً وفيه تكمن الحقيقة . وفي الحقيقة ، فإن الاسماعيليين قد طوّروا تلك الحقائق الغائبة ، الحقائق العامة والخالدة للأديان التي تضمنتها القرآن ، ووضعوها في سياق نظام فكري عرفاني . وأصبح هذا النظام يعمل عالماً باطنياً من الروحانية ، الحقيقة التي كانت هائلة بالنسبة إلى الأديان التوحيدية الكبرى المعتمدة للتراث الابراهيمي . بل وحافظ الاسماعيليون الأوائل على الاعتقاد بأن الشرائع الدينية التي نطق بها الأنبياء ، أو النطقاء ، تخضع لتغييرات دورية في حين تبقى الحقائق خالدة . وكانت وظيفة خلفاء الأنبياء ، أي الأوصياء والأئمة في كل دور ، شرح المعاني المستورة للتنزيل من خلال التأويل أو التفسير الباطني . وهكذا فإن النظام العرفاني للاسماعيليين المبكرين قد تكون من نظرية دورية للتاريخ الديني للبشرية ، إضافة إلى أنه اشتمل على عقيدة كونية (كوزمولوجية) . وعلى كل حال ، فقد كان نظامهم اسلامياً وشيعياً في كليته ، حيث أن أنبياء أدوار تاريخهم كانوا هم الذين ورد ذكرهم في القرآن ، وأن عقيدة الامامة الشيعية تم فرضها عليه من الخارج ، وإن المعتقد الشيعي هذا واصل احتلاله لموقع مركزي في أنظمتهم الفكرية الميتافيزيقية المعقدة التي طوّرها رجال الدين - الفلاسفة الاسماعيليون من العصر الفاطمي .

لقد قادت الدعوة الاسماعيلية للقرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ، كما أسلفنا ، إلى تأسيس الدولة الفاطمية ، وهي التي أذنت بقدم طور جديد من تاريخ الاسماعيليين . وكانت للفاطميين مساهمات ذات شأن في الحضارة الاسلامية . واعترافاً منه بأهمية تلك المساهمات فقد أطلق لويس ماسينيون على القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي اسم «القرن الاسماعيلي» للإسلام<sup>(١)</sup> .

كما كان خلال هذا القرن أيضاً ، وهو الذي تزامن مع القرن الأول من الحكم الفاطمي ، أن تم تصنيف رسائل «إخوان الصفا» المشهورة على أيدي جماعة من المؤلفين من ذوي الارتباط الوثيق بالاسماعيلية\* .

وقد أصبح للاسماعيليين في تلك الفترة دولتهم الخاصة ، بالتنافس مع المتباسيين ،

\* تدل طبيعة الرسائل ومحتوياتها على أن زمن تصنيفها هو القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وأنها كتبت في سمنية (سورية) ونشرت في البصرة لإيحاء الشبهة من مقر الامام الاسماعيلي المستور الذي أشرف على تصنيف هذه الرسائل . وقد أيدت هذا الرأي دراسات البرولسور عباس همداني ، المختص في دراسة إخوان الصفا ورسائلهم .

وحصل الخلفاء الفاطميون على اعتراف الاسماعيليين بهم أئمة أصحاب حق ليس داخل الأراضي الفاطمية وحسب ، بل وحتى من قبل الاسماعيليين المقيمين في الأراضي الاسلامية الأخرى أيضاً . ومما تجدر الإشارة اليه هو أن الفاطميين لم يتخلوا عن نشاطاتهم الدعائية في أعقاب انتصارهم في شمال افريقية ، لأنهم كانوا يطمحون الى مد سلطتهم وحكمهم ليشملا كامل الأمة الاسلامية ، ونتج عن ذلك قيام الفاطميين بتطوير نظام محبوك للدعوة وأنشطتها التي اتبعها دعائهم في طول العالم الاسلامي وعرضه ، وبتخصيص اهتمام مميز لتدريب الدعاة الاسماعيليين ولاسيما في أعقاب تحويل مقر قيادتهم الى مصر . وتم إنشاء مؤسسات هامة لهذه الغاية مثل دار الحكمة والأزهر . وقد استخدمت هذه المؤسسات هي وأجنحة خاصة في مجمع القصور الفاطمية في القاهرة في بث التعاليم الاسماعيلية الى جمهور من المستمعين من نطاق أعم من المجتمع .

لقد كانت الفترة الفاطمية بحق ، ولاسيما حتى زمن المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٨٧ / ١٠٣٦ - ١٠٩٤) ، «العصر الذهبي» للاسماعيلية . وكان خلال هذا الجزء من الطور الكلاسيكي للتاريخ الاسماعيلي أن بلغ الفكر والأدب الاسماعيليان ذروتهم ، في الوقت الذي كان فيه الأئمة - الخلفاء الفاطميون الاسماعيليون يترفعون على عرش امبراطورية امتدت من شمال افريقية وصقلية الى سورية وفلسطين . كما طور الفاطميون أنظمة إدارية ومالية معقدة ، إضافة الى أنهم كرّسوا اهتماماً خاصاً للعلوم الاسلامية فضلاً عن الأنشطة الثقافية والتجارية الأخرى . وصارت القاهرة العاصمة الفاطمية المؤسسة حديثاً ، تنافس بغداد باعتبارها حاضرة عالمية للعالم الاسلامي . وتم خلال تلك الفترة ذاتها انتاج الأعمال الكلاسيكية للأدب الاسماعيلي التي تناولت موضوعات دينية وفلسفية إضافة الى موضوعات باطنية وظاهرية أخرى على أيدي دعاة علماء ومؤلفين من أمثال أبي يعقوب السجستاني وحמיד الدين الكرماني والمؤيد في الدين الشيرازي وناصر خسرو ، الذين ازدهروا في القرنين الرابع والخامس / العاشر والحادي عشر ، في حين تم جمع الفقه الاسماعيلي وتصنيفه من قبل القاضي النعمان (ت ٣٦٢ / ٩٧٤) ، أسبق من سبق من فقهاء تلك الفترة ومؤسس أسرة مشهورة من القضاة الفاطميين . وتمت في الوقت ذاته معالجة وحك تراث فكري متميز ، أطلق عليه بول وولكر<sup>(١)</sup> اسم الاسماعيلية الفلسفية ، وذلك على أيدي دعاة الأراضي الايرانية ، بدءاً بمحمد بن أحمد النسفي (ت ٩٤٣ / ٣٣٢) ، الذي يعود إليه فضل إدخال الفلسفة الى الفكر الاسماعيلي ، وأبي حاتم الرازي (ت ٣٢٢ / ٩٣٤) . وقد قام هذان الداعيان وخلفاؤهما ، وهم الذين بدأوا مع السجستاني بالدعوة باسم الأئمة - الخلفاء الفاطميين ،



بدمج لاهوتهم الاسماعيلي بطريقة أصيلة عالية المستوى بصيغة من الفلسفة الأفلاطونية المحدثه كانت سائدة آنئذ في ايران وماوراء النهر .

وفي العام ١٠٩٤/٤٨٧ انقسم الاسماعيليون انقساماً دائماً الى جماعتين متنافستين اثنتين ، النزارية والمستعلية ، وذلك بخصوص خلافة المستنصر ، فقد نجح الأفلح ، الوزير الفاطمي صاحب السلطة المطلقة ، في تنصيب الابن الأصغر للمستنصر في الخلافة الفاطمية بلقب المستعلي بالله (٤٨٧ - ٤٩٥ / ١٠٩٤ - ١١٠١) متسبباً بذلك حرمان نزار ، الابن الأكبر للمستنصر وولي العهد ، من حقوقه الوراثية . واعترف اسماعيليو مصر والمناطق التابعة للنظام الفاطمي في تلك الفترة بالمستعلي باعتباره إمامهم بعد المستنصر أيضاً ، وصاروا يعرفون بالمستعلية . أما اسماعيلية الأراضى السلجوقية الذين كانوا آنئذ تحت إمرة حسن الصباح ، الذين سبق له السير في سياسة ثورية مستقلة ، فقد اعتقدوا بالمقابل بالنظام الفاطمي ويمقر قيادة الدعوة في القاهرة ، التي كانت تعمل باسم المستعلي في تلك الفترة . وأصبح اسماعيليو فارس والأراضى الشرقية الأخرى يعرفون باسم النزارية .

وسرعان ما انقسم الاسماعيليون المستعليون أنفسهم الى جناحين ، الطيبية والحافظية ، إثر وفاة ابن المستعلي وخليفته الأمر (٤٩١ - ٥٢٤ / ١١٠١ - ١١٣٠) . واعترف الاسماعيليون الحافظيون بالخلفاء الفاطميين اللاحقين أئمة لهم ، غير أن الاسماعيلية الحافظية لم تعيش بعد سقوط السلالة الفاطمية في العام ٥٦٧/١١٧١ . أما الاسماعيليون الطيبون ، الذين لم يكن لديهم إمام ظاهر بعد الأمر ، فسرعان ما وجدوا معقلاً دائماً لهم في اليمن حيث ازدهرت جماعتهم في ظل قيادة كبار دعائهم الذين عرفوا باسم الداعي المطلق ، أو الدعاة ذوو السلطات المطلقة . وبحلول نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ، انقسم الاسماعيليون الطيبون حول مسألة الولاية المصححة لمنصب الداعي الى فرعين ، الداودية والسلمانية . وبحلول ذلك الوقت ، كان الطيبون الهنود ، الذين عرفوا محلياً باسم البهرة ، قد فاقوا كثيراً في عددهم الجماعة الطيبية في اليمن . ومنذ تلك الفترة وفي ما بعد ذلك اتبع كل من الاسماعيليين الداوديين والسلمانيين خطاً مختلفاً من الدعاة . ولعب الاسماعيليون الطيبون أيضاً دوراً هاماً في كل من اليمن والهند بالحفاظ على العديد من النصوص الاسماعيلية من العصر الفاطمي ، بل إن دعاة اليمن الطيبين أنفسهم قد انغمسوا في الأنشطة الأدبية وأنتجوا أدباً جماً .

في غضون ذلك ، تم تأسيس الدعوة الاسماعيلية النزارية المستقلة في الشرق بفضل جهود حسن الصباح (ت ٥١٨/١١٢٤) بشكل أساسي . وبحلول زمن الإنشقاق النزاري -

لمستعني لعام ١٠٩٤/٤٨٧ ، كان حسن الصباح قد سبق له وثمان من مقر قيادته في كموت ثورته المناوئة لسلالة التي حققت نجاحاً أكبر في شمال فارس ، ضافة لى قوهستان في جنوب شرق خراسان . وشكل استيلاء حسن الصباح على حصن كموت جبني سنة ١٠٩٠/٤٨٢ ، في الحقيقة ، علامة على ما كان ستصبح عليه الدولة لاسماعيلية لنزرية في فارس مع تلك النديفة لها في سورية في ما بعد . ودامت تلك الدولة مايقرب من ١٦٦ عاماً ، حتى سقوطها هي الأخرى تحت ضربات الهجوم الكاسح لبحافل لمغور سنة ١٢٥٦/٦٥٤ . وشهدت الدولة النزارية الكثير من التحولات والمحن . فقد كنت قيادتها بديّة في يد الدعاة ، إلا أن الأئمة النزاريين ظهروا في كموت في ما بعد وتولّو شؤون جماعتهم ودولتهم . ولم ينجح الاسماعيليون النزاريون في الإطاحة بالأتراك لسلالة الذين كان حكمهم ممقوتاً في فارس بشدة ، كما لم ينجح السلالة في اقتلاع جذور نزاريين . على الرغم من أنهم كانوا متفوقين عسكرياً إلى حد كبير . ثم تطورت العلاقات لاسماعيلية - السلجوقية في نهاية الأمر إلى حالة أطلق عليها مارشال هيجسون اسم « لمازق » ، أو الجمود المستحكم ، ووجدت الدولة النزارية ذات الأراضي المتبعثرة مكاناً لها بين الإيالات القائمة في العالم الاسلامي آنذ .

وخصّص الاسماعيليون النزاريون من عصر كموت الكثير من وقتهم وطاقاتهم في النضال وتأمين وسائل العيش وسط بيئة معادية إلى حد التطرف . ولذلك ، فبدلاً من إنتاج الدعاة العلماء ، كما كان الأمر زمن الفاطميين ، فقد أصبح لديهم قادة عسكريين واستراتيجيين قديرين مناسبين لزمانهم . وكثيراً ماكان يكلف أولئك القادة بتولي شؤون القلاع الرئيسية . ويقومون في الوقت ذاته بأعمال الدعوة باسم الامام الاسماعيلي النزارى ، غير أنه كنت لالاسماعيليين النزاريين نظرة وراث أدبي معقدان ومتطوران على الرغم من أن جمهم كن من سكان الجبال والقرويين الذين وجدوا تأييداً متبعثراً لهم مابين المجموعات لحضرية . وحسن انصباح نفسه كان رجل دين عالماً وتحمل مسؤولية واسعة في إعادة صياغة عقيدة « تعليم » الشيعية القديمة ، أو ضرورة التعليم المرجعي للامام .

وعلى أية حال ، فإن عقيدة « التعليم » ، وهي التي شددت على السلطة تنعيمية لكر مام بشكل مستقل عن سبته ، قد وضعت الأساس لكل التعاليم النزارية اللاحقة من عصر كموت ، بما فيها اعلان القيامة سنة ١١٦٤/٥٥٩ . وكان هذا الاعلان ، في لوقع ، يذناً بعلان الاستقلال الروحي للجماعة الاسماعيلية النزارية على وجه العموم . لا أن نقيمة قد فسرت ، على كل حال ، تفسيراً روحانياً على أساس من التأويل الاسماعيلي لتعني معرفة

الحقيقة المكشوفة في شخص الامام صاحب الزمان الحق الذي لم يكن سوى الامام الاسماعيلى النزاري . وكان من خلال معرفة الحقيقة الروحانية للامام أن الجنة تصبح حقيقة واقعة للمؤمنين ، أو جماعته من تابعيته . وفي زمن إعلان القيامة ، كان النزاريون السوريون في ظل قيادة أكثر زعمائهم شهرة ، واحد الدين سنان (١١٩٣/٥٨٩) ، الذي ضمن نجاح جماعته في أزمنة صعبة من خلال شبكة من التحالفات المتشابكة مع جيرانه من المسلمين السنة والصليبيين .

وأقدم سيد ألاموت السادس في ما بعد ، جلال الدين حسن الثالث (٦٠٧ - ٦١٨ / ١٢١٠ - ١٢٢١) ، على إعادة تقارب جزئية مع المؤسسة السنية ، متيحاً للجماعة النزارية فرصة كانت بحاجة إليها كأكثر ما يكون . وفي معال نادر من نوعه على الكتابة التاريخية الاسماعيلية ، فقد أمر الاسماعيليون النزاريون ، مثل الفاطميين من قبلهم ، بتصنيف كتب أخبار رسمية ، تدون أحداث دولتهم في فارس وفقاً لفترات حكم أسياذ ألاموت المتعاقبة . كما أسس حسن الصباح مكتبة هامة أيضاً في ألاموت ، كانت مجموعاتها من الكتب الاسماعيلية وغير الاسماعيلية قد نمت بشكل كبير بحلول زمن قيام المغول بإيداعها الى النار . وأنشأ النزاريون في سورية وقوهستان مكتبات أيضاً ضمت كتباً تناولت موضوعات دينية مختلفة وكذلك وثائق توثيقية ورسائل ومعدات علمية .

في ظلّ مثل تلك الظروف ، وعلى الرغم من اشتباكات النزاريين العسكرية مع الغزاة ، أفاد الكثير من العلماء المسلمين ، ومنهم العلماء السنة والاثنا عشريون الشيعة بالإضافة الى اليهود ، من مكتبات النزاريين ومن رعايتهم للعلم والعلماء . بل إن بعض هؤلاء العلماء الغزاة تحول الى الاسماعيلية ، ولو خلال فترة تواجدهم بين الاسماعيليين النزاريين على الأقل . والأكثر شهرة من بين هذه المجموعة النخبية كان الفيلسوف وعالم الدين والفلكي المشهور نصير الطوسي (٥٩٧ - ٦٧٢ / ١٢١٠ - ١٢٧٤) ، الذي أمضى قرابة ثلاثة عقود بين النزاريين في فارس وخراسان ، وكان في صحبة آخر سيد لألاموت ، ركن الدين خورشاه (٦٥٣ - ٦٥٥ / ١٢٥٥ - ١٢٥٧) . عندما سلم النزاريون للمغول في نهاية الأمر . وتعرّض جلّ الأدب الضعيف الذي أنتجه الاسماعيليون النزاريون خلال عصر ألاموت إما للتدمير على أيدي المغول وإما للنفاء في فارس الايلخانية بعد ذلك بفترة قصيرة . ولم يلعب النزاريون الفرس ، خلافاً للمستعربين الهمنيين ، دوراً رئيسياً في المحافظة على الأدب الاسماعيلى من العصر الفاطمي . وتجدر الإشارة من هذه الناحية الى أن حسن الصباح كان قد أقدم ، في خطوة تعتبر من مشاعره «الإيرانية» على تبني اللغة الفارسية لغة دينية

للجماعة الاسماعيلية الفارسية . وأفضى ذلك الى أنه لم يعد هناك من سبيل مباشر للاسماعيليين الفرس من عصر الموت الى الكتابات الاسماعيلية من العصر الفاطمي ، مع أن مثل تلك الأعمال كانت ، كما هو واضح ، متوفرة ضمن مجموعات مكتبة الموت وفي أمكنة أخرى لدى الجماعة . غير أن الاسماعيليين النزاريين السوريين الذين استخدموا اللغة العربية احتفظوا ، على كل حال ، بعدد معين من النصوص الاسماعيلية الفاطمية ، وأنتجوا تراثاً أدبياً خاصاً بهم .

نجا الاسماعيليون النزاریون في فارس من التدمير المغولي لقلاعهم الجبلية ولدولتهم سنة ١٢٥٦/٦٥٤ ، في حين التجأ الكثير منهم الى المناطق المجاورة في أفغانستان وبنخشان في وسط آسية بالإضافة الى شبه القارة الهندية . أما النزاریون السوريون الذين لم يتعرضوا للكارثة المغولية فقد خضعوا بحلول نهاية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي للمماليك الذين كانوا قد أوقفوا الزحف المغولي باتجاه الغرب ، وكانوا قد بسطوا سيطرتهم الخاصة على مصر وسورية خلفاً للأيوبيين . في غضون ذلك ، كانت الإمامة النزارية قد توارثتها ذرية ركن الدين خورشاه ، آخر أسياد الموت الذي قتله المغول سنة ١٢٥٧/٦٥٥ . وتمثل القرون المبكرة من عصر ما بعد الموت أكثر الأطوار غموضاً في تاريخ الجماعة الاسماعيلية النزارية ، عندما عاش النزاریون في مناطق مختلفة متخفين في ظل القيادة المحلية لدعاتهم . وكذلك ، عاش الأئمة الاسماعيليون النزاریون بشكل سرّي في فارس من غير اتصال مباشر بأتباعهم . وكان خلال تلك القرون المبكرة من عصر ما بعد الموت أن بدأ الأئمة الاسماعيليون النزاریون ، ومعهم أتباعهم ، يخفون أنفسهم في رداء من الصوفية ، وهي تقليد باطني اسلامي آخر كان مزدهراً في فارس آنذ في شكل طرق متنوعة . وبحلول نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي عندما ظهر الأئمة النزاریون في أنجودان ، وسط فارس ، كانت روابط قوية قد توطدت بين النزاريين الاسماعيليين والصوفية . وبدأ الإمام الاسماعيلي للعالم الخارجي في تلك الفترة في هيئة شيخ (بير) صوفي أو «مرشد» ، وكان أتباعه «مريدون» له ، الأمر الذي سهّل للاسماعيليين الفرس تجنب الاضطهاد في بيئة معادية .

وصل العصر الوسيط في تاريخ الاسماعيلية النزارية نهايته مع ما أطلق إيفانوف عليه اسم نهضة أنجودان<sup>(٢)</sup> ، وهو عصر نهضة الدعوة النزارية وإحياء أنشطتها الأدبية . وقد نجح الأئمة النزاریون خلال هذه الفترة التي دامت قرابة قرنين من الزمن ، أي حتى القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي ، نجحوا في إعادة تثبيت قياداتهم المركزية وبسطها

على مختلف الجماعات النزارية . كما أعادت الدعوة النزارية خلال هذه الفترة إحياء الأنشطة الأدبية ودعوة المستجيبين إلى المذهب . وحققت الدعوة النزارية نجاحاً خاصاً في شبه لقارة لهندية في تلك الفترة ، حيث تحولت أعداد كبيرة من منبوذي النوهانا الهندوس إلى الاسماعيلية ، ولا سيما في السند وكجرات ، وأصبح هؤلاء يعرفون محلياً باسم الخوجا . وصوّر الاسماعيليون النزاریون الهندود تراثهم الأدبي البلدي الخاص بهم في صورة ترانيم تعبديّة روحانية عرفت باسم الجنان ، وهي تمثل النسخ المشترك للعناصر الاسماعيلية ولهندوسية . وتمّ مرور الوقت تدوين الجنان ، وهي التي تناقلوها شفاهية ، وكتابتها بنصّ هندية مختلفة ، وبالخط الخوجكي على الأغلب ، وهو الخط الذي يتفرد به الاسماعيليون سخوجا . وفي المصور الحديثة ، حقق الاسماعيليون النزاریون فائدة كبيرة من السيست استقدمية ومن شبكة المؤسسات التي أقامها أئمتهم الذين اكتسبوا شهرة عالمية بقبهم الورائي «آغاخان» .

ويتبعثر الاسماعيليون النزاریون في الوقت الحاضر في أكثر من خمسة وعشرين بدءاً في آسية وافريقية وأوربة وشمال أمريكة . وحافظ الاسماعيليون النزاریون ، وهم الذين يمثلون تقاليد أدبية ولغوية وأثنية متنوعة ، على وحدتهم كجماعة دينية تدين بالولاء بزعيمها الروحي الأمام الحاضر .

إن معظم مانعرقه الآن عن عقائد الاسماعيليين وتاريخهم في الأزمنة البسيطة لم يكن معروفاً حتى عقود قليلة مضت . ويعود ذلك بكل بساطة إلى أن دراسة الاسماعيليين كانت تتم على أساس ينحصر تقريباً بالمصادر والروايات التي أنتجها غير الاسماعيليين الذين كانوا معادين لهم عموماً . وكان المناوون السنة تحديداً ، بدءاً بابن رزام الذي اشتهر في لنصف أول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، قد بدأوا بوضع الشواهد التي قد تساعد في نقض الاسماعيليين على أسس عقائدية محددة . وواصل العبّاسيون أنفسهم تشجيع تصنيف مثل تلك الرسائل المعادية للاسماعيليين ، وهي التي بلغت ذروتها في كتابات الفزالي (ت ١١١١/٥٠٥) الذي خصص كتابه المعادي للاسماعيليين النزريين تحديداً . وفي كتابه «المستظهر» الذي كتبه في نقض الاسماعيليين بطلب من اخليفة لعبسي المستظهر (٤٨٧ - ١٠٩٤/٥١٢ - ١١١٨) ، قدّم الفزالي رؤيته الخاصة بنظم التقيين لاسماعيلي المتدرج المعقد والتتقيف العقائدي الذي يفضي في النهاية إلى مرحلة من إلحاد وعدم الايمان . كما أنتج المؤلفون المعادون للاسماعيليين عدداً من الروايات مبشرة لسخرية نسبوا إلى الاسماعيليين فيها ، وبشكل مسبق ، كل أصناف المعتقدات

الهرطقية . وكان يجري تداول هذه الأعمال المزورة على أنها كتابات اسماعيلية أصيلة ، واستخدمت كمصادر للمعلومات من قبل الأجيال اللاحقة من كتاب الفرق والكتاب المناوئين . وكانت النتيجة أن ساهموا الى حد كبير في صياغة آراء عامة المسلمين المعادية للاسماعيليين .

وخلاصة القول ، أن حملة أدبية مناوئة للاسماعيليين واسعة الانتشار كانت قد ظهرت الى الوجود في العالم الاسلامي بحلول القرن الرابع/ العاشر . وكان هدف هذه الحملة التي قادها كتاب الفرق والمناوئون المعادون ، النيل من مجمل الحركة اسماعيلية منذ بداياتها الأولى . وتركزت جهود تلك المصادر المعادية للاسماعيليين بشكل ثابت وملح في تلك الفترة لنسبة كامل الأهداف الخبيثة والمعتقدات الهرطقية والممارسات اللاأخلاقية الى الاسماعيليين ، في حين تبنت العباسيون أنفسهم حملات نُظمت بعناية لنقض النسب العلوي للأئمة الاسماعيليين . وسرعان ما ظهرت الى الوجود « خرافة سوداء » صورت الاسماعيلية على أنها الإلحاد المطلق في الاسلام ، تولدت عن بعض العناصر غير العلوية المدعية ، وربما حتى عن بعض السحرة اليهود ، وذلك من أجل تدمير الاسلام من الداخل . وصارت هذه « الخرافة السوداء » بمرور الوقت وبأصولها المنسية ، تُقبل على أنها وصف دقيق لدوافع الاسماعيليين ومعتقداتهم وممارساتهم ، الأمر الذي أدى الى المزيد من الكتابات المناوئة للاسماعيليين ، والى المساهمة أكثر في مواقف المسلمين الآخرين المعادية للاسماعيليين .

وقام الأوروبيون من الصليبيين ومن أزمنة متأخرة بإضافة حكاياتهم الخيالية الى ما أنتجه المسلمون من كتابات مثيرة للسخرية ومعادية للاسماعيليين ، وبقي الأوروبيون من العصر الوسيط جاهلين تماماً تقريباً بالاسلام وتقسيماته الداخلية ، بما فيها الشيعة ، على الرغم حتى من أن الصليبيين كانوا على صلة بعدد من الجماعات الاسلامية في الشرق الأدنى . وفي الحقيقة ، فإن الاسماعيليين النزاريين السوريين كانوا أول جماعة شيعية كانت للصليبيين معها اهتمامات متنوعة منذ العقود الاقتتاحية للقرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي . ولم يكن إلا بعد ذلك بنصف قرن ، على كل حال ، أي في زمن راشد الدين سنان ، « شيخ الجبل » الأصلي بالنسبة الى الصليبيين ، أن بدأ الرخالة الغربيون وكتاب الأخبار الصليبيون بجمع بعض المعلومات المجترأة حول الاسماعيليين النزاريين في سورية . فقد كانوا متأثرين على وجه الخصوص بسلوك التضحية بالنفس للفدائيين النزاريين الذين كان يجري إرسالهم في مهمات خطيرة لتصفية أعداء جماعتهم البارزين ، حيث أن أية عملية

غتيال كدنت تتم في الأراضي الاسلامية المركزية آنذ تقريباً ، كانت تنسب الى خناجر  
الفدائيين النزاريين بشكل خاص .

غير أن مجاورة الأوربيين للنزاريين السوريين ، الذين سرعان ما أصبحوا مشهورين في  
أوربة باسم الحشاشيين ، لم تعرضهم على جمع معلومات أكثر دقة بخصوص تعاليم وممارسات  
تلك الجماعة الشرقية . وبدلاً من ذلك ، لجأ الصليبيون ومراقبوهم الغربيون الى مخيلتهم في  
تلك لفترة من أجل إيجاد تفسير يرضي قلقهم حول الأسباب التي تكمن وراء اندفع  
فدائيين وتفاقيهم . وبحلول منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ، رح  
عدد من كتب أخبار الصليبيين ومصادر أوربية أخرى يزعمون امتلاكهم لمعلومات موثوقة  
حول لممارسات السرية للاسماعيليين النزاريين وزعيمهم ، شيخ انجيل ، ولاسيما في ما  
يتعلق بتجنيد وتدريب الفدائيين . وراحت ماتسمى بخرافات الحشاشيين تتطور تدريجياً  
وعى مراحل ، وبلغت ذروتها بالنسخة التي أشهرها ماركو بولو (١٢٥٤ - ١٣٢٤) الذي قام  
بتركيب عدد من مثل تلك الخرافات ودمجها بما ساهم به هو نفسه في صورة « بستان الجنة  
سري » ، وقد شرح ذلك الرحالة البندقي الذي نُظر الى حكاياته في أوربة العصر الوسيط على  
نُها تقرير شاهد عيان ، شرح بتفصيل وافر كيف كان يتم تعريض الفدائيين ودفعهم لتنفيذ  
مهماتهم على يدي زعيمهم المحتال الذي كان يدبر ملذات جسدية في بستان جنته السري .  
وهو البستان الذي كانوا يدخلون اليه لفترة مؤقتة تحت تأثير الحشيش أو أية مادة ممثلة .  
ومنذ تلك لفترة وفي ما بعد ذلك ، انحطت حال الاسماعيليين النزاريين في المصادر لأوربية  
من لعصر الوسيط بسهولة الى مجرد طريقة خبيثة من الحشاشيين المدمنين عقدت العزم على  
لقيام بأعمال القتل والخداع بدم بارد . ووجدت « الخرافة السوداء » للمؤلفين المسلمين ،  
متجذرة في العدا ، صجة لها في تلك الفترة في « خرافات الحشاشيين » للأوربيين من عصر  
لوسيط ، وهي التي تجذرت في الجهل والأوهام المتخيلة . وواصل كلا النموذجين من  
لأساطير تداوله لقرون عديدة على أنهما وصف دقيق لتعاليم الاسماعيليين وممارساتهم في  
كل من بيئتهم الشرقية والغربية الخاصتين بهم .

وبدأ مستشرقو القرن التاسع عشر بقيادة سيلفستر دو ساسي (S.D. Sacy) (١٧٥٨ -  
١٨٣٨) دراساتهم للاسلام بطريقة أكثر علمية على أساس من المخطوطات الاسلامية تي  
كتبها مؤلفون ستة بشكل أساسي . وكانت النتيجة أن المستشرقين درسوا الاسلام وفقاً  
لوجهة النظر السنّية ، وعاملوا الشيعة على أنها الصورة المخالفة للاسلام . وقد حدد  
المستشرقون هوية الاسماعيليين بشكل صحيح على أنهم جماعة شيعية مسلمة ، إلا أنهم

كنو مضطرين لدراسة الاسماعيليين على أساس محصور في المصادر السنّية المعدية وفي لروايت الخيالية الغربية من زمن الصليبيين . لقد منح الاستشراق موافقته في تسد لفترة عسى أسامير الاسماعيليين أيضاً ، ففي (دراسة في سلالة الحشاشيين) ، لخصّ دو ساسي جميع معلومات التي كان قادراً على استخلاصها من المصادر الاسلامية وبعض كتب أخبار لصيبين حول النزاريين من عصر الموت . ولذلك ، ليس مستغرباً أن يكون قد ورد مؤيداً ، وبصورة جزئية على الأقل ، بعضاً من خرافات الحشاشيين<sup>(١)</sup> . ثم قام دو ساسي في ما بعد ، بإعادة تأكيده أيضاً على «الخرافة السوداء» للمناوئين من السنّة حول أصول لاسماعيلية وذلك في مقدمته الطويلة لكتابه الرئيس وانهام حول الدروز<sup>(٢)</sup> لقد وضع تقييم دو ساسي المشوه لالاسماعيليين الإطار الذي ضمنه راح مستشرقو القرن التاسع عشر آخرون يدرسون تاريخ الاسماعيليين في العصر الوسيط . وساهم سوء الفهم والانحياز لسببي والمعلومات المغلوطة والخيال الواضح ، في الوقت نفسه ، في إشاعة كتب آخر وسع لانتشار كان الأول من نوعه الذي بُني على مصادر شرقية وخصّص للنزاريين من عصر موت ، كـتبه جوزيف فون هامر – بيرغشتال (J. von Hammer - Purgstall) (١٧٧٤ - ١٨٥٦)<sup>(٣)</sup> ، وتواصل التصوير الخاطيء وسوء التقدير لالاسماعيليين بدرجات متفاوتة في درسات المستشرقين اللاحقين من أمثال تشارلز فرانسوا دوفريميري (Ch. F. Defremery) (١٨٢٢ - ١٨٨٣) ، وميشال جان دو غويه (M. J. De Goeje) (١٨٣٦ - ١٩٠٩) . لقد توقّرت لأساطير الاسماعيليين حقاً فسحة جديدة من الحياة على يد الاستشراق ، وبقيت لحنة لمؤسفة للدراسات الاسماعيلية ثابتة لم تتغير حتى الثلاثينات (١٩٣٠) من هذا قرن .

في غضون ذلك ، كانت استعادة مصادر اسماعيلية حقيقية تضع أساساً عميقاً لدرسات الاسماعيلية ، وهو تطوّر أدى الى إطلاق ليس أقل من ثورة في هذا المجال من لمعرفة الاسلامية . وكانت تلك المصادر المخطوطة قد سبق لها أن بدأت تطفو على سطح على نصق محدود إبان القرن التاسع عشر . لكن لم يكن إلا مع العقود الافتتاحية سقرن لعشرين أن بدأ المزيد من مثل تلك المصادر ، التي كانت حتى تلك الفترة محفوظة بشكر سرّي ضمن العديد من المجموعات الاسماعيلية الخاصة ، يتوقّر بشكل أكثر نتضماً لمكتبات العامة وللدارسين من أماكن مختلفة الأصول كاليمين وأواسط آسية . لكن عدد لأعمار لاسماعيلية التي عرفها المستشرقون بحلول أوائل العشرينات (١٩٢٠) كان لايزل ضئيلاً<sup>(٤)</sup> .



وحقق هذا الغرق الهام للدراسات الاسماعيلية تعاظماً جديداً في وقت لاحق ، وذلك من خلال جهود حفنة من الدارسين الذين اتخذوا من بومباي قاعدة لهم . وكان العضو الأول لهذه المجموعة هو فلاديمير إيفانوف (W. Ivanof) (١٨٨٦ - ١٩٧٠) ، الذي لعب دوراً مفتاحياً في التقدم الحديث في الدراسات الاسماعيلية<sup>(٨)</sup> . فمن خلال شبكة من أصدقائه الاسماعيليين في الهند وفي أماكن أخرى ، نجح في التعرف على عدد كبير من المصادر الاسماعيلية التي قام بوصفها والتعليق عليها لأول مرة في فهرس نشره عام ١٩٣٣<sup>(٩)</sup> . إن دخول المتبحر الحديث ميدان الدراسات الاسماعيلية يمكن تتبعه في الحقيقة والعودة به الى نشر هذا الفهرس بالذات ، وهو الذي شهد على غنى الموروث الأدبي المجهول للاسماعيليين . وفي السنة ذاتها ، كان إيفانوف أداة في تأسيس جمعية الأبحاث الاسلامية في بومباي التي أنتجت سلسلة من المنشورات المخصصة للأعمال الاسماعيلية . بشكل أساسي ، وأدت جهود إيفانوف المنظمة باتجاه تحديد هوية المخطوطات الاسماعيلية واستعادتها ودراستها الى قيام الجمعية الاسماعيلية لبومباي سنة ١٩٤٦ تحت رعاية السير سلطان محمد شاه ، الآغا خان الثالث (١٨٧٧ - ١٩٥٧) ، الإمام العامن والأربعين للاسماعيليين النزاريين ، واقتنى إيفانوف عدداً كبيراً من المخطوطات لمكتبة الجمعية الاسماعيلية ، إضافة الى قيامه بنشر العديد من النصوص الاسماعيلية والرسائل في سلسلة مطبوعات الجمعية . وبحلول عام ١٩٦٢ ، أي عندما نشر إيفانوف طبعة ثانية منقحة لفهرسه الاسماعيلي ، كانت أعداد إضافية أكبر من المصادر المخطوطة قد أصبحت معروفة<sup>(١٠)</sup> .

في غضون ذلك ، كان عدد من المتبحرين الاسماعيليين ، ولاسيما زاهد علي (١٨٨٨ - ١٩٥٨) وحسين الهمداني (١٩٠١ - ١٩٦٢) وآصف فيضي (١٨٩٩ - ١٩٨١) ، وهم من جماعة الاسماعيلية البهريه ، قد بدأوا ، الى جانب إيفانوف ، بإنتاج دراسات هامة ارتكزت على مجموعاتهم الخاصة من المخطوطات الاسماعيلية . وصارت تلك المخطوطات متوفرة بسهولة للمتبحرين من غير الاسماعيليين في تلك الفترة أيضاً ، وهم الذين أنتجوا دراسات وتحقيقات نقدية قيّمة ، وهناك إشارة خاصة جديرة بالذكر في ما يتعلق بذلك ، وهي النصوص الفاطمية التي حققها المتبحر المصري محمد كامل حسين (١٩٠١ - ١٩٦١) في « سلسلة مخطوطات الفاطميين » التي نشرها في القاهرة ، والأعمال الاسماعيلية في زمن الفاطميين ومن أزمته لاحقة التي حققها هنري كوربان (H. corpin) (١٩٠٣ - ١٩٧٨) مع مقدمات وتحليل للنصوص معمقة ومحبوكة وضمنتها في سلسلته الذائعة الصيت (Bib- liothèque Iranienne) التي كانت تصدر في طهران وباريس في وقت واحد . وبحلول

لخمسينات (١٩٥٠) كان التقدم في هذا الميدان قد سبق له أن مكن نارشمال هودجسون (N. Hodgson) (١٩٢٧ - ١٩٦٨) من إنتاج أول دراسة علمية له عن الاسماعيليين النزاريين من عصر الموت<sup>(١١)</sup> ، وهي الدراسة التي طال انتظارها لتحل محل دراسة فون هامر امعدية ومشوهة حول ذات الموضوع . لقد كان التقدم الحديث في الدراسات الاسماعيلية يتقدم حقيقة بخطوات رائعة في تلك الآونة . وبحلول عام ١٩٧٧ كان حوالي ١٣٠٠ عنوان منسوبة لى أكثر من ٢٠٠ مؤلف اسماعيلي قد تمّ تحديدها وتعريفها في الفهرست الاسماعيلي لضخم لبونوالا<sup>(١٢)</sup> . وقد تمّ الآن نشر العديد من تلك النصوص في تحقيقات نقدية ، في حين تمّ انتاج عدد وفير من الدراسات الثانوية في التاريخ والفكر الاسماعيليين من قبل ثلاثة أجيال متعاقبة من الدارسين الاسماعيليين ، ومنهم بعض من أسهم في كتابة المجند المشترك الحالي .

ويعدّ التبحر الحديث في الدراسات الاسماعيلية بالاستمرار دون توقف طالما أصبح الاسماعيليون أنفسهم أكثر اهتماماً بدراسة موروثهم الأدبي ، وطالما أخذ معهد أدرست الاسماعيلية ان يأسس في لندن تحت رعاية سمو الأمير كريم آغا خان الرابع ، الامام الحاضر التاسع والأربعين للاسماعيليين النزاريين ، يعدّ العدة لتقديم مساهمته الخاصة في هذا ميدان من خلال برامج مختلفة في البحث والنشر ، بما فيها سلسلته الخاصة عن تراث الاسماعيلي . وجدير بالذكر أيضاً أن مجموعة المعهد من المخطوطات المكونة من حوالي ١٠٠ مخطوطة باللغات العربية<sup>(١٣)</sup> والفارسية والخوجكية ، بما فيها جلّ المجموعات التي كانت تمتلكها سابقاً الجمعية الاسماعيلية لبومباي والجمعية الاسماعيلية لباكستان ، وتمتدّ أوسع مجموعة من نوعها في الغرب . وقد أصبحت هذه المجموعة سهنة التدوين للباحثين والدارسين الاسماعيليين وغير الاسماعيليين .

ويهدف الكتاب الحالي الى جعل بعض نتائج التبحر الحديث في الدراسات الاسماعيلية المتبعثرة حول جوانب من الفكر والتاريخ الاسماعيليين من العصر الوسيط ، ولاسيما تلك الموضوعات التي لم تلق اهتماماً كافياً من قبل الأدب التبخري المعاصر ، في متدور مطبوعة والدارسين ، بل وفي متناول الاسماعيليين أنفسهم .

وكان الفصل الأول من حيث الأهمية في القسم الأول ، والمخصص للفترتين ما قبل الفاطمية والفاطمية الكلاسيكية ، قد نشر بالألمانية أصلاً عام ١٩٥٩ .

وهنا يقدم البرفسور ويلفريد مادلونغ نسخة انكليزية محدثة نوعاً ما لمقالته لسابقة ، وهي تبيّن شكلت علامة بارزة في الدراسات الاسماعيلية الحديثة ومساهمة رئيسية في فهم

للاسماعيلية لمبكرة عموماً وللعلاقات بين قرامطة البحرين والفاطميين خصوصياً .  
فالمؤرخون والكتاب المعادون وكتاب الفرق السنية كانوا قد أشاعوا فكرة أن قرامطة  
بحرين ، ندين شهر بهم بسبب نشاطاتهم المناوئة للإسلام وأعمال السلب والنهب ،  
كانو متوصلين مع الفاطميين . وهي الفكرة التي أعاد تأكيدها دوغويه ودارسون آخرون في  
الأزمة الحديثة . ويسعى مادلونغ في هذه الدراسة الكلاسيكية ، وهي التي لاتزال أفضل  
مسح حديث أيضاً للمصادر ذات العلاقة ، الى إظهار أنه لم يكن في مقدور قادة قرامطة دوة  
بحرين العمل والتصرف بأوامر من الفاطميين . وتشهد النتائج الهامة لهذه الدراسة ، وهي  
التي نشرت منذ خمس وثلاثين سنة مضت ، على العناية الفائقة لدراسات مادلونغ . وفي  
مساهمته اثنائية ، التي تضمنتها الفصل الرابع ، يتناول مادلونغ بإيجاز موضوع العقل الأكثر  
تقنية في افكر الاسماعيلي على أساس من العمل الرئيسي للسجستاني في هذا المجال .  
وهو يظهر بشكك خاص كيف أن العيوب وحالات القصور لبعض المخطوطات الاسماعيلية قد  
تؤدي الى تأويلات وتفسيرات مغلوطة للموضوعات التي تتناولها .

وقد لمبروفسور هاينز هالم (H. Halm) بدراسة العقيدة الكوزمولوجية الأقدم  
للاسماعيليين أكثر من أي متبحر عصري آخر . وفي الحقيقة ، فإنه قد أعاد بناء هذه العقيدة  
على أسس من الشواهد المجتزأة التي حفظتها المصادر اللاحقة ، وخصص بحثاً كاملاً  
بالأمانة لذلك الموضوع .

وفي الفصل الثالث ، يقدم هالم لأول مرة في اللغة الانكليزية ، ملخصاً لدراسته لهذه  
لكوزمولوجية الخاصة ، وهي التي تجاوزها واستبدلها في ما بعد بعقيدة اسماعيلية أفلاطونية  
- محدثة . ويتصدى هالم في الفصل الخامس لحقل من التقصي والتنقيب جديد بالكلية .  
فالتنقيب في لاسماعيلية كان مادة لموضوعات مفضنة لدى المؤلفين المناوئين للاسماعيلية  
الذين أنتجوا كتابات متخيلة مثيرة للسخرى تصف كيف تتم قيادة المستجيب الجديد عبر  
مراحل لتنقيب المتعددة على أيدي الدعاة الاسماعيليين حتى يصل في نهاية المطاف الى  
مرحلة كفر والالحاد . وفي هذا الفصل ، الذي هو أول معالجة علمية للموضوع ، يتقصى  
لمبروفسور هالم عملية التلقين الفعلية للمستجيب الاسماعيلي مستعيناً بتشكيلة متنوعة من  
مصادر لاسماعيلية وغير الاسماعيلية . كما يقدم الدليل أيضاً على البرامج اترابية  
لأكثر تصوراً للاسماعيليين من زمن الفاطميين ، ولا سيما المحاضرات الاسماعيلية المعروفة  
باسم « مجالس الحكمة » .

أم لمبروفسور اسماعيل بوثوالا فقد تصدى في الفصل السادس لموضوع الفكر

التشريعي الاسماعيلي وصرح كيف تمت قونة التشريع الاسماعيلي من خلال جهود القاضي النعمان حصراً ، أسبق من سبق من فقهاء الأزمنة الفاطمية المبكرة ، كما ناقش التسلسل الكرونولوجي (التاريخي) لمصنفات النعمان الفقهية ، المنشور منها وغير المنشور ، وعاین كلاً من مصادر الفقه الاسماعيلي الرئيسية ونقاط اتفاق هذا الفقه والاختلاف مع المدارس الفقهية الأخرى .

وثار جدل كثير حول مسألتي تأليف «رسائل اخوان الصفا» وتاريخ هذا التأليف . فالمستشرق الفرنسي بول كازانوف (P.Casanova) (١٨٦١ - ١٩٢٦) ، وهو الذي أنتج بعضاً من الدراسات القيمة عن الاسماعيليين ، كان أول متبحر غربي يتعرف في العام ١٨٩٨ على الأصول الاسماعيلية «للسرائل» . كما حاول كازانوف من خلال نبوءة تنجيمية تضمنتها الرسائل ، تحديد تاريخ هذا العمل الموسوعي مستنتجاً أنها قد صُنفت قبل سنة ١٠٤٧/٤٣٩ بوقت قصير . وفي الفصل السابع ينقض البروفسور عباس همداني ، وهو الذي كان قد نشر العديد من المقالات الهامة حول هذا الموضوع ، التاريخ الذي حدده كازانوف على أساس من الدليل الضمني الذي تضمنته «الرسائل» إضافة الى معلومات أخرى ذات صلة بالموضوع .

أما الفصلان الثامن والتاسع ، فإنهما يستقصيان نظرة الاسماعيليين الى «الآخر» خلال الأزمنة الفاطمية المبكرة . فالاسماعيليون في الحقيقة قاموا ، انسجماً مع نظرتهم الدورية الى التاريخ الديني للبشرية ، بمحاولات هامة لإيجاد مكان للأديان الرئيسية التي عرفوها كاليهودية والمسيحية والزرادشتية والمناكية في نظام فكرهم العرفاني . ويقدم البروفسور عظيم نانجي (A.Nanji) شواهد مختارة استقاها من «رسائل اخوان الصفا» بشكل خاص ومن كتابات مفكرين اسماعيليين معينين ، تحدد منظور الاسماعيليين الى تاريخ الأديان ، وهو منظور يعكس ، فوق كل شيء ، مقاربات تعددية وغير دوغماتية\* للاسماعيليين نحو الأديان الأخرى . ويعرف بول ولكر (P.Walker) في دراسة مكتملة ، بالكتاب الاسماعيلي الوحيد الذي اكتشف حديثاً والمعروف بتناوله لموضوع الفرق والمذاهب الاسلامية . وهذا الكتاب ، المسمى «بكتاب الشجرة» ، من تصنيف داعية خراساني غامض اسمه أبو تميم ترعرع ونشط في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي . وربما كان أبو تميم ينتمي ، باعتباره من أتباع الداعي النسفي ، الى الفرع المنشق من الاسماعيلية .

\* من دوغما (dogma) وتعني عقيدة ، مبدأ ، أو تعليم .

ويبدو أن بُ تميم ، بالمقابلة مع كتاب الفرق المسلمين الآخرين ، كان مهتماً بفهم وشرح للاختلافات نمدھبية أكثر من اهتمامه بنقض وإدانة «الأخر» ، بل إن وضعه للعديد من مذاهب فريد من نوعه في واقع الأمر . والنتيجة هي أن كتابه هذا يبشّر بأن يكون ذا قيمة عالية في دراسة «المذاهب» الإسلامية وكتب الفرق المتعلقة بها

ويشكل الطور الوسيط لتاريخ الاسماعيليين النزاريين ، ولاسيما فترته في الموت ، بؤرة تقسم لثاني من هذا الكتاب الذي يُستهل بدراسة لأصول الاسماعيلية النزارية . ويسعى الفصل العاشر ، من خلال تبنيّه لمقاربة للموضوع جديدة نوعاً ما ، وبدلاً من معالجة لحركة الاسماعيلية النزارية على أنها مجرد حركة انشقاقية ، يسعى الى تقصي الظروف معقّدة ومنتشبكة التي أدت الى ثورة الاسماعيليين اندرس المناوئة للسلاجقة بقبدة حسن لصبح ، الذي لعب دوراً مفتاحياً أيضاً في تأسيس الدولة والدعوة النزارية لمسنقنين ، وشكل خاص ، هناك محاولات لتحديد الجذور «الاسماعيلية» و«الائرية» . هذه ثورة ، وتتبع تلك الجذور أيضاً الى تقاليد اجتماعية وسياسية - دينية أقدم من «الاحتجاج» . كما ينظر هذا الفصل في تطورات سياسية وعقائدية معينة جرت خلال العقود الأولى من التاريخ النزاري والتي تبين أنها كانت ذات خطورة بالنسبة إلى نحاة الجماعة نزارية ودولتهم في ظل ظروف فائقة العداوة للفترة المبكرة من عصر ألموت . وفي دراسة مكملّة تضمنها الفصل الحادي عشر ، تنظر د . كارول هيلينزاند\* في مواقف السلاجقة وسوكهم تجاه اسماعيلية ألموت إبان فترة زعامة حسن الصباح ذاتها . وهي تلقت الانتباه . من خلال تمحيصها للأدلة التاريخية ذات الصلة ، ومنها روايات كتاب الأخبار العاميين من أمثال س . لأثير وابن الجوزي على وجه الخصوص ، الى بعض الانحياز المناوئ للاسماعيليين غير المعروف حتى الآن عند هذه المصادر ، وذلك في ما يتعلق بما يورده هؤلاء المؤرخون بخصوص اشتباكات اسماعيلية - سلجوقية محددة .

كانت قوهستان (كوهستان بالفارسية) الى الجنوب الشرقي من خراسان ثاني أكثر أراضي الدولة الاسماعيلية النزارية في فارس أهمية بعد رودبار في الدير إبان عصر ألموت . وكان نزاريون في قوهستان يخضعون لسلطة زعيم محلي يدعى «المحتشم» الذي كر ينم تعيينه من قبل ألموت ، لكنه كان يتمتع بقدر عظيم من اتخاذ المبادرات المحلية في إدارة شؤون الجماعة هناك . ومنذ وقت مبكر وفي ما بعد ذلك ، واجه أولئك «المحتشمون»

\* Carol Helene

ردأت فعل معادية من السلاجقة ومن حكام خراسان والمناطق المجاورة الآخرين ، الذين ضاقوا ذرعاً بما حققه الاسماعيليون النزاریون من نجاح بين ظهرانيهم . وقام البروفسور آدموند بوزورث (E.Boswarth) ، معتمداً على معرفته الواسعة بخراسان وسستان ، أو نيمروز ، في فارس الشرقية ، ويكتب الأخبار الفارسية للمنطقة ، قام بتقديم تقييم جديد في الفصل الثاني عشر للتعاملات والاشتباكات بين النزاریين القوهستانیين وبين الحكام من جيرانهم الى الجنوب ، الملوك الناصريين لسستان وخلفائهم إبان عصر الموت .

وشكل الارتباط الديني لتصير الدين الطوسي وظروف اقامته الطويلة في الحصون الاسماعيلية النزارية وفارس موضوعاً لتفسيرات مختلفة عبر القرون ودارت نقاشات حول ذات المسائل في الكتابات المعاصرة التي تناولت هذا الفيلسوف وعالم الدين والفلكي المسلم المثير للجدل . ففي حين يزعم الذين كتبوا سيرة الطوسي من الاثنى عشرين الشيعة المصريين عموماً أنه قد أحتجز بين الاسماعيليين خلافاً لإرادته ، فإن آخرين يرفضون هذا الرأي ويجادلون أكثر بأنه كان في الحقيقة قد تحول طوعاً الى الاسماعيلية إبان تلك الفترة . وفي الفصل الثالث عشر يقوم البروفسور حميد دبشي H. Dabachi بإلقاء نظرة جديدة كل الجدة على هذه المسائل . فهو يجادل أن إلقاء العقل أكثر مما يجب على الارتباطات « الطائفية » للشخصيات السياسية والفكرية الرئيسية من العصور الوسطى إنما يؤدي الى تشويه تركيبة شخصياتهم وتعقيداتهما . وهو يتفحص شخصية الطوسي وارتباطاته الاسماعيلية من منظور الوزير - الفيلسوف ، الذي كان معنياً بمسائل السلطة / المعرفة أو السياسة / الفلسفة في آن واحد . وأنه كان يمثل بذلك أسلوباً هاماً في الثقافة السياسية الفارسية .

أما الدكتور تشارلز ميلفيل (Ch. Melville) فإنه يقوم في الفصل الرابع عشر بمعاينة التقارير الغريبة لكتاب الأخبار السنة في ما يتعلق باستخدام المماليك للفدائيين أو الفداوية في الإطار الأوسع للعلاقات المغولية - المملوكية إبان العقود المبكرة من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي . وبصورة أكثر دقة ، إنه يحلل التقارير المفضلة حول الكيفية التي كان السلطان المملوكي يقوم بها في مناسبات كثيرة بإرسال الفداوية الى فارس المغولية لاغتتيال منشق مملوكي يقيم هناك . ليس هناك من شك في أنه كان يتم إرسال القتلة ، وربما المحترفين منهم ، في مثل تلك المهمات . لكن يظهر أن مصطلح « فداوي » ، وهو الذي ارتبط بشكل وثيق بالنزاریين من أزمنة أقدم ، كان قد استخدم بتجاوز الى حد ما في المصادر المملوكية ليعني « القاتل » وليس بمعنى « الفداوي الاسماعيلي » ، إذ لم يعد

سنزريين السوريين بحلول ذلك الوقت أية «فداوية» ، وكان باستطاعة السلطان المملوكي تجنيد مثل أولئك الفداوية من أي مكان . كما أنه من الممكن أن يكون النزاريون السوريون قد أُجبروا في مناسبات معينة على توفير أفراد للقيام بالمهمات موضوع الكلام . وكون كتب لأخبار تحدّد بوضوح الجماعة الاسماعيلية النزارية السورية من زمن المماليك على أنها لمصدر الوحيد لتعبئة من كانوا سيصبحون «قتلة» عند السلطان ، فإنها تشهد بوضوح أيضاً على استمرارية الخرافات والشائعات المعادية في ما يتعلق بممارسات الاسماعيين النزاريين من عصر الموت .

وفي الفصل الخامس عشر ، يقوم البروفسور علي آساني (A.Asani) بإعادة تفحص لأراء تنقيدية في ما يتعلق بمسألة تأليف «الجنان»\* ، أو الأشعار الدينية التي تتمتع بوضعية «مقدسة» داخل جماعة الخوجا الاسماعيلية النزارية . وتتضمن «الجنان» ، نبي تشتهر بهذا الاسم ، تعليمات بخصوص مدى واسع من الموضوعات والمباحث تتعلق بفروض دينية ومسائل أخلاقية والسعي الروحي للنفس . ويُنسب تأليف الجنان ، وهي نبي بقيت لقرون طويلة في البداية تتواتر شفاهية ، وفقاً لتقاليد الخوجا ، الى عدد قليل من لدعاة الأونس (أو الشيوخ Pirs) الذين كانوا يقومون بتحويل الهندوس في شبه القارة الهندية إلى لاسلام الاسماعيلي . ويناقش البروفسور آساني في تلك المقالة المحرّضة وتفكير جملة المسائل النابعة من التفسير التراثي «لتأليف» الجنان ، بما في ذلك الأبيات شعرية تعريفية التي تدل على المؤلف (أو البهانياتاس Bhanuvas) ، ويعرض شارحاً أن فهماً أفضل لهذا الموضوع يتطلب مقارنة جديدة تفسح المجال لتفريق واضح بين «لمرجعية» (أو منح الامتياز) ، بمعنى الحصول على توقيع أحدهم بالموافقة على عمر ما ، وبين «تأليف» ، أي القيام بالتأليف الفعلي لذلك العمل بالمعنى الحديث للمصطلح .

وما لفصل السادس عشر والأخير ، والذي هو من مساهمة البروفسور عباس أمانات (A. Amanat) . فإنه يقف منفصلاً عن بقية الأبحاث التي تضمنتها هذه الدراسة . فهو يتناول النقطوية التي هي طريقة باطنية غامضة ظهرت كحركة سياسية - دينية هامة في فارس لصفوية ، وتمثّعت فيما بعد ، ولفترة وجيزة ، ببعض رفعة انشأن في الهند المغولية . لكن لا يمكن اعتبار النقطوية ، ولاطريقتها الأم الحروفية ، جزءاً من المجال الذي يشمل جماعات لاسماعيلية . وفي الحقيقة ، فإن محمود بسخياني (أو باسيخاني) ، مؤسس

\* الجنان (Ginans) نوافل دينية روحانية تنسب إلى الدعاة الذين نشروا الدعوة الاسماعيلية بين الهندوس في الهند .

طريقة النقطوية والمتوفى حوالي سنة ١٤٢٧/٨٢١ ، يزعم أنه كان قد أسس ديناً جديداً . غير أن لحروفية والنقطوية كانتا تنتميان إلى حركات صوفية باطنية فعلاً من فارس ما بعد العصر صفوي ، وهي حركات تأثرت بالاسماعيلية . حتى أن إيفانوف أورد النقطوية ضمن حركات ما بعد العصر الصفوي الدينية التي تأثرت بالاسماعيلية<sup>(١٤)</sup> . غير أن المسألة تكاد لا تكون موضوع استقصاء للمتبحرين العصريين وذلك لأن كتابات النقطويين لم يكتب لها النجاة بشكل أساسي . وباعتبارها أول محاولة علمية من نوعها ، فقد جمع البروفسور أمثت في هذا الفصل قدراً هاماً من المعلومات وسكبها حول الأفكار التي دعا إليها محمود بسيخني ، وتعرض دراسته كيف أن العقائد النقطوية المركزية ، مثل عقيدتها في لنموذج لمدي تتناسخ الأرواح ، كانت تختلف في أصولها عن التعاليم الاسماعيلية . كما كانت هناك مسألة زعم محمود للنسبة الخطيرة و«غير الإسلامية» ، إذ لم نذكر حقيقة أن لنقصويين لم يعتقدوا بعقيدة الأمامة الشيعية التي كانت مركزية بالنسبة إلى الاسماعيلية إلى حد كبير . لكن بالإمكان تتبع سوابق الاسماعيلية وتفقّي آثارها في نظرة النقصويين إلى الزمن وتاريخ الديني . وكذلك فإن النقطويين قد اعتمدوا بكثافة على التفسير الباطني الذي وجد أكمل معالجة له عند الاسماعيليين .



## الهوامشي

- ١ - انظر مقالة ماسينيون عن المتنبي في
- AL-Mutnebi: Recueil publié à l'occasion de son millénaire (Beirut, 1936), p. 1.
- ٢ - بول ولكر ، الشعبية الفلسفية المبكرة ، الأفلاطونية المحدثة للاسماعيلية عند أبي يعقوب السجستاني (كمبردج ، ١٩٩٣) ، ص ١٢ ، ٣٠ ، ٦١ ، ١٤٧ .
- ٣ - إيفانوف ، مسح موجز لتطور الاسماعيلية (لندن ، ١٩٥٢) ، ص ٢٩ .
- ٤ - سيلفستر دوساسي ، دراسة في سلالة الحشاشين ، النص العربي في « خرافات الحشاشين » لفرهاد دفتري ، ترجمة . سيف الدين القمير (دار المدى بدمشق ١٩٩٦) ، ص ١٨٠ وما بعدها .
- ٥ - دوساسي ، دين الدرؤز (باريس ، ١٨٢٨) م ، المقدمة ، ص ١ - ٢٤٦ .
- ٦ - تون هامر ، تاريخ الحشاشين ، الترجمة الانكليزية (لندن ، ١٨٢٥ ، نيويورك ١٩٦٨) .
- ٧ - انظر على سبيل المثال مقالة إيفانوف عن المخطوطات الاسماعيلية في المتحف الآسيوي في مجلة IRAS (١٩١٩) ، ص ٤٢٩ - ٤٣٥ ، وماكتبه ماسينيون في
- volume of oriental studies presented to Edward
- G.Browne, ed. I, w. Arnold (Cambridge, 1922), PP. 329 - 338.
- ٨ - انظر مقالة دفتري حول إيفانوف في مجلة : Middle Eastern Studies (١٩٧٥) ، ص ٤٢١ - ٢٤٤ ، ومقالته في Islamic Culture ، ٤٥ (١٩٧١) ، ص ٥٦ - ٦٧ ، و ٥٦ (١٩٨٢) ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ ، ولي EIR ، م ٢ ، ص ٨٤ .
- ٩ - إيفانوف ، دليل الأدب الاسماعيلي (لندن ، ١٩٣٣) بالانكليزية .
- ١٠ - الأدب الاسماعيلي (طهران ، ١٩٦٣) .
- ١١ - هُدجسون ، فرقة الحشاشين (هوغ ، ١٩٥٥) بالانكليزية .
- ١٢ - اسماعيل بونوالا ، فهرس الأدب الاسماعيلي (كاليفورنيا ، ١٩٧٧) بالانكليزية .
- ١٣ - انظر ، غاسيلك ، فهرس المخطوطات العربية في مكتبة معهد الدراسات الاسماعيلية (لندن ، ١٩٨٤) بالانكليزية .
- ١٤ - إيفانوف ، الأدب الاسماعيلي ، ص ١٢ - ١٨٨ ، ١٩٠ ، ومقالة « النقطوية » في الموسوعة الاسلامية ، ط ٢ ، م ٨ ، ص ١١٤ - ١١٧ .



القسم الأول

الطور الكلاسيكي

---

## الفاطميون وقرامطة البحرين

و. ماد تونغ\*

ملاحظة تمهيدية:

تمثّر لمقالة الحالية ترجمة معدلة قليلاً لمقالتي في الألمانية (Fatimiden Und Bahrain Qarmaten المنشورة في مجلة Der Islam العدد ٣٤ (١٩٥٩) ، ص ٢٤ - ٨٨ ، وهي تعكس بمقدار كبير حالة البحث القائمة في ذلك الوقت . وفي حالات قليلة تمت إضافة شارات في الحواشي الى دراسات أكثر حداثة .

من بين الحركات الثورية في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ اتسع ولعشر ميلاديين التي وصفها كتاب الأخبار العرب «بالقرمطية» ، نجد أن الحركة نتي قامت في البحرين تحتل مركزاً خاصاً . ففي هذا المكان وحده نجح المتمردون في تأسيس دولة قوية تمتعت بسلطة غير محدودة على رقعة واسعة من الأرض . وتذبذبوا بسهولة مر صدهم لهجمات على استقلالهم والتي تعرضوا لها في بداية الأمر . وكانت لديهم في عقود نتي تمت كُفر القوات المقاتلة فاعلية وأعظمها تأثيراً في العالم الاسلامي . فأصبحوا ندوة حقيقية على ، لخلافة في بغداد . وراحوا يتغلغلون . وهم ينهبون ويقتلون ، في جنوبي بلاد

\* وينيرد ماد تونغ W. M. Delong استاذ العربية في جامعة اكسفورد ، وهو من المختصين القداميين في الدراسات الاسلامية ، ومرجعية بخصوص الموضوعات والحركات الاسلامية في المصور الوسطى . كما قدم مساهمات هامة في مجال الدراسات الاسماعيلية الحديثة . أسهم في كتابة الكثير من الدراسات الموسومة الاسلامية والموسوعة الإيرانية والمجلات العلمية إضافة إلى الدراسات المنشورة في كتب مستقلة .

مابين النهرين في غارات متجددة على الدوام . ويهاجمون قوافل الحجاج وهي في طريقها من مكة أو إليها . ولم تستطع جيوش الخلافة الثبات والصمود أمامهم على الرغم من أنها كانت تفوقهم عدداً الى حد كبير في معظم الأوقات . وفي العام ٩٢٨/٣١٦ ، نجت بغداد بما يشبه الإعجوبة من الوقوع في قبضة القرامطة . وتمكنوا بعد ذلك بعام واحد ، من احتلال مكة ، وفضوا مذبحة رهيبة بسكانها وبالحجاج ، واقتلوا الحجر الأسود من الكعبة ونهبوه ، وهذا انتهاك للمقدسات لانجد نظيراً له في تاريخ الاسلام . ولم يكن في مقدور الخليفة رفع حتى أصبعه في سبيل استعادة ذلك الأثر المقدس بالقوة . ولم يكن إلا بعد ذلك بـاثنتين وعشرين عاماً أن تمت إعادة الحجر الأسود الى مكانه طوعاً مقابل دفع فدية ضخمة . وقد برز القرامطة ثورتهم ضد النظام القائم بإعلانهم لقيام سلطة المهدي ، وهو الامام المهدي بالله من بيت آل النبي الذي سيحكم العالم ويقيم العدالة والنظام . وبعد قيام دولة القرامطة في البحرين يعقدين من الزمن ، تمكنت ثورة أخرى زعمت أنها ثورة الإمام المنتظر من نسل الرسول ، من تأسيس خلافة فاطمية مضادة في رقادة قرب القيروان . وقد أظهرت المحاولات المتكررة لاحتلال مصر والدعاية المكثفة المناوئة للعباسيين مدى جدية هذا الزعم .

ويديهي أيضاً أهمية مسألة العلاقة بين دولة القرامطة وبين الامبراطورية الفاطمية الصاعدة في شمال افريقية من أجل فهم مناسب وصحيح للتاريخ السياسي لتلك الفترة . ومع ذلك ، فقد كانت هذه المسألة ذات أهمية لمعارضى الفاطميين بمعنى آخر ، فبالنسبة الى هذا الأمر ، اعتقد هؤلاء أنهم وجدوا في تاريخ القرامطة في البحرين ، ولأول مرة ، تأكيداً واضحاً لمتهم المتعلقة بالكفر والإلحاد التي كانوا يكيلونها للباطنية عموماً . ألم يقتل القرامطة آلاف المزل من الحجيج ؟ ألم يحرقوا المصاحف ، ويدنسوا المدينة المقدسة ويجذفوا علناً على رب الكعبة ؟ ألم تكشف هذه الأفعال عن الوجه الحقيقي للهرطقة الاسماعيلية التي عادة ماكانت تخفي نفسها من وراء الاخلاص والولاء لآل النبي ، من أجل كسب المستجيبين والنجاة من الاضطهاد على أيدي المؤمنين ؟ «من حيث الظاهر ، كانوا يظهرون العقيدة الشيعية ، وفي الباطن كانوا يفسرون الكفر التام» ، ذلك كان حكم القاضي أبي بكر الباقلاني<sup>(١)</sup> ، على سبيل المثال ، في إشارة منه الى عقيدتهم التي تقول أنه خلف كل نص ظاهري للقرآن ولشرائع الاسلام هناك حقائق تأويلية باطنية للدين مستترة .

وأكثر الدراسات لتاريخ القرامطة في البحرين تفصيلاً هي دراسة م .ج دوشويه الذي وجه عناية خاصة الى علاقاتهم بالفاطميين . وقد توصل بالاعتماد على مصادر معلومات غنية

لى لاستنتاجات التالية : لقد نبغ القرامطة والفاطميون من حركة واحدة بعينها . إذ عسى لرغم من انشقاق حمدان قرمط ، والذي منه أخذت الفرقة اسمها ، وانشقاق صهره عبيد بن رئيس تنظيم الدعوة أو [داعي الدعاة] ، فإن أبا سعيد الجنبلي ، زعيم قرامطة البحرين ، قد حافظ عسى ولأنه للأئمة الفاطميين حتى بعد تأسيس سلطتهم على شمال افريقية<sup>(١)</sup> . بر إن التعاون بين القرامطة وأسيادهم قد ازداد وثوقاً في ظل حكم أبي طاهر ابن أبي سعيد ، وكانوا في جميع مقاماتهم الهامة يعملون بأمر مباشر من الخليفة الفاطمي عبيد الله<sup>(٢)</sup> . لكن سم يتبخر الفاطميون على الاعتراف بهم حلفاء لهم علناً<sup>(٣)</sup> ، غير أن تعاونهم الوثيق توقف بوفاة عبيد الله ، ونو أن القرامطة واصلوا اعترافهم بخلفائه أئمة لهم . ووقعت الفجوة بين لصرفين مع تولي الحسن الأعظم لزمام الأمور في البحرين سنة ٩٦٩/٢٥٨ . فقد دخل في خدمة لعباسيين وقاد القرامطة في حرب ضد الفاطميين ، ثم عادوا بعد سنة ٩٨٥/٢٧٥ للانضواء مرة أخرى تحت لواء الفاطميين<sup>(٤)</sup> .

أما الاستقصاء الأحدث حول الموضوع فقد قدمه برنارد لويس<sup>(٥)</sup> . واستعمل مصادر معومات متناقضة حول التاريخ المبكر لقرامطة البحرين ، وأبقى السؤال مفتوحاً حول ما إذا كانوا 'صلاً من أتباع سلسلة أئمة أحناف'<sup>(٦)</sup> أم اسماعيليين<sup>(٧)</sup> إلا أنهم شكلوا ، على أية حال ، جماعة خاصة بهم . وتم انضمامهم الى المعتقد الفاطمي قرابة بدايات القرن الرابع بهجري/ لعاشر الميلادي . وفي ما بعد بايعوا تبياً داعياً وانسلخوا عن الفاطميين وفضحو سرر بمعتقد كلها . غير أنهم عادوا في ما بعد وانضوا مرة أخرى تحت لواء الفاطميين حتى زمن الانفصال الأعظم .

أما يثانوف فإنه يؤيد ، من جهة أخرى ، الأصل الاسماعيلي للقرامطة<sup>(٨)</sup> ويقول أنهم ، ربما كانوا قد ظهروا نتيجة انفصال أحمد بن الكيال عن الإمام عبد الله بن محمد بن اسماعيل ، الوارد ذكره في «عيون الأخبار» ، العمل التاريخي للداعي الاسماعيلي دريس بن الحسن<sup>(٩)</sup> وربما كان ابن الكيال هو نفسه أحمد بن عبد الله بن ميمون القذافي ، وتقررت علاقات القرامطة بالفاطميين ، في ما بعد ، بحقيقة أنهم رفضوا الاعتراف بالإمامة لفاطمية ، إلا أنهم توقعوا عودة الإمام محمد بن اسماعيل . وكلما كان يخيب ظنهم في توقعاتهم ، وهي التي كان يجب أن تتحقق في تواريخ محددة ، كان بإمكانهم التوجه الى الفاطميين مرة أخرى<sup>(١٠)</sup> وعلى كل حال ، فإن ايثانوف لم ينقض الدعوى التي كان دعوويه قد تقدم بها بخصوص استمرارية الارتباط الوثيق بين قرامطة البحرين والفاطميين . ويمثل حسن ابراهيم حسن وملة شرف ، في كتابهما لسيرة عبيد الله الفاطمي<sup>(١١)</sup> ،

الرأي القائل بأن جماعة من الكيسانيين الحنفيين<sup>(١٦)</sup> بقيادة حمدان قرمط كانت قد تحولت الى العقيدة الاسماعيلية على أيدي أجداد الفاطميين<sup>(١٧)</sup> . لكن حمدان قرمط انفصل عنهم فيما بعد<sup>(١٨)</sup> وقام هو أو حفيد لميمون القداح كان يقيم في الطالقان<sup>(١٩)</sup> ، بإرسال أبي سعيد الجنابي الى البحرين . وأسس أبو سعيد دولة القرامطة هناك ووقف هو نفسه موقف المعارض للفاطميين<sup>(٢٠)</sup> . ويزعم المؤلفان في مكان آخر أن أبا سعيد كان معارضاً لحمدان قرمط وأنه ساند الفاطميين في بداية الأمر<sup>(٢١)</sup> . وصار ، وهو الذي تشجع بالنجاحات التي حققها ، يظهر اعجاباً باستقلاله أكثر فأكثر . إلا أنه واصل مع ذلك ، اعترافه الرسمي بالإمامة الفاطمية . ربما كانت لعبيد الله يد في اغتيال أبي سعيد بسبب تبرم عبيد الله من سياسات الأخير<sup>(٢٢)</sup> . ويسير وصف التاريخ اللاحق للقرامطة وعلاقتهم بالفاطميين على خطى ما جاء عند دوغويه بشكل أساسي .

وهناك اقتراح بأن يتم هنا إعادة تفحص وتدقيق لهذه الاستنتاجات بعينها . ولن تتم مناقشة التاريخ العام للحركة القرمطية إلا بمقدار ما يتطلبه السياق العام للحديث . ويبقى بالإمكان إحالة القارئ الى دراسة دوغويه بخصوص هذا الموضوع<sup>(٢٣)</sup> .

إن أقدم حدث ملموس في المصادر هو تحول حمدان قرمط الى المذهب الجديد على يدي أحد الدعاة<sup>(٢٤)</sup> . أما ماهو مذهب حمدان الأسبق فإن التقارير لا تجت ذلك . والمعتقد الذي اعتنقه في تلك الآونة ، والذي سرعان ماساهم في نشره والدعاية له الى حد كبير من خلال كونه داعية ذا مرتبة عالية ، كان بلا شك ذلك الذي كان ينتشر في سلمية في سورية أو عبر أجداد الفاطميين . ونحن نقر بأن الطبري لا يذكر سوى أن الداعي الغريب ، و بعد كسب مستجيبين كثيرين الى مذهبه ، ذهب الى سورية حيث لم يعد يسمع عنه مرة ثانية البتة<sup>(٢٥)</sup> . إلا أننا نجد معلومات موثوقة وردت في أقوال محدثة لابن رزام<sup>(٢٦)</sup> وأخي محسن<sup>(٢٧)</sup> وابن حوقل<sup>(٢٨)</sup> . بل إن أعمال عبدان ، صهر حمدان وصاحبه في الدعوة الى المذهب ، نجدها في أزمنة لاحقة متشرة بين الاسماعيليين<sup>(٢٩)</sup> .

وتنازع حمدان قرمط وعبدان بالنتيجة مع سيدهما في سلمية وقطعا الدعوة التي كانا يقومان بها باسمه . وقام أتباع الداعي زكرويه باغتيال عبدان بسبب انتقاضه . لكن حمدان قرمط اختفى<sup>(٣٠)</sup> ، وفقاً لما يرويه أخو محسن بالتفصيل<sup>(٣١)</sup> ، وقد عبر دوغويه عن شكوك جدية بخصوص دقة تفاصيل محددة من الرواية ، لكن ليس بخصوص حقيقة الانتقاض ذاته<sup>(٣٢)</sup> . وفي ما يتعلق بذلك ، فإن مسألة تحديد التاريخ هي ذات أهمية أولية . فقد وضع أخو محسن هذه الأحداث في العام ٨٩٩/٢٨٦<sup>(٣٣)</sup> . إلا أن دوغويه يقيم علاقة للأمر



بانتقاض أبي عبد الله الشيعي ، الذي كان قد مهد السبيل أمام عبيد الله في شمال افريقية ، وانتقاض شقيقه . وهو يعتقد أن انفصال حمدان قرمط وعبدان كان أيضاً بعد تولي عبيد الله لزمام الأمور وإعلانه عن نفسه أنه المهدي المنتظر<sup>(٢٣)</sup> . ويناقض وجهة النظر هذه مصدران ، ثلثن يصعب القول أنهما قد تأثرا بما أورده أخو محسن ، فالعمل الاسماعيلي « ستر الإمام » لأحمد بن محمد النيسابوري ، المصنف زمن خلافة العزيز الفاطمي (٣٦٥ - ٣٨٦ / ٩٧٥ - ٩٩٦) ، يروي أن أبناء أبي محمد - أي زكرويه - كانوا قد قتلوا صهرهم ذي تهموه بكونه منافقاً وعاصياً للإمام<sup>(٢٤)</sup> . وقد يثبت ذلك بالتوافق مع رواية أخي محسن ، ضمن مجموعة الأحداث التي وقعت بين ولاية عبد الله وثورات أبناء زكرويه في سورية . ولاحتما لأكبر هو أن ذلك الشخص القتل كان عبدان وفقاً لما اقترحه ايثانوف<sup>(٢٥)</sup> .

ويذكر ابن حوقل أيضاً حادثة اغتيال عبدان دون إعطاء أي تاريخ محدد لها . وعسى كحل حل فقد أدت الحادثة التي تجمع المصادر<sup>(٢٥)</sup> على أنها وقعت مع بداية فترة لحكم الأخير في البحرين<sup>(٢٦)</sup> .

وكان حمدان قرمط وعبدان قد أوليا أمر الدعوة للمعتقد في البحرين إلى أبي سعيد لجندبي . وهذا أمر ترويه المصادر على اختلافها بالإجماع سواء الموالى منها للفاطميين كابن حوقل<sup>(٢٧)</sup> ، أو المناوئ لهم كأخي محسن<sup>(٢٨)</sup> ، وعبد الجبار<sup>(٢٩)</sup> . لكن كيف كان سلوك أبي سعيد تجاه انتقاض معلميه ؟ ودغويه لا يزال يعتقد أنه لم يترك نفسه تتأثر في موقفه تجاه الفاطميين ، وأنه حافظ على إخلاصه لهم<sup>(٣٠)</sup> ، غير أن ذلك يتناقض مع النص لورد في الطبعة الجديدة لابن حوقل ، والذي يقول<sup>(٣١)</sup> أن « أبا سعيد اعتنق آنذ مذهب ذلك مقيم في المغرب<sup>(٣٢)</sup> » ، حتى مقتل سيده عبدان - فانتفض عندئذ على ما كان يعتقد وقتئذ بـ زكريا لتميمي ، الداعي الذي كان يمثل أسياذ المغرب قبله » - وقد وردت حادثة اغتيال أبي زكريا في مصادر أخرى<sup>(٣٣)</sup> ، ولو أنها أغفيت ذكر الدوافع التي وردت عند ابن حوقل .

من طروحة الأصل الحنفي للقرامطة مبنية على مصدرين اثنين . فالطبري يصف معتقدتهم بطريقة لا تلمح إشكاليات عديدة<sup>(٣٤)</sup> فهو لا يسمي مخبره ، بل يستعمل كلامه بقوله : « وكان في ما حكاه عن هؤلاء القرامطة<sup>(٣٥)</sup> » ، من بين أمور أخرى تتعلق بمعتقدتهم ، أنهم كانوا يحضرون كتاباً جاء فيه... « ويلي ذلك اقتباس حرفي . إذ أن شخصاً يقرب سمه من بفرج بن عثمان من قرية تدعى نصرانه ، وهو « داعية المسيح ، الذي هو عيسى ، وهو السكمة ، وهو المهدي ، وهو أحمد بن محمد بن محمد بن الحنفية ، وهو جبرائيل » ، يعلن أن مسيح قد ظهر له في هيئة إنسانية وقال له : « أنت الرسول ، وأنت الحجة ، وأنت

لناقة<sup>(١٦)</sup>، وأنت الدابة<sup>(١٧)</sup>، وأنت الروح القدس، وأنت يوحنا بن زكريا». ثم قام عندئذ وشرح له الصلاة والفرائض الأخرى للشرعية. وتجري في الأذان للصلاة الشهادة لسبعة أنبياء هم: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وأحمد بن محمد بن الحنفية. ويقرأ ستفتح الصلاة نفسها من الوحي المنزل على النبي السابع. وقد اقتبس الطبري نص لحرفي هذه السورة، وهي تقليد بدائي للقرآن مع شروحات باطنية<sup>(١٨)</sup>. وتم وضع لشرعية على نموذج الشريعة الإسلامية، لكن مع تحريف وتبسيط كبيرين للفروض الإلردية. ويقول بول كازانوف عن هذا التقرير أنه يجعل من القرامطة فرقة غريبة تماماً عن الاسماعيلية وذلك لأنهم اعترفوا بابن محمد بن الحنفية إماماً لهم<sup>(١٩)</sup>. غير أن هذا الحكم بحاجة إلى تعديل كبير.

١ - ممّا لا شك فيه أن المعتقد يُظهر خصائص باطنية. لكن لم يكن الاسماعيليون وحدهم هم من كان يبحث عن المعنى الباطني للشرائع في ذلك الوقت. ومن جهة أخرى، لا يبدو أن المعتقد الاسماعيلي المبكر كان على معرفة إطلاقاً بتنزيل لرسول الله لسابع. إذ أن مثل ذلك لم يكن متوقّعا قبل عودة هذا الناطق إلى الظهور، وأنه يتكوّن، طبعاً لعقيدة بابائين، من إعلان المعنى الباطني. فالتشريعات والطقوس المفروضة كذلك التي ورد وصفها هنا لا تكشف عن أي تشابه مع شرائع الفاطميين التي لا تختلف إلا قليلاً عن تلك التي للإثني عشرين الشيعة.

٢ - لانعرف شيئاً عن ولد لمحمد بن الحنفية باسم أحمد<sup>(٢٠)</sup>. وهذا يعني أننا لا نتعامل مع دليل على فرقة تشكّلت إثر نزاع على ورثة محمد بن الحنفية. بل إن الاسم والشخص قد تمّ بالأحرى اختراعهما لإضفاء صفة الشرعية على دعوة الفرج بن عثمان. لكن يبرز السؤال عندئذ حول كيف لنا تفسير سبب اختيار هذا الاسم وإطلاقه على نبي (اندطق) السابع. فأحمد هو النبي الذي بشر عيسى بمقدمه طبعاً لما ورد في القرآن<sup>(٢١)</sup> ومن الواضح أن الأمر ينطبق هنا على النبي السابع. لكن لماذا تمّ جعله ابناً لمحمد بن الحنفية؟ وليس لنا تأويل القول بأن أفراد هذه الفرقة قد سبق لهم وأتبعوا خطأ ورثياً من الأئمة الحنفيين واعتبار ذلك دليلاً موثقاً. فعدد الأنبياء الآخرين واسماؤهم تنطبق تماماً على المعتقد الاسماعيلي. وهذا يوحي بأن النظام الاسماعيلي قد جرى تحويله هذا سبب ما<sup>(٢٢)</sup>. فالعودة إلى ابن لمحمد بن الحنفية ربما تُفهم على أنها تحدّ لبني العباسي، وهم الذين تتبنوا زعمهم الخاص بالإمامة في الماضي إلى أرث لأحد أبنائه.

٣ - لا يعطي الطبري أية معلومات حول شخص الفرج بن عثمان. إذ لا التراث بقرمطي

عنى عم به ولا الفاطمي ، على الرغم من الرتبة العالية المنحولة له في النص . وابن خلدون وحده هو من يوضح أن الفرج بن عثمان القاشاني هو اسم آخر لـ كرويه بن مهدويه<sup>(٥٢)</sup> . فهل ستبقى بن خلدون معلوماته من مصدر أقدم ، أو أنه يحاول ببساطة تفسير رواية الطبري التي يقتبس منها باستفاضة ؟ إن طريقة عمل ابن خلدون تتحدث عن خيار آخر<sup>(٥٣)</sup> . فالصحيح لاسماعيليين لثورات أبناء كرويه معروف بشكل جيد<sup>(٥٤)</sup> . وهم يعودون بنسبهم إلى محمد بن سمعيل . فلو كان ما حدده ابن خلدون وتعرف عليه صحيحاً ، لتوجب ، مع ذلك ، قبول زعم بأن كرويه نفسه كان هو من أحضر ذلك الكتاب الغريب إلى أتباعه أثناء آخر ظهور له . لكن ليس هناك من تأكيد لهذا التخمين .

ولتدقيق ماسبق ، يبدو مؤكداً أن العقيدة التي وصفها الطبري هي مجرد دليل على فرقة متجزئة ، ليست القرامطة عموماً . كما يمكن الزعم أكثر ، مع بعض الظن ، أنها تمتشهر بقصة سمعية . لكن ليس هناك من شيء محدد ومؤكد يمكن قوله حول مؤسسها أو أتباعها . ولاستنتاج غير المبرر إطلاقاً ، والمبني على رواية الطبري ، هو أن حمدان قرمط وأتباعه كانوا حنفيين قبل تحولهم إلى الاسماعيلية<sup>(٥٥)</sup> .

وكمصدر ثانٍ للأصل الحنفي للقرامطة ، عاد برنارد لويس إلى عبارة للمقاضي عبد لجبار بن أحمد<sup>(٥٦)</sup> ، وطبقاً للأخير فإن أبا سعيد الجنابي كان قد قال عن نفسه في وقت مبكر يعود إلى الثمانينات من القرن الثالث الهجري (٨٩٣ - ٩٠٢ م) ، أنه كان مبعوث الإمام محمد بن عبد الله بن محمد بن الحنفية ، الذي عاش في مكان ما من منطقة الجبال . وكان هو المهدي الذي سيظهر في العام ٩١٢/٣٠٠ - ٩١٣ .

وهذا أيضاً نجد أن اسم الإمام المهدي وشخصه قد اختلفا ، فالتاريخ لا يروي شيئاً حول بن عبد الله بن محمد بن الحنفية . والميل المناوي للعباسيين يظهر ، على كل حال ، واضحاً تماماً . إذ من المعروف على نطاق واسع أن أبا هاشم عبد الله كان قد أورث حقه في الإمامة قبيل وفاته إلى محمد بن علي العباسي<sup>(٥٨)</sup> كما أن اسم الابن له أصوله الواضحة . وهناك حديث مأثور قديم يقول أن المهدي س يحمل ذات اسم النبي ، أي محمد بن عبد الله .

أما عبد الجبار فيسمي أبا سعيد على أنه موجد هذه العقيدة . ويرى برنارد لويس في هذا لقول تأكيداً لفرضية كازانوف القائلة بأن القرامطة كانوا حنفيين أصلاً<sup>(٥٩)</sup> غير أن عبد لجبار نفسه هو من بين المصادر التي تقيم صلة ما بين أبي سعيد وحمدان قرمط<sup>(٦٠)</sup> . وقين بن سعيد يروي ذلك في ما يتعلّق بعودة أبي سعيد بعد فراره واغتيال أبي زكريا التمامي ،

لذي تم ، طبقاً لابن حوقل ، نتيجة لانفصاله عن الفاطميين . ولهذا ، إذا ما أردنا تصديق عبد لجبار ، وهو مصدر غير موثوق تماماً ويجب استخدامه بحذر ، فعلينا اعتبار المعتقد لجديد نتيجة أيضاً للانفصال عن الفاطميين .

وكن نزاع بين حمدان قرمط وأسياده قد تفجر حول مسألة الإمامة . فحمدان وعبد ن كان قد تنقّب لأمر بتعليم أن الامام محمد بن اسماعيل كان لا يزال حياً وأن عودته في صورة لمهدي باتت وشيكة ، وفي تلك الفترة ، ادعى عبيد الله الإمامة لنفسه وأنكر عودة محمد بن سماعيل . عندها اعتبر حمدان وعبدان نفسيهما بأنهما قد خُدعا وأوقفا اندعوة إلى اسمعتقد . إن ذلك كله قد رواه أخو محسن بإسهاب<sup>(١١)</sup> . وبعد اختفاء حمدان واعتيل عبدان ، وجد تباعهما أنفسهم دون قيادة وفي أزمة عقائدية . بل حتى زكرويه وأبنؤه ، وهم مذين تظاهروا في البداية ببقائهم موالين لعبيد الله ، فإنهم وقفوا تحت سيطرة أزمة ثقة . كن سرعان ماتكشف أنهم كانوا يعملون لمجرد مصلحتهم الخاصة وحسب<sup>(١٢)</sup> ، إذ لابد أن الأمر بدا لأبي سعيد فرصة ملائمة جداً لتحقيق استقلاله التام . وكان حمدان قرمط وعبدان قد وضعا أبا سعيد في منصبه ، ولابد أنه قد شارك معلميه أزمتهما العقائدية . كما لابد أنه وجد الأمر سهلاً نبذل محاولة لحل هذه المعضلة عن طريق تعيين إمام - مهدي آخر . وظهر نفسه بأنه رسوله .

وربما دوافع مشابهة تماماً كانت وراء وجود معتقد الفرج بن عثمان . إذ ليس هناك من سبب على كل حال ، لربطها على أساس من أقوال عبد الجبار بقرامطة البحرين . فمن جهة أولى . نجد أن اختلاف أسماء المهدي في كلا النصين يقف عائقاً أمام ذلك الربط . ومن جهة ثانية ، علينا أن نقرن الفرج بأبي سعيد وهذا أمر يكاد ألا يكون ممكناً .

ولرأي لذي لا يمكن الدفاع عنه بدرجة مساوية هو ذلك الذي شايعه إيثانوف والقدر بأن لحركة قرمطية قد صدرت عن انتقاض أحمد بن الكيال . وينطلق إيثانوف من خبر سنوبختي يقول إن القرامطة كانوا من أتباع محمد بن اسماعيل<sup>(١٣)</sup> ، لكنهم قاموا فيما بعد بوقف الإمامة به وراحوا ينتظرون رجعه في صورة المهدي<sup>(١٤)</sup> .

وهو يربط هذا الخبر برواية الداعي الاسماعيلي ادريس بن الحسن حول انتقاض ابن لكيب عسى لامام عبد الله بن محمد بن اسماعيل ، ويقول إنه ربما كان هذا الانتقاض مطبقاً لمصدق الذي حدث بين القرامطة والاسماعيليين<sup>(١٥)</sup> أي الفاطميين فيما بعد .

وإذا ما كان علينا تصديق رواية ادريس<sup>(١٦)</sup> ، فلا بد أن يكون ذلك الانتقاض قد وقع عقب وفاة محمد بن اسماعيل بفترة قصيرة . ولن يكون بالإمكان حينذاك ، مطابقته بأنفس

القرمطة عن الفاطميين . فانتراث القرمطي يؤكد الرأي القائل بأن قائد حمدان قرمطي<sup>(٧٧)</sup> كان أول من تحول على أيدي الفاطميين .

وصبغاً للشهرستاني ، فإن ابن الكيال قد زعم الإمامة لنفسه وأصر على أنه القائل<sup>(٧٨)</sup> . لكن لانسمع من القرامطة أي شيء حول هذا الأمر . وجملة معتقد ابن الكيال لا تشترك مع معتقد قرمطة إلا بأشياء قليلة جداً<sup>(٧٩)</sup> ، وأخيراً فإن الافتراض الأساسي لإيقانوف وهو أن انفصال القرمطة كان بسبب إيقافهم للإمامة ، خلافاً للفاطميين ، بمحمد بن اسماعيل ، هو افتراض تدبر للجدل . كما أن جميع الظواهر تدل على أن ذلك كان معتقد أبناء الفاطميين لأوليين لفترة طويلة جداً . ولم تكن سوى نظرية الفاطميين اللاحقة حول الإمامة التي رفعت أجداد عبيد الله إلى مرتبة الأئمة .

ولنعد الآن إلى أبي سعيد . فإذا ما تركنا ابن حوقل جانباً ، فإننا نجد أن انفصال أبي سعيد قد ذكر بوضوح عند محمد بن مالك اليماني ، أحد معاصري الخليفة الفاطمي المستنصر (٤٢٧ ~ ٤٨٧ / ١٠٣٦ - ١٠٩٤) ، الذي تظاهر بالتحول إلى مذهب الباطنيين من "جر كشف أسرارهم"<sup>(٨٠)</sup> وطبقاً له ، فإن علي بن الفضل القرمطي الذي قام بالاشتراك مع بن حوشب بنقل الدعوة إلى اليمن . كان قد عمل لصالحه انقلابه على عبيد بن ميمون (وعني عبيد الله) بالقول إن له في أبي سعيد أسوة ، إذ كان الأخير قد تغلّى عن ميمون وولده وراح ينشر الدعوة باسمه<sup>(٨١)</sup> .

لقد وجد دوغويه ، وهو الذي كان يجهل جميع هذه التقارير واقتصر أن أبا سعيد بقي موباً لعبيد الله ، أنه من المدهش أن يبقى قرامطة البحرين في موقف سلبي كامل تجاه ثورت أبناء زكرويه - ورأى تفسيراً لذلك في حقيقة أن أبناء الأخير كانوا قد أظهروا أنفسهم نوحاً تنو لآخر بمظهر الامام المنتظر<sup>(٨٢)</sup> لكن ذلك لا يفسر لماذا لم تجر أية محاولة معه عبيد الله . لمام الحقيقي ، الذي كان في تلك الفترة في غاية الخطر الذي يهدده من قبل كل من لأدعياء والعباسيين ، كما أنه لا يفسر لماذا كان عبيد الله ، إذا ما كان قد منح مدحاً مبنياً وقريباً من الدولة القرمطية القائمة على أسس قوية ، لماذا كان عليه الإنطلاق في تلك لدروب لخصرة نحو مستقبل مجهول في الغرب ليعود ويتطلع ببصره نحو الشرق مرة أخرى عقب انتصاره مباشرة .

ووجد دوغويه تأكيداً لوجهة نظره في غزو القرامطة لمنطقة البصرة في لعدم ٩١٢/٣٠٠<sup>(٨٣)</sup> . وبما أن الفاطميين كانوا قد بدأوا أولى حملاتهم الشرقية في ذلك العام ، فيمكن للمرء ، برأيه ، افتراض أن الغزو القرمطي كان قد تم بتحريض من عبيد الله . غير

ن تدقيق في هذه التقارير المتعلقة بالحملتين يُفضي الى النتائج التالية : إن من يذكر لغارة لقرمطية هم عريب بن سعد<sup>(٧٤)</sup> ، وابن مسكويه<sup>(٧٥)</sup> ، والهمذاني<sup>(٧٦)</sup> ، وابن الأثير<sup>(٧٧)</sup> ، فقط . وواضح أن الغارة كانت مغامرة صغيرة لأن ابن مسكويه والهمذاني وابن الأثير يتحدثون عن وحدة مقاتلة من ثلاثين رجلاً . كما أن أبا سعيد لم يشارك فيها بالتأكيد . ومن أجل تحديد تاريخها ، فإن نهاية عام ٩١٢/٢٩٩ ، طبقاً لرويتي بن مسكويه وابن الأثير ، هو المرجح وذلك لأن ابن مسكويه يروي أن حاكم البصرة كن قد كتب بالأمر الى ابن الفرات ، الذي كان وزيراً في تلك الفترة . وفي شهر ذي الحجة ١٩/ تموز - ١٧ آب ، لم يعد ابن الفرات شخصاً مرغوباً فيه وأودع السجن<sup>(٧٨)</sup> . أمّا بالنسبة الى تاريخ اغتيال أبي سعيد ، فإن المسعودي صاحب الاطلاع الجيد يذكر ذي القعدة سنة ٣٠/ حزيران ٩١٣ تاريخاً لذلك<sup>(٨٠)</sup> .

وأما الحملة الفاطمية على مصر فإنها لم تبدأ ، على كل حال ، إلا في العام ٩١٣/٣٠١ . فمن المقرر أن أبا القاسم ، ابن عبد الله ، كان قد أرسل ضد مدينة صربس المتمردة ، التي كانت قد نجحت في مقاومة جيش فاطمي لعدة أشهر في العام ٩١٢/٣٠٠<sup>(٨١)</sup> لكنه عاد الى رقادة بعد احتلاله للمدينة<sup>(٨٢)</sup> وفي السنة التالية انطلق حُباسة بن يوسف باتجاه الشرق لتحقيق أهداف أبعد من ذلك . وأحتل سورت وأجدابية . وفي ٧ رجب ٣٠١/٦ شباط ٩١٤ دخل برقة<sup>(٨٣)</sup> . وفي يوم الخميس ١٤ ذي الحجة/ ٧ تموز ٩١٤ ، تبعه أبو القاسم على رأس جيش كبير من رقادة<sup>(٨٤)</sup> وقام حُباسة ، خلافاً لأوامر أبي لقاسم ودون انتظار وصوله ، بالتوغّل أكثر باتجاه الشرق وغزا الاسكندرية في شبني من صفر ٣٠٢/٢٧ آب ٩١٤<sup>(٨٥)</sup> وكان وصول أبي القاسم هناك يوم الجمعة ١٤ ربيع لثاني/ ٤ تشرين الثاني ٩١٤<sup>(٨٦)</sup> وبالنظر الى ضعف المغامرة القرمطية والفاصل الزمني بين الحملتين - إذ جر لنا تسمية المغامرة القرمطية بالحملة - فمن الواضح أنه ليس هناك من مسألة تدعى بالاستراتيجية المشتركة<sup>(٨٧)</sup> .

وهذه المناقشة تحديداً هي ماتم استخدامه حتى الآن كأساس هام للبرهنة على وجود رباط خاص ووثيق للقرامطة بقيادة أبي طاهر ، ابن أبي سعيد ، بالأئمة الفاطميين . ومسألة لتعودن العسكري هي فعلاً ذات أهمية خاصة في هذا المجال . إذ بغض النظر عما يتصبّه أمر خفاء الارتباط السري . يبين مختلف فروع الحركة الاسماعينية من جهد ، فإن لإطاحة بعباسيين - الهدف الأعلى للمتمردين - تطبّبت تصافر جميع القوى المتوفرة وخضعها لاستراتيجية موحدة . فكيف كان باستطاعة أئمة شمال افريقيا الامتناع عن تسخير تلك

بقوى لمقاتلة الهائلة القريبة الى ذلك الحد من قلب الامبراطورية العباسية من أجل نجاح أهدافهم الخاصة ، مستغلين قيامهم بأشغال الجيوش العادية كي يتمكنوا هم أنفسهم من شق طريقهم شرقاً عبر مصر ؟ إن ابن خلدون يروي الأمر على هذا النحو :<sup>(٨٨)</sup>

« في العام ٢٠٦ (٩١٨ - ٩١٩) <sup>(٨٩)</sup> ، وصل أبو القاسم الى مصر وبعث الى أبي ماهر لقرمصي يستدعيه ، ومكث هناك ينتظره . غير أن مؤنساً الخادم بادر اليه بحملة انصق به الى مصر باسم المقتدر وهزمه . وعاد [أبو القاسم] الى المهديّة . عندئذ ، سار أبو ماهر الى لبصرة وعاث فيها فساداً ثم انسحب . وساد الرعب ببغداد ، وأمر المقتدر بإصلاح أسوار المدينة » .

تت هي الرواية التي بنى عليها كل من دوغويه<sup>(٩٠)</sup> ، وحسن وشرف<sup>(٩١)</sup> زعمهم حول وجود استراتيجية موحدة بين الجيشين الفاطمي والقرمطي أثناء الحملة الثانية على مصر غير أن تفحصاً أكثر دقة للموضوع يبرهن على أنه غير قابل للتصديق .

من غزو أبي القاسم المتجدد لمصر يجب النظر اليه في ما يتعلق بالضغط المتواصل الذي مارسه الجيوش الفاطمية على الحدود الشرقية منذ حملة حُباسة ، أي منذ ٩١٣/٣٠١ الى نهاية ٩٢٤/٣١١ . وبانسحاب أبي القاسم قرابة نهاية العام ٣٠٢ / ربيع ٩١٥ ، خلف وراءه حامية عسكرية في برقة . لكن السكان تكاثروا عليها عقب مغادرته وقتلوا عن بكرة أبيها . عندئذ بعث عبيد الله . بجيش ضد المدينة بقيادة أبي مدين بن فروخ اللهيصي مع بداية عام ٣٠٣ / خريف ٩١٥<sup>(٩٢)</sup> لكنه لم يتمكن من دخولها إلا بعد حصار دام ثمانية عشر شهراً<sup>(٩٣)</sup> . وفي شهر شوال من عام ٣٠٤ / نيسان ٩١٧ ، بدأ وصول الفارين من مناطق نوبية ومراقية ، الى الشرق من برقة ، الى الاسكندرية<sup>(٩٤)</sup> . إذ أن برقة كانت تابعة لولاية مصر في ظل الأغلبية . فكانت البوابة الموصلة الى مصر ، ولم يتخل الفاطميون عنها مرة أخرى<sup>(٩٥)</sup> . وكان سقوطها مقدمة ضرورية لحملة أبي القاسم الجديدة . وبخصوص أحداث سنة ٩١٧/٣٠٥ - ٩١٨ ، ليس هناك سوى تقرير واحد حول نشاطات مصالا بن حبوس في لجزء الغربي من البلاد في خلافة عبيد الله . ثم بدأت كتائب قوية من العرب والبربر تتجمع في رقادة .

وكانت انطلاق أبي القاسم باتجاه الشرق في يوم الاثنين الأول من ذي القعدة ٥/٣٠٦ ٩١٩<sup>(٩٦)</sup> . وفي يوم الجمعة ٨ صفر ٩/٣٠٧ تموز ٩١٩ وصلت طليعة الجيش الى الاسكندرية<sup>(٩٧)</sup> . وفي شهر جمادى الثانية/ ٢٩ تشرين أول - ٢٦ تشرين الثاني وصلت بغداد أنباء معركة خسر فيها كل طرف قرابة ٤٠٠٠ رجل . عندئذ كلف المقتدر مؤنس

مخصص بالمسير الى مصر للمرة الثانية . لكن الأخير لم يغادر بغداد إلا في رمضان ٣٠٧ /  
 شباط<sup>(٩٨)</sup> . كما أنه لم يظهر في طريقه أية علامة تدل على أنه كان في عجلة من أمره . ولم  
 يصل انفسطاط إلا يوم الخميس ٤ محرم ٢٦ / ٣٠٨ أيار ٩٢٠<sup>(٩٩)</sup> ، وخيم في الجيزة . في  
 غضون ذلك ، كان أبو القاسم قد سار جنوباً حيث أقام في اشمونين وجمع ضريبة الخرج من  
 منسقة الفيوم<sup>(١٠٠)</sup> . ودام القتال بين الطرفين سنة كاملة ، لكن أغلبه عن طريق شعر الهجاء  
 أكثر مما هو عن طريق استعمال السيف<sup>(١٠١)</sup> . ولم يكن إلا بعد نجاح ثميل الخادم في طرد  
 جيوش الفاطمية من الاسكندرية وانضمامه الى مؤنس ، أن قامت الجيوش المشتركة  
 لانسطاط بالتقدم نحو مدينة الفيوم والاستيلاء عليها يوم الخميس ١٨ صفر ٢٨ / ٣٠٩  
 حزيران ٩٢١<sup>(١٠٢)</sup> . ولم يبق أمام أبي القاسم من خيار سوى التراجع والانسحاب الى مهبدة  
 التي وصلها يوم السبت ١ رجب ١٣ / ٣٠٩ تشرين الثاني ٩٢١<sup>(١٠٣)</sup> .

وبان تلك الفترة بكاملها كان قرامطة البحرين في هدوء كامل . إذ من أوضح أن  
 لهجوم الذي دونه ابن خلدون لم يقع أثناء ذلك . كما أن أحداً من كتاب الأخبار لأونس ،  
 من أمثال عريب وابن مسكويه ، ولا حتى ابن الأثير ، لم يرو أية نشاطات من جهة القرامطة  
 إبان تلك السنوات<sup>(١٠٤)</sup> بل إن المسعودي<sup>(١٠٥)</sup> ، وأخا محسن<sup>(١٠٦)</sup> ، وعبد الجبار<sup>(١٠٧)</sup> ، وهم  
 الذين قدموا وصفاً متتالياً لتاريخ القرامطة أكدوا حقيقة أن القرامطة مكثوا مسالمين عقب  
 وفاة أبي سعيد حتى زمن استيلاء أبي طاهر على البصرة سنة ٩٢٣ / ٣١١<sup>(١٠٨)</sup> . حتى أن  
 سكان البصرة لم يخطر لهم أثناء غارة ذلك العام أن المهاجمين كانوا قرامطة . إذ ظنوا في  
 البداية أنهم كانوا من العرب العاديين<sup>(١٠٩)</sup> . وكان سيصعب تصديق مثل هذا الأمر لو سبق  
 بقرينة اجتياح تلك المدينة قبل ذلك بأربع سنوات . وروي أن القرامطة ، إضافة الى ذلك ،  
 كانوا قد أعلنوا لسكان المدينة أن سبب حملتهم كان إقامة الخليفة لعلي بن عيسى<sup>(١١٠)</sup>  
 ولكن علي بن عيسى كان لا يزال في منصبه في العام ٩١٩ / ٣٠٧ .

والظاهر أن أول مصدر يذكر الغارة المبكرة هو ابن الجوزي ، فهو يروي تحت أحد ث  
 سنة ٩١٩ / ٣٠٧ . أن «القرامطة تغلغلوا في هذه السنة الى البصرة . وكان حماد قد  
 طرد من منصبه في الوزارة ، وتولى أبو الحسن بن الفرات الوزارة للمرة الثالثة»<sup>(١١١)</sup> .  
 ووضح أن العبارة الثانية تعطي الدليل على اللغز ، لأن إقالة حماد ابن العباس وسولية  
 الجديدة لابن الفرات حدثت في العام ٩٢٣ / ٣١٨ بالتأكيد<sup>(١١٢)</sup> . ومن المفترض عندئذ أن  
 لإشارة الى الغارة القرمطية تشير الى تلك السنة أيضاً .

وكذلك ، فإن التفاصيل التي يقدمها ابن خلدون ليست مقنعة جداً هي الأخرى . إذ



لأنجدني ذكر في أي مكان لاضطراب في بغداد بسبب القرامطة قبل العام ٩٢٣/٣١١ ، ولاحتى ترميمه جرى لأسوار المدينة . بل على العكس من ذلك ، فإننا نجد أن ابن الفرات يتوجه ، عقب نكبة تلك السنة ، باللوم الى علي بن عيسى بسبب اهماله دفع الأموال للناس لمكلفين بالحفاظ على سلامة أسوار البصرة ، فسهل بهذا الشكل هجوم القرامطة وجذبهم اليها<sup>(١١١)</sup> . ثم أبو المحاسن الذي يذكر غارة عام ٩١٩/٣٠٧ مقتنياً أثر ابن خلدون ، فإنه لا يروي أكثر مما يبي : « وفي هذه السنة تسلل القرامطة الى البصرة فعاثوا في المدينة فساداً وقتلوا ونهبوا »<sup>(١١٥)</sup> .

وهكذا يبدو بديهياً أن رواية ابن خلدون في تلك الفقرة قد اعتمدت على مصدر متأخر مخصص ، وليس بالأحرى على تقرير حسن الاطلاع على وجه خاص ، كما قد يتوقع المرء نظراً لمعرفة الدقيقة بالعلاقات بين القرامطة والفاطميين . وحتى لو كانت هناك بالفعل غارة قرمضية في عام ٩١٩/٣٠٧ ، لكان من السهل تبين أن روايته تشكل إعادة بناء تاريخية مرفوضة . ولم يبذل القرامطة أي محاولة لإطاعة أمر مزعوم لأبي القاسم بالسير نحو مصر . كما أن مؤنس لم يحبط عملهم بالمبادرة الى طرد الفاطميين سلفاً من مصر . والواقع أن نجيشين وقفا في مواجهة بعضهما لمدة تنوف على السنة عقب وصول مؤنس الى مصر في نهاية الأمر في ايار ٩٢٠ م ، في الوقت الذي لم يحرك فيه القرامطة ساكناً<sup>(١١٦)</sup> .

ولدينا رواية عن معركة وقعت عام ٩٢٢/٣١٠ بين سرية فاطمية بقيادة فلاح بن قمتون وقوات مصرية قرب ذات الهمام ، الى الغرب من الاسكندرية بثمانية وثلاثين ميلاً<sup>(١١٧)</sup> .

وحدث هجوم آخر للقوات الفاطمية على الأراضي المصرية في العام ٩٢١/٣١١ نيسان ٩٢٣ . فقد غار مسرور بن سليمان بن كافي على واحتين محصنتين في صعيد مصر وهزم حاكمهما . واحتل المكان ، لكنه اضطر الى التراجع والانسحاب الى برقة بعد تفشّي الوب ، بين جنوده . غير أن ابن عذاري لم يقدم ، وهو المصدر الوحيد الذي أورد هذا الحدث ، أي تاريخ محدد له<sup>(١١٨)</sup> . لكن ، وبما أن أنباء هذا الانتصار لم تعن للجمهور في القيروان إلا يوم لخميس ٢٢ محرم ٢٩/٣١٢ نيسان ٩٢٤<sup>(١١٩)</sup> ، فمن الجائز افتراض أن تكون الغارة قد وقعت ليس قبل نهاية العام ٣١١ هـ ، أي تكاد لا تكون قبل شباط ٩٢٤ . وقد ربط دوشويه بين هذه المغامرة وبين غزو أبي طاهر للبصرة<sup>(١٢٠)</sup> . لكن ذلك الحدث لم يقع إلا قبل ذلك بما يزيد على ستة أشهر ، أي مع نهاية ربيع الأول سنة ٣١١/ بداية تموز ٩٢٣ . وإذا ما كن لأحد مقارنة حركة « الشريكين » عن قرب ، فمن الأنسب عندئذ وضع هجوم أبي طاهر على قافلة لحجاج العائدة من مكة الى العراق في محرم ٣١٢/ نيسان ٩٢٤ . ومع ذلك ، فقد

كنت حملة مسرور ، كما هو واضح ، مغامرة ذات وسائل محدودة وأهداف محدودة أيضاً . بينما لم يظهر أبو طاهر ، من جهة أخرى ، أية علامات تدل على مسيره باتجاه مصر ، على الرغم من أنه كان بالتأكيد في مركز يمكنه من فعل ذلك .

وشهد العقد التالي أعظم نشاط لقرامطة البحرين . فقد تولى أبو طاهر القيم بغرة كل عام داخل بلاد ما بين النهرين ، أو بشن هجوم على قوافل الحجاج . وبدأت نهاية عهد لعباسي وكأنها أصبحت وشيكة . في غضون ذلك ، كان عبيد الله قد أبقى على قوته منشغلة بإخضاع شمال غرب أفريقية . أما الحدود الشرقية فقد هدأت بشكر منجى ، وأصبحت ساكنة<sup>(١٢١)</sup> وانسلت فرصة ملائمة للسيطرة على مزيد من أجزاء الامبراطورية العباسية الضعيفة ، أو حتى لإزالتها كلياً بالتعاون مع القرامطة وفاتت دون الاستفادة منها . ولا بد أن الأمر بدا للعديد من المعاصرين ممن رأوا في القوتين الخويتين في البحرين وشمال إفريقية مجرد ذراعين اثنتين للحركة الشيعية ذاتها ، لا بد أنه بدا غير مفهوم بالقدر ذاته الذي بدا فيه أمر اقتراض مسبق لإمامة عامة العبيد على جميع المسلمين الاسماعيين لمراقب من وقت متأخر . ولذلك ، يروي عبد الجبار بخصوص أحداث سنة ٩٢٨/٣١٦ ، عندما كان أبو طاهر يهدد بغداد نفسها ، أن العديد من الناس اعتقدوا أنه [أي أبو طاهر] كان ينتظر وصول قرامطة المغرب ، تنفيذاً لتدبير بينهما . لكن عندما لم يظهر أحد ، عاد إلى الاحساء<sup>(١٢٢)</sup> .

أما التقدم الفاطمي التالي باتجاه الشرق فإنه لم يحدث إلا بعد أن خبا زخم غزو قرمطي وسكن . وإنه لسوء فهم من جانب حسن إبراهيم حسن وطه شرف الافتراض ، بناءً على ماورد في رواية للكندي<sup>(١٢٣)</sup> ، بأن قوات من المغرب بعث بها عبيد الله كن قد سبق لها وعسكرت في مصر في العام ٩٣٣/٣٢١<sup>(١٢٤)</sup> . والواقع أن أولئك المغاربة كانوا يشكلون ، بقيادة حبشي بن أحمد ، جزءاً من الجيش المصري الذي كان محمد بن عبي لمأذرائي صاحب السطوة ، يدبر لاستخدامه لأغراضه الخاصة . وأول ماقدّموا ضد حكم مصر محمد بن تكين ، ثم ضد محمد بن طفج الأخشيدي عقب تسميته وياً من قبل لخليفة<sup>(١٢٥)</sup> ونجح محمد بن طفج في السيطرة على الموقف ، على كل حال ، فقرر متمردون المغاربة التراجع إلى برقة مع نهاية عام ٩٣٥/٣٢٣ . وكتبوا في أوقات ذمة لى أبي انقاسم ، الذي كان قد خلف عبيد الله في غضون ذلك وتلقب بالقائم بأمره ، يسأونه لإذن بدخول أراضيهم ، ودعوه إلى إرسال جيش إلى مصر معهم ، لأنهم كانوا يعرفون طريق وعلى علم ببواطن الحرب ومظاهرها . عندئذ ، بعث القائم بالجيش<sup>(١٢٦)</sup> . وفي شهر ربيع

الثاني ٢٢٤/ آذار ٩٣٦ وصلت طليعة الجيش الى الاسكندرية . لكن محمد بن طنج بعث بشقيقه ، حسن مع جيش لمقابلة المعتدين . وتمكّن الحسن من هزيمتهم في الخامس من جمادى الأولى ٢٢٤/ ١٣ آذار ٩٣٦ ، وأعاد احتلال الاسكندرية وفرت بقية الجيش الفاطمي الى برقة<sup>(١٣٧)</sup> وليس هناك من تقارير حول أنشطة للقرامطة في هذه السنة<sup>(١٣٨)</sup> .

ومما هو بعيد عن الإقناع بدرجة متساوية هو رأي دوغوية بأن غارات القرامطة من البحرين على سورية في زمن المعز الفاطمي كانت تنفذ بناءً على أوامر الأخير وتعليماته . إذ من المعروف جيداً أن القرامطة ، وبعد سنوات شهدت أكتف نشاطاتهم ، صاروا في وضع يمكنهم من مفاوضة وزراء العباسيين ، البويهيين والحمدانيين ، وعقد اتفاقيات معهم حصو بموجبها على حقوق وأتاوات محددة ، لعل أهمها فرض ضريبة على الحجاج الذهبين في مكة مقبر حمايتهم<sup>(١٣٩)</sup> . وفي العام ٩٥٢/ ٩٦٤ تقاضوا شحنة من الحديد من سيف الدولة الحمداني ، وقد أظهر الأخير حماسة بالغة في تحقيق رغبتهم بحيث أمر بانتزاع أبواب برقة ومصادرة حمال التجار والمتاجرين بالحديد<sup>(١٤٠)</sup> . ولدينا تقرير من مصر حول اضطراب عم حصل هناك في تلك السنة ذاتها بسبب هجوم قرامطة البحرين على سورية<sup>(١٤١)</sup> . فهل كنت تلك الحملة عبارة عن سرية أرسلت لحراسة شحنة الحديد تلك ؟

ومع نهاية سنة ٩٥٤/ ٩٦٥ هاجمت قبيلة عرب بني سليم الحجاج من مصر وسورية ونهبته<sup>(١٤٢)</sup> . لكن البضائع المنهوبة أعيدت الى حاكم مصر ، كافور ، على أيدي القرامطة<sup>(١٤٣)</sup> وهاجم القرامطة سورية مرة أخرى عقب وفاة كافور يوم الثلاثاء ٢١ جمادى الأولى ٩٥٧/ ٢١ نيسان ٩٦٨<sup>(١٤٤)</sup> ، وكانوا بقيادة الحسن الأعصم . فاحتلوا دمشق وهزموا وبني سورية ، الحسن بن عبيد الله بن طنج ، في الثاني من ذي الحجة ٩٥٧/ ٢٨ تشرين الأول ٩٦٨ ، في معركة جرت أمام أسوار الرملة . ثم دخلوا الرملة ونهبوها لمدة يومين . لكن قرامطة غادروا المدينة في نهاية الأمر بعد أن اقتدى السلطان أنفسهم من ذلك لوب الذي حن عليهم بمبلغ (١٢٥٠٠٠) دينار مصري<sup>(١٤٥)</sup> . وقفل الحسن عائداً الى مصر في الأول من ربيع الثاني/ ٢٢ شباط ٩٦٩<sup>(١٤٦)</sup> .

وكان الجيش الفاطمي بقيادة جوهر قد بدأ قبل ذلك بأسبوعين ، أي في الرابع عشر من ربيع الأول/ ٥ شباط ٩٦٩ ، انطلاقته لفتح مصر واحتلالها<sup>(١٤٨)</sup> وفي كتاب الأمان الذي أصدره لسكن الفسطاط في بداية شعبان ٩٥٨/ نهاية حزيران ٩٦٩ ، قطع جوهر العهد على نفسه باسم سيده أن يعيد فتح الطرق أمام الحجاج الى مكة ويقدم لهم الحماية ، بعد أن كانت الهجمات المتكررة تهدد أرواحهم وأموالهم<sup>(١٤٩)</sup> وكان ذلك مؤشراً على إعلان لحرب مفتوحة

على القرامطة<sup>(١٤٠)</sup> . وفي أول صلاة جمعة حضرها جوهر في الفسطاط في العشرين من شعبان / ٩ تموز ، أعلن الخطيب في نهاية خطبته تأكيد المعنى بأنه قد بعث بجيوشه في حرب مقدسة ضد الكفار (البيزنطيين) وضد أولئك الذين منعوا الحج<sup>(١٤١)</sup> وفي لشهر ذته أيضاً ، كتب جوهر كتاباً بالأمان العام لسكان البلد وسكان صعيد مصر سمى فيه لقرمطة ولعنهم بكل وضوح<sup>(١٤٢)</sup> .

وكان الحسن بن عبد الله قد غادر دمشق عند سماعه نبأ فتح جوهر لمصر وتوجه إلى لرمنة في رمضان / ٣٥٨ تموز ٩٦٩ ، وراح يستعد هناك لمقاومة الجيش الفاطمي . وهذا هاجمه القرامطة مرة أخرى وهزموه . لكنه تمكن من التوصل إلى سلام معهم ، بن وصدهم في ذي الحجة / تشرين أول<sup>(١٤٣)</sup> . وانسحب القرامطة بعد أن أمضوا قرابة ثلاثين يوماً معسكرين قرب المدينة . وواضح أن سرية منهم بقيت هناك ، على كل حال ، وذبت لأن ابن زولاق المعاصر للأحداث يروي أن جعفر بن فلاح ، القائد الفاطمي ، قاتل القرامطة وهزمهم في معركة قرب الرملة وقع فيها الحسن بن عبيد الله أسيراً<sup>(١٤٤)</sup> في وقت مبكر من عام ٩٧٠ / ٣٥٩ . ومن بين الأسرى الذين بعث بهم جوهر إلى سيده في ١٧ جمادى الثانية ٩٧٠ / ٣٥٩ نيسان ، كان إلى جانب الحسن ، شخص يقرب اسمه من ابن غزوان ، قيل إنه زعيم القرامطة<sup>(١٤٥)</sup> .

وربما كان نتيجة معاهدة سلام بين الحسن والقرامطة أن أقدم الأول على الزام نفسه بدفع أتاوة سنوية تبلغ ٣٠٠,٠٠٠ دينار<sup>(١٤٦)</sup> وكانت خسارتهم لهذه الأتاوة مع قيام جعفر بن فلاح باحتلال سورية هي السبب الذي أعطته معظم المصادر للهجوم القرمطي على سورية في السنة التالية لمنازلة الجيش الفاطمي - ورأي دغويه بأن أهمية هذا السبب ضئيلة جداً ، يبدو مقبولاً فقط إذ ما افترضنا أن قرامطة البحرين كانوا حتى تلك الفترة أتباعاً موئناً لفاطميين<sup>(١٤٧)</sup> . لكن سبق أن أصبح واضحاً أن الأمر لم يكن كذلك . أمّا الدافع الحقيقي لغارت القرامطة في سورية فإنه يكمن في رغبتهم بالحصول على الغنائم والأتاوات التي كانت تقرر سياسات دولتهم الفقيرة جداً بطبيعتها في البحرين منذ ثلاثينات القرن لعاشر الميلادي . وبالنسبة إلى السوريين والمصريين الذين كانوا يدفعون ما يترتب عليهم من ضرائب الحج ، فقد كانوا على استعداد لتأمين إعادة الممتلكات المسروقة ، وهو الأمر الذي كان عليهم القيام به من أجل المحافظة على سمعتهم حماة لقوافل الحجيج . لكن لفوضى التي اندلعت في مصر عقب وفاة كافور منحتهم فرصة سانحة لكسب الغنم . وما أن حققوا هدفهم هذا ، حتى انسحبوا دون بذل أية محاولة لإدخال العقيدة الشيعية إلى المناطق

لمحتنة . و إخضاعها للحكم الفاطمي ، كما قد يتوقع المرء فيما لو كانت هذه الحملات تنفذ بأمر من المعز . وعندما قطع تقدّم الجيش الفاطمي مصدر دخلهم الجديد ، وعن جواهر صراحة عن نيّته في حرمان القرامطة من حقهم في الظهور حماة نقوافل الحج ، لم يعد أمامهم من خيار سوى الحرب .

ومن بين روايات المؤرخين العرب التي كانت عادة الأساس الذي قام عليه الجدل بخصوص لتدوين الوثيق بين قرامطة البحرين والفاطميين إبان عهد المعز ، نجد أن رواية ابن خلدون تستحق ذكراً خاصاً . ففي تقرير أخباري<sup>(١٤٩)</sup> من ثلاث صفحات كتب بعنية ، وصف ابن خلدون كيف تدخل الخلفاء الفاطميون المرة تلو الأخرى من شمال إفريقية في لشؤون مدخية للقرامطة ، حتى قيام الحسن بالتمرد على أسياده البعديين سنة ٩٧١/٣٦٠ . وهو لا يذكر مصادره ، لكن يبدو أنه كان في تصرفه رواية لم تعد متوفرة سديت ، لأنه يروي سلسلة أحداث لانجد ذكراً لها في مصادرتنا الأخرى . غير أنه يعصي الانطباع بأنه كان مطلق اليد عموماً في التصرف بمصادره .

لقد سبق أن وجد دوغويه أغلاطاً عديدة في روايته<sup>(١٥٠)</sup> ومع ذلك ، يبقى ابن خلدون شاهده الأكثر أهمية أثناء عرضه لوجود تفاهم بين حركتي القرامطة والفاطميين . ولذلك ، ربّما كان من المفيد وضع ذلك التقرير من جهة اقتراحه لوجود مساندة من ذلك النوع من قبل القرامطة ، في مصاف ما هو متوفّر من الروايات الأقدم . وقد كتب ابن خلدون حول الأحداث التي قادت الى اغتيال أبي سعيد وتولية أبي طاهر : « كان أبو سعيد قد سمى ابنه لأكبر سعيداً ولخلافته .. (انقطاع في النص) .. لكن شقيقه الأصغر أبا طاهر سليمان<sup>(١٥١)</sup> شرعيه وقتنه ، وتولى الحكم عليهم . وبإيعاه مجلس العقدانية<sup>(١٥٢)</sup> ، وتلقى مرسوماً بالتولية من عبيد الله<sup>(١٥٣)</sup> .

ومن معروف أن أب القاسم سعيد لم يُقتل في ذلك الوقت ، بل كانت وفاته بالأخرى في عام ٩٧٢/٣٦١<sup>(١٥٤)</sup> وتؤكد كتب تواريخ بغداد ، وهي التي تمّ نسخها عموماً من قبل أعمار تاريخية متأخرة<sup>(١٥٥)</sup> ، أن أبا سعيد كان قد عين ولده الأكبر خليفة له . وأن أب صهر كان قد تمكّن عندئذ من شق طريقه الى السلطة . يضاف الى ذلك أنه لدينا حديث آخر تعود أصوله بلا شك الى تاريخ القرامطة الذي كتبه أبو عبد الله محمد بن علي بن رزام الصدي لكوفي ، الكاتب المناوي ، والمعادي للاسماعيليين<sup>(١٥٦)</sup> وطبقاً لهذا الحديث ، فإن أب سعيد قد أوصى بأن يتولّى ابنه الأكبر سعيد خلافته في بداية الأمر . لكن ما أن يبلغ أبو صهر سن لبوغ ، فعليه تسليم الأمر اليه . وقد قام سعيد بتسليم القيادة الى شقيقه تنفيذاً لهذا

لأمر في العام ٩١٧/٣١٥<sup>(١٥٧)</sup> ولنكون على بينة من الأمر ، فلا بد أن أبا طاهر كن في  
عدشرة من عمره في ذلك الوقت<sup>(١٥٨)</sup> . وبشكل مشابه ، يروي ابن حوقل أن أبا سعيد كن  
قد أوصى أولاده الكبار بالخضوع لشقيقهم الأصغر وإطاعته عندما يصبح بالغاً « لسبب أنه  
من عش بعده »<sup>(١٥٩)</sup> لكن ليس هناك من ذكر في أي مكان لتدخل من جانب عبيد .

لقد سبق وأظهرنا تشكيكنا بصحة ما أورده ابن خلدون بخصوص هجوم القرامطة على  
بصرة سنة ٩١٩/٣٠٧ . فبعد وصفه لانتهاك مكة ومذابح الحجيج واقتلاع الحجر الأسود  
من لكعبة ، كتب يقول : « وكتب عبيد الله إليه [أبي طاهر] من القيروان مستنكراً  
ومحذراً . فكتب إليه قائلاً إنه غير قادر على إعادة الحياة إلى الذين قتلوا ، لكنه وعد بإعادة  
لحجر الأسود »<sup>(١٦٠)</sup> إن مانعنا من رسالة عبيد الله قد جاء من تقرير لثابت بن سدن ،  
وهو الذي نقل عنه قطعة كلمة بكلمة<sup>(١٦١)</sup> لكن ليس لنا تفسير هذه الرسالة على أنها برهان  
على وحدة القرامطة والفاطميين ، أو على استمرارية هذه الوحدة . إذ لم تتم إعادة الحجر  
الأسود إلا بعد وفاة أبي طاهر بسنوات . ولذلك ، كان دعوته مضطراً لاقتراض صدور أمر  
سري من جانب عبيد الله كان يخالف ما جاء في الرسالة المعلن<sup>(١٦٢)</sup> لكن سبق وأظهرنا أن  
الطريقة التي كان يتصرف بها القرامطة ، قرابة ذلك الوقت لا تعطي بأي شكل من الأشكال  
سبيلاً لاقتراض أنهم كانوا يعملون بأوامر سرية من الفاطميين . ومن الممكن جداً أن يكون  
الذفع رسالة عبيد الله هو إظهار نفسه بريئاً من الشكوك التي ثارت حول تورطه في ذلك  
العمل الشائن<sup>(١٦٣)</sup> وواضح أن شكوكاً واسعة الانتشار كانت تحوم إبان تلك السنوات بحث  
ذاتها مفادها أن الحركتين الشيعيتين في شمال افريقية والبحرين كانتا تعملان معاً يد  
بيد<sup>(١٦٤)</sup> .

ويستطرد ابن خلدون قائلاً : « ثم أعاده [الحجر الأسود] في العام ٣٣٩ (٩٥٠) بعد أن  
تصبر به المنصور اسماعيل من القيروان وتوسط لديه بخصوص هذا الأمر »<sup>(١٦٥)</sup> فبذم  
دعواه يتكلم على هذه الفقرة لإثبات صحة رأيه القائل بأن القرامطة كانوا قد أعادوا الحجر  
الأسود بأمر من المنصور<sup>(١٦٦)</sup> ، فإن مقالة قطب الدين ، وهي التي يفسرها في مصححه  
يضاً ، توحي عندئذ بعكس هذا الأمر . فقطب الدين يروي أن المنصور كان قد كتب إلى  
أحمد بن أبي سعيد وعرض عليه مبلغ (٥٠.٠٠٠) دينار مقابل الحجر ، لكنه رفض<sup>(١٦٧)</sup>  
وتبدو هذه النسخة من المراسلات الوحيدة التي تتوافق مع مجاء من روايات في مصادر  
أخرى ، لأن أمر إعادة الحجر ، كما يوضح دعوته نفسه ، لم يتم إلا بعد مفاوضات مع  
الحكومة العباسية وربما مقابل دفع أتاوة مالية ضخمة<sup>(١٦٨)</sup> . أما رواية ابن عذاري ، وهي

الثالثة في مصادر دوعويه ، فإنها مهملة بكلّيتها . وطبقاً لابن عذارى فإن المنصور كان قد نطلق نحو بلاد المشرق في العام ٣٣٩ / ٩٥٠ وأعاد الحجر الأسود الى زاويته في الكعبة<sup>(١٦٩)</sup> . غير أن المنصور في الواقع لم يغادر امبراطوريته إطلاقاً .

ثم يروي ابن خلدون قائلاً : « وهكذا فقد أعادوه . وكان بحكم<sup>(١٧٠)</sup> المستولي على السبسة في بغداد زمن المستكفي<sup>(١٧١)</sup> ، قد عرض عليهم ٥٠,٠٠٠ ديناراً ذهباً لإرجاعه . لكنهم رفضوا وأعلنوا أنهم كانوا قد اقتلعوه وأخذوه بأمر من إمامهم ، عبيد الله ، ولن يعيدوه إلا بأمر منه أو من خلفه ، إن ذلك يبدو نتيجة نموذجية لطريقة عمل ابن خلدون . وزعم القرامطة بأنهم كانوا قد أمروا بأخذ الحجر وأنهم لن يعيدوه إلا بأمر ، يتردد في الواقع في مصادر كثيرة<sup>(١٧٢)</sup> ، لكن ليس هناك من اسم مذكور في أي منها . وهذا الحذف ليس أمر عريضاً ، إذ لو أن القرامطة كانوا بالفعل قد قالوا أنهم فعلوا ذلك بأمر من عبيد الله ، سكن ذلك موروثاً من كتاب الأخبار الأوائل بالتأكيد ، وهم الذين كانت لديهم مواقف معدية لفاطميين عموماً .

وجزم القرامطة بأنهم كانوا يعملون بأمر لم يكن ليعني ، كما هو واضح ، إحالة مسؤولية تلك الأفعال ونقلها الى شخص آخر . ففي جذور هذا الأمر يكمن أحد معتقداتهم الأساسية ، وهو ، تحديداً ، أن كل شيء يحدث كان مقدراً له بالضبط أن يحدث ، وأنهم هم وحدهم كانوا على معرفة ، باعتبارهم المؤمنين الحقيقيين ، بهذا القدر . ومن خلال هذه المعرفة ، كانوا معصومين في أفعالهم لا يتقهر<sup>(١٧٣)</sup> . وكان الذهبي قد فهم ذلك بوضوح عندما فسروا كلماتهم بالقول بأن مايعنونه كان هو القدر<sup>(١٧٤)</sup>

وبخصوص الأحداث التي أعقبت وفاة أبي طاهر سنة ٣٣٢ / ٩٤٤ ، كتب ابن خلدون قائلاً : « وتولى شقيقته أحمد السلطنة في بداية الأمر . غير أن مجلس العقداية كان يميل الى سابور ، ابن أبي طاهر ، وكتبوا الى القائم الفاطمي حول هذا الأمر . فنصب الأخير أحمد وعين سابوراً خلفاً له . وهكذا استمر أحمد بالحكم . وكان هو من أعاد الحجر الأسود الى مكانه<sup>(١٧٥)</sup> . وفي العام ٣٥٨ / ٩٦٩ ، أقدم سابور بتدبير مع إخوته ، على سجن عمه . لكن شقيق أحمد ثار وأطلقه من السجن . وفي العام ٣٥٩ / ٩٧٠ توفي أبو منصور أحمد وزعم أن وفاته كانت بسبب دسه له أتباع سابور . ثم تولى ابنه الحسن الأعظم الحكم » .

إن وصف التولية هذا يحدد بقدر كبير عما جاء ، من روايات في مصادر أخرى . فـ أحمد بن أبي سعيد ورد ذكره عند قطب الدين كطرف في الاتصالات العقيمة مع المنصور الفاطمي حول إعادة الحجر الأسود<sup>(١٧٦)</sup> وهناك ثلاثة من إخوة أبي طاهر وردت أسماءهم خلفه له

وهم ، أبو القاسم سعيد ، وهو الذي يبدو أنه كان الأكثر تأثيراً من بينهم ، وأبو لعبس لفطر المريض ، وأبو يعقوب يوسف ، الذي أدمن شرب الخمر<sup>(١٧٨)</sup> ويمكن الزعم أن سسنة في زمن أبي طاهر سبق وكانت مشتركة في أيدي أبناء أبي سعيد اسماً ، ولو أن شخصية أبي طاهر كانت تضمن له القرار<sup>(١٧٩)</sup> ، غير أن هذا النظام حقق قوته الكمة عقب وفاته . فالرسالة التي تعلن إعادة الحجر الأسود كانت قد كتبت بشكل مشترك من قبل أخوة أبي صاهر<sup>(١٨٠)</sup> وهذا يتطابق تماماً مع الصورة التي قدمها ابن حوقل لهيكل سدوة لقرمصة<sup>(١٨١)</sup> . ولم يكن يتم اتفاق على قائد إلا من أجل الحرب . وحتى عندما كان لأعصم قائداً دائماً للجيش القرمطي أثناء حروبه ضد الفاطميين ، فإن السنطة العليا كانت في أيدي أبناء أبي سعيد . وهذا مارواه ابن الجوزي تحت سنة ٩٧٢/٣٦١<sup>(١٨٢)</sup> ، «وفي جمادى شنية توفي أبو القاسم سعيد بن أبي سعيد الجنابي في هجر . وحكم بعده شقيقه أبو يعقوب يوسف . وفيما عداه ، لم يبق أحد من أبناء أبي سعيد الجنابي على قيد الحياة . وبعد أبي يعقوب<sup>(١٨٣)</sup> ، نقل القرامطة السلطة إلى ستة من أبنائهم بصفة مشتركة»<sup>(١٨٤)</sup> .

وقد حاول دوغانو ، من خلال شرحه الموسع لرواية ابن خلدون ، توضيح الخلفية بعضيان سابور الذي قاد إلى سجنه ووفاته منتصف رمضان ٢٥٨/٣٥٨ بداية آب ٩٦٩ . لقد اعتقد أن تسمية المعز لسابور خلفاً لوالده لأنه لم يكن يتوقع أية مساندة ، فعالة من جانب عم سابور ، أحمد<sup>(١٨٥)</sup> ، لفتح مصر بعد أن اقتنع الأخير بالأتاوة السنوية التي راح يحصل عليها عقب انتصاره على الحسن بن عبيد الله سنة ٩٦٨/٢٥٧ . لكن هذه الفرضية غير قابلة للتصديق . إذ طبقاً لابن حوقل ، فإن الحسن الأعصم بن أحمد ، الذي تولى قيادة الحملة التي غزت سورية ، كان موضع شك إثر عودته بأنه قد تصرف بالغنائم<sup>(١٨٦)</sup> ، ولم يكن لهذا الأمر شأن في ثورة سابور . ولا هو حصل على رد اعتبار فور وفاة سابور . إذ نجد اثنين من أولاد عمه قد تولوا قيادة الجيش بدلاً منه في الحملة السورية الثانية التي وقعت بعد ذلك بشهرين<sup>(١٨٧)</sup> .

ومع أن المصادر الشحيحة لتاريخ الدولة القرمطية إبان هذه الفترة لا تسمح لد بتعمق في تفاصيل التطورات ، إلا أن توازن القوى العام الذي أدى إلى ثورة سابور يبدو واضحاً تماماً . فبعد وفاة أبي طاهر ، وهو الذي حكم بصفة فردية عملياً ، اقتسم إخوته السلطة فيما بينهم . أما أولاد أبي طاهر السبعة فقد تمتعوا بدرجة عالية من التقدير والشرف ، لا أنهم ستغنوا من السلطة<sup>(١٨٨)</sup> ولم يرض سابور ، أكبر هؤلاء الأبناء وأكثرهم تقديراً ، بهذه الحالة . فطالب بالحكم وقيادة الجيش على أساس أن والده كان قد سماه خلفاً له<sup>(١٨٩)</sup> عندئذ



قدم أعصمه على زوجه في السجن وتوفي هناك . وليس هناك من سبب من أي نوع كان لافتراض حدوث تدخل من جانب الفاطميين .

أم ابن خلدون فقد وصف الأحداث التي قادت الى « انفصال » القرامطة على اسنحو تسي ، بعد احتلال جعفر بن فلاح لدمشق ، طالب الحسن الأعصم بأتاوة تجبى من لمدينة ، يكن هذا الطلب رفض ، كتب المعز رسالة فظة اليه وراح يشارك في مكائد بسم أتبع وولاد أبي طاهر الذين كانوا يقيمون في المنفى في جزيرة أوال عقب ثورة سابور . وعندما وصلت هذه الأنباء الى الحسن نقض بيعته للمعز وسار نحو دمشق . وفي عام ٩٧٢/٣٦١ كتب المعز اليه مرة أخرى موبخاً بقسوة ، وأمر بعزله .

ولابد أن المقصود بالرسالة الثانية التي ذكرها ابن خلدون هنا هي الرسالة التي حفظها 'خو محسن' (١٩٠) والحقيقة أن المعز لم يكتبها إلا بعد وصوله الى القاهرة (١٩١) ، أي ليس قبل رمضان ٣٦٢ / حزيران ٩٧٣ . ويميل المرء الى الاستنتاج من محتوياتها على أنها كانت لرسالة الأولى الى الحسن . وليس من ذكر للطرد فيها . ومن جهة أخرى ، يشير ابن حوقل الى استمرار المنافسة السياسية بين قرامطة البحرين عقب وفاة سابور ، لكن دون تقديم أية أسباب محددة لذلك (١٩٢) .

لقد بين دوعويه بما فيه الكفاية العيب في استمرارية تقرير ابن خلدون وترايطه (١٩٣) ومع ذلك ، فقد اعتقد أنه بإمكانه مسايرته في افتراض أن القرامطة قد عادوا الى بيعتهم سفسامين لأن المقدسي يذكر أنه قرابة العام ٩٨٨/٢٧٨ تم اكتشاف كنز المهدي في لإحساء (١٩٤) . ولابد أن ذلك يبدو مدهشاً ، لأن العزيز الفاطمي كان قد وعد القرامطة قبل ذلك بعشر سنوات فقط بدفع أتاوة سنوية ليعمنعهم من القيام بهجمات أخرى على سورية (١٩٥) فهل كان دوعويه على خطأ هنا في معادلة المهدي بالفاطميين ؟ ويصبح هذا الأمر شيئاً مؤكداً تقريباً عندما يأخذ المرء بعين الاعتبار ما ورد في رواية ابن حوقل لعدم ٩٧٧/٣٦٧ من أن خمس دخل الدولة القرمطية كان يوضع جانباً ليرسل الى « صاحب الزمان » (١٩٦) .

ويبرهن تقرير ابن خلدون ، على أساس من التفاصيل التي قام بها دوعويه والأمثلة المذكورة هنا ، على أنه بناء تاريخي متأخر لقيمة له في عملية تقييم نقدية للمسألة المتعقبة برابط مابين الفاطميين والقرامطة . والتفحص الدقيق للمصادر الأقدم وحسب ما هو قد يساعدنا على تحقيق تقدم أكثر في هذا المجال (١٩٦) .

ن: لتقرير الذي يقدمه المسمودي في كتابه « التنبيه والأشراف » ، وهو الذي كتبه سنة

٩٥٦/٢٤٥ ، ليس سوى ملخص قصير لما ورد في روايات أقدم مفقودة يشير إليها بكثرة . وهذا كله من سوء الحظ لأنه كان عالماً بصفة استثنائية بشؤون القرامطة . وهو يذكر أنه قد تحدث مع العديد من مبعوثيهم وعلمائهم<sup>(١٩٨)</sup> ويوضح بإيجاز الاتحاد العقائدي بين لحركات لقائمة في البحرين واليمن وشمال إفريقية ، وهي الحركات التي وصفها باستفاضة في مكان آخر<sup>(١٩٩)</sup> .

وهناك تاريخ حولي للقرامطة كتبه ثابت بن سنان وصل به إلى سنة وفاته ، أي سى عدم ٩٧٦/٣٦٥ . وقد استخدم ابن الأثير عمله هذا على نطاق واسع<sup>(٢٠٠)</sup> . وهو لا يرى سوى أحداث محددة كان يرى ، كما هو واضح ، أنها قد ثبتت صحتها ، ولم يتناول لعلاقة بين قرامطة والفاطميين بشكل مباشر إطلاقاً . لكن مقتطفات عديدة أشار لها برنارد بويس<sup>(٢٠١)</sup> تتضمن الإشارة إلى اتحاد من هذا النوع . فقد أتهم أحد سكان بغداد . وكان قد هاجر إليها قادماً من شيراز ، بالخيانة والاتصال السري بأبي طاهر ، واعترف في مجريات محاكمته أن إمامه كان ذلك الفاطمي المقيم في شمال إفريقية<sup>(٢٠٢)</sup> . وأتهم كاتب يوسف بن أبي الساج الذي كلّفه الخليفة بقتال قرامطة البحرين ، سيده بأنه قد كشف له سراً عن اعتقاده بإمامة العلويين المقيمين في شمال إفريقية الذين كان أبو طاهر يتبعهم أيضاً .

ولهذين التقريرين ، وكلاهما دون في العام ٩٢٧/٢١٥ ، أهمية عظيمة في ما يتعلق بانمناخ العقلي الذي كان سائداً في بغداد في ذلك الزمن . وواضح حتى الآن أنه ليس لديهم أية شكوك بخصوص وجود علاقة بين الحركتين الشيعيتين<sup>(٢٠٣)</sup> . ولهذا ، لابد أن ماقاه 'الاسماعيليون' قد جعلهم يصيخون أسماعهم . وربما كان هذا هو سبب تدوين لمؤرخ هذه الأحداث التي لولا ذلك لما استحضت أي اهتمام . فهي لاتقدم أي برهان مؤكد على وجود روابط سياسية بين البحرين والقيروان . وأي تابع للأئمة الفاطميين في بغداد قد يعرض جيداً على تزويد أبي طاهر بالمعلومات لدعمه في قتاله للعدو المشترك ، سواء كان يعلم أن الأخير كان يخدم سيده بشكل مباشر أم لم يعلم . وقد قال هو نفسه إنه لم يكن يعرف أب طاهر شخصياً ، أما التهمة التي وجهها الكاتب إلى يوسف بن أبي الساج ، ولتي من أسهر لزعم بأنها بهتان محض<sup>(٢٠٤)</sup> فإنها تنبع من تأمل مشابه ، ثورتان شيعيتان تتهددان لامبراطورية العبّاسية . فهل هناك شيء طبيعي أكثر من رؤية مؤامرة وراء هاتين حركتين ؟ وأخيراً يذكر ثابت رسالة الممزر إلى الحسن الأعصم التي يذكره فيها بأن « لدين واحد ، وأن القرامطة كانوا قد دعوا إلى ولايته وولاية آبائه »<sup>(٢٠٥)</sup> .

أما الاتجاه المؤيد للفاطميين فيمثل ابن حوقل في مؤلفه « كتاب صورة الأرض » ، الذي

صنّفه قرابة العام ٩٧٨/٣٦٧ . وهو أيضاً كانت له ارتباطاته بشخصيات من ذوي لرتب العالية عند القرامطة . وكان قد تحدث في العام ٩٧٢/٣٦١ الى أبي الحسين علي بن جزي ، في صقلية ، فأخبره الأخير بالأحداث التي أفضت الى قيام التحالف بين القرامطة والعباسيين<sup>(٢٠٦)</sup> . وابن حوقل هو مصدر المعلومات القائلة بأنّ أبا سعيد كان تابعاً للفاطميين أصلاً ، لكنّه انشقّ عقب اغتيال عبدان ، وقَتَلَ الداعي أبي زكريا التمامي . وهو يعنّ أب سعيد وأبا طاهر لما ارتكبا من فظائع ، وكان ذلك سبب تسمية دوعويه به بمندفق<sup>(٢٠٧)</sup> ويتحدث في مكان آخر حول علاقة أبي زكريا التمامي « بالدين الأول وحكم القديم » للقرامطة<sup>(٢٠٨)</sup> كما يقدّم وصفاً تحليلياً لعقيدتهم في زمنه بالقول أنّهم في الحقيقة قد جعلوا لإمامة تصل نهايتها وتتوقف<sup>(٢٠٩)</sup> وهذا يعني عند الفرق الشيعية عموماً أنّهم صاروا ينتظرون عودة آخر إمام لهم في صورة المهدي . لكنّه لا يسمّي ، مع الأسف ، هذا الأخير .

وبعد سنة ٩٨٢/٣٧٢ بوقت قصير ، كتب الشريف أخو محسن من دمشق ، الذي كان هو نفسه سبيلاً لمحمد بن اسماعيل ذاته الذي اليه عاد الفاطميون بنسبهم ، كتب واحداً من تلك الأعمال المراتية التي كان القصد منها كشف أسرار الاسماعيليين ونقض عقيدتهم من وجهة نظر سنية<sup>(٢١٠)</sup> . وقد قدّم ، في القسم التاريخي من عمله ، تاريخاً مفصلاً بحركة القرامطية اعتمد فيه على ابن رزّام في الفقرات المتعلقة بالتاريخ الأقدم للحركة . وهو يروي باستفاضة حول انفصال حمدان قرمط وعبدان ، ولو أنّه لا يذكر شيئاً بخصوص موقف قرامطة البحرين . إنّ من خلال شرحه لرسالة التهديد التي كتبها المعزّ الى الحسن لأعصم وحسب ، يروي جرياً على ما جاء عند النويري ، قائلاً : « وبعد وصوله الى مصر ، قرّر المعزّ أن يكتب الى الحسن بن أحمد ليعلّمه بأنهما كلاهما ينتمي الى المعتقد ذاته ، وأنّ لقرمطة قد أخذوا عقيدتهم عن الاسماعيليين الذين كانوا أسيادهم في ما يتعلّق بذلك . وكان يأمل ، من رد الحسن على تهديداته معرفة ما الذي كان يخفيه في كُفّه ، ومذ كنت أخبار دخوله الى مصر ستثير فزعهُ ، أمّا الحسن فقد كان على علم كامل بأنّ الفرقتين كانتا فرقة واحدة بعينها ، لأنّه لم يكن جاهلاً بأنهما كتبيهما أمنت بعقيدة الظاهر وبطن . وكتبيهما اتفقت ، في الحقيقة ، على تعليم الإلحاد والاختلاط الكلّي في ما يتعلّق بالرجل ولمنكية ، وعلى إنكار البعثة النبوية . لكن حتّى لو خيم الإتفاق على العقيدة وسد لفترة ، لا أنّه ما أن يحقق إتباع حزب ما تفوقاً على أتباع حزب آخر ، حتّى يروا في ذلك ذنباً يقتلهم وعدم الشفقة عليهم »<sup>(٢١١)</sup> .

وهنا يظهر لنا اتحاد القرامطة والاسماعيليين ، أي أتباع الفاطميين ، ليس على أساس

من علاقات السياسة المحددة ، بل على أرضية من الوحدة العقائدية ذات الصلة لأكثر عمومية . إلا أنهما ، وبغض النظر عن هذه الوحدة ، يشكّلان حزبين أو فريقين ثنيين ، من أحدهما محسن ذاته يكتب في نهاية ذلك الجزء من كتابه الذي يصف فيه عقيدة إسماعيليين ، « وبمرور الوقت ، مزّت العقيدة الأصلية هذه بتغييرات قليلة ، وانقسمت الجماعة لى فروع مختلفة عقب نشرها في المغرب ومصر وسورية . وكان هناك تغيير في الرأي تحديداً بخصوص محمد بن اسماعيل ، الذي كانوا بداية يدعون الى الاعتراف به إماماً ثم أُستبدل بأحد أعقاب عبد الله بن ميمون القداح ، الذي أصبحت ذريته تحكم في المغرب ومصر وسورية»<sup>(٢١٢)</sup> .

ونعثر في كتاب أخي محسن لأول مرة أيضاً على كتابات إسماعيلية مزعومة كان تأثيرها سيئير أذهان التّقاة والصالحين لزمن طويل يعقب ذلك ، وأصبحت هذه الكتابات ، بالنسبة إلى كتاب الفرق والكتّاب المرائين ، مصدراً منه استقى هؤلاء معرفتهم بالعقيدة السريّة للباطنيين . لقد وجدوا فيها كل الإلحاد والإباحية والتجديف الذي كانوا يرغبون فيه لإستعراض شهرة هؤلاء الهراطقة المخزية . بل إن انعكاس تأثيراتها وصلت حتى لى لغرب المسيحي . وطبقاً لولويس ماسينيون (L. Massignon) ، يمكن اعتبارها الصيغة الأوسى لخرفة « حكم القبيلة »\* التي تمّ تداولها في الغرب بعد ذلك بقرون من الزمن . ثم أقرّت في النهاية على أنها لفردريك الثاني هوهنستوفن<sup>(٢١٣)</sup> (F.II, Hohenstaufen) .

وكان أخو محسن على علم بعمل بعنوان « كتاب السياسة » . وقد أورد أنه قرأ الكتاب بنفسه واقتبس منه فقرتين<sup>(٢١٤)</sup> . ويتألف « كتاب السياسة » هذا من توجيهات للدعاة حول أسلوب التقاط النفوس [أي جذب المستجيبين] . ويتحدث المؤلف عن سبع درجات سبلّاغ من خلالها يتم إدخال المستجيب تدريجياً الى عقيدة الإلحاد<sup>(٢١٥)</sup> . وبعد بضع سنوات وحسب نجد ذكراً للدرجات السبع هذه عند ابن النديم ، الذي كتب في العام ٩٨٧/٣٧٧ . ويتوجه كتاب السبلّاغ الأول الى الجمهور العام ، والثاني الى أولئك المتقدمين قميلاً ، وثالث سى من هم في السنة الثانية من تحولهم الى العقيدة الجديدة إلخ... وعن « كتب سبلّاغ سابع » يقول أنه قد قرأه بنفسه ووجد فيه قدراً كبيراً من الإباحية ولاستهزء بالأنبياء<sup>(٢١٦)</sup> وهذا الوصف مميّز ويظهر أن العمل كان ذيلاً لـ « كتاب السياسة » . ثمّ عبد قاهر البغدادي (ت ١٠٣٨/٤٢٩) فقد عرف الكتاب تحت عنوان « كتاب السياسة ولبلاغ

\* « de tribus impostoribus » وهي متفرقة القبيلة على أفرادها ويلتزمون بتنفيذها طوعاً ، لأن مخالفتها قد يجز عليهم عقوبات قاسية .

لأكيد ولناموس الأعظم» . وتحمل اقتباساته من هذا الكتاب بصمات ابن النديم<sup>(٢١٧)</sup> ففي حين لانجد عند أخي محسن وابن النديم تسمية للمؤلف ولا لمخاطب محدد<sup>(٢١٨)</sup> ، نجد عبد القاهر يزعم أن عبيد الله هو من بعث بالكتاب إلى أبي طاهر . وقد نقضه القاضي أبو بكر الباقلائي (ت ١٠١٣/٤٠٣) في كتابه المفقود ، « كتاب هتك الأستار وكشف الأسرار » ، ويبدو ، أنه سمى قاضياً فاطمياً على أنه مؤلف العمل المذكور<sup>(٢١٩)</sup> . أما عبد الجبار (كتب قرابة عام ١٠١٠/٤٠٠) فقد روى أن أبا القاسم الفاطمي كان قد بعث بالكتاب إلى أبي صهر بينم كان والده لا يزال على قيد الحياة ، لأن عبيد الله كان قد وصفه في البدية بليتم من آل بيت علي ، المتحذر من اسماعيل بن جعفر (الصادق)<sup>(٢٢٠)</sup> . ويوحى نظام لمؤلف (كتب في العام ١٠٩٢/٤٨٥) بأن أبي طاهر قد طلبه من الدعاء<sup>(٢٢١)</sup> . وورد اسمه أبي نقاسم لقيرواني عند محمد بن الحسن الديلمي اليميني (كتب عام ١٣٠٨/٧٠٧) على أنه مؤلف العمل أيضاً ، ومنه اقتبس باستفاضة تحت عنوان « البلاغ الأكبر »<sup>(٢٢٢)</sup> . أما الإمام زبيدي بن المرتضى (ت ١٤٣٧/٨٤٠) فيقول إن أبا القاسم القيرواني هو من كان بعث به إلى شخص يقرب اسمه من وصيف المحمدي<sup>(٢٢٣)</sup> .

ويذكر أبو المظفر عماد الدين طاهر الاسفرائيني (ت ١٠٧٨/٤٧١) العمل دون تسمية عنوانه ، ربما جريباً على ماورد عند البغدادى<sup>(٢٢٤)</sup> . ويقتبس ابن الجوزي (ت ٥٩٧/١٢٠٠) نبذة تتعلق بتعليمات للدعاة دون تسمية عنوان الكتاب<sup>(٢٢٥)</sup> . أما رجل الدين سيف الدين علي الأمدي (ت ١٢٣٣/٦٣١) فإنه على علم بالعنوان على أقل تقدير<sup>(٢٢٦)</sup> وذكر بن تيمية أيضاً (ت ١٣٢٨/٧٢٨) عند عرضه لرأيه الفقهي بخصوص النصيرية<sup>(٢٢٧)</sup> وكذلك فإن المؤرخ المتأخر عماد الدين بن كثير قد عرفه من خلال نقض الباقلائي له ، وحاول معرفة القاضي الفاطمي كاتبه المزعوم . وهو يعتقد أن القاضي المذكور هو القاضي عبد العزيز صهر جوهر ، فاتح مصر<sup>(٢٢٨)</sup> . ويعني بذلك عبد العزيز بن محمد بن انعمان ، حفيد القاضي المشهور الذي عمل في ظل المنصور والمعز الفاطميين ، ومؤلف أكثر كتب الاسماعيليين الفقهية شهرة . لكن عبد العزيز لم يكن قد ولد إلا في العام ٩٦٦/٣٥٥ ، وحاول بن حجر العسقلاني تصويب ابن كثير ، فيقول إن الكتاب من تأليف كل من عبيد الله بن عبد العزيز ، والنعمان ، جده<sup>(٢٢٩)</sup> .

أما لتراث الاسماعيليين فيبدو ، على كل حال ، أنه قد عرف هذا العمل بصيغة مجردة من خلال الأعمال المرآتية للأضداد . وينكر حميد الدين الكرمانى ، وهو مؤلف ومفسر له أهمية عند الاسماعيليين الفاطميين (ت قرابة ١٠٢٠/٤١١) ، ينكر في رسالته المعروفة

باسم «الرسالة الكافية في الرد على الهاروني الحسني» ، أن يكون هذا العمل من أدب جماعته . وهو ينصح معارضة ، الإمام الزيدي أبي الحسين المؤيد بالله أحمد بن الحسين بن هارون البطحاني الديلمي (ت ٤١١ / ١٠٢٠) ، وهو الذي عزز اتهاماته للاسماعيليين على أساس من قوة ماجاء في «البلاغ الأكبر» ، بقراءة كتب اسماعيلية موثوقة معروفة بشكل جيد (٢٢٠) .

وسبق لكارل بيكر أن رأى نزويراً سيئ الطريقة في العمل كما اقتبس أخو محسن (٢٢١) . وإن التفاصيل التي وردت عند كل من الديلمي والبغدادى تثبت ذلك بشكل كامل . ويبدو من غير المعقول تقبل قيام تعاليم دين ما بالاعتماد على مثل هذه الأمور المستخفة ، والعقيدة المنسوبة الى الاسماعيليين هنا هي تشويه متعمد ، ولو أن هذا التشويه قد بني على قدر هام من المعرفة يظهر في المحاولات المتكررة لإثبات أنهم ينتمون الى الدهرية الذين ينظرون الى العالم المادي على أنه غير مخلوق (٢٢٢) .

أما المقرئ الذي كثيراً ما استخدم أخا محسن دون الإقرار بمصدره هذا عادة ، فإنه لم يقتبس تعليقه على رسالة التهديد التي كتبها المعز (٢٢٣) . وبدلاً من ذلك ، فإنه يضيف الى ماحكاه حول هجوم القرامطة على مصر الاقتباس التالي الذي نقله عن أحد معاصريه الذي ربما كان رجل القلم الشهير والقاضي أبو الحسن المحسن التنوخي (ت ٢٨٤ / ٩٩٤) : « كل ذلك بعد أن كان القرامطة قد تفاخروا بالمهدي وجعلوا الناس يعتقدون أنه كان صاحب المغرب وأن دعوتهم كانت باسمه . وقد تبادلوا الرسائل مع الإمام المنصور اسماعيل بن محمد القائم بن عبيد الله المهدي وكشفوا لأكابر أصدقائهم أنهم ينتمون الى تابعيته (٢٢٥) ، حتى اتضحت كذبتهم من خلال الحرب التي شنتها القائد جوهر عليهم» .

غير أن هذا الحكم يجب أن يفهم بالمقابلة مع خلفية الحالة الظاهرة . فالقرامطة الذين كانوا قد أظهروا أنفسهم حتى تلك الآونة على أنهم أتباع المهدي ، تبنا علناً وبشكل مناجىء ، قضية الخلافة العباسية . وشكلوا القوة المقاتلة الوحيدة المؤثرة في مقاومة المزيدي من التقدم الفاطمي باتجاه الشرق . ولعنوا الفاطميين من على المنابر على الرغم من زعم هؤلاء بأنهم يمثلون المهدي (٢٢٦) . فمن خلال خطبهم وأحاديثهم حول المهدي ، راح بعض الناس ينظر اليهم على أنهم نواباً تابعين للفاطميين . وصار المراقب في تلك الآونة يستنتج من انتمائهم ذاك أنهم كانوا قد كذبوا في السابق من أجل قيادة العالم نحو طريق الفضل (٢٢٧) . وكبرهان على ذلك ، لم يكن باستطاعته تقديم سوى الرسائل المتبادلة مع

منصور<sup>(٢٣٨)</sup> ، وهي التي لم يذكر لنا مع الأسف محتوياتها ، إضافة الى بعض الإشاعات  
لندمضة

وتكمن الصعوبة الحقيقية في تقييم حركة القرامطة في البحرين في ندرة المصادر التي  
تشهد على مذهبهم . ففي حين كان الأدب الديني المحفوظ للفاطميين غنياً جداً ووصفاً من  
خلال بقاء أتباع الجماعة على قيد الحياة ، نجد أنه على المؤرخ الاعتماد في ما يتعلق بآراء  
القرامطة ووجهات نظرهم اعتماداً كلياً على نصوص معارضيتهم من السنة . وقد عامل هؤلاء  
لمعارضون جميع الباطنية ، على كل حال ، على أنهم وحدة واحدة ونادراً ما كلفوا أنفسهم ،  
خلال حماسهم المعادية ، مشقة التمييز بين ماهو ظاهرة محدودة زمانياً وأخرى محدودة  
مكناً . وقد تعزز هذا الأسلوب بالسرية الدقيقة التي غف بها الباطنيون أنفسهم جزءاً من  
عقيدتهم إضافة الى تاريخهم المبكر .

وهكذا ، فإننا لانجد سوى تقارير قليلة جداً تشير الى مذهب قرامطة البحرين بشكل  
محدد . وتفيد هذه التقارير أن توقع الظهور الوشيك للمهدي لعب دوراً هاماً في عقيدتهم ،  
وكذلك إن ظهور الفاطميين لم يحقق ماكانوا ينتظرون .

وفي العام ٩٢٨/٣١٦ انضم شاب فارسي من أصفهان ، تظاهر بأنه سنبل منوك فارس ،  
لى قرمصة البحرين<sup>(٢٣٩)</sup> . وفي رمضان من العام ٣١٩ / أيلول ٩٣١ ، قام أبو طاهر بتسليم  
سبسته لحكومة الى الشاب ، فأمضى فترة قصيرة مارس فيها سلطات مطلقة ، حيث أمر  
ببشع أنواع القذائع وقتل عدداً من كبار أصحاب النفوذ<sup>(٢٤٠)</sup> وقام دغوويه بترجمة مختلف  
تقارير متعلقة بهذه الأحداث والتعليق عليها<sup>(٢٤١)</sup> وتفسيره أن النبي المزعوم هذا قد دل ما  
دل من . سلطنة والقوة لأنه ادعى أنه مبعوث عبيد الله<sup>(٢٤٢)</sup> ، هو تفسير غير مقبول ، بر تم  
رفضه في الاستقصاءات الأكثر حداثة<sup>(٢٤٣)</sup> كما أنه لا يتفق مع تقرير المسعودي بأن الأصفهاني  
سبق له أن أمضى عدة سنوات مع القرامطة .

وعجيب ذلك التفسير الذي يرد في أحد التقارير والقائل بأن ابن سنبل كان قد سخن  
لأصفهاني بعض الأسرار التي كان أبو طاهر قد إلتصمه عليها وحده ، ووجهه قائلاً : « اذهب  
الى أبي طاهر وقل له أنك الرجل الذي الى ولايته وولاية آباه دعا الناس ، فإذا ما سألت عن  
شذرت وبراهين ، فاكشف له تلك الأسرار » . ولما لم يكن لدى أبي طاهر أدنى شك بصحة  
تلك الإشارات أعلن على أتباعه : « هذا هو الرجل الذي دعوتكم لاتباعه ، واليه يعود  
الأمر »<sup>(٢٤٤)</sup> .

وما هو مثير للاهتمام على نحو خاص ، ويغفل النظر عن بعض التفاصيل التي يصعب

لإعتماد عليها ، ذلك التقرير لشاهد عيان هو الطبيب ابن حمدان ، الذي أضافه أبو رزم لي وصفه لتلك الحادثة . وهنا نجد ذكراً أيضاً لإشارة من خلالها تمكن ذلك الأصفهاني من تضليل أبي طاهر وأخوته وجعلهم يعتقدون أنه هو المنتظر<sup>(٢١٥)</sup> . عندئذ سارع أبو صهر الى إعلان على أتباعه أنهم كانوا حمقى حتى ذلك اليوم . فقد بعث الله بذلك الشب لندرسى رحمة منه إليهم . إنه رب أبي طاهر وربهم ، وهم جميعاً عبيده . واليه تعود السيادة عليهم ، وهو مالكهم جميعاً . ثم أخذوا التراب وحققوا به شعورهم . وعند ذلك وقف أبو طاهر وصرخ قائلاً : « اعلمو يا جماعة الناس أن الدين منذ ذلك اليوم قد ظهر . إنه دين أبي آدم ، وإن كل ما كنا نعتقده كان مزيفاً . وإن كل الأشياء التي أسمعكم إياها الرسل والحدث عنها موسى وعيسى ومحمد كانت بهتاناً وخداعاً . والدين [الحق] هو دين آدم<sup>(٢١٦)</sup> . وإن جميع هؤلاء كانوا دجالين ، فآلعنوهم » . فسارع الناس الى لعنهم بمن فيهم ابراهيم ومحمد ، وحتى علي وسلالته<sup>(٢١٧)</sup> .

ومن الواضح هنا أن الميول التناقضية التي كانت منذ البداية تميز ضمناً جزءاً رئيسياً من الحركة الاسماعيلية ، قد أدت الى انعطاف خطير ، فالمشروعون والأنبياء قد تمت دلتهم بلا موارد . والدين الحقيقي هو دين آدم الذي لم تكن له شريعة . وبذلك تم حيوة في تلك الفترة على يدي ذلك المنتظر المتحول الى إله . فالإصلاح الذي جاء به الأصفهاني تكون من إلغاء الشرائع الدينية بشكل أساسي . فإلى هذا الحد بالتأكيد يمكن الوثوق بأقوال ابن حمدان .

وبناء على هذا التقرير ، تبدو رواية عبد الجبار بحاجة الى تصحيحات معينة<sup>(٢١٨)</sup> . وطبقاً له ، فإن أبا طاهر كان قد أوضح لأتباعه أن العقائد التي كانت قد نشرت لهم حول محمد ثم حول علي واسماعيل بن جعفر ومحمد بن اسماعيل كانت كلها هراء . وكان ذنب سرّاً احتفظ به هو وأسلافه لمدة ستين عاماً ، وكانوا في تلك الفترة يذيعونه على لسانهم . ومرضهم أبو طاهر بلعن « الكذابين » ، وهم الأنبياء تحديداً ، ومنهم آدم ، كما أمر دعاته بكشف أسرارهم . ولهذا جرى تدوين مكائد عبد الله بن ميمون بن محمد بن لحسين<sup>(٢١٩)</sup> ، كما وردت في كتب ابن رزام وشخص يقرب اسمه من عطية وفي كتب غيرهما من العلماء .

فإذا ما أخذنا هذه الرواية بحذ ذاتها ، فمن الممكن الاستنتاج مع برنارد سويس<sup>(٢٢٠)</sup> أن انفصلاً كان قد وقع عن الفاطميين الذين شتهر بهم على أنهم سلالة عبد الله بن ميمون بعينه . إلا أن عبد الجبار ، مع ذلك ، هو مصدر من درجة ثانوية تجعل من الصعب الوثوق به



دون تحفظ . كما يظهر واضحاً من خلال مقارنة نصوصه مع تلك التي لابن حمدان ، ' أحد  
مصدره عن طريق ابن رزّام<sup>(٢٥١)</sup> . وليس من المؤكد أن الكشف عن «مكائد عبد سه بن  
ميمون بن محمد بن الحسين» ونشرها على الصلأ قد تمّ في ذلك الوقت تحديداً<sup>(٢٥٢)</sup>  
وإشبه ، الأهم هو أن الأصفهاني دان بنجاحه الى توقع ظهور المهدي الذي سبق لقرمطة  
لبحرين الاعتقاد به قبل ظهوره بفترة طويلة ، وبغض النظر عن ادعاء الفاطميين لهذا  
المنقب .

وبإمكان مناقشة جانب آخر من هذه الحادثة هنا بإيجاز . فالمهدي المزيف كن  
فرسياً ، وسليل ملوك الفرس طبقاً للمسعودي . ومن الموضوعات المفضلة للكتبات  
المرئية للمعادية للاسماعيليين ، كان موضوع أن الدافع والمحرض لمؤسس الحركة  
لاسماعيلية هو التآمر على الاسلام وعلى حكم العرب من أجل إعادة تأسيس حكم لفرس  
وسيطرة عقيدتهم . وأكثر ما يشير الكتاب المراءون الى محمد بن الحسين دندان ، لذي  
يوصف بأنه شعوبي متعصب ومبغض للعرب . وقد زعم ، طبقاً لابن رزّام<sup>(٢٥٣)</sup> أنه اكتشف في  
منجوم أن سيطرة الاسلام ستستبدل بسيطرة الفرس وسيطرة دينهم وذلك أثناء فترة الإقتران  
الثامنة للنجوم ، بسبب الانتقال (أو بعده) من مثلثات كوكبة العقرب ، رمز الاسلام ، الى  
برج القوس ، رمز الدين الفارسي . وقد ورد ذكر تكهن مماثل عند البيروني والبغدادى له  
علاقة بالمعتقد القرمطي . فقد جرى التنبؤ بأن الفرس سيستعيدون سيطرتهم في الإقتران  
ثامن عشر بعد ولادة محمد .

وليس لهذه الإتهامات المرائية مصداقية خاصة في ما يتعلق بالحركة الاسماعيلية  
عموماً . إذ لا نجد في المعتقد الفاطمي تردد صدى لميول شعوبية ، وهذا الأمر صحيح  
بالنسبة الى معتقد حمدان قرمط وعبدان على مبلغ علمنا ، وهكذا يكون قرامطة البحرين قد  
تجهوا في درجتهم الخاصة<sup>(٢٥٥)</sup> .

وهذا انعكاس لتوقع ظهور المهدي في شعر لأبي طاهر أيضاً ، وصلتنا مجتزأة  
منه<sup>(٢٥٦)</sup> وفيه يحذر سكان العراق من التعلق بأمال كاذبة بسبب انسحابه وتراجعته الى هجر .  
إذ أنه سيعود ويلحق بهم الهزيمة تلو الأخرى ويذبحهم دون شفقة . ثم يسمي نفسه  
شخص لذي يدعو الى طاعة المهدي . فهل كان يعني بذلك عبيد الله ، كما افترضه  
شرف وحسن ابراهيم حسن؟<sup>(٢٥٧)</sup> وهما لا يقتبسان ، على نحو مميّز ، فقرة أخرى يعين أبو  
مدهر فيها أنه سيعيش حتى مقدم عيسى بن مريم . ولذلك لا نكاد نجد أدنى شك بأنه كن  
يعني ظهور المهدي المنتظر<sup>(٢٥٨)</sup> .

وقد وضع دوغانويه بحذر تاريخ هذا الشعر في العام ٩٣١/٣١٩ ، أي بعد تراجع أبي طاهر صوفي عن لكوفة . ومن سوء الحظ أن القصيدة ذات المحتوى التنجيمي ، وهي التي قام بتحليلها بالتفصيل ودفعته إلى إجراء استقصاء قيم حول أهمية التنبؤ بالنجوم بالنسبة إلى الفاطميين ولقرامطة ، قد وصلت إلينا بصور مختلفة ، ولا يمكن تفسيرها بشكل جلي<sup>(٢٥١)</sup> . بينما من الممكن لاستنتاج من المجتزئات الشعرية التي نقدها الذهبي بأن أبا طاهر قد قصد لإسحاب بعد قتال سنة ٣١٦هـ/ أيلول ٩٢٨م . فذكر في أربعة أبيات شعرية تفاصيل حملاته في تلك السنة ، واستيلائه على الأنبار ، وتقديمه نحو عرقوف<sup>(٢٥٢)</sup> التي لم تكن تبعد عن بغداد سوى مسير أربع ساعات . والإطار الذي وصلنا به هذا الشعر من قبل البيروني ونبغدي يشير إلى النتيجة ذاتها .

وعلى أية حال ، فقد كان قرابة ذلك الوقت أن وطّد توقع المهدي نفسه متحولاً إلى اعتقاد جازم بأن ظهوره بات وشيكاً . وهكذا كتب البيروني يقول : « وكان القرامطة... قبل ظهور هذا الغلام [الأصفهاني] قد تعاهدوا في ما بينهم على أن قدوم المنتظر سيكون في فترة الاقتران السابعة للمثلثات النارية<sup>(٢٥٣)</sup> ثم يقتبس شعر أبي طاهر شاهداً على هذا الكلام . وحدث الاقتران المشار إليه في العام ٩٢٨/٣١٦<sup>(٢٥٤)</sup> . وورد الشيء ذاته عند نبغدي ، الذي أضاف أن أبا طاهر قد انطلق من الإحصاء يحمله إصراره على هذا الزعم ، فأوقع بالحجاج واجتاح مكة في نهاية الأمر<sup>(٢٥٥)</sup> . وقوله إن أبا طاهر كان قد بعث بلشعر إلى المسلمين إثر هزيمة لا يمكن أن يشير آنئذ إلا إلى انسحاب سنة ٩٢٨/٣١٦ ، وليس إلى تسليمه الطوعي للكوفة سنة ٩٣١/٣١٩ . أخيراً يضيف عبد الجبار<sup>(٢٥٦)</sup> في وصفه لانتهاج البصرة والكوفة في عامي ٩٢٣/٣١١ و ٩٢٥/٣١٢ قوله<sup>(٢٥٧)</sup> : « وقلت الشيعة... إن أبا طاهر بن أبي سعيد هو ولي الله وهو حجة الله وخليفة المهدي ، الذي سيظهر في البحرين قريباً . وإن أبا طاهر هو خليفته الذي سيفوز لأرض باسمه ، وإن حكمه (أي حكم المهدي) سيكون في البحرين . ثم انطلقت جماعة كبيرة من سكّان لكوفة وجوارها قائلين : لنهاجر إلى أرض المهدي قبل ظهوره ، وجلبوا معهم [إلى البحرين] أمتعتهم وقطعائهم وعائلاتهم .

ويُمنَح لمسعودي في كتابه «التنبيه» أنى أن أسباباً معينة ، واضح أنها كانت من نوع خاص ، كانت وراء انسحاب أبي طاهر وتراجعته سنة ٩٢٨/٣١٦ ، وأنه قد ذكر هذه لأسباب في مكان آخر<sup>(٢٥٨)</sup> . غير أن تلك الفقرة لم تعد موجودة مع الأسف . لكن ليس من المستبعد أن تكون تلك الأسباب هي بالضبط الحقيقة القائلة بأن المهدي كان سيظهر آنئذ

في لبحرين . وللتقرير الذي أورده ابن الجوزي أهمية خاصة في هذا المجال<sup>(٢٦٨)</sup> : « وبعد عودة أبي طاهر القرمطي الى بلاده ، قام ببناء دار أطلق عليها (دار الهجرة)<sup>(٢٦٩)</sup> ، ودعا الى المهدي<sup>(٢٧٠)</sup> ، وأخذوا أمره بجديّة وازداد عدد مواليه ، وشعر بالإغراء لمهاجمة الكوفة . وفرّ جبة الضرائب من السواد وغزا أتباعه القرى وقتلوا ونهبوا . وما يمكن تجميعه من قول لاحقة ، هو أنه كان يعني بالاتباع جماعة من القرامطة في جوار الكوفة عرفتهم ككتاب الأخبار تحت اسم « الباقلية »<sup>(٢٧١)</sup> . وكان هؤلاء قد مكثوا هادئين حتى تلك الفترة . وفي الوقت الذي كان فيه أبو طاهر في سورية<sup>(٢٧٢)</sup> تجمعوا في دار الهجرة ودعوا جميع السكّان الى تبعهم<sup>(٢٧٣)</sup> ، ونقل عنهم أنهم قد دعوا الى المهدي أيضاً<sup>(٢٧٤)</sup> . غير أنه تم سحق هذه لثورة على وجه السرعة على أيدي جنود الخليفة .

وبما أن دوغويه ينظر الى قرامطة منطقة الكوفة ، وهي ميدان الصراع السابق لحمد ن قرمص وعبدان ، على أنهم أتباع عبيد الله<sup>(٢٧٥)</sup> ، فإنه يحق لنا الدخول بإيجاز في لرويات متناثرة الى حد ما بخصوص الحركة الاسماعيلية في العراق بعد وفاة زكرويه . ينقش نحو محسن أن جماعة من القرامطة اعتقدت ، في أعقاب اختفاء أبي حاتم الزمطي ، بأن زكرويه كان ما يزال حياً . لكن جماعة أخرى قالت : « إن حجة الله هو محمد بن اسماعيل<sup>(٢٧٦)</sup> » . ولم يعد هناك أية تقارير عن اتباع زكرويه بعد ذلك . ومنذ سنة ٩٢٥/٣١٢ وفيما بعد ذلك ، تعلم أن رجلاً ظهر قرب الكوفة وتظاهر بأنه محمد بن اسماعيل . وكان قادراً على جمع عدد غفير حوله من الأعراب وسكّان السواد . وعندما تحول الأمر وأخذ منحى جدياً في شوال ٣١٢ / كانون ثاني ٩٢٥ ، سار اليه جيش من بغداد . وانهزم وقتل الكثير من مواليه<sup>(٢٧٧)</sup> .

وفي بغداد قام الوزير أبو القاسم الخاقاني قرابة ذلك الوقت بتتبع أولئك السكّان من مدينة الذين اتهموا بمكاتبة أبي طاهر أو بأنهم من أتباع المذهب الاسماعيلي . وقد وصل اليه خبر داعية للمعتقد القرمطي يدعى الكعكي ، ومع أن الأخير تمكّن من تفادي لاعتقال . لا أنهم وجدوا في بيته نائبه وعدداً قليلاً من التلاميذ . وعلم المقتدر أن الشيعة عدة ما يجتمعون في مسجد براء<sup>(٢٧٨)</sup> ويلعنون « صحابة النبي » . وفي صفر من عام ٩٢٥/٣١٣ ، تمّ لقبض أثناء صلاة الجمعة على ثلاثين رجلاً هناك ممن أعلنوا براءتهم من أولئك الذين عترفوا بالمقتدر إماماً لهم ، ووضعوا رهن الإعتقال . وعندما فتشواهم وجدوا معهم أختماً من صين أبيض<sup>(٢٧٩)</sup> ختم لهم بها الكعكي وعليها نقش : محمد بن اسماعيل ، الامام - المهدي ، صاحب الله ، ثم جعل الخاقاني الفقهاء يصدرون فتوى بأن المسجد كان مأوى للآذى

ولشرك والإزعاج للمسلمين . وشهد بأنه سيكون مقراً لدعاة القرامطة ما لم يتم تدميره . عندئذ أمر المقتدر بتدميره (٢٨٠) .

إن هذا التقرير يذكر ارتباطات مع أبي طاهر وحسب ، وليس مع الفاطميين ، وسمى لمتبردون محمد بن اسماعيل إماماً - مهدياً لهم ، وليس عبيد الله . وعندما تم العثور على أحد أتباع الفاطميين بعد ذلك بسنتين حدثت رجّة أيضاً . وهكذا فإن كل شيء يشير إلى أن غاشية الاسماعيليين في العراق تعاونوا بشكل وثيق مع قرامطة البحرين ورفضوا إمامة الفاطميين .

وبهزيمة الباقلية الثانيين ، انضم بعضهم إلى أبي طاهر أثناء انسحابه من هيت إلى البحرين . وقد عُرفوا في جيشه باسم العجميون (٢٨١) وكانوا لا يزالون في البحرين عند بداية حكم المزيّف (٢٨٢) غير أن مسيرة الأحداث والنهائية المساوية التي أعقبت ذلك أدت إلى تركهم للمكان . كما انتفض العديد من قادة القرامطة (٢٨٣) ومن هؤلاء أبو الفياث بن عبده من قبيلة عجل (٢٨٤) الذي قيل إنه كان قائداً لـ (٣٠٠٠) رجل ، وأنه شارك في انتفاضة بباقية (٢٨٥) . وخلال العقود التالية كثيراً ماورد ذكر القرامطة من خلال كونهم في خدمة الحكام والقادة السنة . ويشير عريب ، الذي يؤكد على العواقب المدمرة لحادثة الفارسي على القرامطة وشؤونهم في البحرين (٢٨٦) يشير لأول مرة ، وفي حادثة شاذة كما هو واضح ، إلى سبعين قرمطياً من ذوي الرتب في خدمة مؤنس سنة ٩٣٢/٣٢٠ (٢٨٧) . أما بعد ذلك ، فلم يعد مثل هذا الأمر شيئاً غريباً . وحول أصول هؤلاء القرامطة ، لانجد أي ذكر لذلك في أي مكان . ويبدو أشبه مايكون أنهم كانوا من أفراد قبائل قرمطية عربية من لعرق الذين أجبروا أنفسهم إلى سادة من السنة عقب هزائهم الشديدة وأزمتهم العقائدية .

وكان أبو القاسم عيسى بن موسى ، ابن شقيق عبدان ، أحد قادة انتفاضة لباقية ذي رجب به في السجن ، وتمكن من الهرب أثناء الاضطرابات التي وقعت قرابة نهاية حكم المقتدر (٩٣٢/٣٢٠) .

وأقام في بغداد حيث تمكن من كسب مستجيبين لمعتقده . وبما أنه شتم بنسخ اكتب لعمه (٨٨) ، كما قيل ، فمن الممكن الافتراض أنه قد واصل التبشير بإمامة محمد بن اسماعيل . فكان معارضاً للفاطميين ولقرامطة البحرين كليهما في تلك الفترة . وطبقاً لعبد الجبّر ، فإن ولده أبا طالب ومن «هم على شاكلته» قاموا بلعن أبي طاهر بمررة كنم ورد ذكر زلته وسقطته (٢٨٨) وكانت مدرسة عيسى لاتزال قائمة في الوقت الذي كن فيه أخو محسن ينجز كتاباته (٩٠) .

وبعد ذلك ، لفاصل القصير مع الأصفهاني ، عاد قرامطة البحرين وانقلبوا الى معتقدهم لتقديم بخصوص المقدم المستقبلي للمهدي . فمما لاشك فيه أن التقارير الخاصة بتاريخهم ، لاحق تشير ، حيثما ورد ذكر للمهدي ، الى ذلك المنتظر وليس بالأحرى الى الفاطميين . ويروي عبد الجبار أن أبا طاهر حاول في تلك الفترة جمع بعض من غنائم جنوده للمهدي ، كما كن يفعل سابقاً ، لكنه لم يلق منهم سوى الإهانات<sup>(٢٩١)</sup> . وكما سلفت الإشارة ، فإن الخمس ، سبقاً لابن حوقل ، كان يخصص «لصاحب الزمان» ، وأن المقدسي قد ذكر كنزاً للمهدي في لإحساء ، وهناك تقارير تفيد أن علويّاً يدعى عبد الله بن عبيد الله بن طاهر ، لمعروف باسم أخي مسلم ، كان قد سعى في أعقاب وفاة كافور الى تحقيق اعتراف به مهدياً بين عوييين . وعندما فشل في تحقيق أي نجاح انضم الى انقراطة وشارك في حربهم ضد المعز<sup>(٢٩٢)</sup> . لكن يظهر أنهم لم يعترفوا بدورهم به . ويروي ناصر خسرو بعد قرن من الزمن أن قرامطة لبحرين كانوا يتوقعون عودة الشريف أبي سعيد الذي كان هو نفسه قد وعده بذلك<sup>(٢٩٣)</sup> . فهل كان حقيقة يدرك ذلك كله بشكل صحيح ؟

وهذا وثيقة هامة للمناقشة رأى فيها دوغويه ، وكان محقاً في ذلك ، دليلاً واضحاً على نضريته نقائمة بأن القرامطة حافظوا على ولائهم للفاطميين حتى العام ٩٦٩/٣٥٨<sup>(٢٩٤)</sup> . ونعني بذلك رسالة التي كتبها المعز الى الحسن الأعصم عقب وصول الأول الى القاهرة في رمضان ٣٦٢/٩٧٣ . وصحة هذه الوثيقة تكاد تكون غير قابلة للمناقشة<sup>(٢٩٥)</sup> . وهي تتفق من حيث الشكل مع ما كتبه المعز من رسائل أخرى . والعقائد التي جرى توضيحها فيها تقع ضمن إطار ما هو معروف في الكتابات الفاطمية الأخرى . وواضح أن الرسالة أذيعت على الجمهور لأغراض دعائية من قبل المتلقي وذلك بعد وصولها بفترة قصيرة . وهكذا يروي عبد الجبار قائلًا : «وقرأ الحسن... رسالته [أي رسالة المعز] على الناس وبين بهذه الوساطة زيف عقيدته وأكاذيبه»<sup>(٢٩٦)</sup> .

وهذا هو سبب معرفة ثابت بن سنان بها ونقله لها منذ ٩٧٤/٣٦٣<sup>(٢٩٧)</sup> . وبعد ذلك بسنوات قليلة ، قام أخو محسن بتدوينها كاملة في تاريخه عن القرامطة حيث تم حفظها في أكمل صورة لها<sup>(٢٩٨)</sup> .

وتبدأ رسالة المعز بمقدمة طويلة حول طبيعة الأنبياء وطبيعة نوابهم الأئمة . لقد خفينا له أشباحاً قبل خلق العالم ، وسلحنا بالقوة<sup>(٢٩٩)</sup> . وأشياء العالم كافة ، من الأفلاك السماوية وحتى أقصى ما يكون داخل الأنفس ، هي لنا ومن أجلنا وتشير إلينا<sup>(٣٠٠)</sup> . فتم يبعث برسول ونم يظهر وصي إلا وكان يشير إلينا<sup>(٣٠١)</sup> «نحن كلمات الله الأزلية ، وأسماءه التامات ،

وانواره الشعشعانيات ، واعلامه النيرات ، ومصابحه البينات ، وبدائعه المنشآت ، وآياته الباهرات ، وأقداره النافذات ، لا يخرج منا أمر ، ولا يخلو منا عصر» (٢٠١) .

وكان المعز قد وصل الى مصر على قدر مقدور ووقت مذكور : «نحن لانرفع قدماً ولا نضعها إلا بعلم موضوع ، وحكم مجموع ، وأجل معلوم ، وأمر قد سبق وقضاء قد تحقق» (٢٠٢) .

ثم يتوجه المعز الى الحسن ، ويسميه بالفادر الخائن ، والناكث البائن عن هدي آباءه وأجداده ، المنسلخ عن دين اسلافه وأنداده ، والموقد لنار الفتنة . غير أن أمره لم يخف على المعز : «فمرنا على أي رأي أصلت وأي طريق سلكت ، أما كان لك بجذك أبي سعيد أسوة ، ويميل أبي طاهر قدوة ؟ أما نظرت في كتبهم وأخبارهم ولا قرأت وصاياهم وأشعارهم ؟ أكننت غائباً عن ديارهم وما كان من آثارهم ؟ ألم تعلم أنهم كانوا عباداً» (٢٠٣) لنا أولي بأس شديد وعزم شديد وأمر رشيد وفعل حميد ، يفيض اليهم موادنا ، وينشر عليهم بركاتنا ، حتى ظهوروا على الأعمال ودان لهم كل أمير ووال ، ولقبوا بالسادسة فسادوا ، منحة منا واسماً من أسمائنا» (٢٠٤) وخضعت لهيبتهم الأعناق ، وخيف منهم الفساد والعناد ، وأن يكونوا لبني العباس أصدقاء فلم يلحقهم جيش إلا كسروه ، وألحظنا ترمقهم ، ونظرنا يدهقهم ، كما قال الله جل وعز : «إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا» (٢٠٥) . فلم يزل ذلك دأبهم (٢٠٦) ، وعين الله ترمقهم ، الى أن اختاره لهم ما اختاروه من نقلهم من دار الفناء الى دار البقاء ، ومن نعم يزول الى نعم لا يزول ، فعاشوا محمودين ، وانتقلوا مفقودين ، الى روح وريحان وجنات النعيم فطوى لهم وحسن مأب» (٢٠٧) .

ثم يتابع المعز متوجهاً الى الحسن باللوم والتحذير والتهديد . وتعرض الرسالة في مجملها بوضوح غرضها السياسي الجوهري . إنها لا تكشف أية أسرار ، لكن المعارض سيصدم بالجدل الذي يترك أعماق الأثر في نفسه . إن مجمل عقيدة القرامطة كانت تحت سيطرة المهدي الذي يحكم العالم ، وكذلك وصف المعز نفسه وقدرته المطلقة وقدرة آباءه بالوان زاهية (٢٠٨) لقد تمتع كل من أبي سعيد وأبي طاهر بأرفع الشرف كمؤسسين لدولة القرامطة ولمركزها القوي ، ولهذا السبب يحاول المعز توجيه اللوم الى الحسن بسبب خيائته لمعتد آباءه . إذ يدين هؤلاء الآباء بنجاحهم الى أفضال الفاطميين عليهم حصراً ، وأن عقاباً فظيماً كان بانتظار الحسن .

ولو أن أبا سعيد وأبا طاهر كانا فعلاً أتباعاً بمثل تلك الدرجة من الولاء للفاطميين ، فلماذا ؟ كان المعز يحاول إثبات ذلك بمثل تلك الكلمات العديدة الغامضة ؟ وهو بالتأكيد

لايستطيع لافتراض بأن الحسن لم يكن على علم بأفعالهما ، ولا بكتابتهما وأشعارهما ، وإن  
لأسنة التي يطرحها هنا هي من قبيل البلاغة في الأسلوب وحسب . ومن جهة أخرى ، فإن  
الإشارة لى أعمالهما تتضمن بوضوح أنها اشتملت على برهان جلي على ولاء أبي سعيد  
وأبي طاهر . لكن كتاب الأخبار القداماء والمعادين الذين كانوا على معرفة جيدة في بعض  
الأحيان بشؤون الداخلية للقرامطة ، لم يجدوا معلومات محسوسة يقدمونها بخصوص هذا  
الموضوع<sup>(٣١٠)</sup> ، بينما يرددون ذكر المهدي المنتظر في تقاريرهم مرة بعد أخرى ، ولهذا  
يبدو أن المعز كان يفعل ما كان يستهوي انكثير من المراقبين الذين سبقوه وتلوه نقيم  
به . وقد صبق خطب أبي سعيد وولده وتنبؤاتهما حول المهدي على الفاطميين . وما كن  
يدركه بلا شك هو استراتيجيته القائمة على التحريف وحسب .

وهذا نتحرك ليس بلا معنى الى هذه الدرجة كما قد يبدو لأول وهلة... فالمعتقد  
القرمصي كن يصّر منذ بداياته على أن قدوم المنتظر كان وشيكاً . بل ذهب الإعتقاد بهم  
لى لزعم بأن الموعد المحدد يمكن قراءته في النجوم . وكان هذا الإعتقاد ثابتاً الى درجة  
قد معه لى الخيبة المريرة مع الأصفهاني التي هزت الى الأساس نظام الدولة في البحرين .  
وحتى في تلك الفترة ، فإن أمل القرامطة كان موجّهاً نحو تحقيق توقّعاتهم . فلماذا لا يتم  
كسبهم لى جانب دعوى الفاطميين ؟ وبالنسبة إلى المعز ، فإن ذلك كان سيعني زيادة  
عظيمة في لقوة ، التي ربّما كانت تحقّق له أكثر رغباته إلحاحاً ، ألا وهي الإطاحة بالخلافة  
العبّاسية<sup>(٣١١)</sup> .

ومن أجل كسب القرامطة الى جانبه ، كان على المعز تجنب توجيه تهمة الكذب لى  
رفع معنيتهم ومؤسسي دولتهم قدراً واحتراماً . ولهذا حاول إثبات أنهم في حقيقة لأمر  
كنو في خدمة الفاطميين . غير أن مجرى الأحداث يظهر أنه قد فشل في ذلك .

## الحواشي

- ١ - ابن كثير - البداية والنهاية (القاهرة ، ١٩٢٢ - ١٩٢٩) ، م ١ ، ص ٢٤٦ ، «يظهرون الرفس ويمطنون الكفر المصحف» . وترددت هذه العبارة عند آخرين مثل : ابن الجوزي ، المنتظم (حيدر آباد ، ١٩٢٨) ، م ٥ ، ص ١١٥ ، القزويني ، مفيد العلوم (القاهرة ، ١٨٩٢) ، ص ٣٧ .
- ٢ - ذي خويه ، دراسة لقرامطة البحرين والفاطميين (ط ٢ ، لندن ، ١٨٨٦) ، ص ٦٩ ، ونشر إليه من الآن فصاعداً باسم «قرامطة» .
- ٣ - قرامطة ، ص ٨٢ - ٨٣ .
- ٤ - المصدر السابق ، ص ١٨٥ .
- ٥ - المصدر السابق ، ص ١٩٤ - ١٩٥ .
- ٦ - برنارد لويس ، أصول الاسماعيلية (كامبردج ، ١٩٤٠) ، ص ٧٦ وما بعدها .
- ٧ - سمي كذلك نسبة الى محمد بن الحنفية .
- ٨ - اقترح وجهة نظر أن القرامطة لم يكونوا من الاسماعيلية . انظر مقالة بول كازانوالا في مجلة BIFAO ، ١٨ ، (١٩٢١) ، ص ١٢١ - ١٦٥ .
- ٩ - ايلانوف ، «الاسماعيليون والقرامطة» ، مجلة JBBRAS ، ص ١٦ (١٩٤٠) ، ص ٤٢ .
- ١٠ - المصدر السابق ، ص ٨١ .
- ١١ - المصدر السابق ، ص ٨٢ .
- ١٢ - قرامطة ، ص ٨٢ - ٨٣ . واقترح ايلانوف أن القرامطة كرموا الفاطميين باعتبارهم أحفاداً مباشرين وحقيقيين لمحمد بن اسماعيل . وربما كانوا يرغبون بالحصول على مركز خاص داخل مذهبهم ، لكن إنكار الفاطميين للقرامطة وتنسبهم لهم أثار نقمة القرامطة وعداءهم .
- ١٣ - حسن ابراهيم وطه شرف ، عبيد الله للمهدي (القاهرة ، ١٩٤٧) .
- ١٤ - الكيسانية تسمية أطلقت على أتباع محمد بن الحنفية ، وذلك نسبة الى أحد قادتهم من الكوفة .
- ١٥ - حسن وشرف ، عبيد الله ، ص ٢٦ .
- ١٦ - المصدر السابق ، ص ٩٢ وما بعدها .
- ١٧ - صاحب المناقاة في دراسة ماسينيون عن منصور الحلاج (باريس ، ١٩٢٢) ، م ٢ ، ص ٧٢٤ - ٧٢٥ ، ومقالته حول القرامطة في الموسوعة الاسلامية ، م ٢ ، ص ٧٦٧ - ٧٧٢ .
- ١٨ - حسن شرف ، عبيد الله ، ص ١١٠ - ١١١ .
- ١٩ - المصدر السابق ، ص ٢١٠ وما بعدها .
- ٢٠ - المصدر السابق ، ص ٢١٤ ، ومقالة كارادوقو عن الجناحي في الموسوعة الاسلامية ، م ١ ، ص ١٠١٦ .



- ٢١ - من أجل دراسة تاريخهم ، تتوفر معلومات قيمة عند كل من : المقرئزي ، اتماظ الحنفا ، والمسعودي ، التنبية ، والنويري ، نهاية الأدب .
- ٢٢ - الروايتان المتوفران ، تحقيق دغويه (لندن ، ١٨٧٩ - ١٩٠١) ، م ٣ ، ص ٢١٢٨ .
- ٢٣ - ابن النديم ، كتاب الفهرست (القاهرة ، ١٩٢٩) ، ص ٢٦٥ .
- ٢٤ - المقرئزي ، اتماظ الحنفا ، تحقيق بولز (ليبزغ ، ١٩٠٩) ، ص ١٢ ، ١١٤ .
- ٢٥ - ابن حوقل ، كتاب صورة الأرض ، تحقيق كريمير (ط ٢ ، لندن ، ١٩٢٨) ، ص ٢٩٥ .
- ٢٦ - انظر مقالة شتيرن عن «عبدان» في الموسوعة الاسلامية ، ط ٢ ، م ١ ، ص ٩٥ - ٩٦ . وناقش المؤلف الفاطمي جعفر بن منصور اليمى عقائد عبدان ، انظر : زاهد علي ، تاريخ فاطمي مصر (حيدر آباد ، ١٩٤٨) ، ص ٤٣٦ ، عازف ثامر ، خمس رسائل اسماعيلية (سلمية ، ١٩٥٦) ، ص ٤١ ، وأخي محسن في النويري ، نهاية الأرب ، م ٢٥ (القاهرة ، ١٩٨٤) ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .
- ٢٨ - طبقاً لابن مالك ، كشف أسرار الباطنية (القاهرة ، ١٩٣٩) ، ص ١٨ ، فقد قتل في بغداد ، لكنه لا يذكر شريح الواقعة .
- ٢٩ - سيلفستر دوسامي ، عرض لدين الدروز (باريس ، ١٨٢٨) ، م ١ ، المقدمة ، ص ١٩٢ وما بعدها ، المقرئزي ، اتماظ ، ص ١١٤ وما بعدها .
- ٣٠ - قرامطة ، ص ٥٩ .
- ٣١ - يشير هذا التاريخ الى اغتيال عدان فقط . زاهد علي ، تاريخ ، ص ٤٣٦ .
- ٣٢ - قرامطة ، ص ٦٧ ، بالمقابلة مع شتيرن «عبدان» ، الموسوعة الاسلامية ، ط ٢ ، م ١ ، ص ٩٥ - ٩٦ .
- ٣٣ - امتتار الامام ، تحقيق ايفانووف في مجلة كلية الآداب ، ٤ (١٩٣٦) ، ص ٩٦ .
- ٣٤ - ايفانووف ، قيام الفاطميين (لندن ، ١٩٤٢) ، ص ٧٨ .
- ٣٥ - نوبس ، أصول الاسماعيلية ، ص ٧٧ - ٧٨ .
- ٣٦ - ابن حوقل ، ص ٢٩٥ .
- ٣٧ - المصدر السابق ، ص ٢٩٥ .
- ٣٨ - المقرئزي ، اتماظ ، ص ١٠٧ .
- ٣٩ - مذكرة عند نوبس ، أصول الاسماعيلية ، ص ٧٨ .
- ٤٠ - قرامطة ، ص ٦٩ .
- ٤١ - ابن حوقل ، ص ٢٩٥ .
- ٤٢ - انظر الحاشية ٣٦ أعلاه .
- ٤٣ - أوردها نوبس ، أصول ، ص ٧٧ - ٧٨ ، المسعودي ، التنبية والأهراق ، م ٣ . دغويه (لندن ، ١٨٩٤) ، ص ٣٨٤ - ٣٩٢) .
- ٤٤ - الطبري ، م ٣ ، ص ٢١٢٨ - ٢١٢٩ .
- ٤٥ - «وكان في ما حكاه عن هؤلاء القرامطة» ، كازانوفا ، العقيدة السنية ، ص ١٥١ ، يعتبرها جزءاً من أقوال منسوبة الى شهر زكرويه الذي قبض عليه عام ٩٠٦/٢٩٤ .

- ٢٦ - ذاقه النبي صالح ، القرآن ٧٢/٧ ، هي المقصودة هنا . انظر دوساسي ، عرض ، م١ ، المقدمة ، ص١٧٧ .
- ٢٧ - المقصود هنا هو الوحش الذي سيرسله الله تعالى من الأرض في نهاية الزمان ، القرآن ٨٢/٧ ، انظر دوساسي ، المصدر السابق .
- ٢٨ - « يسألونك من الأهل قل هي مواقيت للناس » ، القرآن ، ١٨٩/٢ . معناها الظاهر هو أنه بها يعرف حساب الستين والأشهر والأيام . ومعناها الباطن هو « اعواني الذين بهم أعادي عبادي الى طريقتي » .
- ٢٩ - كازانوف ، العقيدة السريّة ، ص١٥١ .
- ٥٠ - انظر مقالة « كيسانية » في الموسوعة الاسلامية ، م٢ ، ص٦٥٨ - ٦٥٩ .
- ٥١ - محمد هو المقصود في القرآن الكريم ٦/١١١ .
- ٥٢ - لا يوجد دليل على وجود أية جماعة سبقت الاسماعيليين حددت عدد الأنبياء بسبعة ، والتفردات بخصوص العدد ٧/٧ وربما كانت قد بدأت في ما يتعلق بالإمامة ، الفكرة الرئيسية للشيعّة .
- ٥٣ - ابن خلدون ، كتاب العبر ( القاهرة ، ١٨٧٢ ) ، م٤ ، ص٨٤ ، م٣ ، ص٢٣٦ .
- ٥٤ - المرجح أن ذكرويه هو المقصود هنا لأنه اقترن مع مؤسس الفرقة القرمطية في العراق ، وذكر الطبري في روايته أن مصدر معلوماته هو صهر ذكرويه . انظر : الطبري ، م٣ ، ص٢١٣ ، ابن خلدون ، الصبر ، م٢ ، ص٢٣٦ ، المقرئ ، اتماظ ، ص١٠٧ .
- ٥٥ - لويس ، أصول ، ص٧٢ - ٧٤ ، ايخانوف ، قيام ، ص٨٧ وما بعدها ، حسن وشرف ، عبيد الله ، ص٩٨ وما بعدها .
- ٥٦ - هكذا قال حسن وشرف ، عبيد الله ، ص٢٦ .
- ٥٧ - لويس ، أصول ، ص٧٨ ، عبد الجبار ، تثبت دلائل النبوة ، تح . عبد الكريم عثمان ، ( بيروت ، ١٩٦٦ - ١٩٦٨ ) ، ص٢٧٨ .
- ٥٨ - انظر مقالة مسقطي حول أبي الهاشم في مجلة « Orientali » ، 27 (1952), PP. 28 FF. Rivista Degli Studi .
- ٥٩ - لويس ، أصول ، ص٧٩ .
- ٦٠ - عبد الجبار ، تثبت ، ص٢٧٩ ، لويس ، أصول ، ص٧٨ .
- ٦١ - المقرئ ، اتماظ ، ص١٠٦ - ١١٤ .
- ٦٢ - يجب تعديل هذه المقالة الآن في ضوء مناقشة هالم لها في
- (Die Sohne Zikrawaihe)
- ٦٣ - النويختي ، فرق الشيعة ، قح . ريتز (استانبول ، ١٩٣١) ، ص٦١ .
- ٦٤ - ايخانوف ، الاسماعيليون والقرامطة ، ص٧٩ .
- ٦٥ - المصدر السابق ، ص٨١ .
- ٦٦ - من الواضح أن ايخانوف لا يفضل ذلك (الاسماعيليون والقرامطة ، ص٨١) لأنه يرى أنه من الممكن أن يكون ادريس قد اكتسب اسم « مارق » من الشهرة ستاني .
- ٦٧ - من المفروض أنه اقترن بقرمطويه الذي ذكره النويختي .
- ٦٨ - الشهرة ستاني ، الملل والنحل ، في هامش ابن حزم ، الفصل (القاهرة ، ١٩٥٧) ، م٢ ، ص١٧ .
- ٦٩ - المصدر السابق ، م٢ ، ص١٧ - ٢١ .

- ٧٠ - عنى لأقل ، هو نفسه من زعم ذلك . وربما كان شقيقاً للقاضي والنداعي الاسماعيلي لملك بن مالك كما جاء عند الجعفري ، طبقات فقهاء اليمن ، تح . فؤاد السيد (القاهرة ، ١٩٥٧) ، ص ٢٢٤ .
- ٧١ - ابن مالك ، كشف ، ص ٣٣ ، وقد جزم أبو سعيد أنه كان المهدي القائم بدين الله ، انظر الجوهري في «قراطة» ، ص ٢٠٨ .
- ٧٢ - قراطة ، ص ٥٧ - ٥٨ .
- ٧٣ - المصدر السابق ، ص ٦٩ .
- ٧٤ - عريب بن سعد ، صلة تاريخ الطبري ، تح . دوشويه (لندن ، ١٨٩٧) ، ص ٣٨ .
- ٧٥ - ابن مسكويه ، تجارب الأمم (القاهرة ، ١٩١٤ - ١٩١٦) ، م ، ص ٣٣ - ٣٤ .
- ٧٦ - الهمذاني ، تكملة تاريخ الطبري ، تح . كلمان في مجلة المشرق ، ٥١ (١٩٥٥) ، ص ٤١ .
- ٧٧ - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، تح . (لندن ، ١٨٥١ - ١٨٧٦) ، م ، ص ٤٩ .
- ٧٨ - الطبري ، م ، ٢ ، ص ٢٢٨٧ .
- ٧٩ - يروي الهمذاني الحادثة تحت سنة ٩١٢/٢٠١ فقط .
- ٨٠ - المسعودي ، التتبيه ، ص ٣٩٤ ، والجوهري في قراطة ، ص ٢٠٨ ، عبد الجبار ، تثبيت ، ص ٢٩٧ ، وجميعهم ذكروا أن التاريخ هو سنة ٣٠٠ ، وتذكر مصادر أخرى سنة ٣٠١ هـ .
- ٨١ - طبقاً لابن عذارى ، البيان والمغرب ، تح . كولن وبروفنسفال (لندن ، ١٩٤٨ - ١٩٥١) ، م ، ص ١٦٩ ، فإن أياً القاسم قد غادر رقادة يوم الأحد ٢ جمادى الأولى ١٢/٣٠٠ كانون أول ٩١٢ .
- ٨٢ - ابن عذارى ، البيان ، م ، ص ١٦٩ . وشخصية القائد الذي انهزم أمام انطاقيين غير معروفة (الطبري ، م ، ص ٢٢٨٨) ، أما الحاكم العباسي فكان أبو النعمر أحمد بن صالح . انظر الكندي ، كتاب الولاة والكتات القضاة ، تح . غيست (لندن . لندن) ١٩٢١ ، ص ٢٦٨ .
- ٨٣ - ادريس عماد الدين ، عيون الأخبار ، م ، ٥ ، تح . اليملاوي (بيروت ، ١٩٨٥) ، ص ١٩٢ .
- ٨٤ - المصدر السابق ، ص ١٩٤ .
- ٨٥ - المصدر السابق ، ص ١٩٥ .
- ٨٦ - المصدر السابق ، ص ١٩٥ .
- ٨٧ - ابن كثير ، البداية ، م ، ٢ ، ص ١٢٢ ، يروي أن حجاج سنة ٩١٥/٣٠٢ قد هوجموا ونهبوا من قبل الأعراب وجماعة من القراطة . وطبقاً لابن الجوزي ، المنتظم ، م ، ٦ ، ص ١٢٨ ، كانوا عبيبين وأبناء صالح بن مدرك من قبيلة ملي . انظر دوشويه ، قراطة ، ص ٧٩ ، الطبري ، م ، ٢ ، ص ٢١٩١ - ٢١٩٢ .
- ٨٨ - ابن خلدون ، العبر ، م ، ٤ ، ص ٨٩ .
- ٨٩ - ثمانون تقرأ ثلاثمائة .
- ٩٠ - قراطة ، ص ٧٨ .
- ٩١ - حسن وشرف ، عبيد الله ، ص ١٨٩ وما بعدها .
- ٩٢ - ابن عذارى ، البيان ، م ، ١ ، ص ١٧٧ .
- ٩٣ - المصدر السابق ، م ، ١ ، ص ١٧٥ .

- ٩٤ - الكندي ، ولاة ، ص ٢٧٤ .
- ٩٥ - انضم جبارة بن مختار العربي ، حاكم برقة ، إلى المعز بن باديس بعد انفصال الأخير . عن الفاطميين . سنة ٤٤٣ / ١٠٥١ ، وابن الفاطميين ، ابن عذاري ، البيان ، م ١ ، ص ٢٨٨
- ٩٦ - ابن عذاري ، البيان ، م ١ ، ص ١٨١ .
- ٩٧ - الكندي ، ولاة ، ص ٢٧٥ ، المقرئزي ، الحطط (بولاق ، ١٨٥٣) ، م ١ ، ص ٣٧٨ ، وطبقاً لابس الأثير (م ٨ ، ص ٨٣) وصل أبو القاسم الاسكندرية ربيع الثاني ٢٠٧ / يول ٩١٩ .
- ٩٨ - عريب ، صلة ، ص ٧٩ .
- ٩٩ - المصدر السابق ، ص ٨٠ ، لكن الكندي (ولة ، ص ٢٧٧) يذكر الخامس من محرم .
- ١٠٠ - ابن عذاري ، البيان ، م ١ ، ص ١٨٢ ، عريب ، صلة ، ص ٨٠ ، الكندي ، ولاة ، ص ٢٧٧ .
- ١٠١ - عريب ، صلة ، ص ٨٠ .
- ١٠٢ - الكندي ، ولاة ، ص ٢٧٨ .
- ١٠٣ - ابن عذاري ، البيان ، م ١ ، ص ١٨٥ .
- ١٠٤ - أشار إلى ذلك بوين في حياة وزمن علي بن موسى (كمبردج ، ١٩٢٨) ، ص ٢٠٥ .
- ١٠٥ - المسعودي ، التنبيه ، ص ٣٨٠ و ٣٩١ .
- ١٠٦ - ذكر ذلك المقرئزي في : اتعاظ ، ص ١٢٤ .
- ١٠٧ - عبد الجبار ، تثبيت ، ص ٢٨١ .
- ١٠٨ - المقرئزي ، اتعاظ ، ص ١٠٩ .
- ١٠٩ - ابن مسكويه ، تجارب ، م ١ ، ص ١٠٩ .
- ١١٠ - انظر دوغويه ، قرامطة ، ص ٧٩ ، عبد الجبار ، تثبيت ، ص ٢٨١ .
- ١١١ - بن الجوزي ، المنتظم ، م ٦ ، ص ١٥٣ ، بوين ، علي بن عيسى ، ص ٢٠٥ .
- ١١٢ - عريب ، صلة ، ص ١١٠ ، مسكويه ، تجارب ، م ١ ، ص ٨٥ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، م ٦ ، ص ١٧٢ .
- ١١٣ - عريب ، صلة ، ص ١١٠ .
- ١١٤ - بن مسكويه ، تجارب ، م ١ ، ص ١٠٩ ، ابن الأثير ، م ٨ ، ص ١٠٥ .
- ١١٥ - أبو المحاسن بن تمزي بردي ، النجوم الزاهرة ، تح . جوينبول ومانس (ليدن ، ١٨٥٥ - ١٨٦١) ، م ٢ ، ص ٢٠٧ . وربما نقل روايته عن الذهبي في : تاريخ الإسلام ، في حين اعتمد الذهبي على ابن الجوزي ، واقتبس ابن كثير في (البدء والنهاية ، م ١١ ، ص ١٢٠) هذه المعلومات عن ابن الجوزي .
- ١١٦ - ليس من المؤكد ما إذا كان أبو طاهر زعيماً في تلك الفترة للقرامطة . وهناك تواريخ مختلفة لمولد أبي طاهر . المسعودي ، التنبيه ، ص ٩٤١ ، دوغويه ، قرامطة ، ص ٧٣ ، المقرئزي ، اتعاظ ، ص ١١٢ .
- ١١٨ - المصدر السابق ، ص ١٨٨ .
- ١١٩ - المصدر السابق ، م ١ ، ص ١٩٠ .
- ١٢٠ - دوغويه ، قرامطة ، ص ٧٨ .
- ١٢١ - بينما كان أبو القاسم مشغولاً مع قواته في المغرب سنة ٩٢٨ / ٣١٦ ، تمكن حاكم برقة الفاطمي من هزيمة

المصريين وانسحب . انظر : ادريس عماد الدين ، عبون الأخبار ، تح . مصطفى غالب (بيروت ، ١٩٧٣ - ١٩٨٤) ، م ٥ ، ص ١٥٠ .

١٢٢ - عهد الجبار ، تثبيت ، ص ٣٨٣ .

١٢٣ - الكندي ، ولا ، ص ٢٨١ ، وما بعدها .

١٢٤ - حسن وشرف ، صيد الله ، ص ١٨١ ، وما بعدها .

١٢٥ - لمزيد من التفاصيل انظر ،

H. Gutschalk, Diemadara, Ijzun (Berlin, 1931), PR 93FF.

١٢٦ - الكندي ، ولادة ، ص ٢٧٨ ، ابن سعيد ، المغرب في أحوال المغرب ، تح . تالكويست (لندن ، ١٨٩٩) ص ١٤ .

١٢٧ - الكندي ، ولادة ، ص ٢٨٨ .

١٢٨ - دوقويه ، قرامطة ، ص ١٣٩ .

١٢٩ - المصدر السابق ، ص ١٨٢ .

١٣٠ - قرامطة ، ص ١٢٨ ، وما بعدها ، حسن شرف ، المعز لدين الله (القاهرة ، ١٩٤٨) ، ص ١٠٠ .

١٣١ - ابن مسكويه ، تجارب ، م ٢ ، ص ٢١٥ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، م ٧ ، ص ١٩ ، دوقويه ، قرامطة ، ص ١٨٠ .

١٣٢ - المقرئزي ، خطط ، م ١ ، ص ٣٢٩ ، دوقويه ، قرامطة ، ص ١٨٢ .

١٣٣ - ابن مسكويه ، تجارب ، م ٢ ، ص ٢١٥ ، ابن ازثير ، م ٨ ، ص ٤٢٤ ، المقرئزي ، خطط ، م ٢ ، ص ٣٧ .

١٣٤ - الكندي ، ولادة ، ص ٢٩٧ .

١٣٥ - ابن خالفر ، في ، Stathler لوستفيلد ، م ٤ ، ص ٥٩ ، المقرئزي ، خطط ، م ٢ ، ص ٣٧ .

١٣٦ - يحيى بن سعيد الأنطاكي ، كتاب الذيل ، تح . كراشكوفسكي وفاسيليف (باريس ، ١٩٢٤ - ١٩٢٢) ، ص ١١٩ .

١٣٧ - ابن خلكان ، وفيات الأعيان (القاهرة ، ١٨٩٢) ، م ٢ ، ص ٤٢ .

١٣٨ - المقرئزي ، اتماظ ، ص ٦٢ .

١٣٩ - المصدر السابق ، ص ٦٨ .

١٤٠ - انظر جمال الدين سرور ، التفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق (القاهرة ، ١٩٥٧) ، ص ١٧ .

١٤١ - المقرئزي ، اتماظ ، ص ٧٥ - ٧٦ .

١٤٢ - ابن حماد ، أخبار ملوك بني هبيل ، تح . فوندر هايدن (الجزائر-باريس ، ١٩٣٧) ، ص ٤٢ .

١٤٣ - المقرئزي ، اتماظ ، ص ٨٠ ، ١٣١ ، ادريس ، تاريخ ، ص ٦٩٤ ، ابن الدواداري ، كنز الدور ، م ٦ ، تح .

المنجد (القاهرة ، ١٩٦١) ، ص ١٢٢ . وربما كانت رواية المقرئزي بنسب من هجوم جعفر بن فلاح قد أساءها

نقلًا عن مؤرخ سوري أسبق . وحول الحملات القرمطية الجديدة انظر ابن حوقل ، ص ٣٦ ، ابن منظور ، مختصر

تاريخ دمشق (دمشق ، ١٩٨٤ - ١٩٩٠) ، م ٦ ، ص ١٣٣ .

١٤٤ - المقرئزي ، اتماظ ، ص ٧٨ ، ادريس ، تاريخ ، ص ٦٩٥ .

١٤٥ - حول حملة جعفر على سورية وتاريخها انظر : المقرئزي ، اتماظ ، ص ٧٨ ، ادريس ، تاريخ ، ص ٦٩٥ ،

- بيانيكيه ، دمشق وسورية في ظل السيطرة الفاطمية (دمشق ، ١٩٨٦ - ١٩٨٩) ، م ، ١ ، ص ٤٠ .
- ١٤٦ - صاحب القرامطة : انظر المقرئزي ، اتماظ ، ص ٧٩ ، ادريس ، تاريخ ، ص ٦٩٥ .
- ١٤٧ - وستفيلد ، الخلافة الفاطمية (غوتنجن ، ١٨٨١) بالألمانية ، ص ١١٢ ، ويقول إن الحسن بن عبيد الله فقد مسلحاً مع الأصم بعد عودته الى سورية وتمهد بدفع ١٠٠.٠٠٠ دينار للقرامطة أتاوة سنوية . بينما يقول ابن الأثير (م ، ٨٠ ، ص ٤٥٢) ، وابن اللقلاسي ، ذيل تاريخ دمشق (لح . امدرود ، ليدن ١٩٠٨) ، ص ١ ، أن ابن طنج هو من عقد ذلك الصلح .
- ١٤٨ - قرامطة ، ص ١٧٨ . وشكوك دوشويه غير مفهومة .
- ١٤٩ - ابن خلدون ، المعبر ، ص ٨٨ - ٩١ .
- ١٥٠ - قرامطة ، ص ٧٤ ، ٧٨ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٥١ ، ١٩٤ .
- ١٥١ - تقرأ « أبو طاهر » بدلاً من « وانظار » .
- ١٥٢ - مجلس أعلى لإتخاذ القرارات الأكثر أهمية . دوشويه ، قرامطة ، ص ٧٤ .
- ١٥٣ - ابن خلدون ، المعبر ، م ، ٨٨ .
- ١٥٤ - قرامطة ، ص ٧٤ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، م ، ٧ ، ص ٥٧ .
- ١٥٥ - وردت في قرامطة ، ص ٧٤ .
- ١٥٦ - يبدو أن عبد الجبار عرف اثنين من أعماله ، المراتب الخمس ، والكتاب الكبير (تثبيث ، ص ٢٩٢) ، وتوجد أجزاء أخرى من أعماله في الفهرست لابن نديم (ص ٢٦٤ - ٢٦٧) ، وفي الذهبي ، تاريخ الاسلام ، مطبوع في : ابن مسكويه ، تجارب ، م ، ٢ ، ص ٥٧ - ٦٠ .
- ١٥٧ - المقرئزي ، اتماظ ، ص ١٢٢ ، ابن الدوادري ، كنز ، م ، ٦٢ ، الذهبي ، تاريخ مقتبس من ابن مسكويه ، تجارب ، م ، ٢ ، ص ٥٧ .
- ١٥٨ - انظر الى الحاشية ١١٦ أعلاه .
- ١٥٩ - ابن حوقل ، ص ٢٩٦ .
- ١٦٠ - ابن خلدون ، المعبر ، م ، ٨٩ .
- ١٦١ - ترجمة لويس في ، أصول الاسماعيلية ، ص ٨١ . وما يقترحه لويس هو أن ابن رزام وأخا محسن لم يعلموا أي شيء حول الرسالة .
- ١٦٢ - دوشويه ، قرامطة ، ص ٨٢ .
- ١٦٣ - المصدر السابق .
- ١٦٤ - رواية مختلفة للأحداث قدمها قطب الدين النهروالي ، تاريخ مكة ، تح . وستفيلد (لبنزغ ، ١٨٥٧) ، م ، ٢ ، ص ١٦٥ ، وطبقاً له فإن أبا طاهر أمر بذكر اسم عبيد الله في صلاة الجمعة في مكة . وعند سماع الأخير لهذا ذلك بعث برسالة الى أبي طاهر يلتمنه فيها . عندئذ انتفض أبو طاهر على عبيد الله .
- ١٦٥ - المقصود هنا هو أبو طاهر . والغلط الواقع هنا عند ابن خلدون سبقه اليه ابن الأثير في م ، ٨٠ ، ص ١٥٨ .
- ١٦٦ - قرامطة ، ص ١٤٥ .
- ١٦٧ - النهروالي ، تاريخ مكة ، م ، ٢ ، ص ١٦٦ .

- ١٦٨ - قرمصة ، ص ١٤٦ .
- ١٦٩ - ابن عذاري ، البيان ، م ١٠ ، ص ٢٢٠ .
- ١٧٠ - تقرأ «الحكم» ، انظر ابن مسكويه ، تجارب ، م ٢ ، ص ١٢٦ .
- ١٧١ - لم يكن بجكم على قيد الحياة عند استلام المستكفي للحكم - انظر ابن مسكويه ، تجارب ، م ٢ ، ص ٩ .
- ١٧٢ - انظر على سبيل المثال : ابن مسكويه ، تجارب ، م ٢ ، ص ١٢٧ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، م ٦ ، ص ٣٦٧ ، ابن لاثير ، م ٨ ، ص ٣٣٩ ، النهروالي ، تاريخ مكة ، م ٣ ، ص ١٦٦ .
- ١٧٣ - أوضح عبد الجبار ادعاءات الباطنية وتوابعاتها الكاذبة ، كما يستفيها ، في كتابه ، تثبيت ، ص ٣٩٦ .
- ١٧٤ - حو ، عدة الحجر الأسود وملابسائه انظر : الذهبي ، تاريخ الاسلام ، اقتبسها أبو المحاسن في انجم لزهرة ، م ٢ ، ص ٢٢٨ ، المقرئ ، اتعاط ، ص ١٢٩ ، ابن مسكويه ، تجارب ، م ٢ ، ص ١٣٧ .
- ١٧٦ - إذا كان ابن خلدون يعني أن أحمد هو من أعاده شخصياً فقد أخطأ لأن سنيار بن الحسن بن سنيار هو من فسر ذلك ، المقرئ ، اتعاط ، ص ١٢٩ ، ابن حوقل ، ص ٢٥ .
- ١٧٧ - النهروالي ، تاريخ مكة ، م ٣ ، ص ١٦٦ ، ويقول المقرئ في المقفى (أخبار القرامطة ، تح . سهيل زكار ، دمشق ، ١٩٨٠ ، ص ٤٠٢) أن أبا طاهر قد استخلف بشقيقه أبي القاسم سعيد وأبي العباس أحمد .
- ١٧٨ - دوغويه ، قرامطة ، ص ١٤٢ - ١٤٤ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، م ٦ ، ص ٣٢٦ .
- ١٧٩ - ابن الأثير في دوغويه ، قرامطة ، ص ١٤٢ .
- ١٨٠ - ابن مسكويه ، تجارب ، م ٢ ، ص ١٢٧ .
- ١٨١ - ابن حوقل ، ص ٢٥ - ٢٦ .
- ١٨٢ - ابن الجوزي ، المنتظم ، م ٧ ، ص ٥٧ .
- ١٨٣ - توفى أبي يعقوب سنة ٩٧٧ / ٣٦٦ (دوغويه ، قرامطة ، ص ١٩١) .
- ١٨٤ - على وجه قطعة نقدية ضربت بأمر الحسن الأعصم في الرملة ودمشق سنة ٩٧٢ / ٣٦١ ، ورد اسم الخليفة المطيع مع الحسن وأسماء السادة الرؤساء على الوجه الآخر - انظر مقالة ستاني بول في مجلة Numismatic Chronicle ، NS ، ١٩ (١٨٧٩) ، ص ٧٤ وما بعدها .
- ١٨٥ - دوغويه ، قرامطة ، ص ١٨٦ .
- ١٨٦ - ابن حوقل ، ص ٢٦ .
- ١٨٧ - المصدر السابق .
- ١٨٨ - المصدر السابق ، ص ٢٥ .
- ١٨٩ - ابن الأثير ، م ٨ ، ص ٤٤٢ .
- ١٩٠ - المقرئ ، اتعاط ، ص ١٢٣ .
- ١٩١ - المصدر السابق ، ص ١٢٣ - ١٢٨ .
- ١٩٢ - ابن حوقل ، ص ٢٦ .
- ١٩٣ - قرمصة ، ص ١٩٤ .
- ١٩٤ - المقدسي ، أحسن التقاسيم ، تح . دوغويه (ط ٢ ، لندن ، ١٩٠٦) ، ص ٩٤ .

- ١٩٥ - دوغويه ، قرامطة ، ص ١٩٢ - ١٩١ ، ابن اثنالانسي ، ذيل ، ص ٢٠ ، وفيه يذكر مبلغ ٣٠٠.٠٠٠ دينار .
- ١٩٦ - ابن حوقل ، ص ٢٥ ، ٢٧ ، دوغويه ، قرامطة ، ص ١٧٢ ، لويس ، أصول ، ص ٨٩ .
- ١٩٧ - حول المعرفة التدريجية للمؤرخين السنة بوحدة الحركة القرمطية : انظر مقالة بيكر في كتاب :  
Beiträger Zur Geschichte Agyptens Unter dem Isma.
- (ستراسبورغ ، ١٩٠٢ - ١٩٠٣) ، م ، ١ ، ص ٢ وما بعدها ، لويس ، أصول ، ص ٩٢ وما بعدها .
- ١٩٨ - المسعودي ، التنبيه ، ص ٢٨٤ .
- ١٩٩ - المصدر السابق ، ص ٣٩٢ .
- ٢٠٠ - لويس ، أصول ، ص ٨٠ - ٨١ .
- ٢٠١ - المصدر السابق ، ص ٨٠ - ٨١ .
- ٢٠٢ - لا يوجد عند ابن مسكويه في (تجارب ، م ، ص ١٨١) أي ذكر للامام المقيم بالمغرب .
- ٢٠٣ - انظر دوغويه ، قرامطة ، ص ٩٢ ، انظر بويش ، صبي بن عيسى ، ص ٢٦٢ . ويخصوص حملة ابن أبي الساج  
انظر ، المقرئزي ، اتعاظ ، ص ١٢٦ ، حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية (القاهرة : ١٩٥٨) ، ص ٧٠ .
- ٢٠٥ - لويس ، أصول ، ص ٨١ - ٨٢ ، ابن الأثير ، م ، ص ١٦٩ .
- ٢٠٦ - ابن حوقل ، ص ٢٦ .
- ٢٠٧ - دوغويه ، قرامطة ، ص ٨١ .
- ٢٠٨ - ابن حوقل ، ص ٢٧ .
- ٢٠٩ - هكذا يُفترض أن يتم فهم عبارة «وأمرهم كالواقفة في ما بينهم» .
- ٢١٠ - وبالمقابلة مع رأى بيكر (BEITRAGE) ، م ، ١ ، ص ٥ ، فإن «الحنسني الشريف الدمشقي» هو المذكور عن ابن  
نظائر (في مستنيل ، الفاطميون ، ص ٢) ، ويجب تصحيحه إلى الحنسيني .
- ٢١١ - مترجم عن الفرنسية لكتاب «عرض» (EXPOSE) ، م ، ١ ، لدوساسي ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .
- ٢١٢ - مترجم عن الفرنسية لكتاب عرض (EXPOSE) ، م ، ١ ، لدوساسي ، ص ١٣٧ - ١٣٨ .
- ٢١٣ - وسجد دراسة ماسينيون هذه في مجلة : Revue De L'histoire des Religions (العدد ٨٢ ، ١٩٧٠) ، وانظر أيضاً ،  
شتيرن ، دراسات في الاسماعيلية الميكرة (نقدس - ليدن ، ١٩٨٢) ، ص ٥٦ - ٨٢ .
- ٢١٤ - دوساسي ، عرض ، م ، ١ ، المقدمة ، ص ١٤٨ - ١٦٤ .
- ٢١٥ - خطأ دوساسي في محاولته تحديد ٩ درجات بدلاً من ٧ . انظر «عرض» ، ص ١٦٠ .
- ٢١٦ - ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٦٨ .
- ٢١٧ - البعدادي ، الفرق بين الفرق ، تح . الكوثري (القاهرة ، ١٩٦٨) ، ص ١٧٧ - وما بعدها ، وليس هناك من دليل  
على وجود كتب لتدرجات الست الأولى ، ويبدو أن ابن نديم قد استنتجها من إشارات إليها في الكتاب ذاته .  
وليس هناك من معلومات حول «كتاب الدرس الشافعي للنفس» الذي ذكره أخو محسن في «دوساسي ، عرض ،  
م ، مقدمة ، ص ١٥٩» .
- ٢١٨ - خطأ ماسينيون في قوله (القرامطة : الموسوعة الإسلامية) أن ابن النديم ينسب الكتاب إلى عبدن
- ٢١٩ - انظر ابن كثير ، البداية ، م ، ٢ ، ص ٦٢ ، ويذكر هنا ١٦ درجة ، وهنوا نعمل : «البلاغ الأعظم والناموس الأعظم» .



- ثم يرد بشكل صحيح فيما بعد ٢٠١ ص ٣١١. وربما كان كتاب في مذهب القرامطة للباقلائي هو نفسه كتاب «فتك الأستار» انظر: الخضير وأبو ريده، التمهيد في الرد على الملاحدة للباقلائي (القاهرة، ١٩٤٧)، ص ٢٥٩.
- ٢٢٠ - عهد الجبار، تقيت، ص ٣٥٩ و ٦٠١، حيث يرد العنوان: البلاغ السابع والناموس الأكبر.
- ٢٢١ - نظام الملك، سياسة نامه، ص ٢٧٧.
- ٢٢٢ - الدينمي، بيان مذهب الباطنية وبطلانه، تح. شتروتمان (استانبول، ١٩٣٩)، انظر الكشف.
- ٢٢٣ - ابن المرتضى، المعنى والأمل في شرح كتاب الملل والنحل، تح. مشكور (بيروت ١٩٧٩). ومصدر ابن المرتضى هو البيهقي، شرح صيون المسائل. انظر شتيرن، دراسات، ص ٦٣.
- ٢٢٤ - الاسفرائيني، التبصير في الدين، تح. الكوتري (القاهرة - بغداد، ١٩٥٥)، ص ١٢٦.
- ٢٢٥ - ابن الجوزي، المنتظم، م ٥٠، ص ١١٤ - ١١٥ ويرى دوسوموجي في مقالاته المنشورة في مجلة (Rivista degli Studi di Oriente) ، المجلد ١٣، ١٩٣٢، ص ٢٥٢، (حاشية رقم ٢) أن ماورد عند ابن الجوزي، هو تلخيص لفقرة من كتاب «السياسة»، وويسمي بشكل خاطئ، أما محسن مؤلفاً له.
- ٢٢٦ - الأمدي، ابتكار الأفكار، مخطوطة برلين ٢٣٣١، ورقة ٢٨٠، ويقون بعد وصفه للدرجة الثانية: «وهذا هو الناموس الأعظم والبلاغ الأكبر الذي عليه مدار اعتقادهم».
- ٢٢٧ - مقالة غويار عن «فتوى ابن تيمية» في المجلة الآسيوية، سلسلة ٦، ١٨ (١٨٧١)، ص ١٧١ - ١٧٢.
- ٢٢٨ - بن كثير، البداية، م ٢، ص ٣١١.
- ٢٢٩ - الكندي، ولاة، ص ٦٠٣.
- ٢٣٠ - ايغانوف، قيام، ص ١١٢، وكتابه المرشد الى الأدب الاسماعيلي (لندن، ١٩٣٣) ص ٤١، ٧٨. والكتاب الذي ينتقسه ايغانوف للبطلاني نيس «سياسة المرتدين» بل «سياسة المريدين» (المؤسس المزعم، بومباي، ١٩٤٦، ص ٣).
- ٢٣١ - بيكر، BETRAGE، م ١، ص ٧، ماسينيون، ESQUISSE، ص ٢٢٢.
- ٢٣٢ - انظر على سبيل المثال: البنادي، الفرق، ص ١٧٧، الديلمي، بيان، ص ٧٢.
- ٢٣٣ - المقرئزي، اتعاظ، ص ١٣٢، وقد حذف المقرئزي، باعتباره مدافعاً عن الفاطميين الكثير من أقوال أخي محسن المناوئة للفاطميين ولنسبهم.
- ٢٣٤ - مذكورة عند المقرئزي، اتعاظ، ص ١٣٢، ولقنها ابن الجوزي، المنتظم، م ٦، ص ٢٢٤.
- ٢٣٥ - «يخرجون الى أكابر أصحابهم منهم من أصحابه». ليست موجودة عند ابن الجوزي.
- ٢٣٦ - أبو المحاسن، النجوم، م ٢، ص ٤٤٥.
- ٢٣٧ - تلص بكامله تعليق على جرائم القرامطة أثناء حصارهم لمكة. وميرغبه التنوخي هو إثبات أن «قرمصة كندر زنادقة وليسوا شيعية». وبخصوص ميول التنوخي انظر:
- R. Fakkar, Al-Tanukhi et Son livre: la Délivrance Après l'angoisse (Cairo, 1965), pp 19 (19)
- ٢٣٨ - جرى ذكر مبادلة الحجر الأسود مقابل فدية مالية في مصادر أخرى.
- ٢٣٩ - طبقاً لتعريب، ص ١٦٢ - ١٦٣، وهو الذي يسميه بانفراساني، قد كان بين الأسرى الذين حمى القرامطة أثر هجوم على قصر ابن هبيرة.

- ٢٤٠ - المسعودي ، التنبيه ، ص ٣٩١ - ٣٩٢ .
- ٢٤١ - قرامطة ، ص ١٢٩ وما بعدها .
- ٢٤٢ - المصدر السابق ، ص ١٣٦ ، وقد عرف دوغويه أن يحيى بن المهدي المذكور هنا هو شخص مختلف .
- المسعودي ، التنبيه ، ص ٣٨٤ ، ومقالة دوغويه في المجلة الآسيوية ، سلسلة ٩ ، ٥ (١٨٩٥) ، ص ٢٧ .
- ٢٤٣ - ماسينيون ، «الرامطة في الموسوعة الإسلامية» ، لويس ، أصول ، ص ٨٧ .
- ٢٤٤ - ابن مسكويه ، تجارب ، م ٢ ، ص ٥٥-٥٦ ، ويقتبس دوغويه من «كتاب اليون» ، في كتابه ، القرامطة ، ص ١٣١ ، وواضح أن تاريخ المذكور للحادثة لم يكن صحيحاً في «كتاب اليون» ، وعنه أخذ ابن الأثير ، م ٨ ، ص ٢٦٣-٢٦٤ .
- ويبقى دوغويه أكثر دقة بالمقابلة مع بوين ، علي بن عيسى ، ص ٣٥٨ ، ومع شكوك لويس ، أصول ، ص ٨٨ .
- ٢٤٥ - عندما علم أن خدعته قد انكشفت ، توسل إليهم ألا يقتلوه على الفور ، وقال إنه سيرعى إيلهم وغيلهم حتى يظهر والده الذي سرق منه الملامة ، والذي هو من يجب أن يحاكم . ابن مسكويه ، تجارب ، م ٢ ، ص ٥٩
- ٢٤٦ - أو ، دين آدم الأول .
- ٢٤٧ - ابن مسكويه ، تجارب ، م ٢ ، ص ٥٧ .
- ٢٤٨ - عبد الجبار ، تثبيت ، ص ٣٨٦ ، لخصها لويس في ، أصول ، ص ٨٨
- ٢٤٩ - دندان ، انظر لويس ، أصول ، ص ٦٩ وما بعدها .
- ٢٥٠ - لويس ، أصول ، ص ٨٧-٨٨ .
- ٢٥١ - يؤكد عبد الجبار من جهة أن أبا طاهر تلقى أوامره من أبي قاسم الفاطمي ، ومن جهة أخرى أن أتباعه توقعوا: ظهور المهدي في البحرين .
- ٢٥٢ - المعلومات ذات الصلة قد أتت ، على كل حال ، من دوائر قرمطية . وقد استخدمها ابن رزام ثلاثم أعرضه المرانية . انظر مقالة شتيرن في مجلة BSOAS ، ١٧ (١٩٥٥) ، ص ٢٠ - ٢١ . أما ما اقترحه إيفانوف حول رغبة القرامطة في الحصول على مركز خاص عند الفاطميين ، فالعكس هو الصحيح ، لأن الصعر بذل كل جهد لاستعادة ولاية القرامطة للفاطميين .
- ٢٥٣ - مذكورة عند ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٦٧ - وخلافاً لرأي لويس ، أصول ، ص ٥٦ ، فالقرة مقبسة عن ابن رزام .
- ٢٥٤ - البهروني ، الآثار الباقية ، تج . سجاد (ليبرغ ، ١٨٧٨) ، ص ١٢ ، البغدادي ، الفرق ، ص ١٧٢ . ويبدو أن مصومات بهروني عن القرامطة كانت منقولة ، ولذلك جعل الأصفهاني يأخذ شخصية أبي زكريا التمامي (لاثر ، ص ٢٠٢ ، البغدادي ، الفرق ، ص ١٧٢) .
- ٢٥٥ - منذ متى كان لهذه النزعة الشعبية أثرها الحاسم على معتقدتهم ؟ فأبو محمد يهرام كان فارسياً (المقريزي ، التمام ، ص ١٠٧) ، وعثر من مواقف معادية للمغرب أثناء عمله داعية في جنوبي فارس (دوغويه ، قرامطة ، ص ٣٢) ، وأحفاد أبي سعيد تسموا بأسماء منوك الفرس (سأهور ، كسرى ، إلخ . انظر ابن حوقل ، ص ٢٦) .
- ٢٥٦ - ترجمها دوغويه ، قرامطة ، ص ١١٣ وما بعدها ، البغدادي ، الفرق ، ص ١٧٢ .
- ٢٥٧ - حسن وشرف ، عبيد الله ، ص ٢٣٠ . ويرى المؤلفات في رسالة أبي طاهر أنني اقتصتها ابن مالك ، كشف ، ص ٣٤ - ٣٥ ، والمؤرخة قرابة ٩٣٥/٣١٣ ، إعلاناً ظاهراً بولائه لعبيد الله .
- ٢٥٨ - في بيت آخر من الشعر ، يشير أبو طاهر إلى نفسه بأنه هو المقصود بالآية القرآنية (ومن يهدي الله فما له من

- (فضل) (الزمر ٣٧) ، لكن يجب ألا يفتر ذلك ادعاء بأنه المهدي .
- ٢٥٩ - دوغويه ، قرامطة ، ص ١٢٩ .
- ٢٦٠ - الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ورقة ٥٧ ، أبو المحاسن ، النجوم ، م ٢ ، ص ٢٣٩ ، اقتبس عن الذهبي لكنه حذف الأسطر الأربعة تلك .
- ٢٦١ - انظر دوغويه ، قرامطة ، ص ٩٧ ، المسعودي ، التنبيه ، ص ٣٨٢ .
- ٢٦٢ - البيروني ، الآثار ، ص ٢١٢ .
- ٢٦٣ - قرامطة ، ص ١٢٢ ، البغدادي ، الفرق ، ص ١٧٣ ، ويرى الأخير أن الكوكبين المقصودين هنا هما المشتري وزحل ، بينما رأى دوغويه أنهما المشتري والقمير ، وهذا غير صحيح .
- ٢٦٤ - البغدادي ، الفرق ، ص ١٧٣ .
- ٢٦٥ - عبد الجبار ، تثبيت ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ .
- ٢٦٦ - هذا هو التاريخ الصحيح لفزو الكوفة ، خلافاً لما جاء عند بوين ، علي بن عيسى ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .
- ٢٦٧ - المسعودي ، التنبيه ، ص ٣٨٥ .
- ٢٦٨ - بن الجوزي ، المنتظم ، م ٦ ، ص ٢١٦ ، الذهبي في ابن مسكويه (تجارب ، م ١ ، ص ١٨٣) ، أبو المحاسن ، النجوم ، م ٢ ، ص ٢٢٢ ، ابن كثير ، البداية ، م ٢ ، ص ١٥٧ .
- ٢٦٩ - دار الهجرة . وقد أهمل دوغويه الأهمية الدينية لهذا المكان عندما اقترح أن المكان كان مجرد محل إقامة القرامطة ودعوتهم . وبالنسبة إلى الاسماعيليين ، دار الهجرة هي مقر إقامة المهدي . وطبقاً لمتوبختي (فرق الشيعة ، ص ٦٢ - ٦٣) ، أسسوا مقالمتهم بإلغاء الاسلام على يد دين المهدي بناء على قول مسؤوب للامام جعفر ، «بدأ الاسلام غريباً (أي في المدينة) وسيعود غريباً كما بدأ» .
- ٢٧٠ - دعاء إلى المهدي . أبو المحاسن ، المهدي العلوي ، دي غويه ، قرامطة ، ص ٨٢ ، وابن كثير الذي اقتبس ابن الجوزي قال أنه ذلك المقيم في المغرب . وأشار أبو المحاسن في النجوم ، م ٢ ، ص ٢٣٨ إلى أن أبا طاهر زعم أنه كان داعية المهدي عبيد الله .
- ٢٧١ - هكذا جاء الاسم عند المسعودي ، التنبيه ، ص ٣٩١ وحول تسمية الباقلية انظر : المقرئزي ، اتعاض ، ص ١٣٠ .
- انمسعودي ، التنبيه ، ص ٣٩١ . ويجب تصحيح التواريخ الواردة في هذا التقرير وعند دوغويه ، قرامطة ، ص ٩٩ .
- ٢٧٢ - المقرئزي ، اتعاض ، ص ١٣٠ - وابن الأثير ، م ٨ ، ص ١٣٦ .
- ٢٧٤ - ابن الأثير ، م ٨ ، ص ١٣٦ ، وكانوا يدعون إلى المهدي ، وأضاف دوغويه إلى العبارة اسم عبيد الله (قرامطة ، ص ٩٩) وكذلك ابن الأثير ، البداية ، م ٢ ، ص ١٥٨ .
- ٢٧٥ - قرامطة ، ص ٩٩ .
- ٢٧٦ - المقرئزي ، اتعاض ، ص ١٢٤ .
- ٢٧٧ - ابن الأثير ، م ٨ ، ص ١١٥ .
- ٢٧٨ - حي في بغداد تقطعه الشيعة بشكل رئيسي . انظر : «برائا» في الموسوعة الاسلامية ، ط ٢ .
- ٢٧٩ - اللون الذي اتخذته الاسماعيليون بالمقابلة مع اللون الأسود للمبائسين ، قرامطة ، ص ١٧٩ .
- ٢٨٠ - ابن الجوزي ، المنتظم ، م ٦ ، ص ١٩٥ .

- ٢٨١ - المسمودي ، التنبيه ، ص ٣٩١ .
- ٢٨٢ - عبد الجبار ، تثبيت ، ص ٢٨٦ .
- ٢٨٣ - انظر الحاشية ١٥٦ أعلاه .
- ٢٨٤ - عاشت قبيلة سجل في محيط الكوفة وساهموا في ثورات الشيعة ، عبد الجبار ، تثبيت ، ص ٢٨٦ .
- ٢٨٥ - عبد الجبار ، تثبيت ، ص ٢٨٣ ، ٣٩٢ .
- ٢٨٦ - عريب ، صلة ، ص ١٦٢ .
- ٢٨٧ - المصدر السابق ، ص ١٦٨ ، قرامطة ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .
- ٢٨٨ - انظر الحاشية رقم ٢٧ أعلاه .
- ٢٨٩ - عبد الجبار ، تثبيت ، ص ٣٩٢ .
- ٢٩٠ - النويري ، نهاية الأدب ، م ٢٥ ، ص ٢٩٦ ، المقرئ ، اتعاط ، ص ١٧٠ .
- ٢٩١ - عبد الجبار ، تثبيت ، ص ٣٨٨ .
- ٢٩٢ - انظر مقالة «المعز الفاطمي» ، في المجلة الآسيوية ، سلسلة ٣ ، العدد ٢ (١٨٥٧) ، ص ١٨٢ ، وستيفيلد ، الفاطميون ، ص ١٢٢ ، ومقالة بيانكيه في مجلة Annales Islamologiques العدد ٢ (١٩٧٢) ، ص ٦٢ - ٦٤ .
- ٢٩٣ - ناصر خسرو ، سفرنامه (برلين ، ١٩٢٢) ، ص ١٢٢ .
- ٢٩٤ - قرامطة ، ص ١٩٠ .
- ٢٩٥ - لويس ، أصول ، ص ٨٢ ، زاهد علي ، تاريخ ، ص ١٤٧ .
- ٢٩٦ - عبد الجبار ، تثبيت ، ص ٦٠٧ .
- ٢٩٧ - انظر : لويس ، أصول ، ص ٨١ .
- ٢٩٨ - ذكرت عند المقرئ ، اتعاط ، ص ١٢٢ وما بعدها .
- ٢٩٩ - المصدر السابق ، ص ١٣٤ .
- ٣٠٠ - المصدر السابق .
- ٣٠١ - المصدر السابق ، ص ١٣٦ .
- ٣٠٢ - المصدر السابق ، ص ١٣٧ - ١٣٨ .
- ٣٠٣ - المصدر السابق ، ص ١٢٨ .
- ٣٠٤ - وتقرأ : «تعلم» بدلاً من «تأمل» كما عند المقرئ ، اتعاط ، تح . الشيبان (القاهرة ، ١٩٤٨) ، ص ٢٥٩ .
- ٣٠٥ - المقرئ ، اتعاط ، تح . بولز ، ص ١٣٩ .
- ٣٠٦ - القرآن الكريم : ٥١/٤٠ .
- ٣٠٧ - وتقرأ : «دعائهم» كما عند المقرئ ، اتعاط ، تح . الشيبان . ص ٢٦٠ .
- ٣٠٨ - المقرئ ، اتعاط ، ص ١٣٩ ، وتقرأ «مأب» كما عند المقرئ ، تح . الشيبان ، ص ٢٦٠ .
- ٣٠٩ - انظر المقرئ ، اتعاط ، ص ١٣٤ .
- ٣١٠ - خصائص تعليق أخي محسن على الرسالة المذكورة أعلاه .
- ٣١١ - انظر المقرئ ، اتعاط ، ص ١٤١ .

## كوزمولوجية الاسماعيليين من العهد ما قبل الفاطمي

هاينز هالم\*

كانت الأفكار والعقائد الدينية للاسماعيليين يغشاها الغموض حتى زمن متقدم في القرن العشرين ، وذلك بسبب سوء الفهم والتخرصات والافتراءات المتعمدة التي أطلقها معارضو المذهب من المسلمين . وحتى البحث الحديث ، فإنه ترك نفسه يزيغ عن الصواب بالدعاية المعادية ، ولا سيما عندما كان جل الأدب الأصلي للاسماعيليين لا يزال بعيداً عن متناول الباحثين .

وراح الرقاص يتأرجح في الإتجاه الآخر عندما نشر ستانيسلاس غويار (S.Guyard) كتابه حول عقائد الاسماعيليين بعنوان :

Fragments relatifs à la doctrine des Ismaélis سنة ١٨٧٤ . ويتعرفه على سمة لأفلاطونية المحدثه لبعض النصوص التي نشرها ، توصل غويار الى الاستنتاج بأن عقائد الاسماعيليين كانت مبنية على الفلسفة اليونانية .

وقد نظر الى عبد الله بن ميمون القداح ، المؤسس المزعوم للاسماعيلية ، على أنه لشخص المسؤول عن تعريف الفرقة الشيعية بالفكر اليوناني وسعى غويار الى ثبوت نظريته وتأكيدا بالإشارة الى شاهد مبكر فقد سبق لعالم الدين السنّي ، ابن تيمية (ت ١٣٢٨/٧٢٨) ، أن اعتقد في فتواه المعروفة ضد الفرقة النصيرية ، بأن المعتقد الاسماعيلي

\* هاينز هالم هو أستاذ التاريخ الاسلامي في جامعة توبنجن . وهو من الألمان البارزين في الدراسات الاسلامية ومختص في الدراسات اسماعيلية له مؤلفات كثيرة في مجال الاسلام والشيعية - والاسماعيلية ، إضافة الى العديد من المقالات في مجلات ودوريات معروفة ، وفي الموسوعة الاسلامية والايرانية .

كان متطابقاً مع عقيدة إخوان الصفا البصريين ، الذين كانوا قد استمدوا بالفعل من فلسفة العصور الكلاسيكية المتأخرة الغابرة لصياغة وحبك مقالات موسوعتهم الغضمة ، «الرسائل» . وراحت أقوال ابن تيمية تبدو مؤكدة عندما برهن بول كازانوف سنة ١٨٩٨ ، وفي ضوء مخطوطة من مصياف في سورية ، أن الاسماعيليين «الحشاشين» ، كانوا في حقيقة الأمر يكتنون تقديراً عالياً للرسائل .

وكانت تحقيقات لاحقة لنصوص اسماعيلية تشير الى ذات الاتجاه . فالرسائل الدينية للاسماعيليين الطيبين اليمنيين تضمنت اقتباسات مستفيضة من «رسائل إخوان الصفا» ، بينما نجد في كتاب «عيون الأخبار» للداعي اليمني ادريس عماد الدين (ت ١٤٧٢/٨٧٢) ، تسمية واضحة لأحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، الامام التاسع ، والثاني من قادة الدعوة الاسماعيلية المقيمين في سلمية ، على أنه «مؤلف الرسائل»<sup>(١)</sup> وكذلك ، فإن مقاطع معينة من الرسائل - في بعض التحقيقات النقدية للنصوص على الأقل ، هي بالفعل نصوص تذكرنا كثيراً بالعقائد الاسماعيلية . وكان فلاديمير ايثانوف لا يزال حتى وقت متأخر وصل الى عام ١٩٢٢ ، يقدم «الرسائل» في كتابه «المرشد الى الأدب الاسماعيلي» على أنها عمل اسماعيلي ، ولو أنه افترض أنها ، في أغلب الاحتمالات ، «قد أنتجت في وقت ما قريب من نهاية القرن الرابع عشر في ظل رعاية الفاطميين الأوائل (أي بعد الاستيلاء على مصر)<sup>(٢)</sup> ، ولهذا يصبح مفهوماً أنه حتى في هذه الأيام ، فإن متبحرين مثل ايفيس ماركيه (Y. Marquet) لا يزالون على الاعتقاد بأن عقائد اخوان الصفاء تمثل التعاليم الأصلية والنقية للاسماعيليين .

غير أن شكوكاً حول هذا الرأي سرعان ما ظهرت عند ايثانوف نفسه ، وهو الذي كان أول أوربي أتيحت له فرصة الوصول الى أدب اسماعيلي أصلي في الهند ، فقد تبين له أن أعمال حميد الدين الكرمانلي ، عالم الدين الأكثر شهرة من الفترة الفاطمية المبكرة ، لم تذكر كلمة واحدة بخصوص «الرسائل» ، بل وحتى أية تلميحات اليها قابلة للتمييز . ومع ذلك ، فقد راحت سمعة الأفلاطونية المحدثة لأعمال وفيرة من العهد الفاطمي تزداد وضوحاً شيئاً فشيئاً في سياق أبحاث ايثانوف . وسرعان ما أصبح واضحاً أن فلسفة الأفلاطونية المحدثة لم تكن ، على كل حال ، جذراً للعقيدة الاسماعيلية ، وإنما مرحلة ثانوية في تطورها ، ففي كتابه «المؤسس المزعوم للاسماعيلية» ، نص ايثانوف على أنه لا الرسائل الأقدم المعروفة للاسماعيليين من زمن سبق تأسيس الخلافة الفاطمية ، ولا أعمال القاضي النعمان (ت ٩٧٤/٣٦٣) تتضمن أي أثر للأفلاطونية المحدثة<sup>(٣)</sup> . ولذلك ، فقد توصل

يثانوف الى نتيجة مفادها أن الأفلاطونية المحدثة كانت مجرد طبقة ثانوية متأخرة في تطور الدوغماني للمذهب .

فما هو الأمر الذي كان قائماً من قبل إذن ؟ مع إقرارنا بأن الكتابات المبكرة ، مثل كتاب « العلم والغلام » وكتاب « الرشد والهداية » ، أو الرسائل الست لكتاب « الكشف » ، توفر رؤية معمقة في عقيدة الإمامة وممارسات الدعوة وأساليب التأويل ، إلا أنها لاتعطي صورة منتظمة لمجمل إطار العمل العقائدي للاسماعيلية المبكرة .

لقد قادت بعض المعلومات المثيرة للاستغراب لبعض المؤلفين غير الاسماعيليين لدرسين الى المسار الصحيح . فالتميمي ، الشاعر اليمني المعاصر لأقدم دعوة اسماعيلية في اليمن ، يشير الى الاسماعيليين في ثلاثة أبيات شعرية مروية بشكل مستقل وتقول (معهذه) :

« لقد جعلوا » « قدر » إلهاً ، و« كوني » خالقه ، الذي أوجد له البقاء ثم ستر نفسه ،  
نهم يرون « قدر » و« كوني » آلهة ، هي « والجد » الذي يُضم الى « الخيال »  
و« الاستفتاح »... قيا للضلال !»

وقد جاء المؤرخ الزيدي الهمداني (القرن الرابع / العاشر) ، وهو الذي نقل إلينا تمتد أبيات المثيرة للاستغراب ، بالتعليق عليها :

« هناك سبعة آلهة ، كل إله في سماء من السموات . الأول والأعلى منها الذي يقيم في السماء السابعة العليا ، ويدعى كوني . وكوني خلق قدر الذي يقيم في السماء الثانية . وقدر خلق لالهة نتي هي دونه ، أي الجد والاستفتاح والخيال والمخلوقات الأخرى... إلا أنهم يطبقون لأن على ما اعتادوا تسميته بكوني ، اسم « السابق » ، ويطلقون على قدر سم « التالي »... كما يسمونهما أيضاً بالأصليين الأولين ، ويقولون أنهما العقل ، وانفس ، و« الجد »<sup>(١)</sup> ولفتح والخيال قد وجدت عنهما ، كما كان الحال سابقاً ، بالإنبعاث .

إن تعيق الهمداني على أبيات التميمي الشعرية يعكس مسبقاً التطور اللاحق للعقيدة الاسماعيلية فما كان يدعى سابقاً « بكوني » و« قدر » صار في تلك الفترة يدعى « بالعقر » و« للنس » وأن هذين الأصليين لم يُوجدا إبداعاً الجد والفتح والخيال ، وإنما انبعثت ثلاثة .  
لأخيرة عن هذين « الأصليين » الاثنين . وهكذا فإن صيغ العقيدة المبكرة بالأفلاطونية المحدثة قد تمّ بكلمات قليلة بكل بساطة .

ويمكن بسهولة إثبات حقيقة أن أبيات التميمي الثلاثة تكشف فعلاً عن العقائد مركزية للاسماعيلية الأقدم في ضوء الأدب الاسماعيلي الأصيل من أزمئة لاحقة ، لأنه حتى

ونسك المؤلفين الأفلاطونيين المحدثين من أمثال السجستاني (ت ٩٩٦/٣٨٦ و٩٩٣/٣٩٣) والكرماني (ت بعد ١٠٢٠/٤١١) كثيراً ماذكروا أسماء كوني ، وقدر ، والجد ، والفتح ، والخيال ، وصيغهم بالأفلاطونية المحدثه تماماً بالطريقة ذاتها التي تتبعها لهمذاني في تعليقه . غير أن الجزء الذي لعبه النظام الأصلي للإسماعيلية الأقدم لا يمكن اكتشافه من خلال تلك الأشارات المعزولة .

وتم حل اللغز بنجاح على يدي سامويل م . شتيرن (S. M. Stern) الذي سبق له أن حدد في العام ١٩٤٦ مؤلفي رسائل اخوان الصفا وتعرف عليهم . ففي مخطوطة حول بعض لكتابات الاسماعيلية التي كان المتبحر الهندي البروفيسور آصف فيضي قد وضعها تحت تصرفه ، اكتشف شتيرن بمحض الصدفة رسالة استخدمت ذات الأسماء والمصطلحات التي استخدمها الشاعر اليميني وشارحه ، لكن في نص اسماعيلي أصلي مطول إلى حد ما هذه المرة (إذ تألفت الرسالة من ست عشرة صفحة من صفحات المخطوطة) . وظهر تحقيق شتيرن للنص ، مع ترجمة وتعليق جزئيين ، بعد وفاة المؤلف تحت عنوان The Earliest Cosmological Doctrines of Ismailism (أو العقائد الكونية الأقدم للإسماعيلية)<sup>(٥)</sup> .

وقد جرت تسمية المؤلف الأصلي للرسالة في المقدمة مباشرة على أنه الخليفة الفاطمي المعز ، الذي كان قد استقر في مصر عام ٩٧٣/٣٦٢ وتوفي في القاهرة سنة ٩٧٥/٣٦٥ ، كما ذكر الراوي على أنه شخص يقرب اسمه من الشيخ أبي عيسى المرشد ، وهو الذي تمكن شتيرن من تحديد هويته أيضاً . فقد سبق لجوهر ، الفاتح الفاطمي لمصر ، أن فوض خلال السنوات الأربع التي أمضاها نائباً للخليفة في مصر (٢٥٨ - ٣٦٢ / ٩٦٩ - ٩٧٣) ، أبا عيسى هذا بمسؤوليات « المظالم » ، وأن القاضي النعمان ، « المؤدب الرئيسي » بنفصميين وسمتوفي في القاهرة سنة ٩٧٤/٣٦٣ ، كان قد خاطب هذا الرجل في رسالة موجهة إليه باسم « داعي » مصر (أي الفسطاط أو القاهرة القديمة) .

وهكذا نجد أن هناك ثلاث أرضيات زمنية لتحديد تاريخ رسالة أبي عيسى نمرشد وعودة بها إلى الفترة الأقدم من الحكم الفاطمي في مصر . يضاف إلى ذلك ، أنه تم إثبات كونها نتاج للدعوة الاسماعيلية الرسمية ، فهي صادرة عن داعية كان نشطاً في مدينة السقية ، القديمة للقاهرة (إذ لا يمكن تفسير مصر هنا إلا بالفسطاط تحديداً) ، وتدعو إلى الاعتراف بسلطة الإمام - الخليفة المعز . وبكلمات أخرى ، فهي تعكس العقيدة الرسمية لتلك الفترة . وجعل الإمام - الخليفة نفسه يبدو كأنه المؤلف الأصلي ينسجم مع الممارسة الفاطمية . إذ أن كل النصوص المتعلقة بالمعتقد يجب أن تصدر عن الإمام ، وأن شخص



الذي يقوم بتدوينها ليس أكثر من راي لها وحسب . وقد أكد القاضي النعمان في كتاباته الخاصة عدة مرات أن التعاليم المقدمة في مجالس الحكمة كانت تُصدق من قبل الامام شخصياً قبل أن يتمكن الداعي من إيصالها الى المعتنقين .

وطبقاً للرسالة المغفلة لأبي عيسى المرشد ، فإنه لم يوجد قبل كل المكان وكل الزمان شيء سوى الله وحده ، وإرادته دفعت بالخلق الى التكوّن (أو الصيرورة) ، ويصدر الخلق عن النور الذي ينبعث عن ذات الله . والى هذا النور يشير الله بالأمر الإبداعي «كُن» .

ومن خلال كلمات الله وتسمياته ، اكتسبت تلك الكلمة ، «كُن» ، وجوداً خاصاً بها ، وهو المخلوق الأول ، ومن خلاله ، خلق الله جميع المخلوقات الأخرى . غير أنها لاتوجد تحت اسم «كُن» ، على كل حال ، بل بصورة فعل الأمر المؤنث باللغة العربية ، «كوني» . ولهذا التحول من فعل الأمر المذكور الى صورته المؤنثة معنى خاص ستم مناقشته فيما بعد .

عند هذا الحد ، علينا إدراج فقرة انزلت في رسالة أبي عيسى المرشد ذات التركيب غير المنتظم الى نهاية النص تقريباً . وجاء فيها :

«اعلم... أنه عندما وجدت أول (كوني) بالإبداع... ، لم تُشاهد أية موجودات أخرى الى جانبه ، وهكذا ، تبادر الى ذهنه تفكير بالفخر بأنه لم يكن هناك من أحد سواء ، وانبعثت على أثر ذلك ستة حدود عنه في الحال بقدرة الله ، من أجل تعليمه أن هناك موجوداً أقوى فوقه ، منه يستمد قوته ، وعلى إرادته تعتمد أفعاله كلها... وعندما رأى الأول أن ماحدث لم يكن من خلال قدرته الخاصة ولاطبقاً لإرادته ، أدرك أن هناك شيئاً ما يقع فوقه ، وأقرّ بخالقه ، وعندها قال : لا إله إلا الله - أي أنا لست إلهاً» .

وهكذا يدعن مخلوق الله الأول ، كوني ، للخطأ الناجم عن اعتبار نفسه إلهاً . ويقودنا ذلك الى الاستنتاج بأن الله الخالق مستور عنه وغير ظاهر له . ولهذا فإن على الله تذكير مخلوقه بنفسه ، ويفعل ذلك من خلال جعل ستة مخلوقات أخرى تخرج من «كوني» . والحيرة المتعلقة بالظهور المفاجيء لهذه المخلوقات الجديدة تجعل كوني يدرك أنه ليس وحيداً ، وأنه لابد من وجود خالق غير مرئي يسيطر عليه . فيتخلى «كوني» عن كبريائه ويعترف بخالقه . ولهذا الفقرة أهمية خطيرة في دراسة كوزموغونية\* الاسماعيليين وكوزمولوجيتهم\*\* ، وسوف نعود الى ذلك لاحقاً .

\* علم منشأة الكون .

\*\* علم دراسة الكون .

ثم أمر الله «كوني» قائلاً : أوجد لنفسك مخلوقاً من نورك الخاص يكون لك وزيراً ومساعداً وينفذ لنا أوامرنا .

وبناء على ذلك ، يبدع «كوني» مخلوقاً ثانياً ، ويطلق عليه اسم «قدر» . وهذا مفهوم معروف جيداً من مفاهيم اللاهوت الاسماعيلي . وهو يدل على ما يتمتع به الله من قدرة أو تقدير . ويستخدم الله هذين الكيانين الآن في تكوين بقية الخلق :

«ومن خلال كوني كوّن الله الأشياء كلها ، ومن خلال قدر قام بتقديرها» .  
أما كيف يحدث ذلك ، فهذا مما لا نجد له تفصيلاً في النص الذي بين أيدينا . ومايقوله هو :

«تتألف كوني من أربعة أحرف ، وقدر من ثلاثة ، فيكون مجموعها سبعة أحرف» .  
ولايتضح معنى هذه الجملة اللفظ إلا بالإشارة الى نص اسماعيلي آخر : الرسالة الثانية من كتاب الكشف ، الذي ينسبه التراث الاسماعيلي الى جعفر بن منصور اليماني ، وهو الذي ختم حياته في البلاط الفاطمي في المنصورية قرب القيروان في شمال افريقية . وربما كان «كتاب الكشف» المنسوب اليه ، على كل حال ، وهو المكوّن من مجموعة من ستة نصوص قديمة جداً وواضح أنها تعود الى فترة ما قبل الفاطميين ، ربما كان من صياغته وحسب ، وأنه كان قد أخذ تلك المجموعة معه ، كما هو مفترض ، من موطنه في اليمن الى شمال افريقية . ففي الرسالة الثانية من هذه المجموعة ، جرى تقسيم الأحرف الأبجدية العربية ، المكوّنة من ثمانية وعشرين حرفاً ، الى مجموعات أربع كل واحدة منها من سبعة أحرف ، وهكذا تكون أربع سبعات من خلال انضمامها واتحادها - ومعها ذات الأشياء التي تدل عليها - تكونت جميع الكلمات . ولابد أن هناك فكرة متشابهة الى حد كبير ، تذكرنا بفكرة «القبالة»\* اليهودية ، كانت وراء ما جاء في رسالة أبي عيسى المرشد من أن «كوني» و«قدر» يتألفان من سبعة حروف ، وهي تشكل السبعة الأصلية التي منها تخرج الأسماء الأخرى كلها .

وأول مايجلب النشاط الخُلقي لكوني و«وزير» قدر الى الوجود بالابداع كائنات العالم الروحاني : فمن نور «كوني» يخرج الكروبيون\*\* السبعة الذين يتولون حقاً - وبعد خلق العالم المادي - السيطرة على الأفلاك السماوية السبعة ، بينما تخلق «قدر» الكائنات الروحانية

\* القبالة : فلسفة دينية سرّية عند أحبار اليهود وبعض نصارى العصر الوسيط ، مبنية على تفسير الكتاب المقدس تفسيراً صولياً . (المورد) .

\*\* الكروبيون : هم كبار الملائكة .

لاثنيتي عشرة التي تتولى السيطرة بالنتيجة على فلك البروج . ونجد في النص قائمة بأسمائهم ، وهي تبدأ بالجد (الحظ السعيد) ، والفتح (الغزو أو الانتصار) والخيال (أو التخيل) ، كما أنها تضم عدة أسماء معروفة جيداً لملائكة من التراث الاسلامي ، مثل رضوان (حارس الجنة) ، وملاك (ملاك الجنة) ، ومنكر ونكير (ملاك القبور) . غير أن نصوصاً اسماعيلية أخرى قرنت لجد والفتح والخيال بالملائكة جبرائيل وميكائيل واسرافيل .

وكم سبقت الإشارة أعلاه ، فإن خطأ المخلوق الأول ، كوني ، الذي اعتبر نفسه إلهاً ، له أهمية خاصة بالنسبة إلى علم نشأة الكون (كوزموغاني) الاسماعيلي . إن خطأ كوني ، وما خلفه بنفسه ثم شعوره بالطمأنينة ، دفعت الإله الخالق الى التدخل ، وهو ما أدى الى نضال عملية الخلق والإبداع ووضعها موضع الحركة .

ويقتبس النص مرة بعد أخرى العديد من الآيات القرآنية لإثبات أن القرآن قد تضمنت حشرت خفية الى العمميات التي شرحتها ، ومع أن أسماء «كوني» و«قدر» نفسها يمكن استخلاصها من القرآن ، إلا أنه من الواضح ، ليس من خلال أسماء بعض الكروبيين وكنائس الروحية وحسب ، بل ومن مجمل الرواية بعد ذاتها ، أننا نتعامل هنا مع أفكار ودوافع مستعارة من مجال وبينت أجنبيتين أيضاً . ولايكاد هذا الأمر يسبب أي قلق لمؤمن اسماعيلي ، لأن الرسالة الاسلامية ، طبقاً لمعتقدده ، كانت في حقيقة الأمر الظهور الأخير لحقيقة خالدة عمرها من عمر الزمن .

إن كوزموغونية رسالة أبي عيسى تمثل نموذجاً مألوفاً لدينا يعود الى عرفان العصور القديمة المتأخرة . وقد بلغت هذه الحركة الروحية ، التي لم تتغلغل داخل العبادات لقديمة الفاضة وحسب ، بل داخل اليهودية والمسيحية أيضاً ، حتى أنها كانت وراء ظهور مدين لندمي المعروف بالمانوية ، بلغت أوجها بين القرنين الأول والرابع الميلاديين ، لا أن آثارها اللاحقة استمرت فترة أطول بكثير . ولم تختف المانوية حتى القرن الحادي عشر الميلادي ، في حين لاتزال فرقة الماندائية (Mandaeen) المعمدانية العرفانية موجودة حتى يوم في جنوبي العراق . ونجد مع المانوية والماندائية حركتان دينيتان عرفانيتان سبق لهما لنهوض في العراق ، الذي هو المكان ذاته تماماً الذي شهد ظهور الدعوة الاسماعيلية منتصف لقرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي . لكن ، في حين تتوفر لدينا معلومات جيدة حول لفرق اعرفانية الكثيرة لمصر وأدبها من خلال المخطوطات المكتشفة في نجع حمادي ، فإننا لانزال نجهل تماماً المناخ العرفاني لبلاد ما بين النهرين في فترة ما قبل الاسلام ، وتكاد تكون معرفتنا بحكم الغم في ما يتعلق بالمصادر التي أوحى بالعرفان

الاسلامي عموماً أو العرفان الاسماعيلي على وجه الخصوص . ولا يمكن أن تكون المانوية هي المصدر ، على كل حال ، لأننا لانجد دليلاً واحداً على أية أفكار أو مفاهيم مانوية محددة في التعاليم الاسماعيلية .

كما أننا لسنا بحاجة لربط الاسماعيلية بأية فرقة عرفانية محددة من فترة ما قبل الاسلام . وإذا وصفنا الخرافة الاسماعيلية المتعلقة بنشأة الكون ، بالشكل الذي وردتنا في رسالة أبي عيسى المرشد « بالعرفانية » ، فإن مايكون حاضراً في الذهن هو مجرد سمات أساسية معينة تتكرر مواجعتنا لها في صور مشابهة في كوزموغوليات عرفان مختلف جداً عن عرفان ومانوية عصور قديمة متأخرة ( ophite and valentinians, Barbelo ) . والسمة الأكثر روعة هنا هي الاعتقاد بأن خلق العالم هو نتيجة لسقوط ، ليس سقوط رجل أرضي ، بل ذلك المخلوق الأول غير المادي . فقد انخدع ذلك المخلوق الأول بالاعتقاد بأنه الله ، طالما أنه لم يتعرف على خالقه المستور . وتسبب هذا السقوط بظهور الكون ، الذي تألف بداية من عالم روحاني « أعلى » ذي الدرجات المتعددة – وهو الذي أطلق عليه أهل العرفان من العصور القديمة المتأخرة اسم التمام أو الكمال – ومن كون مادي ، فيما بعد ، ذي الأفلاك السماوية السبعة وعالم مادون القمر الأرضي . ونتيجة لذلك ، فإن الانسان ، الذي ظهر في نهاية تلك العملية ، يقف بعيداً عن أصله ، إنه حقاً بعيد عن خالقه بعوالم عديدة . ويبرز حسن التدين العرفاني في تفسير بُعد الانسان عن الله وإظهار الطريقة لإلغاء هذه المسافة ، وهذه الطريقة هي « المعرفة أو الحكمة » (غنوسيس اليونانية) تحديداً ، والتي لا يقدر الانسان على تحصيلها بنفسه وإنما ترسل اليه من أعلى . وعندما يتعرف الانسان على أصله والأسباب التي أبعدته عن الله ، فإنه يكون قد حقق الخلاص أيضاً . ولذلك فإن علم دراسة الكون وعقيدة الخلاص تصيحان في هذا النظام مترابطتين بشكل وثيق<sup>(٧)</sup> .

إن كوزمولوجية رسالة أبي عيسى تتضمن جميع تلك السمات العرفانية الأساسية . ففي النظام العرفاني القديم ، نجد أن أول مخلوقات الله التي يتمرد ويدعن لشعوره بالطمأنينة هو من جنس الاناث عادة (Sophia) . وحافظت الأسطورة الاسماعيلية على انعكاس لهذه الفكرة بتحويلها لفعل الخلق القرآني « كن » الى صورة مؤنثة لفعل الأمر ، « كوني » . والتطور التقدمي للعالم غير المادي أولاً ثم للمادي ، وابتعاد الانسان عن الله ، واستنارته وخلاصه من خلال العلم (أو الحكمة = غنوسيس) الذي يصل اليه على أيدي رسل يسعهم الله . أن تلك الخصائص الفاصلة كلها تبرز وصف العقيدة الاسماعيلية بأنها « عرفانية » .

وبما أن الدعوة الاسماعيلية بدأت في جنوبي بلاد ما بين النهرين أواسط القرن الثالث

لهجري/ لتاسع الميلادي ، فإنه يجوز لنا الافتراض بأن النموذج العرفاني الذي يشكر أساساً به هو من أصول تعود إلى بلاد ما بين النهرين . ولا يمكن قول المزيد . على كل حال ، لأننا لانعرف عرفان بلاد ما بين النهرين إلا في صورتيه المانوية والماندائية . ومع ذلك ، عيّن لافتراض بأنه وجدت أعداد كبيرة من الفرق واندوائر العرفانية في عراق ما قبل الاسلام - كما كان الأمر في مصر وسورية وآسية الصغرى - والتي لم تظهر البتة حين لجمهور ولم تترك أدنى أثر . ولقد تأثر الاسلام بهذه الحركة الروحانية الهامة ، مشمما كل حال مع اليهودية والمسيحية والزرادشتية .

ولم تكن غوزموغونية الاسماعيليين من عهد ما قبل الفاطميين الأسطورة العرفانية الوحيدة في الزي لاسلامي المعروف لدينا . إذ لدينا من قرن قبل ذلك ، « أم الكتاب » وهو سفر لرؤيا كتب بالعربية في بداية الأمر ، ولايتوفر حالياً إلا في ترجمة فارسية (تم توسيعها فيما بعد) وصفت فيها عبر الجماعات الاسماعيلية في مناطق بامير وكراكورم ، ولعلاقة له بالعقد لاسماعيلية<sup>(٨)</sup> . ويمكن تتبع أثر هذا الكتاب المثير للدهشة ظاهرياً إلى الطائفتين اعرقيتين لتبعين دائرة الشيعي الزنديقي ، أبي الخطاب<sup>(٩)</sup> . وتجد هنا أن حركة الخلق قد انطلقت من خلال شعور الطمأنينة لكائن ملائكي يدعى عزرائيل . وقريب جداً من غوزموغونية « أم لكتاب » ، غوزموغونية سفر للرؤيا آخر ينتمي إلى ذات التراث ، وهو « كتاب الأظلة »<sup>(١٠)</sup> ويشكل هذا الكتاب بدوره أساساً أسطورة غوزموغونية الفرقة النصيرية ، أو العلوية التي نكشفت لنا كتابياً من خلال عمل للعلوي المرتد سليمان أفندي الأذني في العام ١٨٦٤<sup>(١١)</sup> .

إلا أن غوزموغونية « أم الكتاب » و« كتاب الأظلة » والنصيريين ذات الترابط الوثيق تختف بشكل متميز عن غوزموغونية الاسماعيليين المبكرين . إذ أننا نتعامل هنا مع دينين كليهما يرتكز على نموذج عرفاني متشابه . إنهما يمثلان تراثين اثنين مستقيمين تماماً ومتحرزين من أي نفوذ لأحدهما على الآخر . والأول هو تراث من يعرفون « بنفلة » مستجدرين في المدائن والكوفة ، والذي يمكن تتبع أثره في الماضي إلى فجر حركة لشيعية ، أم العقيدة الاسماعيلية فإنها ، من جهة أخرى ، أكثر حداثة ونتاج مستقل سقرن لثالث هجري/ اتاسع الميلادي . ومخترعها على ما يظن هو مؤسس الدعوة الاسماعيلية ، عبد لله الأكبر ، جد الفاطميين ، الذي ابتدأ نشاطه في بلدته الأم عسكر مكرم في خوزستان ثم في البصرة ، واستقر بالنتيجة في سلمية في سورية . فإذا ما كان هذا ضمن صحيحاً ، فإن عبد الله الأكبر هو مؤسس تراث عرفاني يقف على قدم المساواة مع مبدعي أنظمة عرفانية أقدم مشهورين مثل سيمون المجوسي ، أو ماني ، أو فالنتاين .

## الحواشي

- ١ - أدريس حماد الدين ، هيون الأخبار ، م١ ، تح . غالب (بيروت ، ١٩٧٣) ، ص ٣٦٧ وما بعدها .
- ٢ - إيفانوف ، المرشد إلى الأدب الاسماعيلي (لندن ، ١٩٢٢) ، ص ٣٠ وما بعدها .
- ٣ - إيفانوف ، المؤسس المزعوم للاسماعيلية (بومباي ، ١٩٤٦) ، ص ١٤٥ وما بعدها .
- ٤ - مقتبسة عن أرندونك ، انظر هتيرن ، دراسات في الاسماعيلية المبكرة (القدس - ليدن ، ١٩٨٢) ، ص ٢ وما بعدها .
- ٥ - متضمنة في : هتيرن ، دراسات ، ص ٢ - ٢٩ .
- ٦ - جعفر بن منصور اليماني ، كتاب الكشف ، تح . شتروتمان (لندن ، ١٩٥٢) ، ص ٤٨ .
- ٧ - انظر (هالم) H.Holm , Kosmologie Und Heilslehre der Fruben Ismailiya .
- ٨ - أم الكتاب ، تح . إيفانوف في : Der Islam ، ٢٢ (١٩٣٦) ، ص ١١٣ وما بعدها .
- ٩ - انظر هالم ، العرفان الاسلامي (ميونيخ ، ١٩٨٢) ، ص ١١٢ وما بعدها .
- ١٠ - المصدر السابق ، ص ٢٤٠ وما بعدها .
- ١١ - المصدر السابق ، ص ٢٩٨ وما بعدها .

## أبو يعقوب السجستاني وقوى العقل السبع

ويلفيرد ماد لونغ\*

في الفصل السادس عشر من ، كتاب الينابيع ، وصف الداعي الاسماعيلي أبو يعقوب السجستاني قوى العقل السبع التي كانت ، كما يقول ، في ذات الابداع مع العقل الكلي لم تتأخر عنه ، ولذلك فهي تلازمه ولا تفارقه<sup>(١)</sup> . وأول هذه القوى هي الدهر<sup>(٢)</sup> . والبرهان على امتداد وجوده مع العقل الكلي ، هو أن العقل الفردي سوف يبقى ، عندما يصبح مكتسباً من خلال ادراك المعقول ، ملازماً لذلك المعقول ويمتد معه امتداد دهره . وهكذا يصبح معلوماً أن الدهر المطلق يمتد مع السابق (العقل الكلي) عند الابداع وبعده .

وثانية هذه القوى هي الحق . إذ أن حقيقة أي شيء معقول تمتد امتداد العقل المكتسب . والافتراض بأنه من الممكن إزالته عنه وهم ، لأن خلافه سوف يبطل العقل<sup>(٣)</sup> . وهكذا يصبح معلوماً أن الحقيقة المطلقة تمتد مع العقل عند ابداعه وبعده ، وثالثة هذه القوى هي السرور . والسرور موجود في العقل المكتسب كلما أحاط بالمعقول . وهكذا يصبح معلوماً أن السرور المطلق كان ممتداً مع العقل عند الإبداع وبعده . ورابعة هذه القوى هي البرهان . فالبرهان لا يتأخر عن العقل المكتسب عند الإحاطة بالمعقول . وهكذا يصبح معلوماً أن البرهان كان ممتداً مع العقل المكتسب عند الإحاطة بالمعقول . وهكذا يصبح معلوماً أن البرهان كان ممتداً مع العقل عند الابداع

\* انظر حاشية الفصل (٢) .

وبعده . وخامسة هذه القوى هي الحياة . وهي توجد مع العقل المكتسب عندما يتحرك في الادراك للمعقولات . وهكذا يصبح معلوماً أن الحياة المطلقة ممتدة مع السابق عند الابداع وبعده غير متأخرة عنه .

وسادسة هذه القوى هي الكمال . والكمال لا يتأخر عن العقل الجزئي المكتسب إذا أحاط بمعقول ما ، فلا يتوهم المعقول ناقصاً عند الإحاطة بل كاملاً . وهكذا يصبح معلوماً أن الكمال كان ممتداً مع السابق عند الابداع وبعده .

أما هوية سابعة هذه القوى وأعلها فقد أثارت بعض البلبلة بين الرواة الاسماعيليين المتأخرين لهذا النص ، وكذلك بين الدارسين المصريين . ففي تحقيقه « لكتاب الينابيع » ، حافظ هنري كوربان على قراءة « الغيبة » التي وجدها في المخطوطة . لكنه بين أن ناصر خسرو قد ترجم الكلمة في إعادة صياغته للنص بالفارسية في كتابه « خوان الإخوان » ، ترجمها بـ ( هينيازي ) ، أي الاكتفاء الذاتي أو الكفاية وعدم الحاجة ، وهي التي افترضت بوضوح قراءة الكلمة بالعربية على أنها « غنية »<sup>(٤)</sup> . وفي حين أقر كوربان بمعقولية قراءة « غنية » ، إلا أنه فضل قراءة « غيبة » كما في الأصل ، مشيراً إلى أن الكلمة قد ظهرت بشكل مساوٍ في كلا عملي ناصر خسرو ، جامع الحكميتين وشرحه للقصيدة الاسماعيلية لأبي الهيثم الجورجاني ، والمنسوبة إلى محمد بن سورش النيسابوري ، على أنها « غيبة » . وذهب في جداله أبعد من ذلك وقال أن « غنية » لاتضيف أي شيء ذي أهمية إلى معنى « الكمال » ، إذ أن الكلمتين مرادفتان لمعنى واحد . وهكذا فإن قراءة « غنية » سوف تسبب إلى الحس وتحرمه من أصالته وعمقه . أما « غيبة » فقد كانت ، بالمقابل ، مصطلحاً مثقلاً بالأهمية في علم الدين الشيعي<sup>(٥)</sup> ، كما في الصوفية . وفي السياق الحالي ، فهي تعني « الغيبة » ، والحالة المستورة ، والغياب عن العالم المرئي المثير للفرح والسرور ، والحدوث في العالم اللامرئي ، وهي ، بهذا الشكل ، البعد الفوق - حسي واللامنظور للكانن الحي<sup>(٦)</sup> .

غير أن قراءة معمقة لنصوص ذات صلة تكشف بوضوح ، على كل حال ، بأن « غنية » (الكفاية الذاتية) لابد أنها هي التي كانت مقصودة فيها جميعاً ، وليس بالأخرى « غيبة » ، ففي « جامع الحكميتين » ، يقدم ناصر خسرو تأويلاً باطنياً لسته من المصطلحات السبعة الوارد ذكرها في « القصيدة » ، لأبي الهيثم<sup>(٧)</sup> . وهو يشرح بخصوص « الكمال » أن النفس الانسانية تبلغ الكمال عندما تتقبل بشكل كامل إفاضات العقل الكلي . وقد تمكن الأنبياء الستة الرئيسيون ، أي آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ، من إقامة سلطتهم على



جزء من لبشرية على مدى ٧٠٠٠ عام من خلال إبلاغ إفاضات العقل لهم . وحقيقة أنهم لم يتمكنوا من إقامة سلطتهم على كامل البشرية هو دليل ، على كل حال ، على أنه لم يوجد أحد بعد قبل بالعقل بشكل تام . وهكذا ، فالיום الذي سيكون الأمر فيه لله ، طبقاً لقرآن الكريم (١٩/٨٢) ، لمّا يأت .

ونقرأ في الجملة الافتتاحية للمقطع التالي ، في تحقيق كتاب «جامع الحكمين» ، قوله : «وعندي نفسي كلي أز احتياجي خویش بدان شخص هاشدكي افاضاتي عقل كني راتمام و بازيرد و برخلق بي جملني وسالارشود»<sup>(٨)</sup> .

وهذه جملة غير قابلة للفهم تماماً . إن مصطلح «أز احتياجي خویش» يستوجب قراءة «غنيتي» ، أو مايقابلها كتابة بشكل أدق ، «غنيايي» ، بدلاً من «غنيتي» ، «إن غيبة لنفس سكلية (والتي تعتبر النفس الفردية جزءاً منها) واستفنائها عن الحاجة لذاتها الخاصة سوف يحدث من خلال ذلك الشخص الذي يقبل استفاضات العقل الكني كاملة ويصبح حاكماً على جميع الخلق» . ويستلزم ناصر خسرو في شرحه بالقول إن هذا الشخص سيكون آخر أولئك الحكام وبه تختتم الدائرة وتغلق . وقد أطلق بعض الناس عليه اسم المسيح ، الذي سيعود الى الظهور ، وآخرون سمّوه المهدي ، وذهب آخرون الى تسميته بالقائم . وهكذا جاء قوله تعالى «عمّ يتساءلون ؟ عن النبأ العظيم انذي هم فيه مختلفون» (١٧٨/١ - ٢) . وواضح اذن أن ناصر خسرو لابد وأنه قد قرأ الكلمة «غنيتي» في شعر أبي الهيثم ، وليس بالأخرى «غبية»<sup>(٩)</sup> .

أما شارح «قصيدة» أبي الهيثم فإنه يقول بخصوص القوى السبع ، والتي وصفها في شعره بلأنوار ، إنها تدعى «بالإفاضات الالهية» . وهي موجودة مع العقل ومستورة عن النفس . وكل نفس (جزئية) تتقبل منها وفقاً لنبلها ، ووصفها ودقة فهمها ، وجهدها . وبهذا ، فقد تتقبل واحدة أو اثنتين أو ثلاثاً ، بينما نقوس الأنبياء تتقبل السبع جميعاً<sup>(١٠)</sup> . وقد وصف الشارح الإفاضة الأخيرة من إفاضات العقل وأنبلها ، التي تشع على النفس بقولته «نَ كَر من تشع عليه تلك الإفاضة يصبح مستقلاً»<sup>(١١)</sup> عن العالمين الاثنين . فالكيفية بذاتية (حيث يقرأ الكلمة غنية بدلاً من غيبة) تكون في استفنائها عن ذل السؤال وألم قراءة وكتابة والتعلم . إنه يصل الى محطة يقول الله تعالى عنها : «فيها ما تشتهي الأنفس وتلدأعين» (٧١/٤٣) . إذ أن كل رغبة قد تظهر عن النفس ، تقابل بظهور وسيلة عن تسد إفاضة للتعامل معها ، وحضور استجابة لها صادرة عن عقله . ولن يكون لنفس بعد ذلك حاجة لأي شيء آخر»<sup>(١٢)</sup> .

وقد علق كوربان عند ترجمته لهذه الفقرة بالقول أن «الغيبة» تكون قد حدثت بهذا الشكل علاقة متميزة بين النفس الجزئية والعقل ، والتي تجاهها تكون «غيبة» في موقع النتيجة المجردة<sup>(١٣)</sup> . أما الأمر الأكثر ترجيحاً فهو أن غيبة النفس الموصوفة هنا إنما هي الحالة الأرقى التي يمكنها الوصول إليها . وأما حالة الغيبة المثيرة لفرح ولسرور ، كما فسر كوربان مصطلح «غيبة» ، فإنها لم توصف ولم تُضمّن في أي من النصوص .

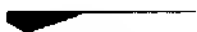
وعلى هذا الأساس ، يمكن ترجمة وصف أبي يعقوب لسابعة قوى العقل على النحو التالي ، والسابعة : الغيبة . فإن الغيبة في العقل الجزئي المكتسب ، إذا أحاط بمعقولات م ، هي عين موجود ، فيعلم أن الغيبة كانت ممتدة مع السابق عند الإبداع وبعده . وإذا أفترض السابق بالغيبة من قواء على أحد ، كانت تلك الإفاضة أفضل لإفادت وأعلها<sup>(١٤)</sup> .

ويتابع أبو يعقوب ويوضح أن أدون الإفاضة العقلية هي إفاضة الدهر ، وإن كان لدهر من حيث الطبيعيات في غاية الشرف لديمومته ، ولأن الله جعله خزان الحركات الزمانية . ولكل قوة من هذه القوى فروع كثيرة لا يحصى عددها ولا ينقطع أمدها . وفوق هذه القوى العقلية المبدعة معه مالا وصف له بالمنطق والوهم ، إذ هي أشياء تفرّد بها السابق ، ولا ندري متى يفيض بأدائها على معلوله ، بحيث يمكن لمعلوله تصوّرها والتعبير عنها وقامتها . وهذه التي تظهر في الأكوار والأدوار التي هو منفرد بها ، ممسكة عنده كنها ومجموعة في نقطة هي مركز العالمين<sup>(١٥)</sup> .

وهكذا فإن مفهوم أبي يعقوب لقوى العقل هو أقل صوفية مما قد اعتقده كوربان . إنه بالأحرى ، مؤسس في التراث الفلسفي . وبعض هذه القوى ورد ذكره في نصوص فلاسفة محدثة أقدم على أنها صفات العقل<sup>(١٦)</sup> . ومن المحتمل أن يكون اقتصارها على سبع صفات أساسية المساهمة الاسماعيلية الخاصة لأبي يعقوب . إذ ليس هناك من دليل بعد يوحى بوجود تصوّر لهذه السبع عند شيخ أبي يعقوب ، الداعي محمد بن أحمد النسفي من منطقة ماوراء النهر (ت ٩٤٣/٣٣٢) .

إن غلبة قراءة «غيبة» الخاطئة في جميع النصوص ذات العلاقة يوضح لحالة لرهنة لثرت المخطوطات الاسماعيلية التي يرثى لها . وبينما كانت القراءة الصحيحة لاترل متوفرة بكميتها في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ، إلا أنها أصبحت منسية فيما بعد ، كما هو واضح ، في سياق قرون من الاضطهاد وتدهور الحالة التعيسيمية بين

لاسم عينييين . أما مصطلح « غنية » فإنه يكاد لا يكون مستعملاً في الفارسية ، كما بين كوربان<sup>(٦)</sup> ، ولذلك كان من السهل استبداله بـ « غيبة » . لكن انشكل الخاطيء ولمدير مصصح وجد مكاناً له أيضاً في النص العربي « للينابيع » لأبي يعقوب . ولولا ترجمة لفارسية لمصطلح لناصر خسرو ، لكان من الصعب استعادة مفهوم أبي يعقوب السجستاني لأصلي للقوة السابعة من قوى العقل<sup>(١٨)</sup> . ولا بدّ من الأخذ في الحسبان الحالة البائسة لثراث المخطوطات الاسماعيلية الحديث ، عندما نريد دراسة وتحقيق تلك النصوص وغيره من لنصوص الاسماعيلية .



1  
2  
3  
4  
5  
6  
7  
8  
9  
10  
11  
12  
13  
14  
15  
16  
17  
18  
19  
20  
21  
22  
23  
24  
25  
26  
27  
28  
29  
30  
31  
32  
33  
34  
35  
36  
37  
38  
39  
40  
41  
42  
43  
44  
45  
46  
47  
48  
49  
50  
51  
52  
53  
54  
55  
56  
57  
58  
59  
60  
61  
62  
63  
64  
65  
66  
67  
68  
69  
70  
71  
72  
73  
74  
75  
76  
77  
78  
79  
80  
81  
82  
83  
84  
85  
86  
87  
88  
89  
90  
91  
92  
93  
94  
95  
96  
97  
98  
99  
100  
101  
102  
103  
104  
105  
106  
107  
108  
109  
110  
111  
112  
113  
114  
115  
116  
117  
118  
119  
120  
121  
122  
123  
124  
125  
126  
127  
128  
129  
130  
131  
132  
133  
134  
135  
136  
137  
138  
139  
140  
141  
142  
143  
144  
145  
146  
147  
148  
149  
150  
151  
152  
153  
154  
155  
156  
157  
158  
159  
160  
161  
162  
163  
164  
165  
166  
167  
168  
169  
170  
171  
172  
173  
174  
175  
176  
177  
178  
179  
180  
181  
182  
183  
184  
185  
186  
187  
188  
189  
190  
191  
192  
193  
194  
195  
196  
197  
198  
199  
200  
201  
202  
203  
204  
205  
206  
207  
208  
209  
210  
211  
212  
213  
214  
215  
216  
217  
218  
219  
220  
221  
222  
223  
224  
225  
226  
227  
228  
229  
230  
231  
232  
233  
234  
235  
236  
237  
238  
239  
240  
241  
242  
243  
244  
245  
246  
247  
248  
249  
250  
251  
252  
253  
254  
255  
256  
257  
258  
259  
260  
261  
262  
263  
264  
265  
266  
267  
268  
269  
270  
271  
272  
273  
274  
275  
276  
277  
278  
279  
280  
281  
282  
283  
284  
285  
286  
287  
288  
289  
290  
291  
292  
293  
294  
295  
296  
297  
298  
299  
300  
301  
302  
303  
304  
305  
306  
307  
308  
309  
310  
311  
312  
313  
314  
315  
316  
317  
318  
319  
320  
321  
322  
323  
324  
325  
326  
327  
328  
329  
330  
331  
332  
333  
334  
335  
336  
337  
338  
339  
340  
341  
342  
343  
344  
345  
346  
347  
348  
349  
350  
351  
352  
353  
354  
355  
356  
357  
358  
359  
360  
361  
362  
363  
364  
365  
366  
367  
368  
369  
370  
371  
372  
373  
374  
375  
376  
377  
378  
379  
380  
381  
382  
383  
384  
385  
386  
387  
388  
389  
390  
391  
392  
393  
394  
395  
396  
397  
398  
399  
400  
401  
402  
403  
404  
405  
406  
407  
408  
409  
410  
411  
412  
413  
414  
415  
416  
417  
418  
419  
420  
421  
422  
423  
424  
425  
426  
427  
428  
429  
430  
431  
432  
433  
434  
435  
436  
437  
438  
439  
440  
441  
442  
443  
444  
445  
446  
447  
448  
449  
450  
451  
452  
453  
454  
455  
456  
457  
458  
459  
460  
461  
462  
463  
464  
465  
466  
467  
468  
469  
470  
471  
472  
473  
474  
475  
476  
477  
478  
479  
480  
481  
482  
483  
484  
485  
486  
487  
488  
489  
490  
491  
492  
493  
494  
495  
496  
497  
498  
499  
500  
501  
502  
503  
504  
505  
506  
507  
508  
509  
510  
511  
512  
513  
514  
515  
516  
517  
518  
519  
520  
521  
522  
523  
524  
525  
526  
527  
528  
529  
530  
531  
532  
533  
534  
535  
536  
537  
538  
539  
540  
541  
542  
543  
544  
545  
546  
547  
548  
549  
550  
551  
552  
553  
554  
555  
556  
557  
558  
559  
560  
561  
562  
563  
564  
565  
566  
567  
568  
569  
570  
571  
572  
573  
574  
575  
576  
577  
578  
579  
580  
581  
582  
583  
584  
585  
586  
587  
588  
589  
590  
591  
592  
593  
594  
595  
596  
597  
598  
599  
600  
601  
602  
603  
604  
605  
606  
607  
608  
609  
610  
611  
612  
613  
614  
615  
616  
617  
618  
619  
620  
621  
622  
623  
624  
625  
626  
627  
628  
629  
630  
631  
632  
633  
634  
635  
636  
637  
638  
639  
640  
641  
642  
643  
644  
645  
646  
647  
648  
649  
650  
651  
652  
653  
654  
655  
656  
657  
658  
659  
660  
661  
662  
663  
664  
665  
666  
667  
668  
669  
670  
671  
672  
673  
674  
675  
676  
677  
678  
679  
680  
681  
682  
683  
684  
685  
686  
687  
688  
689  
690  
691  
692  
693  
694  
695  
696  
697  
698  
699  
700  
701  
702  
703  
704  
705  
706  
707  
708  
709  
710  
711  
712  
713  
714  
715  
716  
717  
718  
719  
720  
721  
722  
723  
724  
725  
726  
727  
728  
729  
730  
731  
732  
733  
734  
735  
736  
737  
738  
739  
740  
741  
742  
743  
744  
745  
746  
747  
748  
749  
750  
751  
752  
753  
754  
755  
756  
757  
758  
759  
760  
761  
762  
763  
764  
765  
766  
767  
768  
769  
770  
771  
772  
773  
774  
775  
776  
777  
778  
779  
780  
781  
782  
783  
784  
785  
786  
787  
788  
789  
790  
791  
792  
793  
794  
795  
796  
797  
798  
799  
800  
801  
802  
803  
804  
805  
806  
807  
808  
809  
810  
811  
812  
813  
814  
815  
816  
817  
818  
819  
820  
821  
822  
823  
824  
825  
826  
827  
828  
829  
830  
831  
832  
833  
834  
835  
836  
837  
838  
839  
840  
841  
842  
843  
844  
845  
846  
847  
848  
849  
850  
851  
852  
853  
854  
855  
856  
857  
858  
859  
860  
861  
862  
863  
864  
865  
866  
867  
868  
869  
870  
871  
872  
873  
874  
875  
876  
877  
878  
879  
880  
881  
882  
883  
884  
885  
886  
887  
888  
889  
890  
891  
892  
893  
894  
895  
896  
897  
898  
899  
900  
901  
902  
903  
904  
905  
906  
907  
908  
909  
910  
911  
912  
913  
914  
915  
916  
917  
918  
919  
920  
921  
922  
923  
924  
925  
926  
927  
928  
929  
930  
931  
932  
933  
934  
935  
936  
937  
938  
939  
940  
941  
942  
943  
944  
945  
946  
947  
948  
949  
950  
951  
952  
953  
954  
955  
956  
957  
958  
959  
960  
961  
962  
963  
964  
965  
966  
967  
968  
969  
970  
971  
972  
973  
974  
975  
976  
977  
978  
979  
980  
981  
982  
983  
984  
985  
986  
987  
988  
989  
990  
991  
992  
993  
994  
995  
996  
997  
998  
999  
1000

1

## I

ن فعل القسم أو الوعد في القصص التي تتناول أعمال التحويل على أيدي الدعاة لأواثر ، يجري ذكره بشكل موجز وكأمر مفروغ منه ، دون التعرض لوصفه بالتفصيل . وهكذا جعل الداعي الحسين الأهوازي الحمال حمدان قمرط يقسم بالكلمات التالية بعد أن أمره بالنظهر والوضوء بماء القناة ، « آخذ عليك عهداً وميثاقاً أخذه الله على النبيين وسمرسين »<sup>(١)</sup> . ووصف الداعي ابن حوشب منصور اليمن في سيرته كيف قدم لاصحه ومعتمه بأخذ العهد والميثاق عليه<sup>(٢)</sup> ، وهو نفسه قد أقدم فيما بعد على أخذه على بربر كتامة لذين تم تحويلهم الى المذهب ، وراح من هم خارج المذهب يتخرون حول « لأمر المكتوم » الذي بقي مجهولاً لديهم وقالوا : « لو كان أمراً جيداً لما أخفوه ، ولابد أنه كان بالتأكيد موجهاً ضد دين الاسلام »<sup>(٣)</sup> .

ومن أوائل النصوص الاسماعيلية التي تزودنا بمعلومات حول أشكال التلقين وصوره ، سينا « كتاب العالم والغلام » الذي تنسبه التقاليد الاسماعيلية الى ابن حوشب منصور اليمن أو لولده جعفر . وتصف هذه الرومانسية التلقينية بطريقة مثالية كيف يحظى رجل شاب بثقة داعية جوال ينجح بالنتيجة في تلقينه في المذهب . وذروة النص هي في وصف التحضيرات المؤدية الى ابلاغ الأسرار وكشفها . وهنا أيضاً يشكل العهد الخطوة الأولى في توجيه والتعليم فالعالم يقول للغلام<sup>(٤)</sup> : « إن للدين مفتاحاً يحلله ويحرّمه ، مثل الفرق بين لسفح والنكاح .

قد الغلام : إن هذا المفتاح الذي ذكرت لعظيم عند الله ، إذا كان فارقاً بين الحلال والحرام ، والحق والباطل ، فما هو ؟

قد العالم : هو عهد الله المؤكد لحقوقه ، الجامع لقرائضه ، الجنة لأوليائه ، حبر سه في أرضه ، وأمان بين عبادة ، أذكره لك ، وأخذه عليك .

قال الغلام : نعم ، خذ ما أحببت لأقرب رعيّتك ، ولا أتعدى سكتك »<sup>(٥)</sup>

ويتبع النص : « فأقبل العالم يتلو العهد على الغلام ، ويرتله له ، ويعقده عليه ، ولغلام لا يمسك نفسه جزءاً ، ودموعه تنحدر من شدة العبرة ، حتى بلغ به آخر العهد ، فحمد سه وثنى عليه . وشكر عليه ، وأوصله اليه ، وأيقن أنه قد صار في حزب الله ، وحزب أوليائه ، بقبول عهدهم . ثم سكت من تحميده ، وأخذ العالم في الشرح والبيان ، فكان أول مقل به

نعلم من الشرح والبيان ، وأوائل الأسباب الظاهرة ، ومبدأ خلقها ، إن الله مبتدع لأشياء ، ومكوئنها ، خلقها فابتدأها من غير أول خلق سبق .

ومع أن قصة العالم والغلام قصة خيالية ، إلا أنه يجوز لنا الافتراض بأن تفاصيل العمية الموصوفة تطابق الممارسة المعتادة للدعاة الاسماعيليين .

من صياغة العهد غير معروفة لدينا ، لكن الظاهر من السياق أنه كان نصاً طويلاً إلى حد ما ، وأنه كان يُتلى على المستجيب مُلخّصاً ، وربما كان يردده جملة جملة قبل أن يقسم عليه في نهاية الأمر . عندها وحسب كان التلقين يبتدىء ، وكان كذلك منذ البداية ، منذ خلق العالم .

## II

المصدر الاسماعيلي الموثوق الثاني المتضمن لوصف مفضل للعهد هو «الرسالة الموجزة الكافية في أدب الدعاة» لأحمد النيسابوري ، الذي كان نشطاً في ظل عهدي الخليفة العزيز والحاكم الفاطميين<sup>(٧)</sup> . ونص هذه «الرسالة» ، الذي هو عبارة عن تعليمات خاصة بالدعاة ، محفوظ في الجزء الثاني من كتاب البهروشي «كتاب الأزهار» ، وتم تحقيقه بشكل منتزع من قبل فيرنيا كليم<sup>(٨)</sup> . وهنا تم إخبار الداعي أن واجبه في الخطوة الأولى هو كسر المعتقد السابق للمستجيب «بحيث يبقى دون جدل أو حجة»<sup>(٩)</sup> ، ثم يتابع النص :

«وما أن يكسر له ذلك ، ويريد أخذ العهد عليه ، فإن السنة هي في أخذه عليه بعد صيام المستجيب لثلاثة أيام . وعلى الداعي والمستجيب أن يتوضأ ثم يصليا ركعتين لإتمام طهرتهما . ثم يبدأ الداعي بحمد الله تعالى والثناء عليه ، وعلى رسوله والأنمة الأصهر ، ويأخذ عنده عهد الله وملائكته ورسله وأوصيائه وأئمة عليهم السلام - ويأخذ العهد وبيعة لإمام زمانه بالشكل الموصوف له في صورة العهد (كتاب العهد) ، ويطلب الداعي منه أن يقسم على الإيمان بالله وبملائكته وبأئمة الأطهار - من انوصي وحشى الإمام الحضر - وبأن يستترم بالظاهر والباطن ، ويقف الى جانب الإمام وألا يخونه ، ولا يكشف أسرار لدين لمن ليس بالمأذون له أو لمن لم يؤخذ عليه العهد ، وبأن لا يخون أي من إخوته الذين أخذوا العهد معه ، وبأن يكون صديقاً لأصدقاء الأئمة وعدواً لأعدائهم ، وأن ينأى بنفسه عن أعدائهم ، وأن يكون صادقاً مع الله وأصدقائه .







فإن فعلت شيئاً من ذلك وأنت تعلم أنك قد خالفته ، وأنت على ذكر منه ، فأنت بريء من الله خالق السموات والأرض الذي سوى خلقك وألف تركيبك وأحسن اليك في دينك ودنياك وآخرتك وتبرأ من رسله الأولين والآخرين وملائكته المقربين الكروبيين والروحانيين ، والكلمات التامات ، والسبع المعاني ، والقرآن العظيم ، وتبرأ من التوراة والانجيل والزبور والذكر الحكيم ، ومن كل دين ارتضاه الله في مقدم الدار الآخرة ، ومن كل عبد رضي الله عنه ، وأنت خارج من حزب الله وحزب أوليائه ، وخذلك الله خذلاناً بهتاً يعجز لك بذلك النعمة والعقوبة ، والمصير إلى نار جهنم التي ليس لك فيها رحمة ، وأنت بريء من حول الله وقوته ، ملجأ إلى حول نفسك وقوتك وعليك لعنة الله التي لعن الله بها إبليس وحرم عليه بها الجنة ، وخلده في النار .

إن خالفت شيئاً من ذلك ولقيت الله يوم تلقاه وهو عليك غضبان . ولله عليك أن تحج إلى بيته الحرام ثلاثين حجة حجاباً واجباً ماشياً حافياً ، لا يقبل الله منك إلا الوفاء بذلك . وكل ما تملك في الوقت الذي تخالفه فيه هو صدقة على الفقراء والمساكين الذين لارحم بينك وبينهم ، لا يأجرك الله عليه . ولا يدخل عليك بذلك منفعة .

وكل مملوك من ذكر أو أنثى في ملكك أو تستفيده<sup>(٢٣)</sup> إلى وقت وفاتك إن خالفت شيئاً من ذلك فهن طوالق ثلاثاً بثة طلاق الحرج<sup>(٢٤)</sup> ، لامثوية<sup>(٢٥)</sup> لك ولا خيار<sup>(٢٦)</sup> ولا رجعة ولا مشيئة . وكل ما كان لك من أهل ومال وغيرهما فهو عليك حرام ، وكل ظهار فهو لازم لك<sup>(٢٧)</sup> .

وأنا المستحلف لك لإمامك وحجتك<sup>(٢٨)</sup> وأنت الحالف لهما ، وإن نويت أو عقدت أو أضمرت خلاف ما أحملك عليه ، وأحلفك به فهذه اليمين من أولها إلى آخرها مجددة عليك ، لازمة لك ، لا يقبل الله منك إلا الوفاء بها ، والقيام بما عاهدت بيني وبينك ، قل نعم . فيقول نعم .

إن هذا القسم المتوافق مع ما تأمر به الشريعة – كما ترى مصادرها ليس إلا خدعة لتأسيس المخدوع . ولإثبات ذلك ، تم إضافة فقرة مطولة من كتاب السياسة (أو كتاب البلاغ الأكبر) . والتي طبقاً لها يتم قيادة المستجيب الجديد نحو الإلحاد ، كما هو مفترض ، وذلك عن طريق تسع درجات من التلقين (أو الدعوات) . لكن ، بينما كتاب السياسة هو كتاب مناوئ للناسمعيانيين ومغير للسخرية ، كما قد بين س . م ، هتيرن . إلا أن نص العهد يبدو صحيحاً حقيقياً . وهو لا يتضمن ، على أية حال ، إشارة تفصيلية واحدة قد تثير الشكوك حول صحته وصدقه .

ولنص مقتبس عن الشريف أخي محسن . وقد قدم النويري لاقتباسه بقوله : قد شريف . وكان أخو محسن قد اعتمد مصدراً أقدم وهو الرسالة المعادية للاسماعيليين ، لمفقودة لأبي عبد الله محمد بن علي بن رزّام الطائي الكوفي ، وهي التي قامت على معسومت تابعة عن دوائر قرمطية في العراق<sup>(٢٠)</sup> مناوئة للفاطميين . واستخدمت من قبل مؤلفين آخرين أيضاً مثل المسعودي وابن النديم وابن حوقل والقاضي عبد الجبار وبيغدي ونظم الملوك والذهبي ، وربما يكون أخو محسن قد أخذ صيغة العهد عن ابن رزّام لكوفي ، ويكون النص في هذه الحالة هو النص الأصلي المستخدم في العراق . لكن من المحتمل أيضاً أن يكون أخو محسن قد نسخ صيغة استعمالها الفاطميون في ذلك الوقت ، أي في زمن الخليفين العزيز والحاكم أثناء قيام دعوتهما في سورية .

#### IV

وصورة أخرى من صور العهد نجدها في اقتباس عند ابن فضل العمري (ت ١٣٤٩/٧٤٩)<sup>(٢١)</sup> وقد قام القلقشندي هو الآخر باقتباسها عن العمري . وقد ترجم برنارد لويس النص<sup>(٢٢)</sup> [إلى الانكليزية] . ولم يأخذ هذا النص بعين الاعتبار الانشقاق انزري لسنة ١٠٩٤/٤٨٧ وحسب ، بل والإطاحة بالخلافة الفاطمية على يد صلاح الدين سنة ١١٧١/٥٦٧ . وبما أنه تمت الإشارة إلى علاء الدين محمد الثالث على أنه سيد الموت الأكبر ، فلا بد أن تاريخ هذه الصيغة من العهد تعود إلى فترة حكمه ، أي بين عامي ١٢٢١/٦١٨ - ١٢٥٥/٦٥٣ .

ومن المحتمل ألا تكون صيغة العهد هذه كاملة ، إذ أن الانطباع الذي تعضيه هو أنها مجرد ملحق أو إضافة لصيغة أخرى (لم يقتبسها العمري) كان الهدف منها لتفريق بين معتقدين كانا في غصون ذلك قد ظهرا إلى الوجود . وربما كانت الإضافة سنزرية هي لأصلية ، في حين كانت الإضافة المعادية للنزاريين مجرد ردّة فعل عليها . أمّ لإشارة إلى رشد لدين سنان «شيخ الجبل» فهي دلالة على أن سورية هي بلد المنشأ لهذه الصيغة ، وربما كانت الصيغة المعادية للاسماعيليين قد ترعرعت في سورية أيضاً ، إذ ليس هناك من تفسير آخر لتشابه الصيغتين اللتين .

ولهذا يجوز لنا الافتراض بأن الفقرات المقتبسة عند العمري والقلقشندي كانت مسبقة بنص أطول ، ربما من النموذج الذي اقتبسه النويري ، وانمقرزي ، بل ربما كن متصبتاً





سفطمية ، ثم قاضي رقادة والقيروان فيما بعد ، أي أعلى منصب قضائي في لامبرطورية<sup>(١٦)</sup> . وطوال فترة شمال افريقية من عهد الخلافة الفاطمية ، كان قاضي بقضاة قائداً للدعوة في وقت واحد ، أي داعي دعاة ، ولو أنه يظهر أن مثل هذا اللقب لم يستعمل في ذلك الوقت ، وهكذا فالظاهر والباطن كانا لا يزالان مجتمعين في يد شخص واحد ، وه يمكن إلا بعد ذلك بفترة طويلة ، وفي مصر ، أن تم الفصل بين الوظيفتين ، وحتى في تلك الحالة ، فإن ذلك كان لفترة قصيرة وحسب .

ولدينا بخصوص نشاطات أفلح رواية هامة جداً . وهي تنبع من «سيرة لإمام المهدي» ، والتي لم تحفظ لنا إلا بشكل مجتزأ ، لابد أنها كانت سيرة من تصنيف سعي أبي عبد الله بن الأسود بن الهيثم<sup>(١٧)</sup> ، وكان المؤلف يعرف أفلح شخصياً ، بنصب ، لأنه كان رئيسه الأعلى ، وبمناسبة حديثه عن وفاة أفلح (قبل عام ٩٢٣/٣١١) ، والذي دونه في تاريخه ، يتذكر ابن الهيثم أسلوبه في التدريس في «مجالس الحكمة»<sup>(١٨)</sup> ،

«وسمعت عنده دعوة النساء ، وما يخاطبهن به من الدلائل التي تقبب عقوهن ويحفظنها ، وكان يقول فله الحجة البالغة . وقال : هي الحجة التي يخاطب بها العالم من علمه ، والجاهل من حيث يعقل .

ولقد كان يخاطب المرأة ويقيم لها الدليل من حليها ، وخاتمها ، وخناقها ، وخنخلها ، وسوارها ، وثوبها ، وعجارها ، ومن المغزل ، والشعر ، واللباس وغيره ، مما هو من حلية النساء ، وكان يخاطب الصانع من صناعته ، ويخاطب الخياط من أبرته وخيطه ، وحلقته ، ومقصه ، ويخاطب الراعي من عصاه وكسائه» .

ليس لدينا أي شهادة أخرى على الفترة الفاطمية المبكرة توضح الأساليب التي مارسها ادعاة في تعليمهم للعامة . وعندما توفي أفلح بن هارون الملوسي قبل عام ٩٢٣/٣١١ ، كن خليفته من باب الترجيح أبا عبد الله بن الأسود بن الهيثم ، الذي اليه ندين بالخبر القصير الذي منه اقتبسنا نلتو . وليس لدينا أية معلومات أخرى حول نشاطاته بصفته داعي ندعاة .

وفي انعام ٩٤٨/٣٣٦ ، قام الخليفة المنصور بعد عودته الى مقره الجديد في منصورية قرب القيروان منتصراً على المتمرد الخارجي أبي زيد ، قام بتعيين النعمان بن محمد ، ندي كن حتى تلك الفترة قاضياً لمدينة طرابلس ، قاضياً للقضاة وداعياً للدعاة . وتضمنت كتابات القاضي النعمان روايات عديدة بخصوص تعاليمه التي تناولت كن من لاهر والباطن .

وكانت مجالس تعليم الظاهر ، أي الفقه الاسماعيلي ، عامة ومفتوحة لكل راغب وكن نقاضي النعمان يعقد هذه المجالس كل يوم جمعة في أعقاب صلاة الجمعة . أي مابين صلاتي ظهر والعصر ، في المسجد الكبير في القيروان وخلافاً لرغبة فقهاء المالكية<sup>(١٥)</sup> في لبدئية ، ثم في مسجد المنصورية الذي حمل اسم الأزهر فيما بعد<sup>(١٦)</sup> .

أما الدخول الى مجالس الحكمة فقد كان مقتصراً على المستجيبين . ومن أجل ضيق فضل لها ، تم عقدها داخل مقر الامام - الخليفة في المنصورية ، وحيث وجدت غرفة خاصة عرفت بالمجلس ، خصصت لهذه الغاية . وكان النعمان ذو انهمة العالية هو من يعقد هذه المجلس أيضاً أيام الجمع كما هو واضح بعد صلاة العصر ، في أعقاب دروس الظاهرلندمة في المسجد<sup>(١٧)</sup> . وكانت محاضراته كلها تخضع في بداية الأمر لإجازة شخصية من الامامين المنصور والمعز<sup>(١٨)</sup> . وقد روى النعمان نفسه بخصوص هذا النشاط :

« ولم فتح المعز لدين الله (ص) للمؤمنين باب رحمته وأقبل عليهم بوجه فضه ونعمته . أخرج إليّ كتباً من علم الباطن وأمرني أن أقرأها عليهم في كل يوم جمعة في مجلس في قصره المعمور بطول بقائه . فكثرت ازدحام الناس وغص بهم المكان . وخرج احتفائهم عن حد السماع ، وملأوا المجلس الذي أمر باجتماعهم فيه ، وطائفة من رحبة القصر ، وصاروا الى حيث لا ينتهي الصوت الى آخرهم . وقيل له في ذلك (ص) ووصف له أن فيهم ممن قد شملته الدعوة تخلف ومن لا يكاد أن يفهم القول ، وإن مثل هؤلاء لو ميزوا وجع لهم مجلس يقرأ عليهم فيه ما يحتملون ويفهمون لكان أنفع لهم » ، لكن الامام نصح لنقاضي - الذي لابد أنه هو نفسه كان صاحب العرض - بأنه عليه مواصلة عمله كم في السابق . وكل فرد سوف يستوعب من الحكمة مايناسب طاقته العقلية ، « تماماً كم أن إناء تضعه في المطر سوف يستوعب من الماء بمقدار ماتسمح به فتحته »<sup>(١٩)</sup> .

## VIII

بعد افتتاح الفاطمي لمصر وتأسيس مدينة القاهرة سنة ٩٦٩/٣٥٨ . نكاد لانجد أية تغييرات رئيسية في ممارسات الدعوة . وفي ٧ رمضان ٣٦٢/١٠ حزيران ٩٧٣ ، دخر النقاضي النعمان القاهرة جنباً الى جنب مع الخليفة المعز . وبما أنه كان في الثمانينات من عمره ، فإنه لم يتقلد منصب قاضي مصر ، ولكن أباً طاهر الذهلي ، الذي اليه عهد جوهر بهذه الوظيفة ، هو من جرى تثبيته فيه . وتمت تسمية النعمان في منصب قاضي عسكر

\_\_\_\_\_

1

.

|

.

\_\_\_\_\_





ويمكننا مقارنة نص المسيحي بوثيقة غير مؤرخة (سجل) بخصوص تعيين داعٍ اقتبسها القلقشندي كنموذج<sup>(٥٨)</sup>. وفيها تمّ تكليف المرشح لهذا المنصب بالمهمة التالية : « وأتل مجالس الحكم التي تخرج اليك في الحضرة على المؤمنين والمؤمنات ، والمستجيبيين والمستجيبات ، في قصور الخلافة الزاهرة ، والمسجد الجامع بالمعزية القاهرة ، وصن أسرار الحكم إلا على أهلها ، ولا تبديها إلا لمستحقها ، ولا تكشف للمستضعفين ما يعجزون عن تحمله ، ولا تستقلّ أفهامهم بتقبله »<sup>(٥٩)</sup>. وقد أجزى الداعي في هذه الوثيقة بتعيين كاتب للدعوة يكون اختياره بموجب أدق المعايير صرامة<sup>(٦٠)</sup> لكنها لا تخبرنا بدقة وتفصيل حول المهمات التي يكلف بها .

## IX

كان النعمان وأولاده وأحفاده قد تولّوا على الدوام منفردين طوال عهدي المعز والعزیز والسنوات الأولى من عهد الحاكم ، منصبى قاضي القضاة وداعي الدعاة . لكنّ الوظيفتين بدأتا تفترقان فيما بعد ، وقد حدث ذلك إثر إحداث مؤسسة النيابة . وكما كان الحال مع منصب القضاء حيث كان بإمكان قاضي القضاة تعيين من يمثله نائباً أو خليفة<sup>(٦١)</sup> ، صار الأمر كذلك مع منصب داعي الدعاة .

وكان الحسين بن علي بن النعمان ، الذي تولى المنصب خلال الفترة ٣٨٩ - ٣٩٤ هـ ، أي منذ شباط ٩٩٩ وحتى عزله في حزيران ١٠٠٤<sup>(٦٢)</sup> ، متولياً لقيادة الدعوة ، حيث كان قاضياً للقضاة وداعياً للدعاة أيضاً<sup>(٦٣)</sup> ، أما خلفه في المنصب ، ابن عمه عبد العزيز بن محمد بن النعمان ، فكان أول من عيّن لنفسه نائبين في كلتا الوظيفتين : « فعين أبا الحسن مالك بن سعيد الفارقي نائباً له في القضاء... وسمى كاتباً له أبا يوسف نبال<sup>(٦٤)</sup> ، الذي كان يحضر معه في جلسات السماع ويحضر له توقيعاته . ثم صدر عنه سجل فوّضه به جمع الفطرة والنجوى ، والظهور في غرفة المجلس بالقصر ، وبأخذ المهد على الناس<sup>(٦٥)</sup> والقراءة على أولئك المنضمين الى الدعوة . وهكذا فقد ظهر يوم الخميس الثاني عشر لرمضان ٣٩٤/تموز ١٠٠٤ ) وعقد القراءة المعتادة في القصر وجمع النجوى والفطرة<sup>(٦٦)</sup> .

وربّما كان ذلك الكاتب أو نائب داعي الدعاة نبال مطابقاً لنبال الطويل التركي ، الذي بحث به الحاكم في السنة التالية ، ١٠٠٤/٣٩٥ ، لقتال المتمرّد أبي ركة ، وتوفي

أثناء زحفه<sup>(٧٧)</sup> ، وكان بين دعاة الحاكم العديد من الأتراك الذين من الواضح أنهم انضموا إلى الجيش أو البلاط في عهد والده العزيز كعماليك شبان ترعرعوا في العقيدة الاسماعيلية ، فالعزيز هو أول خليفة فاطمي استورد الأتراك بأعداد كبيرة نسبياً<sup>(٧٨)</sup> . وكان مثل نبال هذا ، وهو الذي حمل اسماً تركياً ، ختكين التركي (فت تجين = الأمير المحظوظ) ، والذي سنناقشه فيما بعد ، كان يستخدم في وظائف تشمل كلاً من الجيش والدعوة . وبالحكم من خلال اسمه ، فإن سميّه من المذهب الدرزي ، أنوشتكين الدرزي ، كان تركياً هو الآخر .

وفي رجب من عام ٣٩٨ / آذار ١٠٠٨ ، عزل قاضي القضاة عبد العزيز بن محمد ابن النعمان من منصبه ، وكان خلفه هو مالك بن سميد الفارقي ، الذي كان نائباً حتى ذلك الوقت ، ومكث في وظيفته حتى أطيح به في ربيع الثاني سنة ٤٠٥ / تشرين الأول ١٠١٤<sup>(٧٩)</sup> . ومن بين وظائفه العديدة ، كانت الدعوة قد ذكرت بشكل صريح<sup>(٨٠)</sup> . وكثيراً ما جرى اقتباس مجالس قاضي القضاة عبد العزيز ومالك بن سعيد في كتابات الأسفار الدرزية ، ولذلك لا بد وأن هذه المجالس كانت قد نشرت في صورة كتب<sup>(٨١)</sup> .

## X

ومن المسائل التي لم تجد لها حلاً بعد ، مسألة الإنقطاع المتكرر لمجالس الحكمة وعدم انتظامها إبان فترة الحاكم بأمر الله ، ونحن لانستطيع نسبتها إلى ما زعم حول مزاجه «المتقلب» ، فالشائعات والتعريض الذي تم تداوله حول الموضوع في المصادر العباسية السنية يجب التعامل معها بحذر شديد ، وطبيعي أنه لا مجال هنا لمعاينة سياسة الحاكم الدينية المترددة ، وعلى القارئ المهتم العودة إلى الأدب المختص بذلك<sup>(٨٢)</sup> .

وكانت إجراءات الحاكم الغربية قد بدأت بسجل صدر في محرم ٣٩٥ / تشرين أول ١٠٠٤ / يحرم فيه أكل أصناف مختلفة من الخضراوات ، ولاحقاً في ذي القعدة أو ذي الحجة سنة ٣٩٦ / آب ١٠٠٦ ، تم إغلاق المجالس وتوقيفها .

«وكان الناس الذين اعتادوا الظهور في القصور للاستماع إلى قراءات من كتب مجالس الدعوة ، يجتمعون ، لكنهم كانوا يتمرضون للضرب ولا يقرأ عليهم شيء»<sup>(٨٣)</sup> .

غير أن سجلاً مناسباً لم يصدر إلا بعد ذلك بأربع سنوات أي في ذي القعدة سنة ٤٠٠ / حزيران ١٠١٠ : «وقرأ سجل يملن أن مجالس الحكمة التي كانت تقرأ عادة على الأولياء

يوم الخميس ، والجمع قد ألغيت<sup>(٧٦)</sup> . وكما ظهر في ختام نص المسحقي الذي قتبس في  
 انقسم الثامن أعلاه ، فإن ذلك قد ارتبط بسلسلة من الإجراءات الأخرى التي أفضت بكيبتها  
 إلى توقف مجمل الدعوة الاسماعيلية : « وفي سنة أربعمائة أصدر الحاكم بأمره سجلاً  
 رفع فيه الخمس والزكاة والفطرة والنجوى التي أثقل بها [الأولياء] ، والتي من خلالها يدون  
 لبركة والرضى ، ويحتفظ بها القضاة معهم » . وتم من خلال سجل آخر إلغاء مجلس لحكمة  
 التي كانت تقرأ على الأولياء أيام الخميس والجمع<sup>(٧٧)</sup> .

لكن سبق في ربيع الثاني ٤٠١ / تشرين الثاني ١٠١٠ ، أن ألغي هذا السجل ، هو  
 وسجل الآخر المؤيد للإجراءات التي تميل إلى السنوية : « وقرأ سجل في جميع لمسجد  
 يحرم عصيان قرارات الامام ، ويأمر بوقف جميع النقاشات السخيفة . وأمر بعدة عبارة :  
 « حي على خير العمل » [الاسماعيلية] إلى الأذان ويحذف عبارة « الصلاة خير من نوم » من  
 آذان الفجر ، وحرمت صلاة الضحى وصلاة التراويح ، واستأنفت أعمال الدعوة ولمجلس  
 كالمعتاد .

ولم يكن بين إلغائها واستئنافها المتجدد سوى خمسة أشهر<sup>(٧٨)</sup> .  
 وتشير العبارة التالية إلى ذات السجل : « وصدر سجل تم في أعقابه استئناف عقد  
 مجالس الحكمة مرة أخرى ، وفرض النجوى من جديد »<sup>(٧٩)</sup> .

وهكذا ، فمن انوضح أن التوقف الأول للمجالس قد ارتبط بإجراءات أراد الحاكم من  
 خلالها استيعاب السنة ، لكن بعد ذلك بخمسة أشهر - وربما بضغط من « المؤسسة »  
 الاسماعيلية القائمة - كان لابد من التخلي عن تلك الإجراءات وإلغائها .

وتوقفت تلك المجالس مرة أخرى بعد ذلك بست سنوات ثلاث : « وفي يوم الخميس ثامن  
 والعشرين من شهر رجب ٤٠٤ / ٢ شباط ١٠١٤ ، اجتمع الأولياء وآخرون في القصر  
 للاستماع إلى قراءة القاضي من كتب مجالس الحكمة ، لكنهم منعوا من ذلك ، ولم تصد ،  
 مع الأسف الأسباب الموجبة لهذا المنع .

وتوقفت المجالس للمرة الثالثة مع نهاية سنة ١٠١٥ / ٤٠٥ ، بعد تسمية أحمد بن  
 أحمد بن انعم قاضياً للقضاة<sup>(٨٠)</sup> . وقد شهد على ذلك حمزة الدرزي في إحدى كتبه في  
 كتب الأسفار الدرزية<sup>(٨١)</sup> . وأثبتها يحيى الأنطاكي ، الذي يروي حول إحدى ذات السنة :  
 « ونقل الحاكم باب المجلس الذي كان يأخذ فيه النعمة من شيعته ، وتقرأ فيه عليهم من  
 عبومه كل اسبوع ، وبقي مغلقاً لبعض الوقت »<sup>(٨٢)</sup> . وهنا أيضاً نخفق في معرفة لأسباب  
 الحقيقية لهذا التوقف ، لكن يبدو أنه قد ارتبط بالاضطرابات الدرزية التي بدأت قربته ذات

الوقت ، وأقدم شهادة على نشاطات المشايخين الدروز هي « الرسالة الواعظة » للكرماني ، والتي تعود الى سنة ١٠١٧/٤٠٨ ، والموجهة الى الحسن بن حيدرة الأخرم ، وتضمنت أنشطة أسبق من جانب أولئك الدروز الأوائل .

من الصعب إذن تفسير إغلاق المجالس هذا . هل أراد الحاكم وضع حد للدعوة الاسماعيلية باعتبارها راعية للمعتقد الدرزي ؟ أو ، على العكس من ذلك ، هل كانت « المؤسسة » الاسماعيلية تحاول اتقاء الهرطقة ودفعها عن طريق وقف المجالس ؟ وطبقاً ليحيى الانطاكي ، فإن الحاكم نفسه هو من أقفل المجلس ، ويتابع يحيى القول : « وأنعم [أي الحاكم] على ختكين الفيف بلقب داعي الدعاة وعهد إليه بالإشراف على المجلس ، بحيث أصبح يستخدم للجلسات المعتادة ، ومنحه فيما بعد لقب الصادق الأمين »<sup>(٨٢)</sup> .

وقد أثبت ختكين (مت تجين) هذا ، عقب ذلك ، إنه المناوى الألد للدروز . وعندما التقى أتباع حمزة مع أتباع ختكين ، راح كل فريق يلعن الآخر<sup>(٨٣)</sup> . ولذلك ، فمن المحتمل جداً أن الحاكم أمر بوقف المجالس ، إما بالاتفاق مع الدعاة الاسماعيليين أو استجابة لضغوطهم من أجل الحؤول دون ظهور المنشقين الدروز بين صفوفهم .

لا تتوفر لدينا معلومات حول المجالس إبان السنوات الأخيرة من عهد الحاكم لكن من الواضح أن ابنه وخليفته الظاهر هو من أعاد تقديم الدعوة بكليتها وأعاد فتح المجالس ، بعد توليه للأمر في شوال ٤١١/شباط ١٠٢١ . « وأقام القاضي قاسم بن عبد العزيز بن محمد بن [النعمان في القضاء والدعوة بباب الخلافة ، وأمره بإقامة الدعوة والهداية ، وقراءة مجالس الحكمة ، ونشر علوم التأويل لأهل الولاية ، وأن يقيم من أوامر الدعوة العلوية الفاطمية ما اندرس ، ويمحو مآثره فيها أولو البغي ويبين ما انطمس .

وكتب سجلاً بذلك أنشأه الى جميع أهل دعوته ، وأمر كل داع من دعائه أن يتلوه على من طال من المؤمنين في ناحيته »<sup>(٨٤)</sup> .

« وبأولي البغي » كان يعني الدروز الذين ضدهم ، بشكل أساسي ، وجه الظاهر اجراءاته الإصلاحية . وقد حُفظ سجله المؤرخ في ٥ شعبان سنة ١١٧/٢١ أيلول ١٠٢٦ ووصلنا بكلماته الأصلية<sup>(٨٥)</sup> . وقد ورد هنا النص واضحاً بأن « باب الحكمة كان مفتوحاً... الى أن أمر مولانا الحاكم بأمر الله بإغلاق بابها لما رآه من المصلحة بحكم مشاهدته الأمور ، وسياسة الجمهور »<sup>(٨٦)</sup> . ولما زالت الظروف التي أدت الى اغلاقها ، يتابع السجل ، فإن أمير المؤمنين أمر « داعي الدعاة ثقة الدولة... قاسم بن عبد العزيز محمد بن النعمان

سَمِّه الله . بفتح باب الحكمة لطالبيها ، وقراءة المجالس في تصور الخلافة ، بحيث جرت الرسوم المتقدمة في قراءتها فيها»<sup>(٨٧)</sup> .

وكن سمويل م . شتيرن قد نشر رسالة عُمر عليها في جنيزا كنيس الفسقاط ، تضمنت تهنية أحد الدعاة لقاضي القضاة ، وفي هذه الرسالة ، إشارة واضحة إلى لمجالس<sup>(٨٨)</sup> . ويفترض شتيرن أن الخليفة المشار إليه في الرسالة ، والذي لم يعد اسمه مقروء ، هو الظاهر ، وأن قاضي القضاة المذكور هو بالتالي قاسم بن عبد العزيز .

غير أن الرسالة لاتناقش سوى محاضرة من دعائم الاسلام للقاضي النعمان ، والذي هو من كتب لظاهر المتوفرة للجمهور العام ، وهذا يتطابق مع ملاحظة الكاتب بأنه قد أدخل بدعة إقامة مجالس كل يوم جمعة بعد صلاة الجمعة ، يعتقد على التناوب في المساجد الرئيسية الثلاثة (عمرو ، الأزهر ، الحاكم) . ولذلك فإن المقصود هنا ليس مجالس لحكمة بأي شكل من الأشكال ، بل قراءات الجمعة العامة حول الفقه الاسماعيلي . وهي نقرءات تني كان القاضي النعمان قد استحدثها ، واستمرت جزءاً من وظائف قاضي قضاة .

## XII

أما المعلومات المتوفرة حول المجالس خلال عهد الخليفة المستنصر الطويل (٤٢٧ - ٤٨٧ / ١٠٣٦ - ١٠٩٤) ، فهي قليلة جداً . والظاهر أن قاضي القضاة كان في بداية الأمر يتولى رئاسة الدعوة ، وفقاً لما كان معتاداً أصلاً . وهذا ما كان ، بادئ ذي بدء ، مع انقاضي لعين من قبل انظاهر سنة ١٠٢٨ / ٤١٩ ، وهو عبد الحكيم بن سعيد الفارقي ، شقيق قاضي قضاة سابق وداعي الدعوة مالك الفارقي<sup>(٨٩)</sup> . وجاء بعده قاسم بن عبد العزيز بن محمد بن نعمان سنة ١٠٣٦ / ٤٢٧ ، وهو الذي سبق له أن تولى منصب قاضي القضاة في عهد بظاهر . ومن بين ألقابه ، نجد أن قيادة الدعوة [داعي الدعوة] قد ورد منصوباً عليه بشكل واضح<sup>(٩٠)</sup> ، فقد مارس خدمة المجالس كل يوم خميس<sup>(٩١)</sup> . والداعي المشهور والمؤلف المؤيد في لدين الشيرازي تقنى بأطناب في مدحه لصباح الخميس انذي وصفه في قصيدة من قصائده ديوانه بأنه «عيد المؤمنين» وقال :

ياصباح الخميس أهلاً وسهلاً أنت عيد للمؤمنين عتيده<sup>(٩٢)</sup>

إن هذه البيانات تؤكد ، هي والمعلومات الواردة أعلاه ، افتراضنا بأن مجالس احكمة

للأولياء لم تكن تقام في القصر إلا أيام الخميس في حين كانت مجالس القراءة الفقهية العامة المفتوحة للجميع والقائمة على «دعائم الاسلام» للقاضي النعمان ، تعقد في المساجد الكبيرة أيام الجمع بعد صلاة الجمعة .

وعندما عُزل قاسم من منصبه يوم الاثنين الثاني من محرم ٤٤١/ ٥ حزيران ١٠٤٩ ، تمّ الانعام بوظيفة قاضي القضاة على الفلسطيني الحسن بن علي اليازوري ، الحديث العهد بالنعمة . وتظهر حقيقة أن اليازوري ، السني الحنفي ، قد حمل أيضاً لقب داعي الدعاة ، كما كان الارتباط التقليدي بين قيادة الدعوة ومنصب قاضي القضاة وثيقاً . وعندما عينه الخليفة في منصب الوزارة أيضاً بعد ذلك بعام ، أي في ٧ محرم ٤٤٢ / ١ حزيران ١٠٥٠ ، صدر سجل التعيين وفيه إشارة واضحة الى لقبه بداعي الدعاة<sup>(٩٣)</sup> .

ويمكن تصوّر أن تسمية سني في منصب داعي الدعاة كان في نظر الدعاة الاسماعيليين أمراً مخزياً ، ولا يمكن أن يكون الداعي المؤيد في الدين الشيرازي وحيداً في تسمية هذا التعيين بأنه أمر « ليست له سابقة ولم يسمع بمثله »<sup>(٩٤)</sup> . وكان المؤيد نفسه يأمل في تعيينه داعياً للدعاة ، حتى ولو كان نائباً فقط لليازوري صاحب السلطة المطلقة :

« عندما بدا أن المنصب [الوزاري] الذي تمكّن منه لم يسمح له بالظهور شخصياً في الأندية لقراءة مجالس الدعوة ، ظنّ الجميع أنه لن يمنعني من هذه الوظيفة ، وأنه لن يسمّي أحداً غيري لها » . غير أن أمل المؤيد لم يتحقّق وخاب رجاؤه فيه . فقد عهد اليازوري بالمجالس الى سلفه قاسم الطاعن في السن . واحتجّ المؤيد لكن دون جدوى ، فاليازوري احتج بأن « السبب في تعيين [قاسم] بن النعمان هو عجايز القصر من أسرتي الحاكم والعزيز ، لأنهن كنّ يعتبرن النعمان مؤسس هذه [الدعوة] ولذلك فإن لأولاده وسلالته الحق الشرعي الأكبر في هذا المنصب »<sup>(٩٥)</sup> .

ولم يأت زمن المؤيد إلا عندما أطيح باليازوري وأعدم ، أي حتى العام ١٠٥٨/٤٥٠ ، إذ تمّ تعيينه أخيراً في منصب داعي الدعاة في تلك الفترة<sup>(٩٦)</sup> . وربما استمرّ في ذلك في جميع الأحوال حتى وفاته سنة ١٠٧٧/٤٧٠ ، مع فترة انقطاع وجيزة أثناء إبعاده الى سورية . وبما أنه قد ذلّن في دار العلم السابقة التي أنشأها الحاكم بأمر الله<sup>(٩٧)</sup> . فيمكننا افتراض أنه قد عاش وعمل في ذلك المكان . فالأكاديمية السابقة لم تعد مطلوبة لأغراض علمية كما هو واضح ، بل أنها قد استخدمت كما سنرى لاحقاً ، لأغراض الدعوة في الفترة الفاطمية المتأخرة . غير أن عقد مجالس الخميس ، ربّما كان

قد استمر في القصر أيضاً .

ومن المعروف جيداً أن قاضي القضاة قد احتفظ بالقيادة الاسمية للدعوة وبقب دعي لدعوة . وبهذا الشكل وحسب يمكننا ، على سبيل المثال ، توضيح سبب النظر لى عبد الحكيم لمليجي ، خليفة اليازوري في منصب قاضي القضاة ، والذي احتل هذا المنصب أكثر من سبع مرات ما بين ١٠٥٨/٤٥٠ - ١٠٦٨/٤٦٠ ، على أنه مؤلف « المجالس المستنصرية » .<sup>(٩٨)</sup> إن كلاً من سلالة أحمد الحكيم بن سعيد الفارقي - وولاية عبد الكريم وأحمد وحفيده أحمد بن عبد الكريم - حملوا في آن معاً لقب الوزير وقاضي القضاة ودعي لدعوة<sup>(٩٩)</sup> . وكذلك ، فإن الوزير ابن أبي كدينة ، الذي تولّى منصب قاضي القضاة سبع مرات يُضاً ، قد تسمّى بشيخ الدعوة<sup>(١٠٠)</sup> ، وحمل لقب داعي الدعوة<sup>(١٠١)</sup> . ولهذا يبدو أن قاضي قضاة تلك الأيام كان الزعيم الرسمي للدعوة ، في حين كان المؤيد ، في الحقيقة ، هو من تولّى عقد مجالس المحكمة .

### XIII

تشير الفقرة المقتبسة من القسم الثامن (XIII) من تاريخ المستبحي الى مجالس المحكمة على أنها « كتب » يكتبها انداعي ، ثم يجيزها الامام - الخليفة ، وتنتشر أخيراً في مبيضات . وكثيراً ماورد ذكر مثل هذه المجموعات من المجالس واقتبس منها في الأدبين الدرزي والاسماعيني ، والبعض منها تم الاحتفاظ به .

وقد جمعت مجالس القاضي النعمان في كتابه « تأويل الدعائم » وهو الكتاب مقسم الى اثني عشر جزءاً ، تضمن كل واحد منها عشرة مجالس<sup>(١٠٢)</sup> . أما مجالس العزيز بالله ومجالس المحكمة الحاكمة فإنها لم تُعرف إلا من خلال اقتباسات لاحقة<sup>(١٠٣)</sup> . وجرى نسبة لمجالس المستنصرية إما الى المؤيد وإما الى الوزير الأرمي والدكتاتور العسكري بدر جمالي<sup>(١٠٤)</sup> . وقد حدد محقق هذه المجالس ، محمد كامل حسين ، تاريخها - بدءاً من دليز دخي - بالفترة ما بين ١٠٥٤ / ٤٤٦ - ١٠٦٣ / ٤٥٥ ، واستنتج بالتالي أن كاتبها لابد أنه كان محمد بن انقاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان . إلا أن شتيرن أظهر بأن لألقاب الواردة في العمل ذاته تشير الى قاضي القضاة المليجي على أنه مؤلفها الرسمي<sup>(١٠٥)</sup> .

يضاف الى هذه المجموعات التي تم تصنيفها تحت اشراف أئمة مختلفين - أي أنها قد



كتبت باسمهم في أيامهم وأجازوها بأنفسهم - مجموعات أخرى من المجالس لدعاة محددين لعل الأشهر منها هي «المجالس المؤيدية»<sup>(١٠٧)</sup> . وهي تتكون من ثمانية مجلدات ، يحتوي الواحد منها ١٠٠ مجلس ، وقد نشر بعض هذه المجلدات<sup>(١٠٨)</sup> . وهي تغطي دون أن نذكرنا إذا كان الدعاة العاملون خارج الامبراطورية الفاطمية قد عقدوا مجالس خاصة بهم ، مع أن حميد الدين الكرمانلي يذكر في إحدى المناسبات «مجالسه البصرية والبغدادية» التي ، مع الأسف ، لم تكتب لها النجاة<sup>(١٠٩)</sup> .

#### XIV

أن النقص في المصادر المفصلة للفترة الفاطمية المتأخرة - بمقدار ما يتعلق الأمر بمجالس الحكمة - قد عوض جزئياً بالفقرة الطويلة نسبياً من كتاب المؤرخ ابن الطوير (٥٢٤ - ١١٧ / ١١٣٠ - ١٢٢٠) والذي اقتبس منه المقرئزي ، والنص مفصّل عن نفسه وليس بحاجة لأي تعليق<sup>(١١٠)</sup> .

وأما داعي الدعاة فإنه يلي قاضي القضاة في الرتبة ويتزيا بزيه في اللباس وغيره ، ووصفه بأن يكون عالماً بجميع مذاهب أهل البيت يقرأ عليه ويأخذ العهد على من ينتقل من مذهبه إلى مذهبه ، وبين يديه من نقباء المعلمين اثنا عشر نقيباً ، وله نواب كواب الحكم في سائر البلاد ، ويحضر إليه فقهاء الدولة . ولهم مكان يقال له دار العلم والجماعة منهم على التصدير بها أرزاق واسعة<sup>(١١١)</sup> . وكان الفقهاء فيها يتفقون على دقتر يقال له مجلس الحكمة في كل يوم اثنين وخميس ، ويحضر مبيضاً إلى داعي الدعاة فينفذه اليهم ويأخذه منهم ويخل به إلى الخليفة في هذين اليومين المذكورين ، فيتلوه عليه إن أمكن ، ويأخذ علامته بظاهره ، ويجلس بالقصر لتلاوته على المؤمنين في مكانين : للرجال على كرسي الدعوة بالإيوان الكبير ، وللنساء بمجلس الداعي ، وكان من أعظم المباني وأوسعها . فإن فرغ من تلاوته على المؤمنين والمؤمنات حضروا إليه لتقبيل يديه ، فيمسح على رؤوسهم بمكان العلامة ، أعني خط الخليفة ، وله أخذ النجوى من المؤمنين بالقاهرة ومصر وأعمالها ولاسيما الصعيد ، ومبلغها ثلاثة دراهم وثلاث ، فيجتمع من ذلك شيء كثير يحمل إلى الخليفة بيده بينه وبينه ، وأمانته في ذلك مع الله تعالى . فيفرض له الخليفة منه مايعينه لنفسه وللنقباء . وفي الاسماعيلية الممولين من يحمل ثلاثة وثلاثين ديناراً وثلاثي دينار على حكم النجوى ، وصحبة ذلك رقعة مكتوبة باسمه فيتميز في المحول ، فيخرج له عليها خط

نخيفة ، بآرك الله فيك وفي مالك وولدك ودينك ، فيدخر ذلك ويتفاخر به . وكانت هذه لخدمة متعلقة بتقوم يقال لهم بنو عبد القوي أبا عن جد ، آخريهم الجليس . وكان الأفضل بن أمير سحيوش نفاهم إلى المغرب ، فولد الجليس بالمغرب وربى به ، وكان يميل إلى مذهب أهل السنة . وولي القضاء مع الدعوة ، وأدركه أسد الدين شيركوه وأكرمه وجعله واسطة عند نخيفة بعاقد ، وكان قد حجر على العاقد ، ولولاه لم يبق في الخزائن شيء لكرمه وكنه علم أنه آخر الخلفاء » .

## الحواشي

١. س. م. شتيرن ، « كتاب البلاغ الأكبر... » في : دراسات في الاسماعيلية المبكرة (القدس - ليدن ، ١٩٨٣) ، ص ٥٦ وما بعدها .
٢. ابن الدواداري ، كنز الدرر ، ج ٦ ، تح . المنجد (لقاهرة ، ١٩٦١) ، ص ٤٥ .
٣. القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، تح . وداد القاضي (بيروت ، ١٩٧٠) ، ص ٣٧ ، وتح . الدهراوي (تونس ، ١٩٧٥) ، ص ٨ .
٤. افتتاح الدعوة ، تح . القاضي ، ص ٧٦ ، تح . الدهراوي ، ص ٥٢ وما بعدها .
٥. « كتاب العالم والغلام » ، تح . مصطفى غالب في : أربع كتب حقانية (بيوت ، ١٩٨٣) ، ص ٢٢ ، وانظر أيضاً ايثانوف ، دراسات في الاسماعيلية الفارسية المبكرة . (بومبي ، ١٩٥٥) ط ٢ ، ص ٦٦ وما بعدها .
٦. النص الذي يورده غالب هنا ليس صحيحاً . والصحيح هو « لا أقرب رعيتك ولا أتمدئ سبتك » .
٧. انظر : اسماعيل يونولا ، ييلوغرافيا الأدب الاسماعيلي (كاليفرنيا ، ١٩٧٧) ، ص ٩١ وما بعدها .
٨. ف. كليم ، دعوة الداعي الفاطمي المؤيد في الدين في شيراز (فرانكفورت ، ١٩٨٩) ، ص ٢٠٥ وما بعدها [بالألمانية] .
٩. المصدر السابق ، ص ٢٠٠ - ٢٠٢ ، النص العربي ، ص ٢٣٢ .
١٠. وتقرأ : يدعوه الى إمام زمانه .
١١. وتقرأ : والإيمان بالإمام وطاعته .
١٢. القرآن الكريم ، ٥٩/٤ .
١٣. لا يزال يذكر وفاة ضد الدولة البويهية في تلك السنة . انظر مقالة مادلونغ حول القرامطة في مجلة Der Islam ، ٣١ ، (١٩٥٩) ، ص ٥٩ ، حاشية ١ ، والصفحات ٦٨ وما بعدها .
١٤. النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٥ ، تح . الحسيني والأهواني (القاهرة ، ١٩٨٤) ، ص ٢١٧ - ٢٢٠ .
١٥. المقرئ ، الخطط (بولاق ، ١٢٧٠/١٨٥٣) ، ج ١ ، ص ٣٩٦ - ٣٩٧ .
١٦. كلمة « وكتبه » مفقودة عند النويري .
١٧. وتقرأ : فلا تزهر (الخطط) .
١٨. وتقرأ : اسقها (الخطط) .
١٩. وتقرأ : وتقوم بـ (الخطط) .
٢٠. وتقرأ : من ربه (الخطط) .
٢١. هكذا عند المقرئ في (الخطط) ، و«المفروق» عند النويري .
٢٢. وتقرأ : تتأول عليه بما يبطله (الخطط) .

- ٢٣ - هند المقرئزي (تستفيد) ، وعند النوري (تستفيد) .
- ٢٤ - هكذا في المخطوط ، وعند النوري ، طلاق الحرج والسنة .
- ٢٥ - وتقرأ ، لا مثيرة (المخطوط) .
- ٢٦ - وتقرأ ، لا خيار (المخطوط) .
- ٢٧ - الطلاق العربي القديم يدعى (ظهار) ، والجملة هي « وأنت علي كثر أمني » .
- ٢٨ - وتقرأ ، أنا المستخلف (المخطوط) .
- ٢٩ - في المخطوط : مبددة عليه ، وعند النوري : مبددة عليه .
- ٣٠ - انظر مقالة مادلونغ « الفاطميون » ، ص ٦٨ و ٦٩ .
- ٣١ - المصري ، تعريف بالمصطلح الشريف (القاهرة ، ١٨٩٤) ، ص ١٥٧ .
- ٣٢ - القلقشندي ، صبح الأعي (القاهرة ، ١٩١٢) ، م ١٣ ، ص ٢٤٦ وما بعدها .
- ٣٣ - دوساسي ، عرض لدين الدروز (باريس ، ١٨٢٨) ، م ١ ، المقدمة ، ص ١٣٦ .
- ٣٤ - ابناؤوف ، عقيدة (بومباي ، ١٩٣٦) ، ص ١٢ - ١٧ .
- ٣٥ - انظر : ملا عبد الحسين ، غولزاري داودي (أحمد آباد ، ١٩٢٠) ، ص ١٢٥ - ١٣٨ .
- ٣٦ - الانتاح الدعوة ، تح . القاضي ، ص ٧٢ ، تح . الدشراوي ، ص ٤٩ .
- ٣٧ - هكذا في الانتاح الدعوة ، تح . الدشراوي ، ص ٥٢ ، تح . القاضي ، ص ٧٦ .
- ٣٨ - المصدر السابق ، تح . القاضي ، ص ١٢ ، تح . الدشراوي ، ص ١٢٨ .
- ٣٩ - المصدر السابق ، تح . القاضي ، ص ١٤٠ ، تح . الدشراوي ، ص ١٤٦ .
- ٤٠ - المصدر السابق ، تح . القاضي ، ص ١٢٢ ، تح . الدشراوي ، ص ١٢٢ .
- ٤١ - ابن عذاري ، البيان المغرب ، تح . كولن ويروغتمسال (لندن ، ١٩٤٨) ، ص ١٥٢ .
- ٤٢ - أدريس عماد الدين ، عيون الأخبار ، م ٥ ، تح . غالب (بيروت ، ١٩٧٥) ، ص ١٢٥ ، ١٣٧ ، ابن عذاري ، البيان ، ص ١٥٩ .
- ٤٣ - مجتزمات سيرة المهدي وصلتنا من خلال عيون الأخبار لأدريس عماد الدين ، م ٥ .
- ٤٤ - أدريس ، عيون ، م ٥ ، ص ١٢٧ .
- ٤٥ - أبو بكر المالكي ، رياض النفوس ، تح . الكبوش (بيروت ، ١٩٨١) ، م ٢ ، ص ٤٧٥ وما بعدها .
- ٤٦ - النعمان ، المجالس والمسايرات ، تح . الفقي (كونس ، ١٩٧٨) ، ص ٢٤٨ ، ٢٤٤ ، ٤٨٧ ، ٤٤٦ .
- ٤٧ - المصدر السابق ، ص ٤٨٧ .
- ٤٨ - المصدر السابق ، ص ٥٧ ، ص ٧٧ ، ٧٩ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢٢٧ ، ٢٤١ ، ٢٨١ .
- ٤٩ - المصدر السابق ، ص ٢٨٦ - ٢٨٨ .
- ٥٠ - ابن حجر ، رفع ، في ، الكندي ، كتاب الولاية وكتاب القضاة ، تح . غيست (لندن - لندن ، ١٩١٢) ، ص ٥٨٦ .
- ٥١ - ابن حجر ، رفع ، ص ٥٨٥ ، ٥٨٧ ، ٥٨٩ ، ٥٩١ .
- ٥٢ - المصدر السابق ، ص ٥٩٢ - ٥٩٥ .
- ٥٣ - المستبهي ، في ، المقرئزي ، المخطوط ، م ١ ، ص ٣٩١ ، وإتماظ ، تح . الشبال (القاهرة ، ١٩٦٧) ، م ١ ، ص ٢٨٥ .

- ٥٤ - الخطط ، م ١ ، ص ٣٩١ .
- ٥٥ - اقرأها ، ولدعوة المتصلة . بينما في طبعة بولاق : والدعوة المتصلة ، وليس لها هنا من معنى .
- ٥٦ - أخو محسن ، مقتبس في : النويري : نهاية الأرب ، م ٢٥ ، ص ١٩٢ ومابعدا ، الداوادي ، كنز ، م ٦ ، ص ٤٨ ومابعدا .
- ٥٧ - افتتاح الدعوة ، فتح . القاضي ، ص ١٧٢ ، فتح . الدهراوي ، ص ١٨٩ .
- ٥٨ - القلشندي ، صبح الأعشى ، م ١٠ ، ص ٤٣٤ ومابعدا ، شتيرن ، « القاهرة » في : دراسات في الاسماعيلية المبكرة ، ص ٢٤٢ .
- ٥٩ - القلشندي ، صبح ، م ١٠ ، ص ٤٣٧ .
- ٦٠ - المصدر السابق ، م ١٠ ، ص ٤٣٨ .
- ٦١ - شتيرن ، « القاهرة » ، ص ٢٣٦ ومابعدا .
- ٦٢ - الكندي ، كتاب الولاة ، ص ٥٩٦ - ٥٩٩ .
- ٦٣ - اتعاض ، م ٢ ، ص ٢٤ ، ٤٠ .
- ٦٤ - مطبوعة ، م . ذال .
- ٦٥ - مطبوعة ، وأخذ الدعوة على الناس . وربما يجب أن تكون : وأخذ العهد على الناس .
- ٦٦ - اتعاض ، م ٢ ، ص ٥٠ .
- ٦٧ - المصدر السابق ، م ٢ ، ص ٦١ ، يحيى سعيد الانطاكي ، تاريخ ، فتح . كراتشوفسكي وقاسيليف ، في مجلة : Patrol-Orientalis ٢٣ ( ١٩٣٢ ) ، ص ٤٧٢ ، ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة ، فتح . فيري ( القاهرة ، ١٩٧٢ ) ، ص ٤٥ .
- ٦٨ - ي . ليف ، الدولة والمجتمع في مصر الفاطمية ( ليدن ، ١٩٩١ ) ، ص ٩٠ ومابعدا .
- ٧٠ - اتعاض ، م ٢ ، ص ٧٢ ، ١٠٦ .
- ٧١ - تلك التي لعبد العزيز في الرسائل ( ٧٢ ، ٧٦ ) ولمالك في الرسائل ( ٤٢ ) ، انظر شتيرن ، القاهرة .
- ٧٢ - حول التفسيرات المختلفة ، انظر على سبيل المثال مقالة هالم « الخليفة الحاكم » ، في مجلة Der Islam ٦٣ .
- ( ١٩٨٦ ) ، ص ١١ - ٧٢ .
- ٧٣ - اتعاض ، م ٢ ، ص ٧٢ .
- ٧٤ - المصدر السابق ، م ٢ ، ص ٨٢ .
- ٧٥ - الخطط ، م ١ ، ص ٣٩١ .
- ٧٦ - اتعاض ، م ٢ ، ص ٨٦ .
- ٧٧ - المصدر السابق ، م ٢ ، ص ٨٥ . وتقرأ : « بإعادة مجالس الحكمة وأخذ النهج » .
- ٧٨ - المصدر السابق ، م ٢ ، ص ١٠٣ .
- ٧٩ - حدث هذا التمييز طبقاً للمقريزي ( اتعاض ، م ٢ ، ص ٨ - ١ ) في ٢١ شعبان ١٤٠٥ / ١٠١٥ هـ .
- ٨٠ - انظر مقالة بيري « أصول الدين الدرزي » في مجلة Der Islam ٥٢ ( ١٩٧٥ ) ، ص ٦٣ . والعدد ٥٣ ( ١٩٧٦ ) ، ص ٢٥ .
- ٨١ - الانطاكي ، فتح . شيخو ، ص ٢٠٩ ، ٢٢١ .

- ٨٢ - المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .
- ٨٣ - المصدر السابق ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢١ .
- ٨٤ - إدريس ، هيون الأخبار ، ٦ ، تح . غالب ، ص ٣١١ .
- ٨٥ - المصدر السابق ، ، ص ٣١١ - ٣١٧ .
- ٨٦ - المصدر السابق ، ص ٣١٤ .
- ٨٧ - المصدر السابق ، ص ٢١٥ .
- ٨٨ - شتيرن ، القاهرة ، ص ٢٤٢ - ٢٤٥ .
- ٨٩ - الكندي ، كتاب الولاة ، ص ٦١٢ .
- ٩٠ - المصدر السابق .
- ٩١ - اتعاظ ، م ٢ ، ص ٢٠٥ .
- ٩٢ - ديوان ، تح . كامل حسين (القاهرة ، ١٩٤٩) ، ص ٣١٤ ، شتيرن القاهرة ، ص ٢٤١ .
- ٩٣ - اتعاظ ، م ١ ، ص ٢١٢ .
- ٩٤ - المؤيد في الدين الشيرازي ، سيرة . تح . كامل حسين (القاهرة ، ١٩٤٩) ، ص ٨٨ .
- ٩٥ - المصدر السابق ، ص ٩١ ، وشتيرن ، القاهرة ، ص ٢٤٠ وما بعدها .
- ٩٦ - اتعاظ ، م ٢ ، ص ٢٥١ .
- ٩٧ - الخطط . م ١ ، ص ٤٦٠ .
- ٩٨ - شتيرن ، القاهرة ، ص ٢٢٩ وما بعدها .
- ٩٩ - ابن الصيرفي . الاشارة الى من نال الوزارة ، تح . مظهر (القاهرة ، ١٩٢٥) ، ص ٤٨ - ٥٠ .
- ١٠٠ - اتعاظ ، م ٢ ، ص ٣٠٧ .
- ١٠١ - ابن الصيرفي ، ص ٥١ .
- ١٠٢ - بونولا ، بيلوغرافيا ، ص ٦٤ . وقد حقق عادل العوا الجزء الأول باسم «منتخبات اسماعيلية» (دمشق ، ١٩٥٨) .
- انظر أيضاً : شتيرن ، القاهرة ، ص ٢٣٨ .
- ١٠٣ - بونولا ، بيلوغرافيا ، ص ٨٢ - ٣١٩ .
- ١٠٤ - المصدر السابق ، ص ٣١٩ .
- ١٠٥ - شتيرن ، القاهرة ، ص ٢٣٩ وما بعدها .
- ١٠٦ - بونولا ، بيلوغرافيا ، ص ١٠٦ .
- ١٠٧ - المؤيد في الدين ، المجالس المؤيدية ، م ١ ، ٣٤ ، تح . غالب (بيروت ١٩٧٤ - ١٩٨٤) .
- ١٠٨ - الكروماني ، كتاب الرياض ، تح . هارث تامر (بيروت ، ١٩٦٠) .
- ١٠٩ - المقرئ ، الخطط ، م ١ ، ص ٣٩١ ، ابن الطوير ، نومة المقاتلين في أخبار الدولتين ، تح . فؤاد السيد (بيروت ، ١٩٩٢) ، ص ١١٠ - ١١٢ .
- ١١٠ - فؤاد السيد قرأها «التصدير» بدلاً من «التصدير» (ط . بولاق) .

## القاضي النعمان والفقهاء الاسماعيليون

اسماعيل بونوالا\*

إن تمحيصاً دقيقاً للأدب الاسماعيلي المبكر يكشف أنه لم يوجد قبل قيام السلالة الفاطمية بحكمة فقه اسماعيلي متميز<sup>(١)</sup>. والحقيقة أن الجماعة الاسماعيلية ونشاطات الدعوة كانت منبثّة في طول الامبراطورية العباسية وعرضها، كما يبدو أن هناك بعض الأدلة التي تفيد أن الاسماعيليين الأوائل قد اتّبعوا فقه أي بلد استوطنوه<sup>(٢)</sup>.

وبتأسيس الخلافة الفاطمية تغيّرت الحالة تغيّراً خطيراً مع بدء قيام الفقه الاسماعيلي باتّخاذ شكل محدّد بدعم من الخلفاء، إن معلوماتنا حول حالة الفقه الاسماعيلي قبل تبني خلفاء الفاطميين لأعمال القاضي النعمان بشكل رسمي. مُستقاة من المؤرخين السنة بشكر ساسي. فابن عذاري (المتوفي بعد عام ١٣١٢/٧١٢)، يروي أن أبا عبد الله نشيعي، مؤسس الخلافة الفاطمية، أدخل بعد دخوله المظفر إلى القيروان عبارة «حي على خير عمل» إلى الأذان للصلاة، وأمر بحذف عبارة «الصلاة خير من النوم» من آذان صلاة لصباح. كما أضاف إلى شعائر صلاة الجمعة الصلاة على علي وفاطمة والحسن والحسين بعد الصلاة على النبي، وحرّم تلاوة صلاة التراويح خلال شهر رمضان. ويروي، إلى جانب ذلك، أن محمداً بن عمر بن يحيى المروزي (ت ٩١٥/٣٠٣)، أول قاضٍ فاطمي يعيّنه أبو عبد الله النشيعي، وثبّته النهدي، أول خليفة فاطمي، في مركزه، كان قد أصدر أمراً يمنع

\* Iqbal K. Poonwala، أستاذ العربية والدراسات الإسلامية في جامعة كاليفورنيا، لوس أنجلوس. اختص بالدراسات لاسماعيلية وله عدة مؤلفات أشهرها عمه الفخيم الذي جمع فيه فهرساً شاملاً للنكث والمخطوطات الاسماعيلية وسدر بعنوان «هيوغراف الأدب الاسماعيلي» (كاليفورنيا، ١٩٧٧) بالإضافة إلى العديد من المقالات في الموسوعتين الايرانية والاسلامية.

غفهاء من إعطاء الأحكام والفتاوى إلا طبقاً للمذهب الجعفري (أي الشيعي) ، ومن بصلان «طلاق البتة» ، وقال بحق ميراث البنت لكامل ميراث الأب ، وحرمان قرابة العصبة في حال وجود ولد ذكر<sup>(٢)</sup> . وندينا شهادة للنعمان بهذا الخصوص تقول أن المهدي لم يوفق على حرمان الفقهاء لذوي الأرحام من الميراث<sup>(٣)</sup> .

ويروي ابن عذارى وهو يتناول فترة عهد المعز ، إضافة إلى ذلك ، أن الخليفة بعث بقاض سنة ٣٤٩ / ٩٦٠ إلى أئمة المساجد ومؤذنيها يأمرهم بعدم إهمال عبارة «حي على خير لعمل» من الأذان ، وأن تتم تلاوة البسملة بصوت مسموع في بداية كل سورة (في صوت لمفروضة) ، وأن يسلّموا تسنيمتين (في نهاية كل صلاة) ، وأن يكبروا خمس مرات في صلاة الجنازة . كما أمر بعدم تأخير صلاة العصر وعدم تسبيق صلاة لعش ، وأمرت النساء بعدم النواح أثناء سير الجنازة إلا وقت الدفن ، ومنع العميان من تلاوة القرآن على القبور<sup>(٤)</sup> .

يضاف إلى ماورد أعلاه من تغييرات ، ومارواه ابن حماد (ت ٦٢٨ / ١٢٣١) ، القاضي والمؤرخ البربري ، من إدخال القنوت إلى صلاة الجمعة<sup>(٥)</sup> ، في حين يروي المقرئزي (ت ٨٤٥ / ١٤٤٢) أن القائد الفاطمي جوهر أهمل ، بعد دخوله مصر فاتحاً ، رؤية الهلال كمعيار لتحديد بداية شهر رمضان ، واستحدث تقويماً ثابتاً مبنياً على حسابات فلكية<sup>(٦)</sup> . أمّا تاريخ إدخال التقويم الثابت فليس معروفاً على وجه التحديد ، غير أن التعليقات التنبئية للنعمان تكشف شيئاً وتدل على أن المعز ربما هو من أسسها في الوقت الذي تم فيه تبني «إدعائهم» على أنها القانون الفقهي الرسمي للفاطميين . وكان النعمان قد نصّ في كتبه «الاقتصار» ، الذي كتبه قبل «الدعائم» ، على أنه علينا ألا نبدأ صيام رمضان حتى نرى هلال الجديد ، ولا نفطر حتى نراه أيضاً ، وإذا لم تتمكّن من رؤيته ، فعلياً إتمام (ثلاثين) يوماً . أما في «الدعائم» ، فقد قال أن من يعيش في ظل إمام حاضر ، أو مع اتصال به ، فعلياً ، نصيام مع صيام الامام والإفطار مع إفطاره ، لأن الامام هو من يحرص على أمور الدينية ويعنى بها<sup>(٧)</sup> .

أمّ الخوشاني (ت ٣٧١ / ٩٨١) ، الفقيه المالكي من خوشان قرب القيروان الذي غدر موطنه قرابة عام ٣١١ / ٩٢٣ لأنه لم يتمكن من التفاهم مع الشيعة ، فقد دون أسماء أربعة أشخاص خنفوا محمد بن عمر المروزي في قضاء القيروان ، لكنه لم يذكر أية معيومات بخصوص كتاباتهم الفقهية<sup>(٨)</sup> . وروى المؤرخ الاسماعيلي ادريس عماد ادين (ت ٨٧٢ / ١٤٦٨) على ذمة أبي عبد الله جعفر بن محمد بن الهيثم (أحد أصحاب أبي عبد الله



الشيعة<sup>(١٠)</sup> ، أن أفلح بن هارون الملوسي ، قاضي المهدي في رقادة والمهدية ، قد صنف بعض الأعمال في الفقه ، لكن لم تكتب النجاة لهذه الأعمال<sup>(١١)</sup> . وبإمكان المرء لتخمين بأن بعض أولئك الفقهاء والقضاة قد انغمسوا في تصنيفاتهم الشرعية على أمل أن تسقي أعمالهم اعترافاً رسمياً بها ، وبعد الاعتراف الرسمي بالنعمان على أنه المشرع فاطمي ، كمد سنرى لاحقاً ، فإن أعمال معاصريه من المغاربة ربما سقطت في زوايا الإهمال وفقدت .

وننتج الآن إلى معاصري النعمان الأكبر سنّاً في الشرق . فالظاهر أن كلاً من أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي (ت ٩٢٤/٣٢٢) وأبي الحسن محمد النسفي (ت ٩٤٣/٣٣٢) حاول إيجاد وتطوير نظام قضائي إسماعيلي مستقل ، طالما أن ابن النديم ، الذي صنف كتابه « لفهرست » سنة ٩٨٧/٣٧٧ ، قد أورد أنهما صنفا أعمالاً هامة في الفقه<sup>(١٢)</sup> . لكن ليس هناك من تأكيد لذلك من جانب المصادر الإسماعيلية<sup>(١٣)</sup> ، يغطي الرازي جانب عديدة من الطقوس كالطهارة والصلاة والصوم والحج ، وجوانب فقهية تتعلق بالزواج والعلاقات والميراث . غير أن الغرض الأساسي للمؤلف كان ، على كل حال ، الاشتقاق اللغوي لمصطلحات الإسلام ، إذ أنه لم يُطل الكلام عن نقاط ذات صفة فقهية<sup>(١٤)</sup> .

واجه الخلفاء الفاطميون الثلاثة الأوائل العديد من المشاكل أثناء توليدهم لسلطتهم . فقد قابلت المهدي حركات تمرد وعصيان داخلي عديدة نجمت عن عزله لأبي عبد الله الشيعي . وانشغل كل من القائم والمنصور بثورة الخارجي أبي يزيد ، وهي الثورة التي تعصف معها جمهور مدينة القيروان السنّي المالكي المعادي ، وكادت أن تضع الدولة نويدة على شفا هاوية . ولم يكن إلا في عهد الخليفة الرابع المعز أن حققت الدولة استقراراً كافياً ومُنَادَ خيراً مكنها من الانطلاق في سياسة من الفتوحات والتوسع في الأراضي .

وقد تطلّب إنشاء الحكم الفاطمي إجراء بعض التعديلات على الأهداف الثورية للدعوة وسياساتها كما أملت حاجات الدولة وحقائق المناخ السنّي لشمال إفريقيا حيث كان لمذهب المالكي مترسخاً بإحكام . وهكذا ، وجد الإصلاح العقائدي الذي بدأه المهدي بهذا لغرض ، تعبيراً له أكثر وضوحاً إبان عهد المعز<sup>(١٥)</sup> ، حيث كان الوقت مهيئاً لوضع مذهب لدولة وإعلان قانون شرعي . وكان النعمان ، الذي خدم الخلفاء الأربعة الأوائل جميعهم بإخلاص وصنف بمواقفهم الواضحة أعمالاً فقهية وشرعية ضخمة ، كان قد كلف من قبل لخليفة الرابع المعز في نهاية الأمر بتصنيف كتابه « دعائم الإسلام » الذي حاز على عتراف رسمي به . ولهذا نتحول إليه الآن .

وطبقاً لأقواله هو ، فقد خدم النعمان الخليفة الفاطمي الأول ، المهدي ، لمدة تسع

سنوات وبضعة أشهر وأيام قبل وفاة الأخير . ثم خدم بعد ذلك الخليفة الثاني ، القائم ، طوال مدة حكمه<sup>(١٧)</sup> . لكنه لا يصف ، مع الأسف ، طبيعة منصبه بدقة سوى أن واجبه قد تمغل بكتابة أخبار الحاشية الملكية الى الخليفة يومياً . ويبدو من هذه الوظيفة أنه كان موضع ثقة كل من المهدي والقائم . يضاف الى ذلك أنه خدم حفيد المهدي ، الأمير الشاب المنصور ، الذي أصبح الخليفة الثالث فيما بعد ، من خلال جمع الكتب واستنساخها له لبعض الوقت خلال عهد المهدي ، وطوال عهد القائم .

وبعد توليه لمنصب الخلافة بفترة قصيرة (سنة ٩٤٦/٣٣٤) ، وقبل إعلان وفاة القائم رسمياً (أي سنة ٩٤٧/٣٣٦) إثر سحقه لثورة الخارجي ، قام المنصور بتعيين النعمان في منصب قضاء طرابلس<sup>(١٨)</sup> . وفي سنة ٩٤٨/٣٣٧ ، عندما نقل الخليفة عاصمته الى مدينة المنصورية الجديدة ، حظي النعمان بترقية من الخليفة من مجرد قاضي مقاطعة متواضع الى قاض للقضاة وذلك عندما ولّاه المنصور قضاء العاصمة الى جانب قضاء المهديّة والقيروان مع حق تعيين قضاة آخرين في مجال حكم الفاطميين<sup>(١٩)</sup> . وهكذا يكون صعود النعمان الى أعلى منصب قضائي في الدولة قد تزامن مع توطيد الدولة في أعقاب الهزيمة الساحقة لثورة الخارجي وإضعاف المعارضة المالكية السنيّة .

أما المعز (٣٤١ - ٩٥٣/٣٦٥ - ٩٧٥) ، الذي كانت للنعمان علاقة حميمة معه حتى قبل توليه لمنصب الخلافة (٢٠) ، فإنه لم يكتف بتبنيته في منصبه الرفيع وحسب ، بل وأصدر مرسوماً ملكياً سنة ٩٥٤/٣٤٣ عهد اليه فيه بإجراءات «المظالم» في طول المجال الفاطمي وعرضه<sup>(٢١)</sup> . وقد نصّ السجل بوضوح على أنه قد عُهد الى النعمان بسلطة واسعة ، وأن مجال سلطته امتدّ ليشمل كل قضية تقع ضمن إطار مسائل المظالم تعرض عليه مباشرة أو ترد على شكل استئناف من أية زاوية من زوايا المملكة . وصار ينظر في قضايا لها علاقة بالحاشية الملكية ، أو بمختلف طبقات رجال الخليفة ورفيقته ، أو بالعسكر المقيم في العاصمة ، لم يكن بإمكان أي قاض آخر النظر فيها . وفي جميع تلك القضايا ، كان النعمان يتمتع بسلطات قضائية واسعة مطلقة . وهكذا يكون المعز قد رفعه الى أكرم المناصب القضائية رفعة في الحكومة الفاطمية . يضاف الى ذلك ، تكليف الخليفة له بعقد مجالس الحكمه كل يوم جمعة ، عقب صلاة الظهر ، في القصر الملكي وإلقاء العلوم الدينية للدعوة على المجتمعين ، ولاسيما العلوم الباطنية<sup>(٢٢)</sup> .

ولم يكن صعود النعمان الى مثل هذا المنصب الرفيع مجرد صدفة فقد كان وثيق الصلة بالخليفين الثالث والرابع وحاز على ثقتهما . ولا بد أنه كان قد أعطى صورة مثالية للمقدرة

ولصفات لأخلاقية الرفيعة أثناء توليه لمنصب قاضي القضاة . لكن ، لا بد ، فوق ذلك كله ، أنه قد ميّز نفسه على أنه المؤلف الأكثر عطاءً وتصنيفاً ، ومؤسس نظام قضائي لم يكن متّحاً ومنفتحاً على الجمهور العام وحسب ، بل ومنسجماً مع المفهوم العالمي للامامة الفاطمية أيضاً . من هنا نعود وثلتفت الى أعمال النعمان في مجال الفقه<sup>(٢٢)</sup> .

كان نعمان قد شرع بتأليف أول أعماله بعنوان « كتاب الإيضاح » بينما كان لا يزال في كنف المهدي ، وبأمر من الأخير كما يقول ادريس عماد الدين<sup>(٢٣)</sup> . وفي إشارة منه إليه ، يقول النعمان في مقدمته « لكتاب الاقتصار » أنه شرع بجمع عدد هائل من الأحاديث لفقهية امرورية عن أهل بيت النبي وتدقيق مختلف المصادر المتاحة له . ويضيف أنه اختار من بين ذلك العدد الهائل الأحاديث المشهورة والمعروفة والمأثورة وحسب ، بغض النظر عن ثقل لرواة أو اختلافهم . وصنف مما اجتمع له من هذه المواد كتاب « الايضاح » مشيراً الى لنقط التي اتفق عليها الرواة وتلك التي عليها اختلفوا موضعاً بالأدلة والبراهين مورد فيها من عقيدة ثابتة . فكان الناتج عملاً ضخماً تكون من (٣٠٠٠) ورقة<sup>(٢٤)</sup> . واثبت نعمان في هذا الكتاب كامل سلسلة الإسناد لكل حديث ، وأورد عدة أحاديث لكل مسألة من المسائل الفقهية ، أما في الحالات التي كان فيها تعارض ظاهر ، فقد لجأ الى حل الاشكال عن طريق التأليف بين البدائل المتوفرة أو بتوضيح سبب تفضيل جانب على آخر<sup>(٢٥)</sup> .

ومن سوء الطالع أن كامل العمل قد فُقد وضاع ، كما يبدو ، ماعدا مجتزأة من فصل بعنوان « كتاب » يتناول فريضة الصلاة<sup>(٢٦)</sup> . ومن خلال تفحصه لهذا الجزء المتبقي وتحبيسه للمصادر التي ذكرها النعمان ، استنتج مادنونغ مانصه :

« وهكذا يظهر الفقه الاسماعيلي في كتاب الايضاح وكأنه ، من الناحيتين المادية والنظرية ، توفيق بين الفقهين الإمامي والزيدي . فمن ناحية مادية ، إنه مبني على مصادر مقبولة كمصادر موثوقة في الفقه الإمامي ، وموثوقة في الفقه الزيدي . ومن ناحية نظرية ، يقر النعمان ، متفقاً بذلك مع الزيديين ، بمرجعية أهل البيت وسلطتهم عموماً ، وليس بمجرد تلك التي للأئمة . لكنه يقدم تنازلاً للموقف الإمامي بمنح الأئمة سلطة متفوقة على تلك التي للعويين الآخرين . وعلى وجه الخصوص ، فإن أهمية الإمام جعفر ، الذي كان دوره محدوداً في الفقه الزيدي ، ومتفوقاً في الفقه الإمامي ، تبدو ماثمة للعيان في كتاب الايضاح »<sup>(٢٧)</sup> .

وهكذا ، يبدو أن مصادر كتاب «الايضاح» كانت واسعة الانتشار . كما يوحي هذا لعمر بأن النعمان كان يصدد ، نظراً لعدم وجود فقه اسماعيلي ، محاولة وضع أساس لبدء فقه اسماعيلي عليه . من هنا كان توجيه جهوده الأولى نحو جمع وتصنيف الأحاديث وفقهية لمروية عن أهل البيت من المصادر المتوفرة . وواصل النعمان عمله في مجال الفقه بكتابة عدة مختصرات لكتاب «الايضاح» . لكن من سوء الطالع أنه لاتتوفر لدينا المصدر التي تساعد في تحديد تواريخ هذه الأعمال وترتيبها وفقاً لتسلسلها التاريخي . غير أنه بإمكاننا ، على أساس من الدليل الداخلي والاشارات العرضية في أعماله ، إضافة إلى ملاحظات على سبيل التقديم في بعض كتبه ، محاولة تحديد تاريخ عدد كبير من أعماله . يضاف إلى ذلك أننا نستطيع ، في ما يتعلق بأعماله في مجال الفقه ، التي ابتدأت بكتاب «لايضح» وبلغت ذروتها بكتاب «الدعائم» ، تمييز تطورات محددة في فكره وعقيدته . وبناء على هذه المعلومات ، يبدو أن كتابه التالي هو «الأخبار» (أو كتاب الأخبار) . وهو اختصار للكتاب الأول ويقع في ٣٠٠ ورقة<sup>(٢٩)</sup> . وفيه يروي النعمان كلاً من العقائد المقبولة عموماً والمتعارضة بخصوص نقطة من نقاط الفقه ، ثم يقدم مايفضله هو من حيث ماهو أكثر وثوقاً . ومع أنه جرى إثبات الأحاديث دون أسانيد ، إلا أنه يمكن تصنيفها في درجات تقريبية وفقاً للمقياس التالي : الأصح ، والأثبت ، والأسلم ، والأشهر ، والشاذ ، والأفسر ، والمجمل . وقد تم عمل ذلك كله ، بكلمات لوخندوالا ، بطريقة المحدث وأسلوبه<sup>(٣٠)</sup> . وبما أنه تم وضع وجهات النظر المتعارضة بعضها مع بعض ، فالظاهر أن بعض التردد من جانب النعمان قد وجد في هذه المرحلة في ما يتعلق باختيار عقيدة محددة ، ولذلك كان يحاول إزالة التعارض عن طريق الشرح والتفسير .

يتبع ذلك مختصر آخر بعنوان «مختصر الإيضاح»<sup>(٣١)</sup> . ومع أنه لم يعد موجوداً ، إلا أنه تضمن ، كما يبدو ، الأحاديث المقبولة على أنها ثابتة ، وتلك كانت خطوة النعمان لتأسيه في توطيد الممارسات الشرعية وتثبيتها ، والإنطلاق من ثم نحو قولته لفقه الاسماعيليين . أما «الأرجوزة المنتخبة» (أو المنتخبة) فقد كانت تلخيصاً آخر في صيغة شعرية . وذكر النعمان في مقدمتها أنه صاغها شعراً ليسهل على الطلاب حفظها<sup>(٣٢)</sup> . وكذلك ، فإن «كتاب الاقتصار» هو مختصر آخر بعد تضمن العقيدة الثابتة لأهل البيت بشكل أساسي . ومنه حذفت الأسانيد ، وابتدأت جميع الفصول ، عوضاً عن ذلك ، بعبارة اشية : «روي لنا على ذمة أهل البيت» ، وفي «المنتخبة» التي صُنفت في عهد القائه (كما ورد في المقدمة) ، إشارات إلى «الايضاح» ، وتلميحات إلى مختصرات أسبق . وبالصيغة

ذاتها ، يشير النعمان في تمهيده لكتاب الاختصار ، إلى كتبه الايضاح والأخبار والمنتخبة .  
وجميع ماورد من المصنفات الفقهية أعلاه كان شبه رسمي ، ولذلك نجد أن كلاً من أعمال  
النعمان اللاحقة قد تضمنت إشارات الى تصنيفاته السابقة .

وهكذا ، فمن الواضح أنه سبق أن كانت للنعمان عدة مصنفات فقهية من تأليفه عندما  
أسند اليه أعلى منصب قضائي ، بالإضافة الى عمل شامل في الفقه الاسماعيلي . يضاف الى  
ذلك ، أنه لدينا شهادة من الاستاذ جوذر ، أحد الموقنين من ذوي المناصب الرفيعة  
والموثوق لدى الخلفاء الفاطميين الأربعة الأوائل ، تُفيد أن كتاب « الايضاح » كان من أعزّ  
الكتب وأغلاها عند المنصور ، وأن الخليفة سأل جوذر الاحتفاظ به في مكان آمن مع الكتب  
النفسية الأخرى . بل إن المنصور نصح الأخير بنسخ نسخة من الكتاب لمنفعته الشخصية  
واستخدامه الخاص<sup>(٣٢)</sup> .

يلي ذلك « كتاب الاختصار لصحيح الآثار عن الأئمة الأطهار » (أو مختصر الآثار أو  
اختصار الآثار) الذي صُفّه قبل عام ٩١٩/٣٤٨ إبان عهد المعزّ ، وهو كتاب يتمتع بتقدير  
مساوٍ لكتاب « الدعائم » الى حد ما ، من جهة كونه من الأعمال المرجعية في الفقه  
الاسماعيلي . وقد وضّح النعمان سبب تصنيفه بالقول أن القضاة والحكام والطلبة سألوه أن  
يصنّف عملاً موجزاً في الفقه ، ليس بالشامل المستفيض ولا بالمكثف ، يسهل استعماله  
وحفظه ، مبني على مرجعية أهل البيت . وقال إنه لم يكتف باستشارة الخليفة بانتظام أثناء  
تصنيف الكتاب ، بل إن الخليفة دقّق كامل الكتاب بنفسه ، وقدم العديد من التصويبات ،  
واقترح عنوانه<sup>(٣٣)</sup> . ثم أجاز المعزّ له رواية الكتاب بكامله على مسؤوليته و مرجعية منه ومن  
أجداده . وفي هذا الكتاب غالباً ما رويت الأحاديث دون أسانيد . وهكذا يكون كتاب  
« الاختصار » خطوة الى الأمام في إبرام الفقه الاسماعيلي والدعوة له<sup>(٣٤)</sup> .

ومن المناسب ، قبل المضي قدماً ، تقديم مثال لتوضيح أن النعمان كان ، منذ شروعه  
في عمله الطموح « الايضاح » ، يقترب أكثر فأكثر بالتدرّج من قوننة الفقه الاسماعيلي .  
لفي موضوع الطهارة ، على سبيل المثال ، نجد أن أكثر الموضوعات المعيرة للاختلاف بين  
المدارس الفقهية السنية والشيعية قد تركز حول ما إذا كان من الواجب غسل القدمين أم  
مسحهما<sup>(٣٥)</sup> . واختارت المدارس السنية ، بخلاف المدارس الظاهرية ، الفصل بناءً على قوة  
بعض الأحاديث النبوية ، وبإعطاء تفسير مختلف للآية القرآنية ذات الصلة<sup>(٣٦)</sup> . أما الشيعة  
فقد توقفوا ، من جهة أخرى ، عند القراءة المنطقية للآية القرآنية ، واختاروا المسح بتأييد  
من الأحاديث النبوية والامامية . وأما النعمان ، فقد روى كلتا وجهتي النظر السنية والشيعة

في كتابه «الأخبار» ، وأظهر تأييداً لهما كليهما . بل إنه يقول في لهجة توفيقية أنه بالإمكان القيام بالمسح ، لكن الغسل أفضل<sup>(٢٨)</sup> . وقال في «المنتخب» إن المسح فرض بينما الغسل جامع (أو متفق عليه) . أمّا في «الاختصار» ، فإنه لا يزال متردداً حيث يقول إنه من الواجب مسح القدمين ، لكن من الأفضل غسلهما (فيما بعد)<sup>(٢٩)</sup> . وفي «الاختصار» الذي نال اعتراف المعز وموافقة الرسمية ، اتخذ النعمان ، بالمقارنة مع أعماله السابقة ، موقفاً محدداً . فقد أيد المسح من جهة عقائدية مدعماً موقفه بأدلة من القرآن [٦/٥] والحديث<sup>(٣٠)</sup> .

تغيّر رئيس آخر له صلة بحقيقة أن جميع الأعمال السابقة تبتدىء بغسل عن الطهارة ، لكن «الاختصار» يبتدىء بغسل عن العلم ومصدره الموثوق<sup>(٣١)</sup> . وهكذا يصبح واضحاً أن الفقه وعلوم الدين يجب أن تؤخذ عن الأئمة أصحاب الحق من أهل بيت النبي . ونظرية الإمامة هي المفتاح ، كما سنرى لاحقاً ، لفهم جميع المعادلات الدينية الشيعية . ويمكن الحكم على أهمية هذا العمل بحقيقة أن ثلاثة خلفاء متتاليين ، المعز والعزير والحاكم بأمر الله ، أجازوا لعلي بن النعمان ولحفيد النعمان ، الحسين بن علي ، قراءة الكتاب وإملاءه على من كان يحضر اليهم بُغية الحصول على التعليم الديني . والنص الباقي لهذا العمل هو تحرير حفيد النعمان ، الحسين بن علي ، الذي حصل على الإجازة بذلك من والده علي ، الذي كان بدوره قد قرأه على والده النعمان سنة ٩٥٩/٣٤٨ ، وهو الذي أجاز له روايته بعد ذلك على مسؤوليته<sup>(٣٢)</sup> . وينظر الاسماعيليون اليه بحق على أنه ثاني أكثر الأعمال الفقهية الاسماعيلية وثوقاً بعد «الدعائم»<sup>(٣٣)</sup> .

وصنّف النعمان إضافة إلى النصوص الفقهية عدة أعمال نقض فيها آراء المدارس السنية ومؤسسيها ، ولاسيما مالك وأبي حنيفة والشافعي ، ودافع عن وجهة نظره الخاصة<sup>(٣٤)</sup> . لكن من سوء الطالع أنه لم تكتب النجاة لأي من هذه الأعمال ماعدا «الرسالة ذات البيان في الرد على ابن قتيبة» و«كتاب اختلاف أصول المذاهب» الذي يتناول مبادئ الفقه الاسلامي<sup>(٣٥)</sup> . ويقول ابن حجر إن حفيد النعمان ، عبد العزيز بن محمد ، كان يدرس الكتاب الأخير في المسجد الجامع بإجازة من الحاكم بأمر الله ، وإن نسخاً منه قد وصلتنا من تحرير حفيد النعمان ، وبما أنه عمل هام له صلة بالموضوع ، وصنّف قبل «الدعائم»<sup>(٣٦)</sup> ، فمن المفيد إجراء مراجعة موجزة له .

إن المبادئ التي يقوم عليها الفقه (أو مرجعياته) ، طبقاً لكتاب «اختلاف» هي : القرآن ، وسنة النبي ، وآراء الأئمة من أهل بيت النبي ، ورأي الإمام الحاكم<sup>(٣٧)</sup> . وفي كتابيه

«اقتصار» و«اختصار» ، يقترح النعمان نظرية مشابهة وينصح القضاة بالأبواب يبينوا قراراتهم على الرأي (الشخصي) أو القياس أو الاستحسان . وينص على أنه على القاضي اتخاذ القرار طبقاً لكتاب الله ، فإن لم يجد الأمر فيه ، عليه التقييد عنه في سنة النبي (أو الثابت من الحديث) وسنة الأئمة من سلالة . فإذا ما فشل في العثور على المسألة في المصادر السابقة ، عليه عندئذ إحالتها إلى الإمام<sup>(٤٨)</sup> . أما في ما يتعلق بالمسائل ذات العلاقة بالفقه القائم ، فقد تحدثت مرجعيتها بالإمام جعفر الصادق وأسلافه ، وبقيت السلطة النهائية في الأمور اليومية التي تسيّر شؤون الدولة في يد الإمام الذي يحكم . ولهذا السبب لم يرد ذكر الأئمة الأوائل على أنهم مرجعيات .

نشأ الفقه الاسماعيلي وتطور في وقت كانت فيه المدارس الفقهية الأخرى تبلغ مبلغ الرشد والنضج . ومع ارتفاع مد المحدثين بعد الشافعي ، تعاظم التأكيد على القرآن ، وراح مبدأ السنة ، الذي استخدم حتى تلك الآونة للإشارة إلى ممارسة الجماعة والأمة ، يوجه تدريجياً ليصبح سنة النبي ، وفي ظل غياب الأخير ، أصبح سنة أصحاب النبي . وكانت الفقهية المحلية القديمة في المدينة والكوفة وعلى إجماع علماء الدين ، من أجل ترقية إجماع كامل الجماعة وكامل الفقهاء وتطويره . ولهذا ، فإن النظرية العامة للفقه الاسلامي كانت ، في الوقت الذي كان فيه النعمان يصنف ويكتب ، في طور دوراتها حول مصادر الفقه الأربعة المحددة بشكل ثابت ، وهي : القرآن ، وسنة النبي ، والإجماع ، والقياس/ الاجتهاد<sup>(٤٩)</sup> . وقد وضع هذا التطور حداً لنمو الفقه . وهو ما لم يضع حداً لاستخدام الرأي ، بل حرّمه ، وهو الذي أستخدم على نطاق واسع في مدارس المدينة والكوفة القديمة ، الأمر الذي أدى إلى تطور مفاهيم جديدة مثل الاستدلال<sup>(٥٠)</sup> ، والنظر أو العقل<sup>(٥١)</sup> ، والاستحسان والاستصلاح<sup>(٥٢)</sup> .

وكان في ذلك الوقت أن أخذت المدارس الشيعية بالنمو . وظهرت بشكلٍ موازٍ لعقيدة الإمامة الشيعية ، الميعة السنّية لسنة الخلفاء الراشدين وصحابة النبي . أما الزيدّيون ، فقد احتفظوا ، وبحكم وضعهم كأكثر الفرق الشيعية اعتدالاً ، بميول وخصائص مدارس كل من السنة والشيعية . وهكذا قبل معظم الزيدّيين ، ماعدا الجارودية ، وهم الذين قالوا بنشأة الإمامة المسبقة في أهل بيت النبي ، قبلوا بالخلفاء الراشدين الثلاثة الأوائل على أنهم حكام شرعيّون ، وتبنّوا مصادر الفقه الاسلامي الأربعة جميعها<sup>(٥٣)</sup> . أما بالنسبة إلى الإماميين ، وبسبب غيبة إمامهم الثاني عشر ، فقد توقّف الإمام عن كونه مصدرراً فعلاً للفقه . وقد ناقشت في مكان آخر أنه حتى قبل الغيبة ، فإن سلطة العلماء/الفقهاء القائمة بحكم الواقع

كان قد سبق لها أن ظهرت بين الامامييين<sup>(٥٤)</sup> . وكان استعمال الرأي والقياس والاجتهاد محرماً خلال فترة ما قبل الغيبة ، غير أنه كان عندهم فيما بعد ، ومع دخول الامام مرحلة لغيبة وتوقيفه عن المساهمة في نمو الفقه وتطوره ، كان عليهم قبول النظرية السنية مع تعديلات شيعية محددة . ولهذا السبب ، تسلسل الاجماع والاجتهاد الى النظرية الامامية على انهم مصدران للفقه<sup>(٥٥)</sup> .

أما الاسماعيليون ، فقد كانوا ، من جهة أخرى ، في وضع أكثر ملائمة وتوفيقاً عندما بدأت نظرياتهم الفقهية بالنشوء والتطور . ومع قيام الخلافة الفاطمية في شمل إفريقيا ، تصورت عقيدة الإمامة لتتحول الى كائن حي ، ومن هنا كان من الواجب مقاربة نظرية سقفة بصريقة مختلفة<sup>(٥٦)</sup> . ولهذا السبب تم رفض الإجماع والاجتهاد<sup>(٥٧)</sup> ، وبدائلهما كلاهما للاستدلال ولنظر أو العقل والاستحسان والاستصلاح ، كمصادر لفقه . ولذلك جاءت سسمة لإمام المعصوم والمهدي بالله ، بعد القرآن والسنة ، على أنها المصدر الثالث والحاسم . وصبحت سلطة الإمام ، بالنتيجة ، مسقطاً مشخفاً لسنة النبي ، الأمر الذي سيكشف لنا لاحقاً . وكانت سلطة الإمام مطلقة من ناحية نظرية ، لكنها كانت محددة ، من ناحية عملية . بالأعراف السائدة في تلك الفترة . ولهذا السبب بقيت النظرية نظرية ، وأن الفقه الاسماعيني قائم بنفسه تطور ، ولا سيما في ما يتعلق بالمعاملات ، من تلقاء ذاته في ظل ضغوط اجتماعية - اقتصادية لم يكن بالإمكان تفاديها .

وأما القانون الفاطمي الرسمي ، فقد جاء من خلال تصنيف كتاب «الدعائم» الذي صدر لتكليف به عن الخليفة - الإمام المعز لدين الله . ولهذا السبب تجاهل النعمان ذكر مؤلفه والإشارة فيه الى أعماله السابقة ، كما فعل في أعمال سابقة له<sup>(٥٨)</sup> . لقد كان ذروة عمل النعمان وجهوده بعد مضي أكثر من ثلاثين عاماً . وحول الظروف التي في ظلها تم صلب الى النعمان لتصنيف الكتاب ، يقول ادريس عماد الدين أن جماعة من الدعة حضرت عند أمير المؤمنين المعز ، فذكروا الأقاويل التي اخترعت ، والمذاهب والآراء التي فترقت به فرق الاسلام ، وما اجتمعت ، وما ادعت أكثرها وابتدعت ، فذكر أمير المؤمنين قور جده رسول الله (ص) مما أثبت روايته آباؤه الطاهرون والذي يُفيد أن أمته ستنقسم وتسبب سبب الأمم السابقة . ثم ذكر لهم حديثاً آخر يقول : «إذا ظهرت البدع في أمتي فيظهر لعلم علمه» . ونظر المعز الى القاضي النعمان فقال له : «أنت المعني بذلك في هذا لأن ينعمان ، ثم أمر بتأليف كتاب الدعائم وأصل له أصوله وفرع له فروعه ، وأخبره بصحيح رويعت عن الطاهرين من آبائه عن رسول الله» . وأضاف ادريس أن المعز كان يرجع



الكتب فصلاً فصلاً وباباً باباً فيثبت الثابت فيه ويقيم الأول ويسد الخلل<sup>(٥٩)</sup>.

وعلى الرغم من عدم وجود دليل داخلي يقرّر التاريخ الدقيق لتصنيف «الدعائم» ، لا أنني أمير إلى الزعم بأن تصنيفه كان قرابة عام ٩٦٠ / ٣٤٩ ، وذلك بسبب من رواية ابن عذري الأقدم ، ولقائلة بأن الخليفة المعز قد نشر تعليمات هامة على أئمة المساجد ومؤذنيه في ذات تلك السنة<sup>(٦٠)</sup> . وقد سبق لابن عذري الحديث عن تغييرات رئيسية أدخلها لشيعة ، ومن هنا كان إصدار المعز لمرسوم ملكي ، مكرراً ماورد بخصوص الشعائر لاسماعيلية الشيعية ، إشارة واضحة لحدوث تغييرات رئيسية في سياسة الدولة . وربما لم يدرك مؤرخون السنة الصفري الكامل لحادثة إعلان «الدعائم» على أنها القانون لرسمي للدولة الفاطمية . والتغييرات المروية عند ابن عذري كلها لها ما يؤكدها في «لدهنه»<sup>(٦١)</sup> . فالنعمان نفسه قد نصّ على أن المعز قد حثّ الناس على قراءة «الدعائم» وستنسخه ودراسته . وأضاف قائلاً إنه كان يقرأ في التجمعات الأسبوعية «لمجلس الحكمة» في القصر<sup>(٦٢)</sup> .

وزاد المعز في قوله للنعمان ، بمرجعية تعود إلى جعفر الصادق ، أن الاسلام يقوم على ركن سبعة ، وهي الولاية والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد . وهكذا يكون النعمان قد أضاف ركنين آخرين إلى الخمسة المعترف بها عموماً : أي الولاية ، حجر الزاوية في المعتقد الاسماعيلي ، التي جرى حبكها في «الدعائم» وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من العقيدة . وقد احتوت في داخلها عقيدة الامامة التي تقع في موضع الأساس من الشيعة ، وتمّ تحويلها إلى مبدأ ديناميكي بعد إنشاء الخلافة الفاطمية . وتعتبر أرفع وأنبّل الأركان السبعة ، التي بدونها لاصلا تقبل عند الله ولا أية عبادات أخرى .

وتجدر الإشارة إلى أن عقيدة الإمامة لم تصبح ، وخلافاً لما كان مع الاسماعيين ، جزءاً من لنصوص الامامية الشرعية<sup>(٦٣)</sup> . «فالدعائم» كان أول نص فقهي يفسح مكاناً قانونياً لولاية . ولم تكن الولاية بالنسبة إلى الفاطميين مجرد اعتقاد ديني . بل لأسس لذي قمت عليه دعواهم بالزعامة السياسية للامة الإسلامية . ويمثل هذا الفصل ، هو وذلك لذي يتدور الجهاد المتضمن للعهد المتعلق بسلوك الحاكم مع رعيته والممارسات والصفات الحميدة المنسوبة إلى علي<sup>(٦٤)</sup> والتي عليه مراعاتها ، تمثل نظرية الدولة عند الاسماعيين . وهذا سبب ، كانت وداد القاضي محقة في قولها إن «الدعائم» لا يمثل الدستور الالهي لأسمى لدولة الفاطمية وحسب ، بل ودستورها المدني أيضاً<sup>(٦٥)</sup> . أما بالنسبة إلى لإماميين ، فلم تكن لعقيدة الامامة أية قيمة عملية نظراً لأن إمامهم كان قد دخل في الغيبة ،

في حين كانت ذات أهمية عظمى بالنسبة إلى الفاطميين لأن عقائدهم الفلسفية و بـ صنية كانت تدور حولها ، ولم تكن قد تمت صياغة النظرية السياسية السنية للخلافة بعد ، ولم حدث ذلك ، فإنها لم تشكل إلا جزءاً من قانونهم الشرعي البتة . وأما الطهارة ، وهي التي تضمنت طهارة جسمية وروحية ، واعتبرت توطئة ضرورية وشرطاً لصحة ممارسة اصوت وأعمال أخرى معينة ، فإنها قد ارتفعت إلى مكانة الركن .

وقصر النعمان نفسه في « الدعائم » على ما وصله من الثابت من عقيدة الأئمة من أهل بيت النبي كما رواها له المفسر . فالمصادر الموثوقة للفقه (أصول الفقه) هي فقط من لقرآن وسنة النبي وتعاليم الأئمة . وواضح أن هذا التغيير في الموقف كان بتأثير من المعز . أما على لمستوى الكائن ، فإن العقيدة الفقهية تبدو متطابقة مع المواقف المعتمدة في كتبه « لايضاح » . وقد اقتبس في « الدعائم » أحاديث قليلة لانجدها في الايضاح ، لكنها كلها تدعم وجهة نظره . ولا تبدو عقيدته مختلفة هنا إلا بخصوص نقاط تفصيلية ثانوية وبشكر عرضي وحسب . وعلى الرغم من الوعد الذي قطعه بتقديم عقيدة الأئمة وحسب ، إلا أن لنعمان يقتبس في مواضع قليلة وجهات نظر العلويين الزيديين على أنها الأساس الفقهي في « الدعائم » .<sup>(٦٦)</sup> وطبقاً لمادنونغ ، فإن حجم سهم العقيدة الفقهية المشتقة من المصادر الزيدية في الأخير هو أكبر من ذلك ، لكن القسم الأعظم من المادة الزيدية قد ستر عن طريق حذف الأسانيد الزيدية لأحاديث النبي وعلي والأئمة الآخرين<sup>(٦٧)</sup> . ويختتم مادولونغ درسته المذكورة بالقول إن وصف العقيدة الفقهية لكتاب « الإيضاح » بأنها توفيق مابين لفقهين الإمامي واليزيدي ، هو وصف ينطبق على الفقه الإسماعيلي عموماً<sup>(٦٨)</sup> . وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من الأثر المالكي القوي لفقه الإسماعيلي في « الدعائم » ، لأنه توجد اختلافات هامة حيث لم يكن بإمكان الإسماعيليين القبول بنظام مالكي لأسباب تتعلق بنقد مزاعمهم السياسية<sup>(٦٩)</sup> .

وفي نقطة الاختلاف الرئيسية مع الفقه الإمامي أقر النعمان بتحريم زواج المتعة ، وورد في ذلك أحاديث منسوبة إلى الإمامين علي والصادق ، وهي أحاديث استخدمها الزيديون أيضاً<sup>(٧٠)</sup> . وقصرت المرجعيات في « الدعائم » على الصادق لسبب بسيط وهو أن الأخير ومن سبقه من الأئمة كانوا مقبولين من قبل كل السنة والإماميين على أنهم مرجعيات محدث موثوقة . يضاف إلى ذلك أن الأئمة الإسماعيليين بعد الصادق عاشوا في فترة من الستر ، ومن هنا عدم وجود أحاديث مروية عنهم . ويقول المقدسي الذي كتب عمه قرابة العام ٣٧٥-٩٨٥ وكان قد اطلع على « الدعائم » وقرأه ، أنه يتفق في معظم الأصول مع موقف

معتزلة ، ثم يقسم بعد ذلك المظاهر المميزة للمذهب الفاطمي إلى أصناف ثلاثة :

(١) عبادات التي اختلف حولها مؤسسو المدارس السنية فيما بينهم مثل القنوت في صلاة صبح ولجهر بالبسملة ، وصلاة الوتر المكونة من ركعة واحدة ، (٢) إحياء بعض لممارسات إسلامية المبكرة ، مثل تكرار الكلمات الواردة في الإقامة (وهي التي أورد لأمويون جعلها تقال إفرادياً) ولباس الثياب البيضاء و(التي حولها العباسيون إسى ثياب سود ) ، (٣) ممارسات يتفرد بها الفاطميون لكنها لا تخالف الأئمة المؤسسين مثل «حي عى خير عمل» في الأذان ، وتحديد بداية الشهر عندما لا يكون بالإمكان رؤية القمر ، وصلاة كسوف المكونة من خمس ركعات ، في كل ركعة سجدة واحدة . وتم بيان نقاط الاختلاف الرئيسية بين «الدعائم» والمدارس الفقهية الأخرى من قبل كل من فيضي وشتروتمان وبرونزشفليك<sup>(٧٢)</sup> .

ومن لمناسب القول إن النظام القضائي والفقه المبني في الدعائم قد جرى توجيهه . بغرض لاستخدام من قبل كل من الدولة والجماعة الاسماعيلية باتجاه المصالحة والتوفيق بين معتقد الاسماعيلي الشيعي والمذهب المالكي السني لشمال افريقيا ولذلك ، فإن نقاط الاختلاف لعقائدية بين الاثنين إذا ما تركنا الفصل الأول المتعلق بالولاية جانباً ، لا تتجاوز حدود كثيراً . وبالمقارنة مع أعمال باطنية أخرى ، فإن نظرية الإمامة التي يقدمها «الدعائم» ، إذا ما نزعنا عنها التهذيبات الفلسفية والباطنية ، هي نظرية معقولة ومنطقية جداً ، بنيت بعناية فائقة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية مع تفاسير منزلة وروايات تعنى بالجنب لأخلاقي منقولة عن الأئمة<sup>(٧٣)</sup> . ويتألف للدعائم ، يكون النعمان قد أكمل مهمته كفقيه رسمي من خلال صياغته لنظام عقائدي وقضائي يتلائم مع المزاعم العالمية للفاطميين كما أنه يفسر سبب إظهار المعز لذلك الاهتمام الشديد بأعمال النعمان . ولذلك ، ليس مدهشاً أن ينظر الاسماعيليون المستعليون الطيبون إلى «الدعائم» إلى أنه أعظم مصدر لفقه لاسماعيلي ، وأنه لا يزال محافظاً على مكانته حتى اليوم مصدراً لأعلى مرجعية في لمسائل الشرعية .

وستكون دراستنا للنعمان ناقصة إذا لم نتحدث قليلاً حول تصوره للقرآن والسنة كمصدرين نظريين للفقه . ومع أن التطور التاريخي للفقه الإسلامي لم يعتمد على القرآن كية وأنه اشتمل على الكثير من فقه العادة والمعرف للعرب<sup>(٧٤)</sup> ، إلا أن ارتفاع مد حركة الأسلمة برز أهمية كل من الإسلام والسنة وأكدها . وقاد ذلك إلى ظهور اختلافات في الرأي بخصوص الأهمية النسبية منهما ، وتفاوت أحدهما على الآخر . فقد رفض البعض قبول

حديث النبوي على أسس قامت على كل من السلطة المطلقة للقرآن والشك في موثوقية حديث واعترف هؤلاء بمرجعية وحيدة هي القرآن مع حق التفسير<sup>(٧٥)</sup> . وتناول النعمان ، الذي بنى على تلك الأسس آيات محددة من القرآن مجتمعة وجادل بأن في القرآن هدى سكر شي . لكنه يحتاج في الوقت ذاته لتفسير صحيح<sup>(٧٦)</sup> . إذ نجد أن القرآن (٥٩/٤) ، ٨٣-٤٣/١٦) يأمر المسلمين باحالة نزاعاتهم إلى «أولي الأمر» وإطاعتهم ، وإذا مغض عليهم من شيء فعليهم التوجه إلى «أهل الذكر» . وعندما أورد عدد من الأدلة الإضافية من لأحديث التي تضع الأئمة من سلالة النبي في مساواة مع القرآن<sup>(٧٧)</sup> ، عرف النعمان «ولي الأمر» و «أهل الذكر» على أنهم الأئمة . وهكذا فإن تفسير القرآن هو حق احتفظ به لأئمة وكان باستطاعة الأئمة في زمن الفاطميين استعمال هذا الحق المكتسب في تعديل قولين . لا أنه كان من الصعب استخدامه لأسباب متنوعة ، واقتصر تفسير القرآن على إثبات حقهم في حكم الأمة الإسلامية ، وتم التأكيد على الأدلة القرآنية للإمامة<sup>(٧٨)</sup> .

منذ أن وفر الشافعي تجويزات قرآنية لقبول سنة النبي بتعريفها الثلاثي الوجوه<sup>(٧٩)</sup> ، راحت السنة ، بحلول زمن ابن حنبل تحتل مكانة مساوية لمكانة القرآن ، بل صار بإمكانها في نظر البعض أن تلغي القرآن . وفي الوقت الذي كان فيه النعمان يكتب كتبه في الفقه الإسماعيلي كان المحدثون يحتلون الساحة على الرغم من أن جميع المسائل المتعلقة بصدق الحديث وبمعايير مقبولة لم تكن قد حلت بشكل نهائي بعد<sup>(٨٠)</sup> . ولهذا نجد أن كتب النعمان الفقهية قد أخذت شكل كتب الأحاديث ، مثل كتاب الكوليني ، (الكافي) . ومن هنا نجد أن كل فصل من فصول «الدعائم» يستهل بآية مناسبة من القرآن يعقبها ما يكون للنبي قد قلده أو فعله بخصوص المسألة موضوع المناقشة وما اتخذته الأئمة حيالها حتى زمن جعفر الصادق من مواقف ومقررات ويتضمن الدعائم ، خمسمائة حديث نبوي على وجه التقريب ، وهو عدد صغير جداً بالمقارنة مع مانجده من كتب الحديث السنية . وأنيط بالسنة في «لدعائم» دور توضيحي تفسيري عموماً في ما يتعلق بالقرآن<sup>(٨١)</sup> . وفي أحيان نجد النعمان يحض مؤمن على اتباع سنة النبي حيثما كان هنالك اختلاف في الرأي بين لسنة ولاسماعيليين في معظم الأوقات . وتصبح السنة في «الدعائم» ، بهذا الشكل ، سنة مقبولة عند الاسماعيليين . وفي بعض الحالات ، يستخدم النعمان السنة لوضع ختم بسطة الأخيرة على المعتقدات المتنازع عليها ، مثل مسح القدمين في الوضوء والقنوت في صلاة الجمعة . وكان معيار قبول سنة النبي في مسائل الاختلاف عند النعمان ، هو صدوره عن لأئمة ، وعندما يكون هناك اتفاق ، فإن أحاديث أهل السنة تدخل بيسر كدليل متمم على

عقيدتهم خاصة ، وقد جُنب موقف الاسماعيليين درجة صدق الرواة ، الخ... بالشكر لذي قمت به سمدارس السنية والشيوعية الأخرى ، وتحليل الأسانيد الذي قام به النعمان يقطع حدود حزبية والأسانيد السنية والأمامية والزيدية التي استخدمت لأغراضهم الخاصة ، وبالطبع ، كُنت المصادر الامامية أكثر إفادة وفعالية في مسائل الاعتقاد والدوغمائية ، ومن هنا كن من الخطأ تصنيف الفقه الاسماعيلي بأنه مجرد توفيق بين الفقهاء الامامي وزيدي . وبعد فتح مصر وتحويل مقر الدولة الفاطمية من المنصورية في شمال افريقية الى القاهرة ، صَحِبَ النعمان ، الذي ربما كان في السبعينات من عمره ، الخليفة بوصفه متوياً بقضاء لجيش . وبما أن جوهرأ كان قد ثبت أبا طاهر الذهلي في منصبه قاضي قضاء مصر عند فتحه ، فقد كرم المعز ذلك الاتفاق لكنه طلب إلى أبي طاهر استشارة النعمان قبل به . رَيه لفقهي ، ولذلك ، فقد تم تعيين النعمان للنظر في قضايا المظالم . وتوفي في نهاية جمادى الثانية (أي في التاسع والعشرين طبقاً للتقويم الاسماعيلي المبني على حسابات فلكية ثابتة) سنة ٣٦٣/٢٧ آذار ٩٧٤ ، وصلى عليه الخليفة المعز<sup>(٨٢)</sup> .

ولم تحدث أية تطورات ذات أهمية في الفقه الاسماعيلي عقب وفاة النعمان . إذ على الرغم من أن أبناءه وأحفاده تولوا منصب قاضي القضاة في الامبراطورية الفاطمية في القاهرة مدة تقرب من نصف قرن ، إلا أننا لم نعر على معلومات بخصوص كتاباتهم الفقهية معداً أنهم كانوا يعلمون ماجاء في كتب النعمان<sup>(٨٣)</sup> ، وكتب ابن كلس (ت ٣٨٠/٩٩١) ، الذي عينه العزيز وزيراً له سنة ٣٦٧/٩٧٧ وكانت له حاشيته من العلماء والفقهاء والشعراء ، كتب رسالة فقهية بناها على ما تنفظ به وأذاعه كل من المعز والعزيز<sup>(٨٤)</sup> . وقد اشتهرت هذه لرسالة بعنوانين متعددة : «مختصر الوزير ، مختصر المصنف ، مختصر الوزير ، و لرسالة الوزرية» . ويقول ادريس أنها تبتدىء بالطهارة متبوعة ببيتية فصول الفقه ، وفي هذا ادرب سمح بن كلس متتبعا خطوات النعمان . ويروي المقرئ أنها أستخدمت مصدراً لإبداء رأي واتخاذ القرار ، وأن الظاهر أمر عندما طرد فقهاء المالكية من مصر سنة ١٠٢٥/٤١٦ ، أمر بمكافأة كل من كان يحفظ «الدعائم» و«مختصر الوزير»<sup>(٨٥)</sup> . ويحذر دريس ، من جهة أخرى ، بأن المسائل التي تتفق مع «الدعائم» هي التي يجب لاعتماد عيها وحسب ، وفي المسائل التي تتعارض مع ماجاء في «الدعائم» ، فإن الأخير ، مع «مختصر الآثار» ، هو ما له الأفضلية على «مختصر الوزير»<sup>(٨٦)</sup> .

ويكد لا يوجد كتاب في الفقه يستحق الذكر للاسماعيليين الطيبين المستقيين من فترة يمنية الذين ورثوا التركة الفاطمية<sup>(٨٧)</sup> . لكن أعمال النعمان تعرضت سدرسة

والتفسير والشرح في الهند . ولا سيما على يدي الفقيه البارز أمينجي بن جلال (ت ١٦٠٢/١٠١٠) <sup>(٨٨)</sup> . وتستحق أعماله أن تتناولها تحقيقات نقدية لأنها تتضمن مقتطفات مطولة من أعمال النعمان ومن « مصنف الوزير » لابن كلس ، الذي يعتبر الآن في حكم المفقود ، يضاف الى ذلك ، أن أمينجي يعرض بعض الأسئلة ذات الصلة المباشرة بالحياة الاجتماعية - الاقتصادية للجماعة في غرب الهند . وتلقى كتبه تقديراً عالياً من البهرة الداودية ويضعونها في مرتبة تالية لأعمال النعمان من حيث المرجعية . وآخر ممقل لتراث الفقيه الاسماعيلي إبان القرن التاسع عشر هو ابراهيم السيفي . وكتابه ، « كتاب النجاح في معرفة أحكام النكاح » ، والذي يتناول الجوانب الاجتماعية - الاقتصادية والخلفية والشرعية للزواج ، هو أكثر الأعمال المبنية على مصنفات النعمان شمولية حول الموضوع <sup>(٨٩)</sup> .

لقد كان لجماعة الطييبة المستعيلة وجود محضوف بالخطر في اليمن والهند ، وعاشوا معظم الأوقات في ظل الإضطهاد السنّي ، ولذلك فقد حقق « الدعائم » لهم خدمة أغراضهم واحتياجاتهم الأساسية . وقد تعرضت هذه الجماعة الصغيرة للإنقسام والتشرد مرة بعد أخرى بخصوص مسألة الوراثة . يضاف الى ذلك ، أنهم يعيشون في دؤر ستر أئمتهم ، والداعي الذي يترأس الدعوة ويتزعم الجماعة لا يتمتع بذات صلاحيات الإمام ذات المستوى الواسع . وقد ساهم التركيز المفرط على العلوم الباطنية ، بالمعارضة مع العلوم الظاهرية ، بنصيبه في الإهمال الذي لقيه الفقه . لهذه الأسباب ساد « الدعائم » واحتل مكانة عالية في الجماعة حتى في هذه الأيام ، بل ويطبق في محاكم شبه القارة الهندية - الباكستانية في مسائل الأحوال الشخصية كدليل اسماعيلي في الفقه <sup>(٩٠)</sup> . وتم إدخال عدد هائل من التعديلات والاصلاحات في معظم البلدان الاسلامية إبان القرن الماضي ، وهي اصلاحات وتمديدات دخلت حتى تلك المجالات من الحياة التي كانت تسود فيها الشريعة . والعديد من مثقفي الجماعة وتقدمييها يدركون الحاجة الى اصلاحات معينة ، لكن من سوء الطالع أن المؤسسة الدينية للبهرة لاتزال ، لدوافع ذاتية أنانية ، متعنتة في موقفها تجاه الاحتياجات المتغيرة للمجتمع . وهكذا ، نستطيع التلخيص بأن الفقه الاسماعيلي ابتداءً بالنعمان وانتهى به . إذ لم يكن هناك فقه اسماعيلي قبله ، وما جاء بعده لم يكن سوى تكرار وإعادة صياغة له .

## الحواشي

- ١ - انظر دفتري ، الاسماعيليون ، تاريخهم وهئتهم (كمبريدج ، ١٩٩٠) ، ص ١٢٦-١٤٢ ، الترجمة العربية : سيف الدين القصبير (دمشق ، ١٩٩٤) ، ومقالاته حول الاسماعيليين الأوائل في مجلة Arabica ، ٣٨ (١٩٩١) ، ص ٢٤٢-٢٤٥ .
- ٢ - في كتاب الحواشي المنسوب الى أمينجي بن جلال (بونولا ، بيلوغرافيا) ص ١٨٥ ، رأيان لجعفر بن منصور اليماني مختلفان صما عثر به النعمان في «الدعائم» .  
 ١ - عدد التركات السنة التي وضعها جعفر تثني مع ما قال به الأخناف وتعارض ما قال به النعمان .  
 ٢ - في ما يتعلق بمن يعقد على أكثر من أربع زوجات ، فإن جعفر يرى أنه لا ينقص زواجه بالخامسة وحسب ، بل ويجمع الزوجات . أما في «الدعائم» فيقول إن النقيض يصيب الزوجة الخامسة فقط .  
 وهذا الاختلاف ، على الرغم من عدم أهميته ، إلا أنه يدل على أن الفقه الاسماعيلي لم يتجاوز قبل قيام السلالة الفاطمية الحاكمة ، انظر أيضاً : لوخندولا ، أصول الفقه الاسماعيلي ، رسالة دكتوراه ، جامعة أكسفورد ، ١٩٥١ .
- ٣ - ابن عذاري ، البيان المغرب ، تح . كولن ويروقنسال (ط . ج . ١٩٤٨ - ١٩٥١) ، م ، ١ ، ص ١٥١ ، ١٥٩ ، ١٧٣ ، عبد الله بن محمد المالكي (ت . ٤٨٢) ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان والحريية ، تح . البكوش (بيروت ، ١٩٨٣) ، م ، ٢ ، ص ٤١ - ٥٦ ، يروي أن التفتيزات السابقة قد أدخلها المروزي عندما كان قاضياً لإفريقية . انظر ، القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، تح . الدشراوي (تونس ، ١٩٧٥) ، ص ٢٤٧ ، وفيه إشارة إلى اعتناق المروزي للشيعة وتبصره في الفقه . الجوزي ، سيرة الاستاذ جودر ، تح . محمد كامل حسين (القاهرة ١٩٥٤) ، ص ٥٣ ، المقرئزي ، اتعاظ ، الحنفا ، تح . الشيبان (القاهرة ، ١٩٦٧) ، م ، ١ ، ص ٨٨ - ٨٩ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تح . إحسان عباس (بيروت ، ١٩٦٨) ، م ، ١ ، ص ٢٣٤ ، المقرئزي ، المخطوط ، م ، ٢ ، ص ٢٧٠ ، ٣٤٠ . وإضافة «حي على خير العمل» إلى الأذان والتسليم على علي وآل بيت النبي مذكور عند النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ ، وادريس ، صون الأخبار ، م ، ٥ ، ص ٨٧ ، ١٠٩ .
- ٤ - القاضي النعمان ، المجالس والمسائرات ، تح . الحبيب الفقي (تونس ، ١٩٧٨) ، ص ٩٧ .
- ٥ - ابن عذاري ، البيان ، م ، ١ ، ص ٢٢٣ .
- ٦ - ابن حماد ، أخبار ملوك بني عبيد ، تح . فوندر هايدن (الجزائر - باريس ، ١٩٢٧) ، ص ١٥ ، ١٦ . ومعظم الخصائص المقدمة هنا منسوبة إلى زيد بن علي (مسند الامام زيد) ، بيروت ، ١٩٦٦ ، وطلي الرضا (فقه الرضا) بيروت ، ١٩٩٠ .
- ٧ - المقرئزي ، اتعاظ ، م ، ١ ، ص ١١٩ - ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٤٦ ، والمخطوط ، م ، ١ ، ص ٤٥١ ، م ، ٢ ، ص ٢٧٠ ، ابن حجر الصقلاني ، رفع الأمر عن قضاة مصر (لندن ، ١٩١٢) ، ص ٥٨٤ .
- ٨ - انظر الأعمال التالية للنعمان : الاقمار ، ص ٤٦ ، المتشعبة في باب الدخول في الصوم ، مختصر الآثار في ذكر ابتداء العموم ، الدعائم ، م ، ١ ، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ . وحول وجهة النظر السنية انظر : الجزيري ، كتاب الفقه ، م ، ١ ، ص ٥٤٨ وما بعدها .

٨ - محمد بن حارث الخوهني ، كتاب طبقات علماء الريفية ، قح . ابن شنب ( يارس ، ١٩١٥ - ١٩٢٠ ) م ، ١٣٩ ص .  
٢٤٠ - ويذكر الذباغ ، معالم الإيمان في معرفة أهل التبروان ( تونس ١٩٠٢ ) م ، ٣٢ ص ، ٢٥ - ٦٠ إن الكثير من فقهاء  
المالكية قبلوا الملل لقضاة في السنوات الأولى من الحكم الفاطمي .

١٠ - بونولا ، ص ٣٤ - ٣٥ .

١١ - وكان داعياً أيضاً ومحدثاً منوهاً وعنده دعوة النساء . انظر : ادريس ، عيون ، ٥٣ ص ، ١٣٧ - ١٣٨ ، ابن حماد ،  
أخبار ، ص ١٧ ، المجدوع ، الفهرست ، ص ٧٤ ، الطوهني ، كتاب الطبقات ، ١٣ ص ، ٢٤١ .

١٢ - ابن النديم ، كتاب الفهرست ، قح . تجديد ( طهران ، ١٩٧١ ) ، ص ٢٤٠ ، بونولا ، ص ٣٦ - ٤٢ .

١٣ - يمكن تفسير سميت المصادر الاسماعيلية جزئياً بحقيقة أن كلاً من الرازي والفلسي كانا ينتميان إلى المجموعة  
القرمطية المنشقة . حول انشقاق الحركة الاسماعيلية . انظر مقالة دفتري في مجلة Studia Islamica ، ٧٧ ( ١٩٩٣ ) ،  
ص ١٢٣ - ١٢٩ .

١٤ - جزء صغير منها فقط حققه حسين الهمداني في قسمين قبل وفاته . انظر : الرازي ، كتاب الزينة ( القاهرة ، ١٩٥٦ -  
١٩٥٨ ) . وحقق عبد الله السامرائي القسم الثالث من كتاب الزينة في : الفلو والفرق المالية ( بغداد ، ١٩٧٢ ) ،  
ص ٢٢٧ - ٣١٢ .

١٥ - تجدر الإشارة إلى أن للرازي رفض زواج المتعة ، وجدل الامامية ونقص مقاتلهم لنواياً .

١٦ - دور النعمان في اصلاح عقيدة الإمامة على يد الامام المعز هو خارج نطاق هذه المقالة . حول ذلك انظر : دفتري ،  
الاسماعيليون ، ص ١٧٧ وما بعدها .

١٧ - النعمان ، كتاب المجالس ، ص ٧٩ ، ادريس ، عيون ، ٥٣ ص ، ٣٤٦ . وفي أغلب الأحوال فقد نشأ النعمان نشأة  
اسماعيلية . ونجد اشارات إلى ذلك في بعض كتبه . انظر مقالة « إعادة نظر في مذهب النعمان » في مجلة Beas ، ٣٧ ،  
( ١٩٧٤ ) ، ص ٥٧٢ - ٥٧٩ . ومقالة « النعمان » في الموسوعة الاسلامية ، ط ٢ ، ٨٣ ص ، ١١٧ - ١١٨ .

١٨ - النعمان ، المجالس ، ص ٨٠ - ٨١ ، ادريس ، عيون ، ٥٣ ص ، ٣٤٦ .

١٩ - النعمان ، المجالس ، ص ٥١ ، ٥٧ ، ٦٩ ، ٧٥ ، ادريس ، عيون ، ٥٣ ص ، ٣٣١ . وطبقاً لادريس فقد قُتل المنصور  
النعمان أمر القضاء والدعوة . وفي الجزء السادس أشار ادريس إلى أن المعز قلده شؤون القضاء والدعوة .

٢٠ - أشار النعمان في المجالس إلى أنه كان قريباً من الخليفة - الامام المنصور وولي عهده المعز وكان يقتخر بذلك .

٢١ - أورد النعمان الملكي الموزون في ٢٨ ربيع الأول ٣٤٢ في كتابه « اختلاف أصول المذاهب » ، ص ١٩ - ٢٢ ، وتضمن  
مبادئ الفقه الاسماعيلي ، كما لخصها المعز . انظر أيضاً مقالة « مظالم » في الموسوعة الاسلامية ، ط ٢ ، ٦٣ ص ،  
٩٣٢ - ٩٣٥ .

٢٢ - النعمان ، المجالس ، ص ٣٨٦ ، ٤٢٥ ، ٤٨٧ ، ٥٤٦ .

٢٣ - ستقتصر دراستنا هنا على أعماله في الفقه . ومن أجل قائمة كاملة بأعماله انظر بونولا ، ص ٥١ - ٦٨ ، وقد حذف  
كتاب الطهارة من المناقشة لأنه ليس للنعمان على الأرجح بل لكتابت آخر معاصر له . كما حذف كتاب الطهارة أو  
كتاب الطهارات لأنه مقتصر لأحد أقسام كتاب الايضاح - لكن بما أن الأخير مفقود ، فقد أصبح الأول معزلاً له  
ولمحتوياته .

٢٤ - ادريس ، عيون ، ٦٣ ص ، ٤٢ .



- ٢٥ - النعمان ، الاقتصار ، ص ٩ - ١٠ .
- ٢٦ - وهذا بالمقابلة مع ممارسته في كتاب «الدعائم» حيث اكفى بإيراد حديث واحد لكل مسألة ناقشها .
- ٢٧ - في «موطأ» ابن مالك ، وهو أقدم ما وصلنا من كتب الحديث ، تم تصنيف الفصول وفقاً لموضوعات الفقه الديني وأطلق على كل فصل اسم «كتاب» . وكلا جزئي كتاب «الحواشي» ، كما تشير التسمية . كان عبارة عن شرح «للدعائم» .
- ٢٨ - مادلونغ ، «المصادر» ، ص ٣٢ .
- ٢٩ - النعمان ، الاقتصار ، ص ١٠ ، وما ذكره طهراني ، الذريعة ، م ١ ، ص ٢٠ ، ٣٦٣ ، من أن الاقتصار هو تلخيص للدعائم ، غير صحيح .
- ٣٠ - لوغندوالا ، ص ١٧ ، ٢٢ . القسم الأول المتملق بالمبادات هو ماتهقي وحسب .
- ٣١ - وجري الاقتباس منه في كتاب الحواشي أكثر من كتاب الإيضاح .
- ٣٢ - وهو موجود في جزئين : الأول يتعلق بالمبادات ، والثاني بالمعاملات .
- ٣٣ - الجوزي ، سيرة الاستاذ جودر ، ص ٥٣ .
- ٣٤ - وسماه النعمان كتاب الديار ، انظر كتابه ، المجالس ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .
- ٣٥ - وأنا أوافق لاخندوالا ، ص ٢٢ - ٢٥ بأنه جرى تصنيفه قبل الدعائم . ادريس ، صيون ، م ٦ ، ص ٤٤ ، مقالة الهمداني في مجلة JRAS ، ١٩٣٤ ، ص ٢٥ .
- ٣٦ - إنها إحدى العناصر الأربعة الرئيسية للطهارة ، ويجب ألا تخلط بالمسح على الخفين . انظر مقالة بونوالا في مجلة EIR ، م ١ ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .
- ٣٧ - الآية المقصودة هنا هي (٥/٨) ، وحول وجهة نظر السنة انظر مثلاً ، الجزيري ، كتاب الفقه ، م ١ ، ص ٥٤ - ٦٢ .
- ٣٨ - النعمان ، الأخبار ، م ١ ، فيذكر صفات الموضوع .
- ٣٩ - النعمان ، الاقتصار ، ص ١٥ .
- ٤٠ - النعمان ، مختصر الآثار ، م ١ ورقة ٩ .
- ٤١ - وقد أورد بداية الآيات (١١/٥٨ ، ٩/٢٩ ، ٤٩/٢٩) ثم الأحاديث النبوية ، ولا سيما «خذوا العلم عن عالم أهل بيتي...» النعمان ، مختصر الآثار ، ورقة ٢ - ٣ .
- ٤٢ - النعمان ، مختصر الآثار ، م ١ ، ورقة ١٦ ، فيضي ، مصنفات ، ص ٢٩ - ٣٠ ، المقرئ ، الخلط ، م ٢ ، ص ٢٤١ ، الهريري ، فهرست خلفاء مصر (القاهرة ، ١٩٨٢) ، م ٢ ، ص ٧٠ .
- ٤٣ - ادريس ، صيون ، م ٦ ، ص ٢٢٢ ، فيضي ، مصنفات ، ص ٢٩ - ٣٢ .
- ٤٤ - لم يورد النعمان ذكراً لابن حنبل في أي من أعماله ، ربما لأن الأخير اشتهر كمحدث أكثر مما هو فقيه .
- ٤٥ - الأعمال الجديدة بالذكر هنا هي : كتاب الاتفاق والافتراق ، كتاب المختصر وهو ملخص للأول ، الرسالة المصرية في الرد على الشافعي ، الرد على أحمد بن سريج البغدادي ، دافع الموجز في الرد على العطفي ، رسالة ذات البيان في الرد على ابن قتيبة .
- ٤٦ - وقد صنف «الاختلاف» بعد عام ٢٤٣ لأن النعمان أورد فيه مرسوم الممّر الذي عينه فيه للمظالم في تلك السنة .
- ٤٧ - تضمنت المراسيم الصادرة عن الخلفاء الفاطميين المتعلقة بتنصيب النعمان في وظائفه القضائية توجيهات حول

- الأسس التي يجب عليه بناء قراراته الفقهية عليها . انظر ، لوخندوالا ، ص ٥٥ .
- ٤٨ - النعمان ، مختصر الآثار ، م ٢ ، قسم آداب القضاة ، والاقتصار ص ١٦٧ . وقارن هذه الفقرة مع ما جاء في « الدعائم » ، م ٢ ، ص ٥٣٥ - ٥٣٦ . ويدل ذلك على حدوث تطور في الأسس الفقهية ومصادرها ، حيث تم إهمال دور الامام استناداً إلى ما جاء في حديث منسوب إلى الامام جعفر الصادق بالعودة إلى القرآن والسنة
- ٤٩ - للقياس والاجتهاد عند الشافعي ذات المعنى . انظر الشافعي ، الرسالة ، تح . أحمد شاكر (القاهرة ، ١٩١٠) ، ص ١٧٦ - ٥٠٢ ، ساخت ، أصول ، ص ٩٨ ، ١٢٧ ، ومقالة ساخت في كتاب « انفق في الشرق الأوسط » ، م ١ ، ص ٥٧ - ٨٤ ، ومقالة والى حلاق في مجلة JEMS ، ٢٥ (١٩٩٢) ، ص ٥٨٧ - ٦٠٥ .
- ٥٠ - وهذا يعني برهان بدليل ظرفي .
- ٥١ - ذمت هذه المفاهيم من تخرصات علماء الدين وتم قبولها على أنها من أصول الفقه عند المعتزلة والشيعة . انظر الطباطبائي ، مقدمة إلى الفقه الشيعي (لندن ، ١٩٨٤) ، ص ٣٢ .
- ٥٢ - كانت تلك وسيلة القياس الرئيسة .
- ٥٣ - الخويستي ، فرق الشيعة ، تح . ريتر (استانبول ، ١٩٣١) ، ص ١٨ - ١٩ ، ٥٠ - ٥١ ، الأشعري ، مقالات الاسلاميين ، تح . ريتر (وايزبادن ، ١٩٦٣) ، ص ٦٥ - ٧٤ ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، تح . انوكيل (القاهرة ، ١٩٦٨) ، م ١ ، ص ١٥٤ - ١٦٢ .
- ٥٤ - اسماعيل بونولا ، « سلطة الامام » في كتاب « الاسلام الشيعي : المعتقد والتجربة وانظرة العالمية » ، سيصدر من تح . م . أيوب .
- ٥٥ - الطباطبائي ، مقدمة ، ص ٢٢ - ٤٨ .
- ٥٦ - حول المنهايين الكاملة انظر ، فيضي ، النظريات الفقهية الشيعية ، ص ١١٢ وما بعدها .
- ٥٧ - قبل النعمان وجهة نظر المحدثين بخصوص استخدام الاجتهاد ضمن إيجاد المواقفات في القرآن والسنة .
- ٥٨ - أشير إلى ذلك في أعماله الباطنية المتأخرة مثل « أساس التأويل » ، تح . هارف تامر (بيروت ، ١٩٦٠) ، ص ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، و « تأويل الدعائم » ، تح . الأعظمي (القاهرة ، ١٩٦٧ - ٧٢) .
- ٥٩ - ادريس ، عيون ، م ٦ ، ص ٤٢ - ٤٣ ، فيضي ، مصنفات ، ص ٢٢ - ٢٣ ، لوخندوالا ، ص ٢٨ - ٢٩ ، المجمدوع ، المهرست ، ص ٣٤ .
- ٦٠ - انظر الحاشية رقم (٥) أعلاه ، القاضي ، « النفاطميون » ، ص ٧١ .
- ٦١ - النعمان ، دعائم ، م ١ ، ص ١٣٩ - ١٤٢ ، ١٦٢ - ١٦٧ .
- ٦٢ - النعمان ، المجالس ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .
- ٦٣ - الكوليني ، الأصول ، م ١ ، ص ١٦٨ - ٥٤٨ .
- ٦٤ - النعماني ، دعائم ، م ١ ، ص ٣٥٩ .
- ٦٥ - القاضي ، « النفاطميون » ، ص ١٠٤ .
- ٦٦ - انظر مثلاً الدعائم ، م ١ ، ص ١٣١ ، مقالة شتروطمان في مجلة Die Islam ، ٣١ (١٩٥٤) ، ص ١٣٤ .
- ٦٧ - مادبلونغ ، مصادر ، ص ٢٢ .
- ٦٨ - المصدر السابق ، ص ٢٣ .

- ٦٩ - هناك تشابه على سبيل المثال بين وجهتي نظر الاسماعيليين والمالكية في ما يتعلق بالزواج والبيع .  
٧٠ - ساخت ، أصول ، ص٢٦٦ - ٢٦٧ .
- ٧١ - المقدسي ، أحسن التقاسيم (لندن ، ١٩٠٦) ، ص٢٣٧ - ٢٣٨ .
- ٧٢ - مقالة فيفي في مجلة STUDIA ISLAMICA ، ٢١ (١٩٧٠) ، ص٨١ - ٩١ ، وكتابه « مصنفات » .
- ٧٣ - الفصل حول الولاية ترجمة فيفي بعنوان « كتاب الايمان » (بومباي ، ١٩٧٤) . وكتب عظيم نانجي مقالة تحليلية حولها في « مقالات في الحضارة الاسلامية » (لندن ، ١٩٧٦) ، ص٢٦٠ - ٣٧٣ .
- ٧٤ - القرآن كتاب منزل للهداية وليس تشريعاً فقهياً . انظر ساخت ، مقدمة الى الفقه الاسلامي (اكسفورد ، ١٩٦٦) ، ص١٠ وما بعدها .
- ٧٥ - كانوا من المعتزلة . انظر ، ساخت ، أصول ، ص١٢٨ ، ٢٥٨ .
- ٧٦ - على سبيل المثال ، « اليوم اكملت لكم دينكم » (٢/٥) .
- ٧٧ - حديث الثقلين معروف جيداً عند الشيعة .
- ٧٨ - تطور الفقه الاسلامي دون مساعدة الدولة لأنه اعتبر جزءاً مقدساً من الدين .
- ٧٩ - الشافعي الرسالة ، ص٩١ - ٩٢ .
- ٨٠ - لا توجد إشارة في أي من أعمال النعمان الى كتب الحديث الستة . انظر ، البخاري ، في حاشية السندي (بيروت ، ١٩٧٨) ، ٤م ، ص٢٥٦ ، التبريزي ، مشكاة المصابيح (دمشق ، ١٩٦١) ، ١م ، ص٥١ .
- ٨١ - انظر على سبيل المثال ، الدعائم ، ١م ، ص١٤ - ١٥ .
- ٨٢ - ادريس ، عيون ، ٦م ، ص٢٠٠ ، ابن ميسر ، أخبار مصر (القاهرة ، ١٩٨١) ، ص١٦٥ .
- ٨٣ - المسيحي ، أخبار مصر (القاهرة ، ١٩٧٨) ، ج١ ، ص٧١ - ١١١ ، ابن ميسر ، أخبار ، ص٩ - ١٦٧ .
- ٨٤ - بونولا ، ص٧٨ - ٧٩ حيث يذكر مصادر أخرى .
- ٨٥ - المقرئزي ، الخطوط ، ١م ، ص٢٥٥ ، ٢م ، ص٧ .
- ٨٦ - ادريس ، عيون ، ٦م ، ص٢٣٢ ، المجدوع ، الفهرست ، ص٣٤ .
- ٨٧ - شمعون الفوري ، كتاب المسؤل والجواب هو من شروح « الدعائم » . بونولا ، ص١٧٧ .
- ٨٨ - بونولا ، ص١٨٥ - ١٨٦ .
- ٨٩ - بونولا ، ص٢١٤ - ٢١٥ .
- ٩٠ - فيفي ، تلخيص الفقه المحمدي (ط٤ ، دلهي ، ١٩٧٤) ، ص٤١ ، ٤١٦ ، أندرسون ، الاصلاح الفقهي في العالم الاسلامي (لندن ، ١٩٧٦) ، ص١٩ - ٢٥ .

---

1

1

• •

## دراسة نقدية لتاريخ بول كازانوفشا لرسائل اخوان الصفاء

عباس همداني\*

تتضمن الدراسة الحالية<sup>(١)</sup> الى تنبؤ تنجيمي تضمنته الموسوعة الاسلامية من العصور الوسطى ، رسائل اخوان الصفاء<sup>(٢)</sup> واستخدمه بول كازانوفشا في تحديده لتاريخ تصنيف هذا العمل<sup>(٣)</sup> . وهدف هذه الدراسة ليس معاينة الفكر الفلكي لـ اخوان الصفاء ، بل تقرير زمن تصنيفه لعملهم وحسب ، فالفهم الصحيح للنبوءة المذكورة أعلاه هو وسيلة فقط لغاية تبقى ذات صبغة تاريخية ، ومسألة تحديد تاريخ الرسائل ومؤلفيها لها ارتباط أكثر بالمعتقد لديني للإخوان .

ويروي مؤرخ اسبانيا وشمال افريقية من القرن السابع عشر ، المقري في عمله الضخم . نفع الصيب ، أن الرياضي العظيم أبا الحكم عمر بن عبد الرحمن الكرمني (ت ١٠٧٠ / ٤٦٢) الاسباني قد قام بزيارة الى مدينة حران الصابئية ، وعاد الى اسبانيا من هناك ومعه نسخ من الرسائل . أما مترجم المقري ، دوغيا نفوس<sup>(٤)</sup> ، فيقول أن مسممة بن أحمد المجريطي هو في الواقع من أدخل الرسائل الى اسبانيا ، بأنياً استنتاجه هذا على ما جاء عند حجي خليفة الذي دون تحت سنة ٣٩٥ هـ أن الرسائل قد كتبت على يدي المجريطي .

\* عباس همداني هو استاذ تاريخ الشرق الأوسط في جامعة وسكونسن بولاية ميلووكي بانولايات المتحدة ، يشتمل اثر عائلته اسماعيلية عريقة من البهرة في موراث بالهند ، وقد اهتم بالدراسات الاسماعيلية ولديه مجموعة قيمة من المخطوطات - الاسماعيلية استخدمها في دراساته الاسماعيلية الجديدة . وقد استخدم عدد من المستشرقين مجموعة أسرته من المخطوطات مما فتح الطريق أمام حمل الدراسات الفاطمية في الغرب . وقد اهتم بدراسة اخوان الصفاء ، ولديه عدد من المؤلفات والدراسات المنشورة إضافة الى عدد من المقالات العلمية في هذا المجال

وقد لاقى ذلك صدى عند نيكول (A. NICOLL) وأوري (J. URI) وكسيري (M. CASIRI) ،  
مفهرسي المخطوطات العربية في أكسفورد والأوسكوريال . غير أن مقالة حاجي خليفة  
سرعان ما لاقت رفضاً من قبل جميع الدراسات الجدّية كتلك التي قام بها كل من فلوجل<sup>(٥)</sup>  
(FLUGEL) وديتريشتي<sup>(٦)</sup> (DIETERICH) ، وهما اللذان قبلتا القصة التي رواها أبو حنّان  
التوحّيدي (ت . حوالي ١٠٢٣/٤١٤) في كتابه ، « كتاب الامتاع والموانسة » ، القائلة بأن  
الرسائل قد صُنّفت قرابة ٣٧٣ - ٩٨٣/٣٧٥ - ٩٨٥ على أيدي عدد قليل من معاصريه  
الذين أورد أسماءهم . يضاف الى ذلك أنهما نظرا الى العمل على أنه ذو هوية محتزلية<sup>(٧)</sup> .  
واستمرت وجهة النظر هذه تلقى من يدافع عنها ، ونجد تمييزاً لها في عمل لعادل العوا<sup>(٨)</sup> ،  
في وقت متأخر وصل الى عام ١٩٤٨ .

وكان غويار<sup>(٩)</sup> (GUYARD) أول متبحر يلاحظ الميول الاسماعيلية لآخوان الصفاء .  
وأكد كازانوفاً ذلك باكتشافه للرسالة الجامعة سنة ١٨٩٨ ، وهي رسالة ذات صبغة اسماعيلية  
واضحة ، ثم بإقامته للصلة ما بين الجامعة وبين المجموعة الرئيسية للرسائل<sup>(١٠)</sup> . واعترف  
كازانوفاً في مقالة أخرى نشرت عام ١٩١٥<sup>(١١)</sup> ، أنه كان على علم بمقالة أبي حنّان  
التوحّيدي بخصوص تصنيف الرسائل في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، غير أنه لم  
يأخذ بها . وذكر كازانوفاً أيضاً أنه استخدم النسخة المطبوعة من الرسائل ، وكانت طبعة  
بومباي في زمنه ، وهو تنبؤ تنجيمي تضمنته الرسائل ، الى الفترة التي سبقت سنة  
١٠٤٧/٤٣٩ تماماً على أنها زمن تأليف الرسائل . وسنعود الى تاريخ كازانوفاً هذا فيما  
بعد .

ولاحظ حسين همداني لأول مرة سنة ١٩٢٢ ، أن الموسوعة كانت مقبولة عند الدعوة  
الاسماعيلية الطيبية لقرون عديدة على أنها عمل اسماعيلي ، مشيراً في الوقت نفسه الى أدلة  
داخلية كافية لإظهار الطبيعة الاسماعيلية لأفكار آخوان الصفاء<sup>(١٢)</sup> . ولم يقبل هذا الحديث  
برواية أبي حنّان التوحّيدي ونسب الرسائل الى فترة ما قبل الفاطميين ، أي فترة الستة في  
التاريخ الاسماعيلي ، وأعاد شتيرن في مقالته له نشرتها عام ١٩٤٦ و١٩٦٤ إحياء مقالة  
أبي حنّان ، في حين قبل في الوقت ذاته الطبيعة الاسماعيلية للرسائل<sup>(١٣)</sup> .

وفي حين قبل ايغس ماركيه (Yves Marquet) ، وهو الذي كرس حياته لدراسة  
الرسائل ، بالطبيعة الاسماعيلية للموسوعة ، إلا أنه يضع زمن كتابتها بين قرابة ٩٠٢/٢٩٠  
و٩٨٠/٣٧٠ ، محبياً بذلك نظرية ديتريشي بخصوص الفترة الطويلة والمتعقّرة التي استغرقها  
تصنيف الرسائل<sup>(١٤)</sup> .

وقد سعت في دراسات عديدة لاثبات السمة الاسماعيلية للرسائل بناء على أدلة داخلية وأخرى خارجية من جهة ، ورفض رواية أبي حيان من جهة ثانية ، وتعيين فترة تصنيف الرسائل بالفترة من ٨٣٣/٢٦٠ إلى ٩٠٩/٢٩٧ ، من جهة ثالثة<sup>(١٥)</sup> .

وهذه نظريات أخرى تقدم بها الطيباوي ونصر حول السمة الشيعية للرسائل ، وأخرى لسوزن ديولند (Susanne Diwald) وبوساني (A. Bausani) حول كون العمل ذا طبيعة سنية - صوفية ، ولزاهد علي ومادلونغ (Madelung) اللذين نظروا الى العمل على أنه قرمصي ، وأخيراً لنيتون (I R. Netton) وغودمان (L.E. Goodman) اللذين رأيا فيه عملاً لاييزيد عن كونه أفلاطونياً محدثاً . لكن الجميع لم يتطرقوا الى مسألة زمن تأليف الرسائل<sup>(١٦)</sup> .

ولنعد لأن الى التنبؤات الواردة في ما سبق . تعتبر الرسالة الثامنة والأربعون من الرسائل ، ومعنونة بـ «في كفاية الدعوة الى الله» ،<sup>(١٧)</sup> من أكثر الرسائل وضوحاً في كونها رسالة شيعية أو سماعيلية . وقد تمت صياغتها في شكل خطاب للامام موجه الى أتباعه . وتصف عدة مجموعات من الشيعة من خلال درجات قربها المتنوعة من الامام . والأكثر تفضيلاً منهم له البشارة التي تعطى بالكلمات التالية :

«إن من خواص إخواننا الفضلاء أنهم العلماء بأمرور الديانات ، العارقون بأسرار النبوات ، المتأدبون بالرياضيات الفلسفية ، وإذا لقيت أحداً منهم وأنست منهم رشداً ، فبشره بما يسره ، وذكره باستئناف دور الكشف والانتباه ، وانجلاء انغمة عن العباد لانتقال لقران من برج مثلثات النيران الى برج مثلثات النبات والحيوان في الدور العاشر الموافق لبيت السلطان وظهور الاعلام»<sup>(١٨)</sup> .

نه على أساس من هذه الفقرة المقتبسة أن بنى كازانوفاً من حيث المبدأ نقشه بخصوص تاريخ الرسائل<sup>(١٩)</sup> ، وهو يفسر الاقتران طيقاً لما جاء في مقدمة ابن خلدون ، في حين يدين تفسير للإخوان أنفسهم ورد في مكان آخر من الرسائل ، ففي رسالة في نفس (الرسالة شثة) نص إخوان الصفاء على أن الفلكيين وضعوا عدة قرانات للكواكب . ولأكثر أهمية منها هي تلك التي تحدث كل ٢٤٠ سنة ويتولد عنها تغيير في الأمم وللممالك والسلالات ، وهناك تلك التي تحدث كل عشرين سنة مرة أخرى ، وتطابق أحداً مثل الحروب والصراعات الأهلية<sup>(٢٠)</sup> .

ولجميع هذه القرانات صلة بالكوكبين المتفوقين ، زحل والمشتري . أما مفهوم السنة لعلمية ، فقد كان مألوفاً عند إخوان الصفاء<sup>(٢١)</sup> . وقرانات الـ ٢٤٠ سنة ، أو مثلثات لنيران وشرب لمذكورة عند الإخوان ، ربما كانت مبنية على أعمال أبي معشر البغدادي (ت بعد

٢٤٦/ ٨٦٠) الوارد ذكره بالاسم في الرسائل<sup>(٢٢)</sup> . وهناك إشارة الموسوعة أيضاً الى فلكي فارسي مجهول<sup>(٢٣)</sup> . وقام كل من كندي (E.S.Kennedy) وبنجري (D.Pingree) في دراساتهم الحديثة العهد ، بتفحص المصادر المبكرة من العصر الوسيط التي لها صلة بتفكير اخوان الصفاء<sup>(٢٤)</sup> . واستخدم كازانوف جداول القرائن المعدة من قبل الفلكي الهولندي القدير فان دوساند بخويزن (H.G. van de Sande Bakhuyzen) ووضعت كملاحق لكتاب دوغويه (De Goeje) حول القرامطة (٢٥) . ولدينا الآن أعمال كل من ستلمان (Stahlman) وجنجريتش (Gingerich) وتوكرمان (Tucker man)<sup>(٢٦)</sup> ، التي تصدق كلها حسابات كازانوف .

وطبقاً لهذه الحسابات ، وقعت إحدى هذه المثلثات في ٢٨ آب سنة ٥٧١ عندما كان كل من زحل والمشتري في برج المقرب . وتلك كانت مثلثات الماء وقد وافقت مولد النبي محمد . وفي ٣ تشرين أول سنة ٨٠٩ كان زحل والمشتري في قران في برج القوس . وقد مثل ذلك مثلثات النيران المشار اليها في الفقرة المقتبسة أعلاه . ثم كان هناك تنبؤ آخر لحدث هام ارتبط بالانتقال الى برج مثلثات التراب ، عندما يكون زحل والمشتري في قران في برج الجدي . وسيكون ذلك قد حدث في ١٩ تشرين الثاني ١٠٤٧ .

وكان جدل كازانوف هو أن تصنيف اخوان الصفاء لرسائلهم كان قبل الانتقال الى برج مثلثات التراب بسنوات قليلة ، وأنه كان باستطاعتهم التنبؤ بالقران المذكور لعام ١٠٤٧/٤٣٩<sup>(٢٧)</sup> ، وحساب مدته بشكل صحيح . يضاف الى ذلك أنهم كانوا في انتظار حدث عظيم وقع سنة ١٠٥٩/٤٥٠ فعلاً وهو تبني الفاطميين ورعايتهم لحملة على بغداد قادها البساسيري . وقبل قيام كازانوف بهذه الفرضية ، على كل حال ، كان قد ذهب بعيداً في استطراد تعلق بتوقع سقوط حكم العرب والقيام الوشيك لحكم الفرس الذي كان من المفترض أن يكون للحركة الاسماعيلية دور ما في ذلك ، وقد نسج كازانوف روابط متخيلة بين نشاطات الشخصية المزعومة لميمون القداح وابنه عبد الله وحفيده أحمد وبين دندان أو زيدان أيضاً مع مختلف القرائن كما وردت في الفهرست لابن النديم وفي أعمال عبد القاهر البغدادي والبيروني . والواقع أن كازانوف قد قام بحسابات علمية جيدة ، فقط من أجل افسادها بتخرصات تاريخية سيئة .

وهناك أمر واحد مؤكد . فعلى الرغم من أن اخوان الصفاء لم يكونوا فلكيين هم أنفسهم ، إلا أنهم كانوا ينسجون على منوال أناس من أمثال أبي معشر البجلي الذي كانت له خبراته في تلك المسائل . وكانوا يعلمون أن زمنهم الخاص كان بعد مثلثات النيران وقبل مثلثات التراب . ومن المؤكد أيضاً أنهم كانوا يتوقعون قيام الامام بتأسيس دولة جديدة .



ومن أجل إضفاء طابع المرجعية على توقعاتهم ، فإن الحديث عن الانتقال من برج مشدث لى آخر كان مفيداً ، لكن لم يكن ذلك دليلاً بأي شكل من الأشكال على أنهم هم أنفسهم قد عاشوا في دنو من التاريخ المتنبأ به . فإذا ما كانوا قد استخدموا كتب أبي معشر ، فلا بد أنهم كانوا يكتبون بعد حوالي عام ٢٤٦/٨٦٠ على وجه التأكيد<sup>(٢٨)</sup> . وكان دخول لامام الثاني عشر للأثني عشرية في الغيبة سنة ٢٦٠/٨٧٣ . والفترة التي تلت ذلك كانت إحدى أعظم فترات التوقع للمنقذ المنتظر بين الشيعة عموماً ، وإن الحركة الاسماعيلية قد استفلتها بالتأكيد لتأسيس خلافتها الفاطمية سنة ٢٩٧/٩٠٩ . ومن المحتمل تماماً أن اخوان لصفاء كانوا يعدون قراءهم لمثل ذلك الحدث .

وينقنا ذلك الى افتراض آخر قال به كازانوف . ففي ذات القسم من الرسائل الذي وردت فيه النبوة ، خاطب الامام الشيعة قائلاً : « ومن بينهم أولئك الذين يعتقدون أن لامام مستور خشيية الأضداد ، لابل هو ظاهر بين ظهرائهم . وهو يعرفهم ، إلا أنهم ينكرونه »<sup>(٢٩)</sup> . وقد أورد كازانوف هذه الفقرة وفسرها على أنها تتضمن إشارة الى فترة حكم لخليفة فاطمي الظاهر (٤١١ - ٤٢٧/١٠٢١ - ١٠٣٦) . وبالطبع فإن الانتقال الى برج مثلثات التراب كان لا يزال منتظر الحدوث سنة ٤٣٩/١٠٤٧ ، وأن الحدث العظيم المتمثل في احتلال بغداد ، والذي لم يستمر طويلاً ، كان لا يزال خارج نطاق تلك الفترة ، إذ لم يقع بالنتيجة إلا عام ٤٥٠/١٠٥٩ . إن الفقرة المثبتة أعلاه يكاد يصعب تفسيرها بأنها تتضمن أية إشارة الى الخليفة الظاهر . بل هي بالأحرى رسالة تحث الشيعة للإقلاع عن انتظار المهدي المنتظر ، والبده بالعمل للامام الظاهر المقيم بين ظهرائهم . وهناك رائحة أمر وشيك لحدوث يتعلق بالفقرة ، فالأمام موجود هناك ، وهو على وشك إعلان دعوته وتأسيس دولته . والواقع أنني أعتبر هذا الأمر دليلاً على أن الرسائل قد كتبت قبل سنة ٢٩٧/٩٠٩ بقليل ، وهي السنة التي أنشئت فيها الخلافة الفاطمية .

ويبرهن تاريخ كازانوف على خطأ أكثر بحقيقة أنه قرابة عام ٣٧٢/٩٨٣ سبق لأبي حيان التوحيدي وصاحبه النصوح أبي سليمان المنطقي ، أنهما كانا يقرآن ابرس في صورتها لكلمة<sup>(٣٠)</sup> . وكان ذلك حوالي أربعين سنة قبل الزمن الذي اقترحه كازانوف لتصنيف لرسائل .

وتبقى هناك مسألة ثانوية في فقرة اخوان الصفاء الخاصة بالتنبؤ والمستخدمة عند كازانوف ، لا بد من فهمها . فهم يقولون ، عند الحديث عن الانتقال الى برج مثلثات لشراب ، أن ذلك سيحدث « في الدور العاشر الموافق لبيت السلطان » . وهذا لسطر

غمض . فقد ورد في فصل خاص ببيوت البروج الاثني عشر<sup>(٣١)</sup> من الرسالة الثانية وخمسين والأخيرة ، إن البيت العاشر هو المنصوص عليه فعلاً على أنه «بيت سسن» ، ولكن ماذا يكون عندئذ الدور العاشر الموافق لبيت السلطان ؟ ربما كان دور لعشر يشير الى البرج العاشر الذي هو برج الجدي ، وهو ضمن السياق هنا حيث أن قرن مثلثات التراب يكون في برج الجدي . وجدير بالاهتمام أن الرسائل تستخدم مصصح «نوبهرت» الهندي في الإشارة الى بروج الفلك<sup>(٣٢)</sup> . ويصبح استعمال مصطلح «دور» بهذا الشكل ، مستعملاً قليلاً غير محدد . والتركيز هو على السلطان ، لأن النبوة تتعلق بتأسيس قوة جديدة . وتلقى هذه الفكرة دعماً من الكلمات الثانية مباشرة : «و ظهور الاعلام» . وعموماً ، علينا الإبقاء في الذهن ، ونحن نرفض التاريخ الذي حدده كازانوف للرسائل ، أنه أخذ من العلماء الذين تبثوا الطبيعة الاسماعيلية للأفكار التي روج لها اخوان الصفاء ، وأخذوا من رفضوا تصديق قصة أبي حيان التوحيدي المربية بخصوص مؤلفي الرسائل . غير أنه لم يكن صائباً في اشارته الى زمن الخليفة الفاطمي الظاهر ولا في تاريخه للرسائل . وبني ود بالأحرى تفسير الفقرة التنجيمية من الرسالة الثامنة والأربعين ، المنصوص عليها عند كازانوف ، على النحو التالي ، إن الزمن الذي عاش فيه مؤلفو الرسائل هو ضمن فترة برج مثلثات النيران ، الذي ابتداء سنة ٨٠٩/١٩٤ ، لكن بعد وفاة أبي معشر البلخي سنة ٨٦٠/٢٤٦ ، وبداية فترة توقعات المنقذ المنتظر اعتباراً من ٨٧٣/٢٦٠ عندما دخل الامام الثاني عشر للاثني عشريين في الغيبة . لكنها كانت قبل تأسيس الخلافة الفاطمية سنة ٩٠٩/٢٩٧ ، على كل حال ، عندما كان الامام الفاطمي ظاهراً بين ظهرانيهم لكنه لم يكن قد أعلن دعوته للجمهور بعد . والحدث العظيم المتنبأ به هو حدث قيام الخلافة الفاطمية هذا . وكذا سيحدث في أي وقت قبل فترة قران زحل والمشتري في برج الجدي والانتقال من برج مثلثات النيران الى برج مثلثات التراب والمحدد لها سنة ١٠٤٧/٤٣٩ . ولم يكن باستماعة أحد التنبؤ بالتاريخ المحدد لهذا الحدث الأسروي على وجه الدقة ، ومن هنا كانت لاشارة الى تاريخ المثلثات (الترابية) التالية . وكان يمكن لذلك الحدث أن يقع قبل أو بعد أو ضمن تلك المحطة الزمنية . والواقع أنه حدث في وقت مبكر ، أي في ٩٠٩/٢٩٧ عندما تم إعلان عن قيام الخلافة الفاطمية . وكان هناك قران فعلي للمشتري وزحل سنة ٩٠٨/٢٩٦ ، قبل وقت طويل من التحول الى برج مثلثات التراب<sup>(٣٣)</sup> . وتاريخ تصنيف الرسائل ، على ما اعتقد ، كان في وقت سبق إنشاء الخلافة الفاطمية للتو .

## الحواشي

- ١- هذه المقالة هي نسخة معدلة لورقة عمل قدمت في الاجتماع السنوي الـ ١٩٤ للجمعية الشرقية الأمريكية في سياتل (١٩٨٤/٣/٢٦) .
- ٢ - كتاب اخوان الصفاء ، تح . ولاية حسين (بومباي ، ١٨٨٧) ، ٤ مجلدات ، رسائل اخوان الصفاء ، تح . خير الدين زركلي (القاهرة ، ١٩٢٨) ، ٤ مجلدات ، رسائل اخوان الصفاء (بيروت ، ١٩٥٧) ٤ مجلدات ، والإشارات فيما يلي هي الى طبعة بيروت .
- ٣ - انظر مقالة كازانوفا في : المجلة الآسيوية ، السلسلة ١١ ، ٥ (١٩١٥) ، ص ٥ - ١٧ .
- ٤ - دوغيفانوس ، السجلات المحمدية في إسبانية (لندن ، ١٨٤٠) ، ١م ، ص ٤٢٧ - ٤٢٩ .
- ٥ - انظر مقالة فنوجل (بالألمانية) في مجلة ZDMG ، ١٢ (١٩٥٩) ، ص ٢٢ - ٢٤ .
- ٦ - ديتريشي ، الفلسفة العربية في القرن العاشر (ليبزغ ، ١٨٥٨ - ١٨٧٢) ، ٨ مجلدات .
- ٧ - انظر مقالتي حول أبي حيان و اخوان الصفاء في مجلة JMES ، ٩ (١٩٧٨) ، ص ٣٤٢ - ٣٤٤ .
- ٨ - عادل العوا ، دراسة نقدية لأخوان الصفاء (بيروت ، ١٩٤٨) بالفرنسية .
- ٩ - غويار ، محققات تتعلق بعقيدة الاسماعيليين (باريس ، ١٨٧٤) ، ص ٢٥٣ .
- ١٠ - انظر مقالة كازانوفا في : المجلة الآسيوية ، السلسلة ٩ ، ١١ (١٨٩٨) ، ص ١٥١ - ١٥٩ .
- ١١ - انظر الحاشية (٣) أعلاه .
- ١٢ - انظر مقالة حسين همداني في مجلة DER ISLAM ، ٢٠ (١٩٣٢) ، ص ٢٨١ - ٣٠٠ ، وكتابه بحث تاريخي في رسائل اخوان الصفاء ، (بومباي ، ١٩٢٥) .
- ١٣ - انظر مقالة فستين حول الرسائل في ISLAMIC CULTURE ، ٢٠ (١٩٤٦) ، ص ٣٦٧ - ٣٧٢ ، وفي المجلد ٢١ (١٩٤٧) ، ص ٤٠٣ - ٤٠٤ من ذات المجلة .
- ١٤ - انظر مقالة «اخوان الصفاء» في الموسوعة الاسلامية ، ط ٢ ، ٣م ، ص ١٠٧١ - ١٠٧٦ ، ومقالة ماركيه في مجلة ARABICA ، ٢٤ (١٩٧٧) ، ص ٢٣٣ - ٢٥٧ .
- ١٥ - انظر الحاشية (٧) أعلاه ، ومقالتي في ARABICA ، ٢٦ (١٩٧٩) ، ص ٦٢ ، ومجلة الدراسات السامية ، ٢٩ (١٩٨٤) ، ص ٩٧ - ١١٠ .
- ١٦ - انظر مقالة طيباوي في مجلة ISLAMIC QUARTERLY ، ٢ (١٩٥٥) ، ص ٢٨ - ٤٦ ، سيد حسن نصر ، مقدمة الى العلوم الكونية الاسلامية (ط ٢ ، الهادي ، ١٩٩٣) ، سوزان ديولد ، الفلسفة العربية و اخوان الصفاء (وايزبادن ، ١٩٧٥) ، بوساني ، عناصر عنمية في رسائل اخوان الصفاء ، في : مساهمات اسماعيلية في الثقافة الاسلامية ، تح . سيد نصر (طهران ، ١٩٧٧) ، ص ١٢٣ ، زاهد علي ، تاريخ فاطمي مصر (حيدر آباد ، ١٩٤٨) ، مقالة «قرمطي» في

- الموسوعة الإسلامية ، ط ٢ ، م ٤ ، ص ٦٦٠ ، ليتون ، أفلاطونيون محدثون إسلاميون ، - أخوان الصفا (لندن ، ١٩٨٢) ، غودمان ، منطق الطير (بوسطن ، ١٩٧٨) .
- ١٧ - الرسائل ، م ٤ ، ص ١٤٥ - ١٩٧ .
- ١٨ - المصدر السابق ، م ٤ ، ص ١٤٦ .
- ١٩ - انظر الحاشية (٣) أعلاه . وترجم كازانوفا كلمة «أهلام» إلى «رايات» .
- ٢٠ - الرسائل ، م ١ ، ص ١٥٤ .
- ٢١ - الرسائل ، م ٤ ، ص ٣٦٢ .
- ٢٢ - الرسائل ، م ٤ ، ص ٢٨٨ .
- ٢٣ - الرسائل ، م ٣ ، ص ١١١ - ١١٢ .
- ٢٤ - انظر مقالة «السنة العالمية الفارسية في مجلة JAOS ، ٨٢ (١٩٦٣) ، ص ٣١٥ ، ومقالة كندي في مجلة ITHACA ، ١ (١٩٦٤) ص ٢٣ ، بنجري ، ألوف ، أبي مئثر (لندن ، ١٩٦٨) .
- ٢٥ - دوغويه ، دراسة لقراطة البحرين (ليدن ، ١٨٨٦) ، ص ٢٢٩ - ٢٣٢ .
- ٢٦ - ستلمان وشنجريتش ، خطوط الطول الشمسية والفلكية (مديسون ، ١٩٦٣) ، توكريمان ، المواقع الشمسية والقمرية والفلكية (ميلادلفيا ١٩٦٢) مجلدان .
- ٢٦ - تسان جورج صليبا في رسالة إلى المؤلف (١٩٧٢/١/١٩) حول ما إذا كان أخوان الصفا على علم بالقران الواقع سنة ١٠٤٧ قبل حدوثه أم لا . انظر حاشية (٢٤) أعلاه .
- ٢٨ - وفقاً لبنجري ، تم تأليف كتاب الإنوف لأبي معشر مابين ٨٤٠ و ٨٦٠ م .
- ٢٩ - الرسائل ، م ٤ ، ص ١٤٨ .
- ٣٠ - انظر حاشية (٧) أعلاه .
- ٣١ - الرسائل ، م ٤ ، ص ٣٥٤ - ٣٥٨ .
- ٣٢ - الرسائل ، م ٤ ، ص ٣٥٠ - ٣٥١ .
- ٣٣ - انظر مقالة كندي في مجلة ITHACA الواردة في الحاشية (٢٤) أعلاه .

## رسم للذات وللآخرين: منظور اسماعيلي لتاريخ الأديان

عظيم نانجي\*

لقد ميّز ظهور الاسلام وتطوّره نمطين اثنين من البدايات الفكرية في دراسة فهم لمسممين وادراكهم للأديان الأخرى . وشكّل النمط الأول منهما تحولاً رئيساً من ثقافة ثنية (عرقية) ارتبطت بتلك المجموعة بشكل رئيسي برباط من التراث الشفوي لعرب ما قبل الاسلام في إطار أكثر عالمية ، مؤسس في نص منزل ومدوّن ومحمّوظ كتابة . وهكذا حتّت معرفة لقراء والكتابة والتركيز على الكلام محل الروايات الشفوية الاسطورية ، مقدمة بهذا شكلاً بديلاً من وعي الذات التاريخي ، ولذلك ، كان سعي تعريف الذات الاسلامي ، ضمن سياق قرآني ، باتجاه عرض «الاسلام» «كدين» ينفي المزايم الدينية والثقافية لجهنية ، ويمثّر نفسه كاستمرارية لأمر توحيد مؤسس على نص مقدّس ومجسّد في رسالات منزلة سابقة . وجدير بالذكر أن الجماعة الاسلامية الوليدة كانت في موقع الأقلية . وقامت تعليم القرآنية بمراجعة جذرية للعلاقة بين الهوية «الاسلامية» الجديدة والوضعية لمضادة لجهنية عرب ما قبل الاسلام . وقامت في آنٍ معاً بإعادة بناء العلاقة بين انجماعة جديدة وبين يهود والنصارى الذين أصبحوا ، من جهة كونهم من أهل الكتاب ، جزءاً من علاقة مميزة باعتبارهم شركاء في التوحيد .

\* عظيم نانجي (AZIM A. NANJI) استاذ في جامعة فلوريدا بالولايات المتحدة ورئيس دائرة الأديان فيها . وتدرّج أبحاثه في الاسماعية ضمن نطاق دراسة التعددية والتنوع في تاريخ الفكر والثقافة الاسلامية . من أهم دراساته : التراث الاسماعي النزاری في شبه القارة الهندية - الباكستانية (١٩٧٨) ، إضافة الى مقالات عديدة نشرت في موسوعة الدين والموسوعة الاسلامية ، وموسوعة اكسفورد لعالم الاسلامي الحديث (اكسفورد ١٩٩٥) ، والدوريات العلمية المتخصصة .

وامتاز النمط الثاني من هذه البدايات باتصال المسلمين ، وحديثهم مع ، وحديثهم عن  
نشعوب في الأراضي المفتوحة . وبدأ المسلمون ، في الوقت ذاته ، في عملية من لدرسة  
المنتقاة وحياسة تقاليد أخرى من الثقافة والعلم والممارسات الإدارية . لقد وُجد في تلك  
لاونة ، الى جانب اليهود والنصارى ، مجموعات أخرى من بين أهل الدمة ، لصبنة  
والزردشتيين والهنود وآخرين ممن اشتمت نظرة بعضهم العالمية على بقايا تقاليد فلسفية  
وفكرية من الفترة الكلاسيكية الفابرة . وأصبحت عملية التبادل والانفعال المتولدة عن هذ  
نقاء عاملاً فعالاً في تشجيع اهتمام العلماء المسلمين بالتقاليد الدينية والفكرية الأخرى .  
وتة لاعترااف بأنه ربما كان المسلمون قد ابتدأوا الخطوات الأولى بالفعل في تصوير تاريخ  
وسيط للأديان . وكانت الوضعية التي اتخذها المسلمون خلال مرحلة التوسع هذه من  
تاريخهم قد تحدت بدورها كتراث للأغلبية مسيطر ومشتمل على نظرة تفوقية للاسلام تم  
تأسيسها بوضوح داخل «دار الاسلام» . وجاءت دراسة كل من الاسلام والأديان لأخرى  
يضاً لتوضع ضمن السياق الأوسع للعلوم الادارية والانسانية المتطورة في العالم لاسلامي  
إبان القرون المبكرة ، وكذلك لضرورة تفسير وتبرير الجماعات الدينية الأخرى واحتوائها  
ضمن التاريخ القرآني للأديان .

إن معظم ما هو موجود من اندراسات المتعلقة بفهم المسلمين للآخر يقوم على مايسمى  
بأدب الزندقة (أو الدراسات التي تناولت الفرق الاسلامية) . ويمثل هذا النوع الجديد من  
لأدب ، وهو الذي أزهز في القرنين الرابع/ العاشر والخامس/ الحادي عشر ، لحدوة  
جدية لتصنيف الذات الاسلامية وتحديددها بكل أبعادها المتنوعة النامية : الخرجية (نسبة  
الى لخارج ، أو المعتزلية أو السنّية أو الشيعية ، وإيجاد قاعدة نموذجية من ممارسة  
ولاعتقد يقاس عليها ما هو اختلاف و«زندقة»<sup>(١)</sup> . ويمكن المجادلة بأن الكتب التي  
تدولت الفرق الاسلامية قد حرفت الطريقة التي من خلالها يمكننا ادراك كيفية بدء «تاريخ  
الأديان» الاسلامي ، وذلك لأنها تحتجزنا بشكل أساسي في لفة فقهية ودينية لأدب لفرق  
كانت بحلول ذلك الوقت قد تطورت الى ممارسة فكرية . إن مثل تلك النصوص الوصفية شي  
كانت أيضاً محاولات فقهية ودينية لتصور الانقسامات الفرعية داخل الاسلام ، قد كتسبت  
مكنة الأمر المعهود داخل كل مدرسة من المدارس الفكرية الاسلامية ، وأصبحت مصدر  
علمية أولية لتاريخ الأديان الاسلامي إضافة الى تاريخ الطائفية . وقد استعمرو أساليب  
كلامية ظهر فيها بناء الشخصيات والاختلافات بناء سلبياً توضحه مصطلحات مثل « لبدعة»  
و« لفلاة» و«الملحد»<sup>(٢)</sup> . وقد حاولت الاصطلاحات المناوئة لذلك النقاش الديني والفقه

لقائمة على تفسير الأساسات للإسلام وعلى معارضاة مزدوجة تسعى الى إيجاد هوية ذات مميزات واضحة محددة ، حالت دون بذل عناية كافية بجوانب أخرى من التواصل والتبدل بين الآخرين وبين المسلمين ، وشوّهت بالتالي تمثيلهم داخل البحث الاسلامي في كنيته . وتسعى هذه المقالة ، من خلال تحديد منظور اسماعيلي بخصوص تاريخ الأديان ، الى تحديد منظورات بديلة كانت قد ظهرت داخل روايات متنوعة تناولت كتابات تقييدية عن لزندقة .

وتستدعي فكرة «منظورات اسماعيلية» تقديم بعض التوضيحات والتحفظات . ففي أواخر القرنين الثالث/التاسع والرابع/العاصر ، ظهر إطار ضمّ اهتمامات دينية وفكرية لقي صياغة لاحقة في سياق فلسفي وشيعي/ اسماعيلي ومعتزلي<sup>(٢)</sup> . ومثل هذه نغمية لاستمرارية في الحقلين الديني والفلسفي وجدت ما يوازيها في المجال الفقهي<sup>(٣)</sup> . وكنت فترات التكوين لهذه الأنظمة والاهتمامات الفكرية قد تحدّدت بمناخ تعددي وثقافات متعارضة باستمرار . أما تكوين الجماعة وتحديداتها فقد أظهر جزءاً من حديث ثقافي أكثر اتساعاً وشمولية . والمنظورات الاسماعيلية التي تبرز الى الوجود في هذا المناخ تسعى الى استحضار مفاهيم عالمية للإسلام من خلال اكتشاف صدى لها في تقاليد أخرى عبر قراءة نصوصها الأولية الخاصة في ضوء علاقتها بنصوص لآخرين وهي في جميع الأحوال لا تقترح وجهة نظر اسماعيلية كاملة الصياغة أو متفق عليها . غير أن الكتاب عكسوا شعوراً بالانتماء ، وهو نموذج من مقاربة المسائل بمزاج متشابه ومخاطبة الاختلافات بطريقة بعيدة عن الدوغمائية ، وتشير وضعية منهجية هذه ، هي والمقاربة الموضوعية ، الى أن الكتاب الاسماعيليين ، كانوا في هذه مرحلة من التطور مهتمين كأكثر ما يكون بلعب دور الوسيط عبر تنظيمات فكرية واجتماعية ومؤسسية .

وبالنظر الى المصادر المستخدمة في هذا المجال وتقديرها ، تجدر الإشارة الى أنه بينما في محاولات سابقة ولاحقة للتعريف والتعريف بالذات ، وظهور المسائل لدينية واسياسية وكأنها في خطر<sup>(٤)</sup> واحد بشكل أساسي ، فإن الصور الممثلة في مصدرنا توفر شهادة بأن مفاهيم الناس يمكن لها أن تتحرر من مجرد التركيز على التفريق والتعنيف المتبادل .

## اخوان الصفاء

« كُنَّا نِياماً فِي كَهْفٍ أَبِينَا آدَمَ » . (رسائل اخوان الصفاء)<sup>(١)</sup>

في دراسته لـ اخوان الصفاء ، يقترح إيان نيتون (I. Netton) أنه سيكون من الأجدي إظهار أي نوع من الفلسفة تعكسه هذه المجموعة « بدلاً من القول من كانوا كأفراد »<sup>(٢)</sup> ، إن التركيز على صعوبة الوصول الى حقيقة شخصياتهم ، وهي التي ستروها بوعي منهم باختيارهم لاسم جماعي رمزي ، يوضح اهتمام الاخوان في أن يُقَرَّنوا بأفكار التخاطب بين التقاليد ، أكثر مما هو بين الحركات ، بدلاً من أن يُعرفوا بشخصياتهم المميزة . وتمت الإشارة الى انطلاقتهم باتجاه الآخرين في مطلع رسائلهم . فقد أكدوا صحة جميع العلوم والحكم التي أنتجها الإلهام الإلهي والتفكير الانساني . ولم تكن نظرية المعرفة التي تبناها « موسوعية » سطحية ، أي مجرد مصنفات عن الأنظمة القائمة ، آنند ، بل محاولة تقديم وجهة نظر عالمية مركبة لاتنتمي الى أي تقليد (أو تراث) خاص بعينه . وهذا الاسلوب من المقاربة هو الذي أتاح لـ اخوان الصفاء تقديم ومعاينة واستخلاص النتائج من الحكمة القديمة لجميع أولئك الذين شكل موروثهم جزءاً من مناخ الحياة الاسلامية في القرنين الثالث/ التاسع والرابع/ العاشر . وقد نظر اخوان الصفاء الى المعرفة من الزمن الماضي ، « المنزل » منها أو « الفلسفية » ، باعتبارهم مسلمين ، على أنها تنتمي الى نطاق الاسلام الذي هو عقيدة شاملة محيطية بكل شيء . وتضمنت مصادرهم الكتابات والكتب المنزلة وكتب « الطبيعة » والأعمال العلمية والفلسفية للفلاسفة والحكماء القدماء بالإضافة الى أفكار الالهام الوجداني لأفراد طاهرين<sup>(٣)</sup> .

وبيّن نيتون أيضاً أن أي دين مُنْزَل لابد وأن يواجه مشاكل ضخمة في سعيه للتوفيق بين « الفلسفة الوثنية » وبين عقيدته الدينية الخاصة<sup>(٤)</sup> . والمواقف غير الدوغمائية لـ اخوان الصفاء هي أقل استبدادية ولها تصورات خاصة بتعددية حقيقية تتيح المجال للتعلم من أي تراث أو تقليد . وكانوا قد ألزموا أنفسهم بوجهة النظر القائلة بوجود أساليب عدة للمعرفة التي قد تخلق نقاشات موازية ، وأن ذلك كله يدفع باتجاه ذات المجموعة من الأهداف . وعلى وجه الخصوص ، كان اخوان الصفاء ، مثل المسلمين ذوي العقلية المتفلسفة الآخرين ، ميالين لاتخاذ وجهة نظر أكثر شمولية بخصوص الموروث « القديم » ، الذي نظروا الى حكمة بعضه على أنها ذات وضعية من الصحة في جوهرها وتمييزها عن الحقيقة مماثلة لتلك



القائمة على أسس من التنزيل . لقد كان للأنبياء العظام أمثال ابراهيم وموسى ويوسف ومحمد صحبة حقاً ، في نظرهم ، على أعلى مستوى من هرمية «الاخوة الأظهار» رافقهم فيها فيثاغورس وسقراط<sup>(١٠)</sup> . وبالنظر إلى مقارنة الرسائل للآخرين ، يظهر لنا بوضوح أنها لاتضع فكرة الجاهلية على محور الخلاص ، حيث يلاقي المؤمنون النجاة والمشركون الهلاك . ولهاكون هم أولئك الذين جعلوا المجتمع مغلقاً لايتقبل الحجج بكثافتهم الذاتية وعمق جهلهم .

ونجد في فصل المتعلق بـ «القيامة» من الرسائل حواراً بين «الناجي» و«الهالك» يستحق الاقتباس بكامله<sup>(١١)</sup> ،

قل الناجي للهالك : كيف أصبحت يا فلان ؟

قال : أصبحت في نعمة من الله ، طالباً للزيادة ، راغباً فيها ، حريصاً على جمعها ، ناصراً لدين الله ، معادياً لأعداء الله ، محارباً لهم .

قل الناجي : ومن أعداء الله هؤلاء ؟

قال : كل من خالفني في مذهبي واعتقادي .

قل : وإن كان من أهل لا إله إلا الله ؟

قل : نعم .

قل : إن ظفرت بهم ماذا تفعل بهم ؟

قل له : أدعوهم الى مذهبي واعتقادي ورأيي .

قل : فإن لم يقبلوا منك ؟

قال : أقاتلهم وأستحل دماءهم وأموالهم وأسبي ذرياتهم .

قل : فإن لم تقدر عليهم ماذا تفعل ؟

قل : أدعو عليهم ليلاً ونهاراً ، وألعنهم في الصلاة ، كل ذلك تقريباً الى الله تعالى .

قل : فهل تعلم أنك إذا دعوت عليهم ولعنتهم يصيبهم شيء ؟

قل : لأدري ! ولكن إذا فُعت ماوصفت لك ، وجدت لقنبي راحة ، ولنفسي لذّة ،

وبصدي شفاء .

وقال له الناجي : أتدري لِمَ ذلك ؟

قال : لا ، ولكن قل أنت .

قل : لأنك مريض النفس ، معذب القلب ، معاقب الروح ، لأن اللذة إنما هي خروج

من الآلام . ثم عسى أنك محبوس في طبقة من طبقات جهنم ، وهي الحطمة نار الله الموقدة

التي تطلع على الأفئدة ، الى أن تخلص منها وتنجو نفسك من عذابها ، إذا لقيت الله عز وجل كما وعد بقوله : « ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً » .  
 ثم قال الهالك للناجي : أخبرني أنت عن رأيك ومذهبك وحال نفسك كيف هي ؟  
 قال : نعم ، أما أنا فإنني أرى أنني قد أصبحت في نعمة من الله وإحسان لأحصي عددها ، ولأؤدي شكرها ، راضياً بما قسم الله لي وقدر ، صابراً لأحكامه ، لأريد لأحد من الخلق سوءاً ، ولأضمر لهم دغلاً ، ولأنوي لهم شراً ، نفسي في راحة ، وقلبي في فسحة ، والخلق من جهتي في أماناً أسلمت لرتي مذهبي ، ودين ديني دين إبراهيم عليه السلام .

### أبو حاتم الرازي وأبو يعقوب السجستاني

ينتمي أبو حاتم الرازي (ت ٣٢٢/٩٣٤) وأبو يعقوب السجستاني (ت بعد ٣٦١/٩٧١) كلاهما الى الفترة من الدعوة الاسماعيلية التي سبقت الظهور الكامل للقوة السياسية للخلافة الفاطمية الاسماعيلية<sup>(١٢)</sup> . وكان أبو حاتم الرازي والسجستاني مساهمين هامتين في إقامة القواعد الفكرية لما كان سيتطور الى صياغة اسماعيلية على وجه محدد للمسائل الكلامية والفلسفية موضع الجدل والمناظرة بين المسلمين في القرن الرابع/العاشر<sup>(١٣)</sup> .

واشتهر أبو حاتم الرازي بمناظراته مع سميه الطبيب الفيلسوف أبي بكر الرازي . وقد لخص أبو حاتم الرازي في كتابه «أعلام النبوة» نقاشاته في المناظرة ، إلا أنه وسع نقاشه ليشمل أفكاراً منسوبة الى حكماء وشخصيات شبيهة بالأنبياء من الزمن الغابر لاتشكل جزءاً من السلسلة المعهودة للأنبياء . ويتطور دفاعه عن مؤسسة «النبوة» الى معالجة أوسع لدور الشخصيات المؤسسة في تاريخ الأديان السالفة وجماعات التفسير ، والى توفير بين الأديان المنزلة والعقلانية<sup>(١٤)</sup> .

وأوجد أبو حاتم الرازي ، والسجستاني من بعده ، إطاراً شمولياً لتاريخ الأديان . وحاول وضع شخصيات فيه من أمثال زارادشت وجماعات كالصابئة (الوارد ذكرهم في القرآن) . ويروي أبو حاتم حديثاً عن الامام جعفر الصادق يقول أن اسم زردشت (زارادشت) يعني «الكبير الذي يعتمد عليه» ، وهو نبي أعطى شعبه شريعة<sup>(١٥)</sup> ، وما هو جدير بالاهتمام هنا هو أن كتاب الفترة المبكرة من الدعوة الاسماعيلية قد نظروا في مسألة المكانة التاريخية للزردشتية وناقشوها . فإذا ما تركنا جانباً حالياً المحتوى الكلي لما وراء

لتاريخ، إسماعيلي والصلة التي ضمنها تم وضع تلك النقاشات ، فإنه يجدر بالذكر أن 'ونك  
كثيب كنوا يطلقون مزاعم بمعرفة تاريخية حول شخصيات «مؤسسة» في الوقت ذاته  
كانو يحاولون إيجاد مكان لهم داخل الإطار الهرمي «لتاريخ الديني» للبشرية ، لذي ضم  
أدياناً وتقاليد فلسفية متنوعة .

وفي تحديده لنظرية المعرفة عند أبي بكر الرازي ، التي لم يكن فيها مكان لنسبة أو  
لرسس المسهمين الهيا ، أصر أبو حاتم الرازي جازماً على وجود موازنة بين بعض الطروحات  
فلسفية وبين التنزيل ، حيث نجد تطابقاً للمعنى الأصلي مع الهدف الأخلاقي . وهو ، في  
واقع الأمر ، يعتبر أفلاطون والأفلاطونيين المحدثين اللاحقين ، من أمثال ديمقريطس  
وبروكسيس ، فلاسفة كانت لتعاليمهم خصائص مشتركة مع العناصر الأساسية لتحقيق  
لمنزلة<sup>(١٦)</sup> . يضاف الى ذلك ، أن وجهات نظر هؤلاء قد عكست اعتقاداً بالتوحيد . وعى  
لرغم من أنه من المؤكد أن فكر الأفلاطونية المحدثه قد لعب ، بالشكل الذي أخذه به  
المفكرون المسلمون ، دوراً مؤثراً جداً بالنسبة إلى الإسماعيليين كما بالنسبة إلى  
مفكرين لمسلمين الآخرين ، إلا أنه على المرء ملاحظة ، وكما بين ستيفان جرش (S.  
Gersh) ، أن التقاليد غير المباشرة المتولدة عن الأفلاطونية كانت جزءاً من عملية متطورة  
ومعقدة<sup>(١٧)</sup> . وعلينا الحذر في ألا نظن بالأفلاطونية المحدثه على أنها تراث من سياق فردي  
منتظم استولى عليه المسلمون وحازوه من غير نقد أو تمحيص<sup>(١٨)</sup> .

ومع توفر المزيد من الدراسات المفصلة حول تطور الأفلاطونية المحدثه ، ربما نكون  
في موقع أفضل لفهم أكمل لقنوات توصيلها الى العالم الاسلامي ولأسلوب تبني المسلمين  
وردود فعدهم على هذا الموروث المعقد والمتطور . وكما تبين نقاشات هذه المقالة ، فلا  
الأفلاطونية المحدثه تقرر ، ولا الإسماعيلية تعترف بتعريفات محددة سلفاً في اتصالهم  
وتوريخهم الخاصة بكل منهما . وبالنسبة إلى مفكرينا الاثنين ، فإن الفلاسفة والحكماء  
محققين قد أتاحوا فرصة للربط ما بين لحظات متنوعة في حياة الجماعات الفكرية والدينية  
والأخلاقية .

ويأخذ تمثيل تاريخ الأديان والحكمة عند الجماعات ، طبقاً لهذين المفكرين ، شكلاً  
خطياً صولياً عبر الزمان وعبر المكان ، لكنه يتكشف بصورة دورية ، لأن كل نموذج منها  
هو عبارة عن ممارسة لعملية استعادة بداية من بداياتها . ويقوم الرسل الذين يأتون بتتزين  
ورساسة في كل نموذج (أو دور من أدوارها) بالإعلان عن شريعة ، أو نظام شرعي يعمن  
عى توفير الحدود المنظمة للجماعة وللحياة اليومية ويتيح المجال للعقيدة بالتحرك وبعمر

د خړ مجتمې . والحدود تلك هي التي تمكن أية جماعة من تحديد نفسها داخل ، صدر يبدو دينياً ، إذا ما نظر إليه من زاوية فقهية وأخلاقية ، وهذا هو السبب في الاختلافات التاريخية بين الجماعات والأمم ، وهو يفسر أيضاً كيف أن التشويهاً والانشقاقات عن التعاليم ، لأسبب قد تدخّر في مراحل لاحقة من تطوّر الجماعات الدينية عندما تبرز على السطح نزعات بخصوص السلطة وبخصوص تفسير نصوص أساسية .

وفي حين يتم الاعتراف بأن العرضية التاريخية والسياقات الاجتماعية قد أثّرت في تشكيل التقاليد ، فإن المنظورات الواردة أعلاه عن الاسماعيليين توحى بأنه من الممكن تصوير تصنيفات وسيطة تساعد في تحديد هدف مشترك وغاية للتاريخ الإنساني ومعناه عبر سلسلة من جميع التقاليد والمجتمعات .

## الحواشي

- ١ - حول تحليل لهذه العمدة النظر في: «الاسلام المبكر» (أدبوغ، ١٩٩٠)، ص ١٧٥ - ١٨١، برنارد نوبس، «الاسلام في التاريخ» (شيكاجو، ١٩٩٣)، ص ٢٧٥ - ٢٩٤.
- ٢ - انظر أيضاً المقالات الثانية في الموسوعة الاسلامية «بدعة»، ص ٢، «م»، ص ١١٩٩، «غلاة»، ص ٢، ص ١٠٩٣ - ١٠٩٥، «ملحد»، ص ٧، ص ٥١٦.
- ٣ - انظر ولكر، الشيعية الفلسفية المبكرة... (كمبردج، ١٩٩٣)، ص ٢ - ٦٣.
- ٤ - نورمان كالدور، دراسات في تفقه الاسلامي المبكر (أكسفورد، ١٩٩٣).
- ٥ - كان الأمر كذلك في حالة «السلالة المبانية» على وجه الخصوص. ج. لاسنر، «التنزيل الاسلامي والذكرة لتريحية»... (نيوهافن، ١٩٨٦).
- ٦ - رسائل اخوان الصفا (بيروت، ١٩٥٧)، م ٤، ص ١٨.
- ٧ - نيوتون، أفلاطونيون محدثون اسلاميون، مقدمة الى فكر اخوان الصفا (لندن، ١٩٨٢)، ص ٨، دفترى، الاسماعيليون، تاريخهم وعقائدهم (كمبردج، ١٩٩٠). الترجمة العربية: سيف الدين القصير (دمشق، ١٩٩٥).
- ٨ - سيد حسين نصر، مقدمة الى العقائد الكونية الاسلامية (ط ٢، الباني، ١٩٩٢)، ص ٣٩، الترجمة العربية: سيف الدين القصير (اللاذقية، ١٩٩٠).
- ٩ - نيوتون، أفلاطونيون محدثون، ص ٣٣.
- ١٠ - جرى تطوير الهرمية في «الرسائل»، م ٤، ص ٣٦، نصر، مقدمة، ص ٣١ - ٣٢.
- ١١ - رسائل اخوان الصفا، م ٣، ص ٣١٢ - ٣١٣.
- ١٢ - ولكر، الشيعية الفلسفية، ص ١٢ - ٢٤، ٥١ - ٥٥، دفترى، الاسماعيليون، ص ١٦٥ - ١٦٨، بونوال، بيلوغرافيا الأدب الاسماعيني (كاليفورنيا، ١٩٧٧)، ص ٨٢ - ٨٩.
- ١٣ - حول السياقات الفكرية انظر دفترى، الاسماعيليون، الفصين ٤٠٣.
- ١٤ - أبو حاتم الرازي، أعلام النبوة، تح. الصاوي (طهران، ١٩٧٧). وبخصوص المناظرة انظر مقالة كراوس في مجلة (OTIENTALIA)، ٥ (١٩٣٦)، ص ٣٥ - ٥٦، ٣٥٨ - ٣٧٨. هانز ديبر، «أبو حاتم الرازي» فصل من كتاب Dialogue and Syncretism، تح. غورت (ميشيفان، ١٩٨٩)، ص ٨٧ - ١٠٤.
- ١٥ - أبو حاتم، أعلام، ص ١٧٦ - ١٧٧، شتيرن، «أبو حاتم الرازي» في كتابه دراسات في الاسماعيلية المبكرة (قدس - ايدن، ١٩٨٢)، ص ٣٠ - ٤٦.
- ١٦ - أبو حاتم، ص ١٢٥ - ١٢٧، ١٣٢ - ١٣٥، ولكر، الشيعية، ص ٥١.
- ١٧ - مستيفان جرش، الألفاظونية الوسيطة والألفاظونية المحدثة (لوتردام، ١٩٨٦)، م ١، ص ٢٥ وما بعدها.
- ١٨ - وتمكس دسدا أبحاث ألتانوف في الدعوة الاسماعيلية المبكرة في إيران. انظر كتابه، دراسات في الاسماعيلية فدرسية المبكرة (لیدن، ١٩٨٤)، ط ٢، (بومباي، ١٩٥٥). وحول تصحيحات أبي حاتم انظر ولكر، الشيعية، ص ٥٢ - ٥٣.



## رواية اسماعيلية من أدب الفرق الغالية حول الفرق الاثنتين والسبعين الخاطئة

هذا الكتاب  
مسلوك الأستاذ الدكتور  
رمزي زكي بطرس

بول وويكر\*\*

شكر استخدام الكتابات التي تتناول الهرطقة والغلو سلاحاً نموذجياً في الخصومات الدينية الإسلامية للهجوم والدفاع على السواء . وقد تمت ممارسته على نطاق واسع فلا نجد ، من ناحية عملية ، فريقاً واحداً قصير في وقت من الأوقات في تصنيف فهرس بأعدائه وتضمينه قائمة بالمظاهر المميزة (والخاطئة) لكل مذهب أو فرقة . لكن من بين العدد الضخم من الرسائل التي تنتمي الى هذا النوع والمعروف أنها قد كتبت لهذا الغرض ، لا نجد سوى عدد ضئيل نسبياً قد كتبت له النجاة . وعلى الرغم من توفر أمثلة تعطينا وجهات نظر للأحناف والأشاعرة والمعتزلة على سبيل المثال ، وأنماط معينة للشيعة . لا أنه لم تكن للإسماعيليين أية كتابات حقيقية تتناول الهرطقة والغلو معروفة حتى وقت قريب . وليس هناك من سبب جوهري ، على كل حال ، يمنعهم من أن يكون لديهم مثل ذلك . وقد ترك لنا كاتب اسماعيلي رئيسي من الفترة المبكرة من القرن الرابع الهجري/عاشر الميلادي . هو أبو حاتم الرازي (ت ٢٢٢/٩٣٤) ، رواية قيمة في كتابه ، « كتب زينة » ، تضمنت كلمات ومصطلحات من النوع الذي يظهر في كتابات أدب الفرق

\* مصطلح « أدب الفرق الغالية » مستخدم هنا بصفة مجازية ليعني الكتابات التي تتناول الغلو والهرطقة والفرق المثممة بانحرافها .  
\*\* بول وويكر (P. Wicker) هو أستاذ الدراسات الإسلامية في معهد الدراسات الإسلامية في جامعة ماك . غيل (كندا) ، وأستاذ رنر حالياً في جامعة ميشيغان . اختص بالدراسات اسماعيلية وله عدة مؤلفات أشهرها « الشيعة الفلسفية المبكرة » (كمبريدج ١٩٩٣) ، و « يتأين الحكمة » (سالت ليك سيتي) ، إضافة الى العديد من المقالات العلمية في عدد من المجالات والدوريات العلمية والموسوعات الإسلامية والدينية .

الغالية<sup>(١)</sup> . فقد قُدم في شروحاته وتعريفه لهذه المصطلحات من المواد ما وصل الى حد كتابات أدب الفرق الغالية بشكل رسمي . ومع نهاية القرن الرابع/ العاشر أو بداية القرن الخامس/ الحادي عشر كتب حميد الدين الكرمانى ، وهو داعية اسماعيلي آخر من ذوي الشأن الرفيع ، نقضاً متوسعاً بشكل لا بأس به لمختلف الفرق الاسلامية ، وذلك في كتاب له يدعى « تنبيه الهادي والمستهدي » ، يمكن النظر اليه بسهولة مرة أخرى ، لكن في سياق مختلف قليلاً ، على أنه من أدب الفرق الغالية<sup>(٢)</sup> . وفي ماعدا هذين المثالين ، فإن الأعمال الاسماعيلية الأخرى قد تضمنت إشارات واضحة الى أي عدد من الميول الطائفية المعارضة التي هم يرفضونها وينتقدونها . وباختصار ، كان الاسماعيليون المتخصصون بالمسائل العقائدية ، مثل المرجعيات الاسلامية في المجموعات الأخرى ، متمرسين بالمعالجة التاريخية للمجادلات الدينية والفقهية حول نطاق كامل من التطورات المذهبية الاسلامية .

وحديثاً ، ظهرت الى النور مواد اسماعيلية إضافية في شكل عمل لم يكن معروفاً حتى الآن تقريباً كتبه داعية خراساني مجهول يدعى أبو تمام كان نشطاً في القرن الرابع/ العاشر . ويدعى العمل « كتاب الشجرة » ، وتبين أن القسم الأول من هذه الرسالة قد تضمن نموذجاً رسمياً وتاماً لأدب الفرق الغالية الذي تناول الفرق الاثنتين والسبعين الخاطنة ، وكثير منه ظهر في شكل الكتابات الاسلامية التقليدية النموذجية حول هذا الموضوع . وفي حين سبق لإنطباع أولي عن هذه المادة في هذا العمل الاسماعيلي الذي يتناول أدب الفرق الغالية أن أظهرها في موقع له أهمية خاصة ، إلا أنها لم تخضع لدراسة تحليلية كاملة بعد . ومع ذلك ، فمن المفيد الآن الاعلان عن هذا الاكتشاف والمساهمة ببعض الملاحظات القابلة للرد حول قيمة هذا العمل بالنسبة إلى دراسة كل من الفرق الاسلامية والموروث الذي يتناولها من أدب الفرق الغالية .

ويبقى أبو تمام ، مؤلف « كتاب الشجرة » شخصية غامضة الى حد ما - وهذه حقيقة تعكس نقصاً في المعلومات حوله في كل من الروايات التاريخية العادية والسجلات اللاحقة للدعوة الاسماعيلية . وعلى سبيل المثال ، فقد ظهر اسمه في عمل تاريخي اسماعيلي لاحق على هذه الصورة المنفردة دون اسم أو نسبة . ولم نتعرف على أصله الخراساني إلا من خلال معلومات وردت في كتاباته تضمنت إشارات الى أنه كان في خراسان ، وإلى مادة تظهر أنه كان تلميذاً للفيلسوف والداعي الخراساني المشهور محمد النسفي (ت ٣٣٢/٩٤٣) . وتبرهن إشارات إضافية على أنه كان أيضاً مؤلف عمل آخر يدعى « كتاب البرهان »<sup>(٣)</sup> .



وكدت لرسالة الأخيرة محطّ حكم عدائي من قبل الخليفة - الامام الفاطمي المعز (٣٤١ - ٩٥٣/٩٧٥) . وربما نتيجة لذلك لم تعد موضع عناية الدعوة واهتمامها بحفظها . وهكذا فإن المعلومات القليلة الموجودة بين أيدينا تضع هذا المؤلف في أكثر الاحتمالات في موقع يشكّل جزءاً من المدرسة الخراسانية للاسماعيلية التي كانت تتبع النسفي في نربع شامي من القرن الرابع/ العاشر<sup>(١)</sup> .

ومن عجائب التقادير أن تكون «شجرة» أبي تمام قد صفت ، عند ظهورها مطبوعة لأول مرة ، بطريقة مغلوبة على أنها عمل للداعي الاسماعيلي النزاري السوري أبي فراس شهاب لدين المينقي من القرن العاشر/ السادس عشر<sup>(٥)</sup> . ثم ، وفي نسخة ثانية ، عى أنها لد عي عبدان من القرن الثالث/ التاسع<sup>(٦)</sup> ، وتضم تانك المطبوعتان ، على الرغم من أنهما تشكّلتان شيئاً واحداً الى حد كبير ، وكلاهما من تحقيق عارف تامر ، تضمّن ذلك تقسم من عمل أبي تمام الذي شكّل القسم الثاني تقريباً من «كتاب الشجرة» وحسب . وفي ما عدا هاتين المطبوعتين لتامر ، ليس لدينا أية مخطوطات للقسم الثاني هذا ولا أية معلومات حوله . من جهة أخرى ، تمكّن البروفسور عباس همداني ، عندما تنبه الى أهمية هذا النص ، من تتبع أصول القسم الأول من «كتاب الشجرة» والحصول على نسخة منه من بين ممتلكات عائلية من المخطوطات<sup>(٧)</sup> . وأوصلته جهوده ، في غضون ذلك ، الى قناعة بأن نسخاً من القسم الثاني لم تكن متوفرة في المجموعات الاسماعيلية التي يحتفظ بها لاسماعيليون الطيبون ، وربما لم يكن قد كتبت لها النجاة معهم إطلاقاً . والقسم الأول هو الذي أعطان كتابات تتناول أدب الفرق الغالية بذاتها الى حد كبير ويمكن تقصّيها بشكل مستقر عن العديد من المسائل ، التي لم تلق حلاً بعد لكنها هامشية ، والتي لها علاقة بم نبقى من النص الأصلي «لشجرة» أبي تمام .

وقد تمّ تنظيم الكتاب في عموميته حول عملية بحث واستقصاء لأنواع متبينة من لكنتات الملائكة والجن والشياطين والأبالسة والأنس ، والذي يكون وجود كل واحد بدوره «بقوة» أولاً ثم «بالفعل» ثانياً . والجزء الثالث المتعلق بالشياطين هو الذي وفر لفُرصة لأبي تمام لادخال كتاباته حول الهرطقة والفلو .

فبعد أن أكمل روايته بخصوص الملائكة والجن ، انطلق الى موضوع الشياطين . وهؤلاء هم كم يمكن الافتراض بالاستعانة بالمصادر الاسماعيلية الأخرى ، الدعاة الى انظار من معدني لكتاب والدين دون مايقابله من الباطن . والشياطين ، يقول أبو تمام ، هم فقهاء لقشرية لذين تمسكوا بالكلمة الظاهرة ، أو القشر ، دون فهم واستيعاب للمعنى الباطني ،

أو لب<sup>(٨)</sup> . وكلا يكون هناك أدنى شك بخصوص وجهة نظر الاسماعيلية ، فإنه ينصر في هذا القسم المخصص لأهل الباطن على وجه الخصوص على السلسلة المعروفة باسم « حبر الله » والتي تتسلسل ، طبقاً له ، على النحو التالي : القلم ، اللوح ، الحبر ، الفتح ، الخير ، الدطق ، الأساس ، الإمام ، الحجة ، والجناح . وهذه صورة نموذجية للهرمية الاسماعيلية معبر عنها بلغة تقنية متميزة كانت شائعة لدى أفراد الدعوة الفارسية في القرن رابع/ العشر<sup>(٩)</sup> . ثم يذكر بعد ذلك عدة أحاديث تتعلق بانقسام أو انشقاق في الاسلام أو في جماعات دينية أخرى كان قد وقع أو أنه كان سيقع . ثم يختتم هذه الفكرة بالحديث لشهير الذي يزعم أن بني اسرائيل قد انقسموا بعد موسى الى إحدى وسبعين فرقة ، جميعها في الجحيم ماعدا واحدة هي في النعيم ، وأن أمة عيسى قد انقسمت بعده الى اثنتين وسبعين ، جميعها في الجحيم ماعدا واحدة في النعيم ، وأن الأمة بعد النبي ، أخيراً ، سوف تنقسم الى ثلاث وسبعين فرقة ، اثنتان وسبعون في الجحيم وواحدة في النعيم<sup>(١٠)</sup> . ويضيف أبو تميم قنلاً ،

« ولا شك في أنه كان لكل واحدة من هذه الفرق زعيم أو داع دعا الناس الى وجهة نظره ومعتقداته الخاص به . وهؤلاء هم الشياطين . . . وانقسم أهل الظاهر بعد ارتحال الرسول عن هذا العالم الى اثنتين وسبعين فرقة ، في حين بقي أهل الباطن كما كانوا ، لم يقع بينهم أي انشقاق ولا عداوة أو شك كما حدث بين أهل الظاهر ، الذين يلعن بعضهم بعضاً ويفترقون الى مجموعات متعارضة »<sup>(١١)</sup> .

وعند هذه النقطة أقدم على الإعلان بأن نيته هي في « وصف هذه المذاهب ونفرد مذهباً مذهباً ، وفرقة فرقة وتوضيح معتقدات كل واحدة منها »<sup>(١٢)</sup> . ثم انطلق أبو تميم من هذه النقطة في كتاب « الشجرة » مبتعداً عن الموضوع العام لكتابه ليشرح في رسم مفصل سعة الميزة للفرق الاثنتين والسبعين ، التي ينتقل الآن لمناقشتها بعناية وعمق معقولين . والتحقيق أن الأوراق الـ ( ١٢٢ ) التالية (أو بعضاً من ٢٤٤ صفحة) من « الشجرة » - ماعدا استطرادات قصيرة قليلة - قد عرضها مع رواية عن الفرق الفاطمية ، مرتبة ، كما قد ، فرقة ، فرقة . وعند الانتهاء من ذلك وحسب ، يعود ويلتفت الى أهل الباطن مرة أخرى ويشرح كيف أن هذه الجماعة وحدها ، ومن خلال تفعيل التأويل ، الذي يشكل حجر زاوية في معتقداتهم أفسحت المجال للتأليف والتوفيق بين مختلف مسائل التعارض ، وهي التي كانت سبباً في تفرق تلك الفرق الإسلامية المتشعبة الأخرى ، من أجل الوصول الى حقيقة دئمة واحدة لا اختلاف فيها ، حقيقة يمكن لها أن تسمو فوق الانشقاق والتناقض .

وإذا ما أخذنا حجمها الكلي وكمية المعلومات المخصصة لكل فرقة من الفرق بعين الاعتبار ، فإن هذه الكتابات الجديدة من أدب الفرق الغالية تميل لأن تكون ذات أهمية عظيمة . يضاف الى ذلك أن أبا تمام كان أقل اهتماماً بمسائل النقض مما كان عليه الكتّاب المسلمون الآخرون الذين خاضوا في هذا الصنف من الكتابات . ومع أنه لم يكن مترفعاً عن التعبير عن شمنزازه تجاه العقائد المذهبية المرفوضة بكل وضوح ، إلا أنه كان ميالاً عموماً لمجرد التوضيح عن عمد كيف أن المسلمين الذين كانوا يفتقرون الى الهداية الصحيحة ، كان مصيرهم لضلال والانحراف عن الصراط المستقيم . فالناس يقعون في الخطأ بتمسكهم الكني بالتقسيم الظاهرية الحرفية للقادة المزيفين . وكتابات بهذا الخصوص هي عبارة عن فهرسة لمثل هذه الأخطاء والأغلاط . لكن أبا تمام كان من خلال اعتماده على مبدأ كبير وفر له منفذاً لنجاة في نهاية الأمر - الملائمة التي آل اليها الأمر بفضل من تفسير توفيقى - كان قادراً على تصوير رواية كاملة بكل حرية لكل فرقة ولخصائصها المميزة دون التورص بمباشر في خطاب تحزبي . ومع ذلك ، قام أبو تمام في حالات قليلة ، ولاسيما عند تمت نقاط حيث كان يقوم بإقحام ملاحظاته الشخصية الخاصة بالسلوك الطائفي ، كما كان لأمر أثناء حديثه عن فرقة الميضية المغمورة ، قام بتجاوز هذا الخط الى موقع المتحزب الذي نجده في أمثلة أخرى من الكتابات التي تتناول الهرطقة والغلو . وتبقى جهوده لفهم الاختلافات المذهبية وشرحها ، إذا ما وضعت في الميزان ، عميقة وغير متعصبة نسبياً الى حد الاعجاب .

وخلافاً لأي عمل آخر معروف يتناول الفرق ، فإن أبا تمام يفتح كتابه بتقسيم الكل الى طبقات ثلاث وفقاً لمبادئ أساسية ثلاثة مختلفة . وكل مبدأ منها يجمع تحت حونه أربعاً وعشرين فرقة بالضبط من الفرق الاثنتين والسبعين . وهذه المبادئ الثلاثة هي : (١) لقول بأن الطاعة كلها من الايمان ، (٢) القول بأن الشرائع ليست من الايمان ، (٣) القول بأن الامام بعد رسول الله هو علي . وفي ماعداد هذا الترتيب بالقسمة الى ٢٤×٢٤×٢٤ ، فإن لائحة الفرق التي يقدمها تنقسم بطريقة غير منتظمة الى واحد وعشرين مذهباً على النحو التالي :

معتزة (٦ فرق) ، الخوارج (١٤ فرقة) ، الحديثية أو أصحاب الحديث (٤ فرق) ، قدرية أو المجبرة (٥ فرق) ، المشبهة (١٣ فرقة) ، المرجنة (٦ فرق) ، الزيدية (٥ فرق) ، لكيسانية (٤ فرق) ، العباسية (فرقتان) ، النغالية (٨ فرق) ، والإمامية (٥ فرق) . وهو سيزعم لاحقاً أنه لا يمكن أن يكون هناك اثنتان وسبعون فرقة دون ثشة

وسمين أو إحدى عشرة دون عشرة ، وكان هذه الأرقام ، بما فيها الاحد عشر مذهباً بشكل  
مصدر ، كانت ضرورية وأساسية لمنظومته أو مخططة المرسوم .

أما بالنسبة إلى التقسيم الأولي إلى مجموعات من أربع وعشرين فليس هناك ، على كل  
حال ، من سبب منطقي بخصوص لماذا كان يجب أن تكون كذلك ، أو من أين تمّ ستقده  
هذا لترتيب . يضاف إلى ذلك ، أنه يقرّ ، في حالة الراوندية ، إحدى فرقتي العباسية ، على  
الأقل ، بأن هؤلاء قد اعتقدوا بأن الإمامة قد انتقلت من النبي إلى عمه العباس مبشرة ،  
ونيس إلى علي كما نصت عليه مقولة المبدأ العام الأساسي .

ويثير ذلك أسئلة جادة بخصوص أصل قائمة أبي تمام بالفرق وفي ما إذ كانت ثلاثم  
هذه انمعلن أم لا . وتفسير بديهي قد يكون في أن هذه القائمة قد اشتقت من عمر آخر ،  
ربما كان عملاً لم يشاركه تركيزه المحدد ولا اهتماماته انمذهبية . ونجد دليلاً إضافياً على  
هذا الاستنتاج في الفصل الذي كتبه حول الشبهة حيث كان قد أضاف سهواً فرقة نقض  
وجودها النظام العددي الصحيح - وهو نظام كان ، لولا ذلك ، واضحاً بجلاء . ويتبع أبو  
تمام ببساطة المدخل التالي بمنهج التعداد الأصلي ، وبالشكل الذي لا بد أن أحد مصادره  
قد قام به ، وآل به الأمر على هذا النحو إلى إيراد فرقتين متتاليتين في ذلك الفصل رقم كل  
منها «السابعة» . والظاهر أنه لم يكن مدركاً لهذه الغلطة .

والدليل القاطع الذي يوحي بأن قائمة أبي تمام بالفرق قد أتت من مصدر خارجي هو  
ظهورها في صورة متطابقة إجمالاً مع قائمة قدّمها الخوارزمي في كتابه «مفاتيح  
علوم»<sup>(١٢)</sup> . ويقدم هذا العمل ، الذي كُتب في البلاط الساماني في خراسان قرابة لعم  
٩٨٠/٣٧٠ أو أبكر من ذلك قليلاً ، يقدم تعداداً موجزاً للغاية للفرق الإسلامية ،  
ولا يعطي ، في معظم الحالات ، سوى الاسم ، والأصل الذي نبعت منه الفرقة ، وفي حالات  
قيمة جداً ، جملة حول عقائدها ، أما أبو تمام فإنه يقدم ، من جهة أخرى ، مداخل  
مستفيضة لكل واحدة منها ، على الرغم من أنه يقوم بالشيء ذاته لذات قائمة لفرق مع  
وجود استثناءات نادرة وثانوية من حيث الظاهر<sup>(١٣)</sup> . ويبقى أن قائمتي أبي تمام  
ولخوارزمي تمتلكان درجة من التشابه ملفتة للنظر . لكنهما تتضمنان اختلافات صغيرة  
في التفاصيل كافية لإثبات أنهما قد اشتقتا من مصدر آخر - مصدر ليس بوسعنا أن نرى  
التفرص حوله .

من جهة أخرى ، بينما نجد أن غموض أصل القائمة بحد ذاته أمر صحيح ، إلا أن  
لمواد المتوفرة فعلياً في المداخل الافرازية لأبي تمام - وهي مواد نفتقدها في عبارات

لخورزمي موجزة - يمكن أن نجدها ، في حالات كثيرة ، في أمكنة أخرى ، وغالباً في «مقاتلات لاسماعيليين» لأبي الحسن الأشعري (ت ٢٢٤/٩٣٥)<sup>(١٥)</sup> . وبما أن أبا تمام قد ضمن لأشعرية بين الفرق ، وذكر الأشعري على أنه مؤسسها (الورقة ٦٤) ، بل حتى أنه ستشهد بكتاب الأشعري ، «كتاب اللمع» ، فمن المنطقي توقع أن يشير عامل الرصد هذا إلى أصول كتاباته التي تتناول الهرطقة والغلو . وحتى مع الإقرار بوجود تداخل لا بأس به في المواد في كلا العملين ، إلا أن تفحصاً عن قرب يكشف أن الأشعري لم يكن مصدر أبي تمام . بل إن المداخل الفردية في نص الأشعري التي تضاهي تلك التي لأبي تمام في بعض النواحي ، هي بالأحرى نسخة موازية ، بكل تأكيد تقريباً ، لما وجد في مصدر أقدم معروف . ويتأكد ذلك على أساس من المقارنة مع كتاب آخر عن الفرق معروف هو كتاب «أحور العين» لنشوان الحميري (ت ٥٧٤ / ١١٧٨)<sup>(١٦)</sup> . ومع أن هذا الكتاب هو من الأعمار المتأخرة نسبياً ، إلا أنه اعتمد على مواد أقدم بكثير . وهو يتضمن ، في حالات عديدة ، جملاً ظهرت في كتاب «الشجرة» أيضاً ، ولم تظهر مع ذلك في نص لأشعري حتى عندما يتفق الثلاثة على ذات المدخل في مجالات أخرى . وبما أن الحميري ينص على مصدره ، وهو رسالة عن الفرق لأبي القاسم البلخي (ت ٣١٩ / ٩٣١) ، فقد يجوز لنا الافتراض بأن عمل البلخي يقف وراء كتابات أبي تمام حول الهرطقة والغلو ، كما هو بالتأكيد بالنسبة إلى رسالة الأشعري . وعلى أية حال ، فإن الجزء المنشور من نص البلخي - القسم المتعلق بالمعتزلة<sup>(١٧)</sup> - يفسح المجال لمثال بخصوص مقارنة نصية محددة بين الاثنين .

وإحدى خصائص رواية البلخي عن المعتزلة الجديدة بالذكر هي مقاله حول ما يتفقون عليه عموماً كمجموعة . ونجد صورة مطابقة تقريباً لذات القول في بداية مدحر أبي تمام له . وعلى الرغم من وجود تفاوت طفيف بين صياغة العملين الاثنين ، إلا أنه لا يوجد سوى شك ضئيل بأن فصل أبي تمام عن المعتزلة يستقي من البلخي ، بما في ذلك معظم النقاط التي يعدها أبو تمام ويوردها لكل فرقة من الفرق الفردية المتفرعة نست . نكن من المحتمل أيضاً أن يكون قد وجد وسيط - ليس الأشعري - بل نبهي وبو تمام . وهذه الخطوة ضرورية لتبرير قائمة الفرق في «الشجرة» ، التي لا يمكن أن تكون قد عتمدت على البلخي ، والحكم عليها من خلال الترتيب الوارد في فصل لمعتزلة عموماً . يضاف إلى ذلك أن التقسيم وفقاً للمبادئ الأساسية الثلاثة يبقى بلا تفسير وغير مبرر وربما كان مثل ذلك الوسيط مرجعية اسماعيلية أسبق ، وأحد

مرشحين لذلك سيكون محمد النسفي وكتابه «المحصل» ، الذي يوصي به أبو تمام في كتابه «الشجرة»<sup>(١٨)</sup> . غير أن النسفي ، من جهة أخرى ، لا يبدو من جهة كونه سماعيلاً مصدراً للخوارزمي . ومرشح آخر لذلك ، ممن قد يكون متوفراً لكر من أبي تمام والخوارزمي ، هو الفيلسوف أبو زيد البلخي المعروف بأنه كتب عملاً في علوم سماه «كتاب أقسام العلوم»<sup>(١٩)</sup> . وكان أبو زيد قد عمل مرة عند الأمير الاسماعيني لمروزي في خراسان ، وكان صديقاً مقرباً أيضاً لأبي القاسم البلخي . وفي وقت من لأوقات كان البلخي ومحمد النسفي والأمير المروزي ومعهم أبو تمام على الأرجح ، كانوا جميعاً أعضاء في الحلقة ذاتها ويعيشون في المدينة ذاتها .

ومن الأهمية بمكان أن أياً من المادة المتوفرة عند أبي تمام تأتي من «كتاب الزينة» لأقدم نظيره الاسماعيلي أبي حاتم أو من أعمال شيعية امامية لهذا الغرض ، مثل رسائل الفرق للنوبختي والقمي .

وتبقى الحالات حيث نجد نصوص الحميري والأشعري وحتى نصوص لبخي نفسه تساعد في تحديد المصدر النهائي لأبي تمام في مقال متنوعة ، وتبدو بهذا لشكر سبباً لوجود مثل هذه المادة في «كتاب الشجرة» ، تبقى قاصرة عن إعطاء تفسير شامل لكس ماتضمنه «الشجرة» . ويوجد عدد من الملاحظات الشخصية ، على سبيل المثال ، التي تؤكد أنها تعود بأكملها الى أبي تمام وحده . بينما تُنسب مداخل أخرى ، عديدة نسبياً ، الى فرق لا تظهر في أعمال الأشعري ولا الحميري ، بل إن العديد منها ، في الحقيقة ، لم يتم تناوله في أي من رسائل الفرق (مستثنين من ذلك رسائل الخوارزمي) . وبما أن ميتوفر من عمل البلخي حتى الآن هو ذلك القسم الذي يغطي المعتزلة ، فإن الأحكام التي تتناول بقية محتوياتها الأصلية تعتمد حالياً على دليل وحيد صادر عن الأشعري والحميري . وطبقاً لذلك ، هل عندما لانجد مادة بخصوص فرقة محددة في هذين العاملين ، هل يعني ذلك أن لمدخل الذي يقدمه أبو تمام يعكس ما جاء عند البلخي على أنه مصدره النهائي ؟ أو كانت هناك مصادر أخرى ، الى جانب البلخي ، استخدمها أبو تمام أو أي وسيط آخر ؟

إن الوصف الذي يقدمه أبو تمام لما يبلغ ثماني فرق هو ، لأكثر الغايات ، أمر فريد في أدب الفرق الغالية . يضاف الى ذلك ، أن روايته عن فرق عديدة أخرى تقف متفردة حتى على الرغم من أن الانحوائق الأساسية المحيطة بها كانت معروفة سابقاً في مصادر أخرى . وتوفر مداخل في حالات إضافية أو ، كما في بعض الحالات ، نسخ أخرى عن البلخي متفردة قيلاً إم عن الأشعري أو الحميري . وتشكل هذه المقاطع في ظل غياب عمل البلخي شهداً مهماً

من درجة ثانية أو ثالثة على نصه الأصلي . وعلى العموم ، فإن المادة التي تساهم بها كتبتي بُي تمام حول الهرطقة والغلو في دراسة الفرق الإسلامية هي أكثر استفادة مما يمكن تخصيصه هنا على عجل . وبهذه المناسبة ، ليس في مقدورنا تقديم سوى عدد ضئيل من الاستنتاجات المؤقتة وبعض الأمثلة التي تشير إلى ما يمكننا توقعه من استكشاف كامر للمادة الجديدة في « الشجرة » .

ومن المفيد عند تقديم هذه الأمثلة والاستنتاجات تجميع الملاحظات التالية في تصنيفات متعددة (أ) النسخ الجديدة لنص البلخي ، (ب) حقائق جديدة تضاف إلى مواد أقدم ، (ج) روايات جديدة عن فرق معروفة ، (د) ملاحظات شخصية تؤكد تقارير أخرى . و(هـ) وصف للفرق لم تكن معروفة سابقاً .

#### (أ) نسخ جديدة لنص البلخي

من جميع المداخل الموجودة في « الشجرة » تقريباً ، والتي تظهر بصورة أو بأخرى عند الأشعري و/ أو الحميري أيضاً تتضمن قراءات أو صياغات متباينة . والأثر صحيح أيضاً بالنسبة إلى نص البلخي حيثما وُجد ، كما في مقدمته للمعتزلة . يضاف إلى ذلك ، أنه على الرغم من أنه غالباً ما يمكن العثور على جزء من وصف أبي تمام لفرق معينة عند الأشعري وميوزيه عند الحميري ، إلا أننا لانجد مفردات معينة يتكرر فقدانها في كلا المصدرين وهكذا ، ففي حالة « البدعية » (ورقة ٣٥ - ٣٧) من الخوارج ، على سبيل المثال ، يوفر أبو تمام اسم أصل الفرق ، يحيى بن الأحرم ، وحقيقة أنهم لا يقبلون إلا بثلاثة أوقات للصلاة يومياً ، ويعتقدون بأن الحديث الذي يستوجب خمسة أوقات للصلاة هو حديث مؤلف<sup>(٢٠)</sup> . ويروى أنهم يحرمون أيضاً أكل السمك غير المذبوح<sup>(٢١)</sup> . أما بقية المدخل فيمكن العثور عليه إما عند الأشعري وإما عند الحميري . ومثال آخر ما رواه أبو تمام عن الضحاكية (ورقة ٤٢ - ٤٣) حيث يعطي اسم الأصل مرة أخرى وحقيقة واحدة على الأقل حول هذه المجموعة لانجدها في المصدرين الآخرين . أما الأشعري والحميري فإنهما كليهما ، من جهة أخرى ، يذكر معتقداً أمنت به فرقة متفرعة عن الضحاكية حول حرمان المرأة غير للخارجية من الحقوق ، لم يأت أبو تمام على ذكره . ومثال آخر بعد على هذا الصنف هو كامر روية أبي تمام عن الحديثية (ورقة ٤٣ - ٥١) ، وهي التي تخرج أبعد من لمادة المحدودة الموجودة عند الاثنين الآخرين .

(ب) حقائق جديدة تضاف الى مواد أقدم

في عدد من الحالات ، توفر مداخل أبي تمام توضيحات لمفردات وردت في روايات سابقة كانت إما كاملة وإما غامضة ومعضلة . وأحد الأمثلة البسيطة نسبياً من هذا الصنف ما يتعلق بالفصل عن الزيدية وينقاشه للدُّكينية<sup>(٢٢)</sup> (ورقة ١٠٩ - ١١٠) الذين كانوا ، طبقاً له ، تلاميذ للفصل بن الدُّكين وإبراهيم بن الحكم . وينقل أبو تمام عن هذه المجموعة بكل صراحة أنهم اعتنقوا عموماً عقيدة المعتزلة . وكان أبو نُعيم الفضل بن الدُّكين محدثاً مشهوراً الى حد معقول في الكوفة ، وأن ميوله الزيدية كانت ، في الوقت الذي لم تكن فيه معروفة في كل مكان ، ظاهرة مع ذلك بوضوح . كما كان مفهوماً أنه كان مؤسساً لمدرسة خاصة به<sup>(٢٣)</sup> . أمّا الشخص الثاني ، إبراهيم بن الحكم ، فلا بدّ أنه كان ، من جهة أخرى ، ذات الحكم المعتزلي ، الذي نصّ عليه الآخرون بطريقة غامضة ضمن هذا السياق<sup>(٢٤)</sup> . وتأتي حقيقة أخرى مشيرة للاستغراب من مدخل أبي تمام حول النواوسية (ورقة ١٤٠ - ١٤١) ، وهي فرقة تندرج ضمن مذهب الامامية . ويقول أبو تمام إن هؤلاء اعتقدوا بأن جعفر الصادق لم يمت بل لا يزال بالأحرى على قيد الحياة وأنه مسجون في إحدى الجزر في « البحر الغربي » - والزعم الأخير لا يظهر في أي مكان آخر .

(ج) روايات جديدة عن فرق معروفة

وهناك تقدّم الكرامية مثلاً جيداً . وكان خليف بهم مناقشتهم كفرقة في أدب الفرق المتأخر مثل « الفرق بين الفرق » للبيهقي من القرن الخامس / الحادي عشر . وقد وضعهم الأشعري ضمن المرجئة وأعطانا وصفاً موجزاً لهم لا يفي بالفرض الى حد ما<sup>(٢٥)</sup> . وعلى الرغم من أن تقريره هو من أقدم التقارير المتوفرة ، إلا أنه لا يكاد يكون كافياً . أمّا أبو تمام ، فإنه يقدم بالمقابلة ، مدخلاً مستفيضاً عن الكرامية بشكل مقبول (ورقة ٦٤ - ٦٦) ، ويضمهم فيه ضمن المشتبه (جريباً على النظام العددي لروايته عن الأشعرية) . ومع أن الكثير من التفاصيل في هذه المادة ينسجم مع حقائق معروفة لولا ذلك حول هذه الفرقة ، إلا أن التقديم الإجمالي لا يرتبط مباشرة بما قدمه عن الأشعري ، ولذلك قد لا يكون مرتبطاً بالبلخي . ومعلومة رائمة أضافها أبو تمام ، على سبيل المثال ،



هي أن الكرمية « يعتقدون بأن اناس سوف يجتمعون (يوم الحشر) في القدس ، وأن زعيمهم محمد بن كرم قد أعاد توطين أكثر من خمسة آلاف أسرة في القدس بعد أن جلبهم من حراسن ولواحيا . وحيث أنه رأى أن البشر سوف يجتمعون فيها ، وأنه كان قد انتقل اليها في هذا الوقت ، فإن (الحشر) سوف يسهل عليهم يوم القيامة لأنه سيكون قد سبق لهم الاقتراب منها » .

ثم كون ابن كرم قد انتقل الى القدس أواخر أيامه ، وأن أتباعه قد تواجدوا هناك بأعداد كبيرة ، فهذا أمر معروف<sup>(٦٦)</sup> . غير أن أبا تمام يشرح الآن لماذا حدث ذلك وينص في فصل آخر من « الشجرة » كلاً من الكلائية (ورقة ٦٢ - ٦٣) والأشعرية (ورقة ٦٣ - ٦٤) ، وكان الغانية كانت على علاقة وثيقة بالأولى . وهذه الرابطة بارزة في مناقشة ابن سنييه وإقاضي عبد الجبار لكلا الفريقين . أي من روايات ظهرت إبان القرن الرابع/ العاشر . لكنها ليست ملحوظة الى هذه الدرجة في الصورة التي قدمها الأشاعرة المتأخرون عن أصولهم . وفي ما يتعلق بالكلائية ، الذين ربما نجد فقرة حولهم عند البلخي ، فقد قدم أبو تمام معلومة جديدة بخصوصهم وهي أن محمد بن كلاب كان مسيحياً قبل أن يصبح مسمياً . ثم المدخل الذي يتناول الأشعري ، فإنه مثير للاهتمام بحدة ذاته لأنه يفترض سبباً اعترفاً بوجوده هو وأتباعه كفرقة في وقت مبكر إلى حد ما ، مع الفرض بأن أبا تمام كان ينتمي إلى الربع الثاني من القرن الرابع/ العاشر فعلاً ، وهو الأرجح على ما يظهر . فظهر الإشارة إلى الأشعرية تلك تعني أن البلخي ، على سبيل المثال ، ربما ضمن روايته ذلك المحدث أيضاً ؟ غير أن وقوع وفاة البلخي سنة ٩٣١/٣١٩ ، أي قبل وفاة الأشعري ، تقترح العكس بكن تأكيد . وهكذا ، فإن مادة الكلائية/ الأشعرية ربما كانت تنتمي إلى فترة متأخرة قليلاً .

ومثال آخر من هذا النوع هو مدخل أبي تمام حول فرقة يطلق عليها اسم الغمامية (ورقة ١٣١ وما بعدها) ، وهي إحدى الفرق الغالية من مذهب الشيعة . وكان الخوارجي عبي علم بأن تلك لم تكن فرقة مألوفة ، ولذلك فقد ضمن سطوراً وصفها فيه بدلاً أن أتبعها . عتقدوا أن الله تعالى ينزل إلى الأرض على ظهر غمامة . ويذهب أبو تمام أبعد من ذلك ، على كل حال ، ويعلق بأن الغمامية تبني زعمها هذا على الآية ٢٧/٢ من القرآن التي تقول بأن الله سوف يأتي اليهم « في ظلال من الغمام » ، ثم يقتبس ، إضافة إلى ذلك ، عدة أبيات شعرية للشاعر الكيساني السيد الحميري في ذمتهم . ومع أن المادة المرجوة من رواية أبي تمام تنتمي ، طبقاً له ، إلى فرقة تدعى الغمامية . إلا أن

هذه الإشارة هي بالتأكيد الى ذات المجموعة التي يصنفها الأشعري تحت بند السبائية ، ويسمّيها كاتب الفرق الحميري «السحابية» ، حيث أن كلمة «سحاب» هنا هي مرادف «غمام»<sup>(٢٧)</sup> .

#### (د) ملاحظات شخصية تؤكد تقارير أخرى

المبيضة ، أو «لابسو البياض» ، هم فرقة ظهرت في أعقاب الثورة العباسية لكنها استمرت بتفاصيل عقيدتهم ونشاطاتهم ، فإن مدخل أبي تمام في «الشجرة» (ورقة ٨٨ - ٩٢) هو نسخة مطابقة عموماً لمعلومات معروفة سابقاً . غير أننا لانجد أية تقارير أخرى تتناول الموضوع بشكل مباشر وموجز كما فعلت تقاريره ، ولا أخرى - وهذا هام بشكل خاص في هذه الحالة - كانت شخصية على هذا النحو .

وكان المبيضة في بداية أمرهم ، حسب قوله ، أتباعاً للمقنع الذي كان اسمه هشام بن حكيم المروزي ، وهم قسم من المشبهة لأنهم اعتقدوا أن الله مادي محسوس . وكل رسول من الرسل كان الهياً بالنسبة إليهم ، فإذا ما أراد الله التحدث الى كائنات مادية ، دخل في صورة أحدهم وجعله رسولاً - نبياً قادراً على الأمر والنهي . ويستشهدون على هذا المعتقد بالآيات (٥٣/١٢-٢) من القرآن . والناس الذين اختارهم الله على هذا النحو هم : آدم وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وأبو مسلم ، وأخيراً ، المقنع . وكان الله يعود الى عرشه في الفترات التي كانت تفصل بين ظهوره في صور أولئك الأشخاص ، وهم - أي المبيضة - الآن ينتظرون عودة ظهوره مرة إضافية .

وطبقاً لأبي تمام ، فإن المبيضة يسوغون لأنفسهم الوصول الى نساء بعضهم بعضاً ، إضافة الى تحليلهم للميتة والدم ولحم الخنزير والخمر والأشياء المحرمة الأخرى ، إذ أن هذه المواد هي ، في الكتب المقدسة ، دلالات على أسماء أشخاص رفض الله زعامتهم وقيادتهم وحسب . وعند هذه النقطة ، أقحم أبو تمام وجوده الخاص فقال :

«لقد رأيت عدداً كبيراً منهم وجادلتهم . ولم تكن لدى أحد منهم أدنى معرفة بمكونات عقيدتهم . ونحن لانعرف المقنع ولا زمانه ، وما نعرفه حالياً هو خدعهم»<sup>(٢٨)</sup> .  
ويضيف أنهم فرقة منعزلة قائمة بذاتها لا يختلطون بالآخرين على الرغم من أنهم يعيشون منبثين بين المسلمين هنا وهناك .

(هـ) فرق جديدة

تصف المداخل التالية في «الشجرة» فرقاً لا تتوفر عنها معلومات أخرى على ما يبدو (أو لا تتوفر على الإطلاق تقريباً)<sup>(٢٩)</sup>.

١ - الصباحية (ورقة ٦٠ - ٦٢)

وهم من القادرية وتنبع عن رجل يقرب اسمه من أبي صباح بن مَعْمَر (أو مَعْمَر). ويزعمون أن الشخص الأكثر براعة بعد النبي كان عمر بن الخطاب. ومن بين معتقداتهم الأخرى رفضهم قبول حيوانات مذبوحة على أيدي أهل الكتاب أو الدخول في زواج مع نساء بيوتهم. ويصرون على أن هذه التحريمات قد ابتدأت مع تغيير القبلة<sup>(٣٠)</sup>.

٢ - البتانية (ورقة ٧٣ - ٧٥)

ووردت على أنها المدخل السابع بين المشبهة، حيث كان أبو تمام قد سَمَّى فرقة في البداية قد تكون البتانية أو التبانة. ويعتقد هؤلاء أن آدم كان قد خُلِقَ في صورة الرحمن (الله).

٣ - أصحاب الفضاء (ورقة ٧٥ - ٧٦)

ثم يصف عقب ذلك فرقة أخرى أخذت أيضاً الرقم سبعة من بين المشبهة، وهي تسمى «أصحاب الفضاء». أما الخوارزمي الذي لم يأت على ذكر الفرقة السابقة، فإنه يسمي الأخيرة «بالقضائية». ومعلومات أبي تمام أغزر. وتتألف هذه المجموعة من قسمين، الأول ينبع عن شخص يدعى عبد الله بن أبي عبد الله التيمي، والثاني عن منصور بن بشر الأموي، وكلاهما يقول إن الله هو «الفضاء».

٤ - المنهالية (ورقة ٨٦ - ٨٨)

وتنبع المنهالية عن المنهال بن الميمون المعجلي، وهم إحدى فرق المشبهة الذين يعتقدون بأن الله جسم بطول وعرض وسعة وأنه قادر على تغيير جوهره إلى صور مادية مختلفة.

#### ٥ - الاجتهادية (ورقة ١٠٤ - ١٠٥)

و لاجتهادية اسم ينتمي الى مجموعتين مختلفتين : أتباع جعفر بن محمد التميمي ومحمد بن رماد الحليبي (؟) والمكوع (؟) على التوالي . وهم قسم من المرجئة ويعتقدون بشكك أساسي أن كل مسلم يمارس الاجتهاد ، أي كل مجتهد ، هو صحيح الإيمان وسيمه بنظر من ينظر عن التفاصيل الأخرى ، وأن جميع هؤلاء سيدخلون الجنة دون حساب ، بل من بعضهم يجادل بأن كل من يصرف في زعمه على أيسية (وجود) الله سوف ينال الجنة حتى لو لم يعترف بالرسول .

#### ٦ - الخشبية (ورقة ١١٠ - ١١١)

وهو في الأصل ، طبقاً « للشجرة » ، أولئك الذين ناصرُوا المختار الذي استعملُ نسخة خشبية إلا أنهم عُرفوا في خراسان فيما بعد باسم زعيمهم صُرخاب الطبري . والغريب أنه على الرغم من أن ارتباطهم بالمختار قد يضعهم بين الكيسانية ، إلا أن أياً تمام يصنفهم كفرقة متفرعة من الزيدية ، ويتابع ليشرح أن علماً لم يكن بالنسبة إليهم إماماً وإنما مجرد وصي على الامامة استودعه النبي إياها حتى يتمكن من إيصالها الى الحسن . وستبقى الامامة فيما بعد ذلك بين المتحذرين من الحسن والحسين ، أي مع الفاطميين . ويمكن للامامة أن تكون في أي واحد منهم ينهض بثورة سواء أكان ذلك الشخص عارفاً أم جاهلاً ، عادلاً أم ظالماً ، وإذا ما حدث وادعاهما اثنان في وقت واحد ، فليس لأحد أن يتخذ موقفاً في الصراع الذي ينشب بينهما .

#### ٧ - الحُبَيْة (ورقة ٧٦ - ٧٨)

لعل أكثر الفرق التي كُشف النقاب عنها حديثاً إثارة للاستغراب هي هذه الحُبَيْة ، التي هي فرع آخر من المشبهة . ولم يكن لأبي تمام سوى تعاطف قليل معهم . حيث أنه دعهه بمتحذرين للمباهاة والفرور . وقد أطلق عليهم اسم « الحُبَيْة » لإعلانهم بأنهم يحبون الله ولا يعبدونه خوفاً من عقابه أو طمعاً في ثوابه . فأنه ، بالنسبة إليهم ، هو جسم في صورة فتى جميل . ثم يروي أبو تمام التقرير التالي حول أنشطتهم السرية والذي يقول عنه أنه نقله عن أبي الحسن الناشي . وذكر الأخير أن شخصاً يقرب اسمه من عبد الله بن محمد بن اسحق بن موسى بن جعفر كان قد أخبره بالاحتفال التالي نقلاً عن يحيى بن معاذ لرزي

لذي كان هو نفسه من المشهورين من أولئك الجماعة . وقال الرازي أنه كان في عرق حيث حضر احتفالاً جرى فيه جلوس فتى جميل الطلعة عليه أفخر الشيايب على منصة رفعت عن الأرض ، وعلّق فوق رأسه صنارتان تدلّت منهما ستارة تفصل بينه وبين الجمهور ، ووقف إلى جانبه حرس يقوم برفع الستارة وانزائها بأمر . ثم قام الناس الحاضرون في المنزل حيث كن يقدم لاحتفال ، بترديد الأغاني المعبرة عن الرغبة والتراثيم الحزينة ، وذكروا الحور لعين ولجنة وما أعد الله فيها للمتقين . وتواصلت تلك التوسلات ، بحماسة متصاعدة ، في طيب منح لأذن لزيارة ذلك الفتى والتمتع بقائه . وعندما تضرعنا وتوسلنا ، يقول الرازي ، وظهر لفتى وهو يجلس على ذلك العرش وقمنا أرضاً على وجوهنا . واستمر ذلك على هذه الصورة حتى انبلج الفجر وعندها غادرنا وتفرقنا .

#### ٨ - الخلفية (ورقية ١١١ - ١١٤)

والخلفية هم فرقة متفرعة عن الزيدية ، تبعت عن شخص يقرب اسمه من خلف بن عبد بصمد . وهم يزعمون أن الامام بعد زيد كان عبد الصمد ذاك ، ابن زيداً ويقر أبو تمام بدون تردد أن النسابين يوافقون على أن ذلك الشخص كان مولى وليس ولداً لزيد ، وأن أولئك الذين يزعمون ذلك يكذبون . وعلى كل حال ، فإن الامامية بالنسبة إلى الخلفية قد انتقلت من عبد الصمد إلى ولده خلف ، ثم إلى ولد الأخير محمد ، وبعد ذلك إلى أحمد ، ابن محمد هذا . وفرّ خلف من وجه الأمويين إلى بلاد الترك . وطبقاً لهم ، فإن ولداً من نسر أحمد بن محمد بن خلف يقيم هناك حتى الآن وأنه سيظهر على أنه المهدي . وهم على كل حال لا يعرفون أسماء الأئمة بعد أحمد ، ولكن بما أن علم الإمام يأتي إليه بلاهم ، وليس بلاكتساب ، وأن الامام يفهم اللغات كلها ، فإنه سيكون قادراً (هو وحده) على شرح كتاب الذي تركه خلف والذي صنّفه بأحرف من الأبجدية لا يعرفها أحد غيره .

ويشترك الخلفيون بعقيدة للتوحيد تنكر على أي واحد قدرته على وصف الله أو تحديد صفاته المميزة بأي شكل من الأشكال . وعلى سبيل المثال ، ليس لأحد القول بأنه علم ولا لا علم ، أو هو قادر ولا قادر ، وهو شيء ولا لا شيء . ومثل هذا التعليم يتطابق تقريباً مع تعميم الاسماعيليين ، كما علمه الداعي أبو يعقوب السجستاني على وجه الخصوص ، وهو الذي يفترض أنه كان معاصراً لأبي تمام .

وتمكس مجموعة أخرى من العقائد الأكثر تعقيداً التي آمن بها الخلفيون صورة من لتزم لمخمسة وإخلاصهم للخمسة ، خمسة ملائكة ، على سبيل المثال ، ميخائيل<sup>(٢١)</sup> ،

جبرائيل ، عزرائيل ، ميكايل ، واسرافيل ، ومخلوقات خمسة مختارة على الأرض ، وهم تحديدًا محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، كما يستشهدون بأمانة أخرى من الخمسات كغيرة : خمسة أصابع ، خمسة أركان للإسلام ، خمس حواس ، خمسة أوقات للصلاة ، خمسة كتب منزلة ، خمسة أضياء تؤدي إلى الخلاص والنجاة ، وخمسة أشهر خاصة في السنة .

ومع هذا الوصف لهذه الفرقة الغريبة ، يختم أبو تمام روايته عن الزيدية بإضافة بضع ملاحظات عامة حول الصفات المميزة العامة لهذا المذهب ككل . وقد ذكر في هذا المجال أن الزيديين قد أنتجوا عددًا كبيراً من الكتب في الفقه وأحكامه ، ومنها « كتاب المسترشد » الذي كتبه الناصر العلوي<sup>(٢٢)</sup> ، طبقاً لما يرويه أبو تمام . ويجوز أن يكون مؤلف « الشجرة » هو نفسه على أنه شخصية في مؤلفات الزيديين كالكتاب الذي يستشهد به هنا .

#### ٩ - الاسحاقية (ورقة ١١٧ - ١١٨)

وهذه المجموعة هي قسم من الزيدية التي تشتق من شخص ما باسم اسحق (بن عمرو)<sup>(٢٣)</sup> . وهم يسيرون بالامامة من علي بن أبي طالب إلى محمد بن الحنفية ، ثم إلى أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، ثم إلى ابن شقيقه الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية ، ثم إلى علي بن الحسين (الحسن)<sup>(٢٤)</sup> الذي مات دون قضية . عندئذ انقسمت الاسحاقية إلى جماعتين ، أحدهما عادت إلى توقع عودة ظهور محمد بن الحنفية نفسه ، والثانية اعتقدت بأن الامامة ستكون محصورة في نسل محمد هذا . وآمنت الفئة الثانية بأن الامامة عادت إلى نسل محمد بن الحنفية عقب وفاة علي بن الحسين ، وأنها كانت متوضعة في ذلك الوقت في شخص منهم نجا من الأمويين والعباسيين بالفرار إلى بلاد الترك . ويقولون أنهم يعرفون اسمه ومكان إقامته وأن المهدي سيظهر من هناك ، أي من جهة الترك ، وأنه سيفسر القرآن بالتركية مجيباً على جميع الاستفسارات بالتركية ومعه وسيط يعمل ترجماناً<sup>(٢٥)</sup> . وفي ما عدا ذلك ، فإن هذه المجموعة ، يقول أبو تمام ، تتقبل عقائد ثلاث تلك التي دعا إليها المعتزلة ونشروها<sup>(٢٦)</sup> .

## الحواشي

- ١ - هذا القسم من كتاب «الزينة» حققه ونشره ع. السامرائي في كتابه ، الفلو والفرق الغالية في الحضرة الإسلامية (بغداد ، ١٩٧٢) ، ص ٢٢٨ - ٣١٢ .
- ٢ - مجموعة مخطوطات فيضي ، مكتبة جامعة بومباي .
- ٣ - الأرجوة التي يذكرها كل من ايقانوف (الأدب الاسماعيلي ، طهران ، ١٩٦٣ ، ص ٦٨) واسماعيل بونولا (يسوع في الأدب الاسماعيلي ، كاليفورنيا ، ١٩٧٧ ، ص ١٢٢) على أنها لأبي تمام هي على الأرجح لمؤلف ضمني .
- ٤ - حول الدليل على هذه الاستنتاجات انظر مقالتي عن أبي تمام في مجلة JAOS ، ١١٤ (١٩٩٤) ، ص ٣٤٢ ، ٣٥٢ .
- ٥ - كتب الايضاح ، تح . عارف تامر (بيروت ، ١٩٦٥) .
- ٦ - شجرة اليقين ، تح . عارف تامر (بيروت ، ١٩٨٢) .
- ٧ - تقع هذه المخطوطة في ٢٣٦ ورقة ، كل صفحة ١٠ أسطر ، ونسخت في شوال ١٣١٠ / أيار ١٨٩٣ .
- ٨ - الشجرة ، ورقة ١٢ .
- ٩ - وهي متطابقة على سبيل المثال مع ما قدمه أبو يعقوب السجستاني .
- ١٠ - الشجرة ، ورقة ٢٢ .
- ١١ - الشجرة ، ورقة ٢٢ - ٢٣ .
- ١٢ - استخدام أبي تمام لهذين المصطلحين هو استخدام نموذجي . والمذهب أشمل من الفرقة ، وهو ينقسم الى فرق .
- ١٣ - أبو عبد الله الخوارزمي ، مفاتيح العلوم (القاهرة ، ١٩٢٣) . وحول هذا العمل انظر ما كتبه بوروورث في مجلة H. ١٠ (1977) 29 Jettu d'Etudes Orientales ، ص ٨٨ - ٩١ .
- ١٤ - لم يقدم الخوارزمي هذا الزعم ، لكنه ذكر ٧٢ فرقة بالضبط إضافة الى فرقة الاسماعيلية المميزة ووضعها في آخر مقدمة ضمن الفرق الغالية .
- ١٥ - الأشمري ، كتاب مقالات الاسماعيليين ، تح . ريتش (وايزيان ، ١٩٦٣) .
- ١٦ - نشتوان الحميري ، الحوز العين (القاهرة ، ١٩٤٨) .
- ١٧ - أبو القاسم البلخي ، ذكر المختلة ، من «كتب المقالات» ، وهو من فضائل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، تح . ف . سيد (تونس ، ١٩٧٤) ، ص ١٦ - ١١٩ .
- ١٨ - الشجرة ، ورقة ١٧٥ .
- ١٩ - ويلفريد مادلونج هو من اقترح لي هذه الامكانية .
- ٢٠ - سبقاً لأبي تمام فإن البديعية قالوا بثلاث سلوات مفروضة ، الفجر والمغرب والعتمة ، وأكدوا أن البرهان على ذلك ما جاء في الآية ١١ / ١٤ من القرآن الكريم .
- ٢١ - أثبت صحة هذه الحقيقة الناسي ، لكن بتقديم مختلف . انظر Van Ess حول المعتزلة (بالألمانية) بيروت ، ١٩٧١ .

ص ٧٠ .

- ٢٢ - تجدر الإشارة إلى أن قراءة مخطوطة الهمداني بحاجة إلى تصويب وتصحيح من مصادر أخرى .
- ٢٣ - انظر كتاب مادلونغ بالألمانية عن الإمام القاسم بن إبراهيم (برلين ، ١٩٦٥) ، ص ٧٢ .
- ٢٤ - المصدر السابق .
- ٢٥ - الأضرعي ، مقالات ، ص ١٤١ .
- ٢٦ - حول الكرامية انظر المقالة في الموسوعة الإسلامية - ٧١٠ .
- ٢٧ - الحميري ، الحوار ، ص ١٥٤ ، الأضرعي ، مقالات ، ص ١٦٠ .
- ٢٨ - وردت في المخطوطة «حداقهم» ، وأعتقد أنها «خدهم» .
- ٢٩ - ما علمه حول ذلك هو في معظمه من الفوارزمي وليس من مصدر متأخر .
- ٣٠ - حول الصحابة انظر ما كتبه فإن إس حول علوم الدين في القرنين الثاني والثالث الهجريين (برلين ، ١٩٩١) ، م ٢ ، ص ٥٦٢-٥٦٣ ، م ٥ ، ص ٢٢٦-٢٢٧ .
- ٣١ - وهذا هو كبير الملائكة (الكروبيون) .
- ٣٢ - كتاب المستتر من الكتب المعروفة للهادي إلى الحق . انظر ، مادلونغ ، الإمام القاسم ، ص ١٦٦ .
- ٣٣ - مخطوطة الهمداني لم تذكر سوى (اسحق) واللاحقة التالية نقلتها عن الفوارزمي .
- ٣٤ - ما نقرأ في مخطوطة الهمداني هنا بحاجة إلى تصويب .
- ٢٥ - ابن النديم ، كتاب الفهرست ، تح . تجدد (طهران ، ١٩٧١) ، ص ٤٠٨ ، يذكر اسحق التركي في حديثه عن العملية .
- ٣٦ - منذ كتابة هذه المقالة اكتشفت وجود رابطة هامة بين أبي تمام وزرقان ، أحد كتاب الفرق من المعتزلة السابقين للباغي ، والذي لا تعرف عنه سوى القليل . ولذلك ربما يكون أبو تمام قد نقل عن هذا المصدر أيضاً .



القسم الثاني

الطور النزاري



## حسن الصباح وأصول الحركة الاسماعيلية النزارية

فرهاد دهنري\*

تهتم هذه الدراسة بالتاريخ المبكر للحركة الاسماعيلية وخفيتها وهي التي ظهرت في فارس، بن العقد الأخير من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وأصبحت تعرف عقب ذلك بالحركة الاسماعيلية النزارية من جهة ، وبالدور الخطير الذي لعبه حسن الصباح في تنظيم المرحلة الانتحارية لتلك الحركة وقيادتها من مقر قيادته في قلعة الموت من جهة أخرى .

وبس هناك من اتفاق بين المتبحرين العصريين بخصوص جوهر طبيعة الاسماعيلية النزارية المبكرة . ففي حين رأى العديد من الاسلاميين والمتبحرين الاسماعيليين فيها مجرد حركة اسماعيلية انشاقية انفصلت عن جسم الخلافة الفاطمية وعن مقر قيادة الدعوة لاسماعيلية في القاهرة بسبب مسألة وراثية الامامة الاسماعيلية ، إلا أن آخرين (ولاسيم بعض لمتبحرين الايرانيين) مالوا الى النظر اليها على أنها حركة ثورية ايرانية صرفة ذات صموات مثالية « قومية » . ويبدو أن الحقيقة كانت ، كما هي الحال في أغلب الأوقات ، أكثر تعقيداً بكثير ، وبما أنه لم تكتب النجاة للمصادر النزارية من زمن حسن الصباح ، فإنه من المستحيل معرفة كيف كان فهم الاسماعيليين النزاريين الأوائل أنفسهم لحركتهم منذ حوالي تسعة قرون مضت .

وكما هو معلوم ، فقد كان في قلب العالم الايراني ، في المنطقة المعروفة باسم سيمة

\* جون فرهاد دهنري النظر (١) المقدمة .

في شمال ايران في العصر الوسيط ، أن ظهرت الاسماعيلية النزارية لأول مرة على المسرح التاريخي على أنها حركة ثورية معارضة للأتراك السلاجقة ولمظالمهم . ولنا تذكّر أن حركة الاسماعيليين الفرس هذه كانت قد انطلقت في الواقع حتى قبل الانشقاق النزاری - المستعلي لعام ١٠٩٤/١٨٧ ، وأنه قد تمّ تبني الفارسية ، منذ وقت مبكر وفيما بعد ذلك ، على أنها اللغة الدينية للاسماعيليين (النزاريين) الفرس . ويمكن تتبّع جوانب هامة من معارضة الاسماعيليين الفرس للسلاجقة حقاً في ما مضى من الموروث الانشقاقي في الأراضي الايرانية . وهكذا ، ومن أجل الوصول الى فهم أفضل وصحيح لأصول الحركة الاسماعيلية النزارية لابدّ من مراجعة لتقاليد وحركات معارضة سياسية - دينية محددة في الأراضي الايرانية ، بما في ذلك جوانب من الاسماعيلية الايرانية . إنه مقابل مثل هذه الخلفية وحسب يمكن لنا التعرف بشكل صحيح على العوامل المتنوعة التي ساهمت في تكوين الحركة الاسماعيلية النزارية وتقييمها ضمن سياقها التاريخي .

تيارات فكرية دينية - سياسية مختلفة وحركات طائفية متنوعة ظلّت مستمرة في الأراضي الايرانية طوال الأزمنة العباسية والمتأخرة . وكانت كلها معارضة للخلافة القائمة . بينما أظهر العديد منها مشاعر معادية للعرب أو الأتراك أو حتى للإسلام تجذّرت في الموروثات الايرانية المتنوعة .

وبحلول الأزمنة المبكرة من العصر العباسي بشكل خاص ، كان عدد من المجموعات الطائفية ، أطلق عليها تعميماً اسم الخرمية أو الخرمدينية ، قد أصبحت نشطة في أجزاء مختلفة من فارس<sup>(١)</sup> . وقد جمعت هذه المجموعات في عقائدها ما بين التعاليم الاسلامية المشاعر والتراث الديني الايراني ، ممّا أكسب الحركة الخرمية طبيعتها الاسلامية - الايرانية المميزة . ويغصّ النظر عن مزاعم المصادر السنية المعادية للاسماعيلية ، فليس لنا النظر الى الاسماعيلية الايرانية (ولاسيما في المجال العقائدي) على أنها استمرار للخرمية ، حتّى على الرغم من أنّ الحركتين قد اشتركتا في عدائهما العام تجاه العباسيين .

ووجد الى جانب الخرمية ، عدد من السلالات الايرانية الحاكمة التي ساهمت بقدر كبير في إحياء المشاعر « القومية » الايرانية (إذا ما جاز لنا تطبيق هذا المصطلح الحديث ضمن سياق عريض للعصر الوسيط) . وكان الصفاريون أول من ظهر من مثل تلك السلالات الرئيسية في العالم الايراني . وصاروا من حيث النتيجة رواداً لنهضة من ثقافة ايرانية - اسلامية بوجه خاص اعتمدت على مشاعر « قومية » للايرانيين المتأسلمين ممّن دأبوا على

لبقاء مدركين لشخصيتهم الايرانية وتراثهم الثقافي إبان قرون السيطرة العربية<sup>(٢)</sup> . وتوصف ، حيث الثقافة الايرانية في ظل السامانيين الذين رعوا العديد من الشعراء الفرس ومرو بترجمة الأعمال الدينية من العربية الى الفارسية . واستمرت هذه العملية في ظل لبويهيين الذين نجذبوا من الديلم في منطقة قزوین وأسسوا السلالة الأقوى من بين تلك اسلالات لايرانية لحاكمة . وازدهروا إبان ما يطلق عليه فلاديمير مينورسكي (V. Minorsky) فترة لديمية معترضة في التاريخ الايراني ، والتي تغطي الفترة ما بين السيطرة العربية لأقدم والسيطرة التركية اللاحقة<sup>(٣)</sup> .

وكان في ظل مثل تلك الظروف أن راحت المناطق الايرانية تمتد يد المساعدة والتأييد لحركات اسلامية محددة أخرى معارضة للخلافة القائمة ، ولا سيما حركتي الخوارج ولشيعية . غير أن الشيعية كانت الأكثر من بين مختلف الحركات السياسية - نسبية لمعارضة في الاسلام والتي تركت أثراً دائماً في العالم الايراني . وبحلول العقود الختامية من اقرن ثالث/ التاسع ، كانت جميع فروع الشيعية ، بما فيها الامامية والزيدية و لاسماعيلية ، قد اكتسبت لنفسها جماعات من الأتباع في العالم الايراني . وحققت الشيعية الامامية أعظم نجاح لها في فارس في ظل الصفويين وحسب ، وهم الذين تبناها ديناً للدولة في مملكتهم ، في حين بقي أثر الزيدية ، وهي التي كانت ، بالمقارنة مع الامامية المستكنة ، قد تطورت الى حركة ثورية ، مهمشاً الى حد ما في العالم الايراني . بينما كان للاسماعيلية أثر أعظم وأكثر انتشاراً في فارس مما كان للحركة الزيدية . وبحلول نهاية لقرن الثالث/ التاسع ، كانت الدعوة الاسماعيلية قد تثبتت أقدامها في العديد من أجزاء فارس<sup>(٤)</sup> .

ومنذ وقت مبكر وفيما بعد ذلك ، اكتسبت الجماعات الايرانية داخل لاسماعيلية ذاتها خصائص جعلتهم متميزين عن الاسماعيليين في الأراضي العربية . فبسبب نأي بمدطق لايرانية عن مقر قيادة الدعوة المركزي ، وضعف أنظمة الاتصال في ذلك وقت . تمتع كبار الدعاة المحليين في العالم الايراني بدرجة كبيرة من الاستقلال والمبادرة لمحبة منذ وقت مبكر وفيما بعد ذلك ، الأمر الذي أعطى الاسماعيلية الايرانية إحدى خصائصها لأكثر تمييزاً . وبدوره ، سمح هذا الأمر للدعاة الايرانيين بتعديل سياساتهم وفقاً لمصطلبه الظروف المحلية .

وسمحت روح المبادرة المحلية ذاتها والاستقلالية للعديد من الدعاة في لأراضي لايرانية بالانشقاق عن مقر قيادة الدعوة الاسماعيلية المركزي في أعقاب انشقاق عام

٢٨٩/ ٨٩٩ ، الذي قسم الحركة الاسماعيلية المبكرة الى الاسماعيلية الفاطمية لمولية والمجموعات المخالفة المتحزبة (القرامطة)<sup>(٥)</sup> .

من أنشطة الدعوة باسم الأئمة الاسماعيليين الفاطميين لم تتوقف إثر قيام لدولة فاطمية في شمال افريقية . ويفترض أن ذلك كان لأن الفاطميين لم يتخلوا البتة عن أمهم في مد نفوذ حكمهم على مجمل العالم الاسلامي . ووصلت نشاطات الدعوة الفاصمية في لأراضي الايرانية ذروتها في زمن المستنصر (٤٢٧ - ٤٨٧ / ١٠٣٦ - ١٠٩٤) ، لخيفة الفاطمي الثامن والامام الاسماعيلي الثامن عشر . وبحلول العقود المبكرة من فترة حكمه ، كانت انجماعات الاسماعيلية الشرقية إما قد تفككت وأما حولت ولاءه لى دعوة فاطمية . وكان إبان فترة حكم المستنصر الطويلة أيضاً أن شرعت الدولة الفاصمية في تدهورها السياسي السريع .

وكانت تغييرات هامة قد أخذت مكانها ، في غضون ذلك ، في طبوغرافيا العزم الايراني ، فالصراعات الداخلية للبويعهييين المتأخرين في غربي فارس والعرق ، ونهبر ساسانيين والسلالات الايرانية المحلية الأخرى في خراسان وماوراء النهر وخوززم بحور العقود المبكرة للقرن الخامس/ الحادي عشر ، كانت قد سمحت عموماً بظهور عدد من السلالات التركية في الأراضي الايرانية . وقد بدأ هذا المنحى باتجاه السيطرة لتركية على المنطقة مع تأسيس سلانتي الغزنويين والقره خانيين الحاكمين ، وسرعان ما اكتسب أهمية برزة في ظل السلاجقة الذين كانوا قد ظهروا كزعماء للغز الأتراك في مرتفعات سبة الوسطى . وعندما أعلن القائد السلجوقي طغرل نفسه سلطاناً في نيسابور سنة ١٠٣٨/٤٢٩ ، كان عسراً غريباً آخر ، تركياً في تلك الفترة بدلاً من العربي ، قد بدأ في التاريخ الاسلامي للعالم الايراني .

وكان إقامة حكم تركي على الأراضي الايرانية قد وضع حداً للاستيقاظ السريع لثقافة لفارسية والمشاعر «القومية» الايرانية . وجدير بالذكر أن العملية كانت قد أصبحت لا رجعة فيها بحلول القرن الخامس/ الحادي عشر ، على كل حال ، وذلك عندما كنتم تحول لاييرانيين الى الاسلام في نهاية الأمر . وفي تلك الفترة صنف الداعي الاسماعيلي وعزم اندين ناصر خسرو (ت بعد ١٠٧٢/٤٦٥) جميع أعماله باللغة الفارسية . وكذلك ، فقد كتب نظام حلك كتاب «سياسة نامه» للسلطان ملك شاه باللغة الفارسية أيضاً . بل ، من سلاجقة أنفسهم سرعان ماتعلموا بالفعل تذوق فوائد وميزات النظام الايراني في الإدارة امركزية وصنعة الحكم . وكاننا ما يكون الأمر ، فقد كان السلاجقة الأتراك عنصراً غريباً . وكان

حكمهم ممقوتاً بشدة من قبل الايرانيين . وتعاطف الشعور المناوي، للأتراك عند عامة لجمهور لايراني أكثر بسبب التخريب والفوضى التي أصابت البلدان والقرى على أيدي التركمن الذين جذبهم نجاح السلاجقة في موجات متلاحقة إنهالت على فارس قادمة من أوسط آسية ، وزاد السلاجقة بنظامهم الاقطاعي من حدة المظالم الاقتصادية - الاجتماعية الناجمة عن تركيبة الهيكل الاجتماعي وطبقاته القائمة في فارس آنئذ . وتواصل تمرّد القبائل التركية والسلوك الفوضوي لعساكرها طوال كامل فترة السلطنة العظمى للسلاجقة ولى مابعد ذلك<sup>(٦)</sup> . وهكذا مهدت الأرض سريماً لظهور حركة ثورية معادية للسلاجقة نظمها وقادها حسن الصباح .

وكن الاسماعيليون الفرس في الأراضي السلجوقية قد أصبحوا بحلول قرابة عام ١٠٦٧/٤٦٠ يدينون لسلطة داع للدهاء وحيد اتخذ من أصفهان ، العاصمة السلجوقية الرئيسية مقراً سرياً لقيادته . أمّا داعي دعاة فارس في تلك الفترة فقد كان عبد الملك بن عكاش . ويبدو أن ابن عكاش ، الداعي المتمكن في علومه ومعارفه ، كان أول داعية يرني عمل على تنظيم مختلف الجماعات الاسماعيلية في الأراضي السلجوقية الفارسية ، وربما في العراق أيضاً ، ويجمعها تحت سلطة قيادة مركزية . وقد تمت العودة الى هذا الإطار المؤسساتي الجديد في أزمنة لاحقة بشكل أساسي ، واستخدمه حسن الصباح بكفاءة وفعالية ، ويحتل ابن عكاش مكانة هامة على نحو خاص في كتب أخبارالاسماعيلية لايرانية وانحركة النزارية بسبب دوره في اطلاق مهنة حسن الصباح المستقبلية .

وليس هناك سوى معلومات ضئيلة متوفرة حول حياة حسن الصباح المبكرة ، في حين أن مهمته اللاحقة كأول سيد لآلموت كانت موثقة بشكل أفضل . وقد عمل النزاريون الفرس على تصنيف كتب الأخبار التي دوتت تاريخاً مفصلاً للدولة النزارية الفارسية وجماعتها وفقاً بفتحات حكم أسياد آلموت المتلاحقين<sup>(٧)</sup> . وابتدأ هذا التقليد من الكتابات النزارية التي تدولت بفرق بعمل عرف باسم «سرغودشت سيدنا» (سيرة سيدنا) غطى لأحداث الرئيسية في فترة حكم حسن الصباح كأول سيد لآلموت<sup>(٨)</sup> . وقد تم الاحتفاظ بنسخ من هذا العمل ، كما كان الحال مع كتب الأخبار النزارية الأخرى في المكتبة الشهيرة التي أسسها حسن الصباح في آلموت ، وفي مكتبات القلاع النزارية الأخرى كذلك .

وكما هو معروف جيداً ، فإن جل الأدب الضئيل الذي أنتجه النزاريون الفرس ، إن كان عصر آلموت قد هلك في سياق ألتدمير المغولي للحصون النزارية في فارس سنة ١٢٥٦/٦٥٤ . غير أن كتاب «سرغودشت - سيدنا» كان ضمن الأعمال لنزارية لقيمة

التي كتب لها النجاة بطرق مختلفة وعاشت الى زمن الإيلخانيين . وخصّصت تلك المصادر النزارية لمعاينة واستعمال مكثّفين من قبل مجموعة من المؤرخين الفرس من العصر الإيلخاني ، ولاسيما الجويني (ت ١٢٨٣/٦٨١) ، ورشيد الدين فضل الله (ت ١٣٨٠/٧١٨) والكاشاني (ت قرابة ١٢٣٧/٧٣٨) . وقد صنّف أولئك المؤرخون روايات عن الدولة والجماعة النزارية الفارسية من عصر الموت ، وهي التي استخدمناها هنا مصادر أولية لحياة حسن الصباح ومهنته في الحياة<sup>(٩)</sup> ، وقام المؤرخون الفرس اللاحقون ، من أمثال حافظ ابرو (ت ١٤٣٠/٨٣٣)<sup>(١٠)</sup> ، بتأسيس رواياتهم بشكل كامل ووحيد تقريباً على ماجاء عند الجويني ورشيد الدين .

ولد حسن الصباح لعائلة شيعية اثني عشرية في قم أواسط الأربعينات (١٠٥٠/٤٤٠) . وكان والده ، علي بن محمد بن جعفر بن الحسين بن محمد بن الصباح العميري الكوفي الذي يزعم لنفسه أصولاً من العميريين اليمنيين ، كان قد هاجر من الكوفة الى قم . ثم انتقلت عائلة الصباح في وقت لاحق الى بلدة الري المجاورة ، وهي مركز هام آخر من مراكز التعليم الشيعي في فارس ، حيث تلقى الشاب حسن ثقافته الدينية المبكرة على أنه شيعي اثنا عشري . وكان في الري ، أحد مراكز النشاط الاسماعيلي ، أن تمّ تعريف حسن فيما بعد ، بعد بلوغه السابعة عشرة بقليل ، بالتحاليم الاسماعيلية على يدي شخص يقرب اسمه من أمير ضراب ، وهو واحد من عدة دعاة محليين . ووجد حسن فيما بعد المزيد حول الاسماعيليين من دعاة آخرين في الري ، ومنهم أبي نصر السراج . وتحول حسن بعد ذلك الى الاسماعيلية وأعطى البيعة للامام المستنصر على يدي داعية يعرف باسم مؤمن . وفي رمضان من عام ٤٦٤/ أيار ١٠٧٢ ، تمّ لفت انتباه ابن عكاش ، المقيم بالري آنئذ ، الى حسن الملقب في المذهب حديثاً . واستصوب ابن عكاش حسناً وعيّنه في منصب في الدعوة ، ونصحهُ أيضاً بالتوجه الى القاهرة ليعمّق من ثقافته الدينية . وفي العالم ٤٦٧/١٠٧٤ عاد ابن عكاش من الري الى أصفهان مقر قيادة الدعوة في فارس وبصحبة حسن الصباح .

وطبقاً لاقتباسات من كتاب «سرغودشت» فإن حسن الصباح قد انطلق في نهاية الأمر من أصفهان الى القاهرة سنة ٤٦٩/١٠٧٦ ، عندما كان المؤيد في الدين الشيرازي (ت ١٠٧٨/٤٧٠) لا يزال داعياً للدعاة هناك . وقد ارتحل الى أذربيجان ثم الى ميافارقين وهناك تعرض للطرّد على يدي قاضي المدينة لأنه أصرّ في جدل ديني على الحق المطلق للامام الاسماعيلي في تفسير الدين ، ناقضاً بذلك سلطة ومرجعية علماء السنة ، وهي أفكار عالجهها فيما بعد بما يتّفق وعقيدة «التعليم» . وأخيراً وصل القاهرة في صفر ٤٧١/أب ١٠٧٨ ،



وهي السنة ذاتها التي خسر فيها الفاطميون سورية لصالح تتش الذي أسس إيالة سلجوقية هناك . وأمضى حسن بعضاً من ثلاث سنوات في مصر ، في القاهرة أولاً ثم في الاسكندرية ، التي كانت قاعدة للمعارضة ضد بدر الجمالي ، الوزير الفاطمي صاحب السلطات المطلقة وأمير الجيوش . وكان بدر الجمالي قد خلف المؤيد في تلك الفترة داعياً للدعاة .

ولانعرف شيئاً تقريباً حول خبرات حسن في مصر ، غير أنه من المؤكد أنه لم يقابل الامام المستنصر . وطبقاً لمصادر نزارية لاحقة استخدمها مؤرخونا الفرس ، فإنه قد دخل في نزاع مع بدر الجمالي ، بسبب تأييده كما هو واضح لنزار ، المسمى لولاية عهد المستنصر . وطبقاً لرواية أخرى ذات مفارقة تاريخية أوردها ابن الأثير ، فإن المستنصر شخصياً هو من أخبر حسن الصباح في القاهرة بأن الخليفة سيكون نزاراً<sup>(١٨)</sup> . وعلى أية حال ، فالظاهر أن حسناً قد أبمد بالنتيجة عن مصر في ظل ظروف غامضة وبأمر من بدر الجمالي . وعاد الى أصفهان في ذي الحجة ٤٧٣/حزيران ١٠٨١ .

ولابد أن حسناً قد تعلم دروساً هامة إبان إقامته في مصر الفاطمية ، وهي دروس أخذها في الحسبان في مخططاته الثورية اللاحقة . وعندما كانت الدولة الفاطمية تشهد العديد من الأزمات العسكرية والاقتصادية والسياسية بحلول الستينات (٤٦٠/١٠٧٠) ، كانت الجماعة الاسماعيلية الفارسية قد أصبحت على وعي بأفول نجم الفاطميين . ومع أن بدرًا الجمالي تمكن لاحقاً من إعادة السلام وبعض الازدهار الى مصر الفاطمية في عهد المستنصر ، إلا أن قوة الفاطميين بقيت منذ تلك الفترة وفيما بعد ذلك قاصرة ظاهرياً تجاه تلك التي للسلاجقة الذين كانوا ، ولخيبة أمل مختلف الجماعات الشيعية المطلقة هناك ، قد ثبتوا سلطانهم وسلطتهم في طول الشرق الأدنى وعرضه . وبينما كان في مصر أتيت لحسن الصباح فرصة ثمينة لتقييم أحوال الحكم الفاطمي عن قرب ، فأصبح مدركاً لحقيقة أنه لم يعد باستطاعة الاسماعيليين الفرس الاتكال على تلقي أية مساندة فعالة من الدولة الفاطمية .

وعندما عاد حسن الصباح الى فارس ، لم يمكث في مقر قيادة الدعوة في أصفهان ، وبدلاً من ذلك ، فقد شرع في برنامج من الرحلات المكثفة الى مواضع متنوعة استغرق السنوات التسع اللاحقة خدمة للدعوة . ومما لاشك فيه أنه من خلال تلك الفترة أن قام حسن بصياغة أفكاره الخاصة واستراتيجيته الثورية ، مقيماً في الوقت نفسه القوة العسكرية للسلاجقة في مختلف أجزاء فارس . وكان بحلول السنوات الأخيرة من السبعينات (٤٧٠/١٠٨٠) قد ركز جهوده باتجاه منطقة الديلم عموماً ، النائية عن مركز السلطة السلجوقية ، وذات الأغلبية الشيعية . لقد كان يحضر آنذ لثورة ضد السلاجقة ، وكان ،

من أجل تطبيق ذلك ، يفتش بشكل منتظم عن موضع يتخذ منه مقرأ لقيادته . وكانت الدعوة في فارس لاتزال في تلك الاونة تحت القيادة العامة لابن عكاش ، إلا أنه كان قد سبق لحسن أن راح يتبع سياسة مستقلة . ويبدو أن حسناً قد اختار بحلول ١٠٨٧/٤٨٠ قلعة الموت ، المتواضعة على قمة صخرة شاهقة في جبال البوز الوسطى في منطقة رودبار في الديلم ، اختارها مكاناً مناسباً لمقر قيادته<sup>(١٢)</sup> . ثم قام بوضع خطة مفصلة للاستيلاء على الموت التي كانت في ذلك الوقت ملكاً لشخص علوي يطلق عليه اسم المهدي كان قد اختارها بدوره من السلطان السلجوقي . فبعث بعدد من الدعاة المساعدين الى المناطق المحيطة بالموت لتحويل السكان المحليين الى مذهبه ، وكان حسن الصباح الذي أصبح بمرور الوقت داعياً للديلم ، يعمل في تلك الفترة على بحث النشاط في أنشطة الدعوة في شمال فارس ، وسرعان ما الفتت جهوده انتباه نظام الملك ، الذي مكث وزيراً لخليفتي طغرل التالين ، ألب أرسلان (٤٥٥ - ١٠٧٣/٤٦٥ - ١٠٧٣) وملك شاه (٤٦٥ - ١٠٧٣/٤٨٥ - ١٠٩٢) طوال ما يقرب من ثلاثين عاماً . وفشل الوزير السلجوقي ، وهو الذي كان يكنّ بغضاً عميقاً للاسماعيليين ، في القبض على حسن الذي وصل في سياق ذلك الى رودبار .

وفي وقت مبكر من عام ١٠٩٠/٤٨٣ ، وصل حسن الى المناطق المجاورة للموت ، حيث مكث فترة متخفياً في زي معلم مدرسة . وتمكّن عشية يوم الأربعاء ٦ رجب ٤٨٣/٤ في أيلول ١٠٩٠ ، من دخول قلعة الموت بصورة سرية مخفياً نفسه تحت اسم «ديخودا» وأمضى ثلاث سنوات هناك متخفياً قام خلالها بتعليم أطفال الحامية العسكرية وسهل تسرّب رجاله الى داخل القلعة . وبعد أن أصبح لرجاله قاعدة صلبة داخل القلعة وحولها ، كشف حسن عن هويته الحقيقية . ووافق المهدي على تسليم القلعة سلمياً عندما أدرك أن وضعه في الموت لم يعد مقبولاً ولا يمكن الدفاع عنه . وطبقاً لاقتباسات من كتاب «سردغوشت» ، فإن حسناً أعطى المهدي طوعاً حوالاً مالية بقيمة (٣٠٠٠) دينار ذهبي ثمناً للقلعة . وتم صرف الحوالاة ، وهي التي كانت مسحوبة على حساب الرئيس مظفر ، المتحوّل الى الاسماعيلية سرّاً والقائم بخدمة السلاجقة آنئذ والذي كان سيصبح قائداً لقلعة جيردكوه فيما بعد ، تم صرفها ، ولدهشة المهدي ، في موعدها المحدد .

وأطلق الاستيلاء على الموت إشارة البدء لثورة الاسماعيليين الفرس ضد السلاجقة ، كما أصبحت مؤشراً أيضاً على التأسيس الفعال لما كان سيصبح الدولة النزارية . وهكذا فإنها قد آذنت بظهور طور ثوري جديد في نشاطات الاسماعيليين الفرس الذين كانوا

يعملون ، حتى تلك الفترة . بصورة متخفية . ومن المؤكد أن القاهرة لم تلعب أي دور في  
 نضال ثورة في فارس ، ولستنا نفتقد أي دليل يوحى بأن حسن الصباح كن يتلقى  
 تعليماته ، من بدر الجمالي ، الوزير الفاطمي المفوض وداعي الدعوة في القاهرة وحسب ،  
 بل إن لمصادر تشير إلى وجود خلافات خطيرة بين الاثنين ، كما سلفت الإشارة ، منذ  
 زبارة حسن لمصر ، وما أن نصب نفسه في آلموت حتى شرع حسن في مهمة لتجديد القلعة  
 وترميمها ، وطور دفاعاتها وتحصيناتها ومستودعات التخزين إضافة إلى نظام تزويدها  
 باسماء . وقد جعل من آلموت بالفعل حصناً لا يمكن اختراقه أو اجتياحه مما ساعدها على  
 لصمود طويل في وجه كل حصار تعرضت له . وعمل أيضاً على تطوير وتوسيع زراعة وادي  
 آلموت ونظمت الري فيه ، محولاً المكان إلى بيئة ذات اكتفاء ذاتي في إنتاجها لطعامها . وثمة  
 فيما بعد تطبيق سياسات مشابهة في ما يتعلق بحصون اسماعيلية رئيسية أخرى .

لم يكن حسن الصباح إنساناً عادياً ، بل ربّما وفّرت شخصيته ، كما لاحظ هــجسون ،  
 « نقطة تجمع خطيرة لقوة الاسماعيليين الآخرين »<sup>(١٢)</sup> . لقد احتل بالفعل مكانة عالية جداً  
 عند منزيين الذين كانوا يشيرون إليه باسم « سيدنا » وفضلاً عن كونه منظمًا واستراتيجيًا  
 سياسياً من الطراز الأول ، فقد كان في الوقت ذاته رجل دين عالم قاد حياة من التسكك  
 والزهد . ويروي مؤرخونا الفرس أن حسنًا لم ينزل قط من القلعة طوال السنوات الأربع  
 والثلثين التي أمضاها في آلموت ، ولم يترك الحجرة التي عاش فيها سوى مرتين صعد فيهما  
 إلى السطح . وأمضى بقية الوقت ، يضيف رشيد الدين ، في قراءة الكتب وتدوين تعاليم  
 لدعوة كتابية ، وفي إدارة شؤون مملكته<sup>(١٣)</sup> . وكان متشدداً مع العدو والصديق على حد  
 سواء ، و متمسكاً إلى حد كبير بأسلوب حياة التقشف التي عاشها . وروي أنه كان حازماً في  
 تطبيق شريعة وفي تطبيقها على جماعته . ولم يتجرأ أحد في زمنه على شرب الخمر عند  
 في وادي آلموت . وبعث حسن بزوجه وبناته إلى جيردكوه عندما حوَصر في إحدى  
 سمّرات ، وأمضى بقية حياته هناك يكسب قوتهن من عملهن بالغزل ، مثل بقية نساء  
 لعامة ، ولم يسمح لهن بالعودة إلى آلموت أبداً . وواضح أن هذا الأمر قد ترك سابقة مقدّمة  
 بقلع الاسماعيلية الآخرين . وأمر بإعدام ولديه الاثنين ، الأول بتهمة القتل ، تبين فيما  
 بعد أنها كانت باطلة ، والثاني لشكوكه بأنه كان يشرب الخمر .

ويبدو أنه كانت لغورة حسن الصباح ضد السلاجقة مجموعة معقدة من الدوافع لدينية  
 - لسياسية . فبحكم كونه شيعياً اسماعيلياً ، لم يكن قادراً بكل وضوح على تأييد الأتراك  
 السلاجقة لمتمحمسين لسنة ، ومن جهة أقل بروزاً للعيان ، لكن ذات أهمية مساوية ، فإن

ثورة حسن كانت تعبيراً أيضاً عن مشاعر «قومية» إيرانية ، وقفت وراء قسم هام من الدعم المبكر الذي نقيته هذه الثورة في فارس . وليس لنا أن نشك في أن حسناً كان يمقت الأتراك وحكمهم الغريب على فارس . وروي أنه كان قد أشار الى السلطان السلجوقي على أنه مجرد تركي جاهل<sup>(١٥)</sup> ، كما روي قوله أيضاً أن الأتراك كانوا من الجن وليسوا رجالاً من نسل آدم<sup>(١٦)</sup> . وكان باتجاه الهدف النهائي لقلع جذور الأتراك السلاجقة أن كرس حياته ونظم الاسماعيليين الفرس من ذوي الخلفيات المختلفة في قوة ثورية . ومنذ تلك الفترة وفيما بعد ذلك ، راح الاسماعيليون الفرس يخاطبون بعضهم بعضاً باسم «رفيق» تمثيلاً مع ما يوافق الحركة الثورية . ومن بالغ الأهمية أيضاً الإشارة الى أن حسناً اتخذ ، تعبيراً عن وعيه بفارسيته وبغض النظر عن ورعه الاسلامي كما هو واضح ، خطة غير مسبقة عندما أحل الفارسية لغة دينية للاسماعيليين الفرس محل اللغة العربية . ويفسر ذلك سبب انتاج كامل أدب الاسماعيليين التزاريين الناطقين بالفارسية من عصر الموت والأزمة اللاحقة باللغة الفارسية .

وما أن أحكم حسن الصباح سيطرته على الموت حتى شغل نفسه بتوسيع نفوذه ومده في المنطقة عن طريق كسب المزيد من المستجيبين الاسماعيليين والسيطرة على المزيد من القلاع في رودبار وفي النواحي المجاورة في الديلم . وقد استولى حسن على مثل تلك القلاع كلما تمكن من ذلك ، وبنى قلعة على كل صخرة مرتفعة حيثما وجد واحدة مناسبة . وتعود هذه السياسة بذاكرتنا الى السياسة التمردية التي تبناها بابك الخرمي (٨٢٨/٢٣٣) الذي شنّ ، من حصنه في بدّ ومن القلاع الجبلية الأخرى المنيعة في أذربيجان ، ثورته الخرمية التي تعتبر من أنجح الثورات المناوئة للعباسيين . وعلى أية حال ، فإن الرسالة الدينية - السياسية لحسن قد حفّزت الدعم الجماهيري للديالمة في رودبار وجوارها ، ولا سيما بين القرويين وسكان الجبال الذين سبق لهم الدخول في الاسماعيلية وفي أشكال أخرى من الشيعة . وهناك دليل على أن حسناً قد جذب اليه بقايا بعض من الخرميين الأوائل لأذربيجان الذين أطلقوا على أنفسهم في تلك الفترة لقب البارسيين<sup>(١٧)</sup> ، تعبيراً عن مشاعرهم الفارسية . لكن سرعان ما راح مقر قيادة حسن الصباح يتعرض لغزو قوات أقرب أمير سلجوقي كان يملك منطقة الموت كإقطاع منحه له السلطان . ومنذ تلك الفترة وفيما بعد ذلك ، انحرف السلاجقة والاسماعيليون الفرس الى سلسلة لانهاية من المواجهات العسكرية .

وفي سنة ١٠٩١/٤٨٤ ، بعث حسن . بهسين قائني ، وهو داعية قدير كان قد لعب

دوراً هاماً في الاستيلاء على الموت ، الى بلدة قوهستان لتعبئة دعم له هناك . ولاقى حسين في قوهستان ، المنطقة الجرداء الى الجنوب الشرقي من خراسان ، نجاحاً فورياً . وكان لقوهستانيون ، الذين كانوا على أنسة مسبقة بالتقاليد الشيعية ، متذمرين جداً من احكم محتسلاً أمير سلجوقي محلي . ولذلك لم يتخذ انتشار الدعوة الاسماعيلية هناك شكراً تحويين الى المذهب والاستيلاء على القلاع سريين ، بل انفجرت علناً في ثورة شعبية من أجل حصول على استقلال عن حكم سلجوقي متسلط وغريب . وهكذا ، نهض الاسماعيليون في أجزاء عديدة من قوهستان في ثورة معلنة ، وحققوا سيطرة على العديد من المدن الرئيسية ، بما فيها تون وطبس وقائين . وأصبحت قوهستان في تلك الفترة أرضاً رئيسية أخرى لنشاطات الاسماعيليين انفرس الى جانب رودبار في الديلم . وفرض الاسماعيليون نفوساً بنسبجة ، وبعد أقل من سنتين من استيلائهم على الموت ، استقلالهم عن السلاجقة في كتي منطقتين . وفي حقيقة الأمر ، كان حسن الصباح قد أسس للاسماعيليين لفرس دولة ذات أراض مستقلة في تلك الفترة في قلب سلطنة السلاجقة .

وفي وقت مبكر من عام ١٠٩٠ / ٤٨٥ ، قرر ملك شاه ، بعد أن أدرك بأن القوات لسلجوقية المحلية غير قادرة على التعامل مع القوة المتعاظمة للاسماعيليين الفرس والقضاء عليهم . وعملاً بنصيحة نظام الملك ، قرر ارسال الجيوش ضد الاسماعيليين في كل من رودبار وقوهستان . غير أن العمليات العسكرية تلك سرعان ما أوقفت بسبب اغتيال نظام الملك في رمضان من عام ١٠٩٠ / ٤٨٥ وما أعقبه من وفاة ملك شاه بعد ذلك بأسابيع قليلة . وبسماعها لنبا وفاة السلطان ، بدأت الجيوش السلجوقية المحاصرة للموت ونموواقع لاسماعيلية في قوهستان بالتشتت ، وذلك لأن هذه القوات كانت تدين تقليدياً بولائها لشخص الحاكم وليس للدولة .

وبوفاة ملك شاه ، سقطت الامبراطورية السلجوقية في أتون حرب أهلية دامت أكثر من عقد من الزمن . وقد تنازع خلافة ملك شاه أولاده الذين كانوا يتفقون دعم امراء سلاجقة محتفين ، وكان هؤلاء الأمراء الذين سيطروا على ولايات متنوعة ، يغيرون ولاءاتهم بصفة مستمرة مما ساعد في زيادة حدة الاضطرابات الداخلية للسلطنة السلجوقية . وكان في ضل مثل تلك الظروف أن تم تنصيب بركيا روق ، الابن الأكبر لملك شاه والأبرز من بين مصالبيين بالسلطنة السلجوقية ، تم تنصيبه على العرش في الري . لكن كان على بركي روق (٤٨٧ - ٤٩٨ / ١٠٩٤ - ١١٠٥) تخصيص الكثير من طاقاته لقتال أقاربه ، ولاسيما أخيه غير شقيق محمد تبر الذي تلقى دعماً فاعلاً من أخيه الشقيق سنجار ، حاكم خراسان منذ

١٠٩٧/٤٩٠ وفيما بعد ذلك . ولم تتم استعادة السلام والهدوء في الأراضي السلجوقية ، ولاسيما في فارس الغربية والعراق ، إلا عقب وفاة بركيا روق سنة ١١٠٥/٤٩٨ وحسب ، أي عندما ظهر محمد تبر على أنه سلطان بلا منازع في حين بقي سنجار في بلخ نائباً له في الشرق .

إن تلك الفترة من المنافسات بين السلجوقية ، وجد حسن الصباح فرجةً كان بحاجة إليها بأكثر ما يكون لتوطيد سلطته وتوسيعها . كما أن الفوضى الناجمة عن النزاعات السلجوقية وخصوماتهم جعلت الفرس أكثر استجابة لرسالة حسن في مقاومة الحكم الظالم والغريب للأتراك السلاجقة . وتم الحصول على حصون اسماعيلية هامة في تلك الفترة في أجزاء أخرى من فارس ، خارج الديلم وقوهستان . ويتوسّع شبكة قلاعهم باتجاه الشرق من الموت في سلسلة جبال البورز ، أصبح الاسماعيليون يمتلكون عدداً من القلاع قرب دامغان ، عاصمة إقليم قوميس في العصر الوسيط ، ولاسيما قلعة جيردكوه المتوضعة بشكل استراتيجي على قمة صخرة عالية على طول الطريق الواصلة بين غربي فارس وخراسان<sup>(١٨)</sup> . كما استولوا على حصون عديدة قرب أراجان في جبال زاغروس ، في المنطقة الحدودية ما بين اقليمي فارس وخوزستان في الجنوب الغربي من فارس ، وكسبوا مؤيدين لهم في العديد من بلدان المملكة السلجوقية .

وتمكن حسن الصباح ، في غضون ذلك ، من تقوية مركزه ومد نفوذه في الديلم ذاتها ، حيث كان الاسماعيليون قد صدوا هجمات سلجوقية متقطعة . غير أن أعظم إنجاز له في الديلم خلال تلك الفترة كان تملكه لقلعة لامسار ، والتي تدعى لانيسار أيضاً ، الى الغرب من الموت في العام ١٠٩٦/٤٨٩<sup>(١٩)</sup> . وقد أوكل حسن الصباح حملة لامسار الى كيا بوزورك أوميد وثلاثة قواد آخرين تمكنوا من الاستيلاء على الحصن عبر هجوم مباغت . ثم عين حسن بوزورك - أوميد قائداً لذلك الحصن الاسماعيلي الذي اعتبر ثاني أهم موقع في الديلم . ومكث بوزورك - أوميد في لامسار حتى أستدعي الى الموت سنة ١١٢١/٥١٨ ليخلف حسن الصباح . ومن أجل فهم تلك الرابطة الايرانية للحركة النزارية المبكرة ، نجد أنه من المهم أيضاً تذكر أن رموزها الرئيسيين كانوا جميعاً ، الى جانب حسن نفسه ، ايرانيين قادوا الحركة إنان طورها المبكر الحاسم كل في بلده الأم ، الديلمي بوزورك - أوميد في الديلم ، والخراساني حسين قانيني في قوهستان ، والأراجاني أبو حمزة في أراجان ، والرئيس مظفر ، الذي خدم كقائد سلجوقي في قوميس ، أستبقي في جيردكوه ، الخ . يضاف الى ذلك ، أنهم جميعاً قواد قديرون واستراتيجيون وعسكريون

بارعون اتسقوا تماماً مع المهمة التي في أيديهم أكثر مما كانوا علماء دين وفلاسفة مثل أولئك الذين أنتجوا الرسائل الكلاسيكية للعصر الفاطمي .

وسرعان ما اكتسبت ثورة الاسماعيليين الفرس ضد السلاجقة نموذجها لتمييز ضافة الى طرائق صراعها الخاصة التي كانت ملائمة لتلك الفترة من الزمن<sup>(٢٠)</sup> . ولم يعد هناك بعد ملك شاه ، أو حتى ما قبل ذلك ، حتى ولو كان بإمكان الاسماعيليين تعبئة مثل ذلك الجيش . فالسلطة السياسية والعسكرية كانت قد توضع بتحول ذلك الوقت في أيدي أمراء وقواد حاميات عديدين ، وهم أفراد كانوا يختصمون بإقطاعات في طول ممتلكات السلاجقة وعرضها . وفي ظل مثل هذا النظام المتعدد الأمراء ، حيث لم يعد هناك من أهداف عسكرية رئيسية للفتوحات ، كان على أمر الاطاحة بالسلاجقة أن يتقدم على أساس تدريجي ، موضع اثر موضع ، وحصن اثر حصن ، وأمير اثر أمير . وكانت هذه الحقيقة ماثلة للعيان في ذهن حسن الصباح الذي صمم استراتيجية ملائمة لثورة الاسماعيليين بفرس ، هدفه المرسوم فيها كسر شوكة السلاجقة عن طريق الاستيلاء على حصون متنوعة وتملكها . ويمكن عندئذ استخدام كل حصن من هذه الحصون ، وهو الذي كان في العادة قلعة جبلية محصنة ومنيعة ، على أنه قاعدة عمليات لنشاطات الاسماعيليين المسلمين في موضع محدد . كما كانت مثل تلك الحصون متوزعة بشكل مناسب لتقديم العون الى حاميات مواضع أخرى أو لتكون ملجأ لها في أوقات الحاجة .

وتمتع قادة الحصون الاسماعيلية الرئيسية بدرجة كبيرة من بُعد النظر في ما يتعلق بالمبادرات المحلية في حين كانت كل أرض اسماعيلية تخضع للسلطة المطلقة لزعيم قيمي يُعين من قبل الموت . وكذلك فقد صرف الزعماء الاقليميون الشؤون اليومية لجماعاتهم بشكر مستقل الواحد عن الآخر . وقد ساهم ذلك كله في إعطاء الثورة روحها الدينية . غير أن جميع القادة الاسماعيليين الاقليميين تلقوا التوجيهات الأساسية من الموت . ستي خدمت كمقر قيادة مركزي وتنسيقي للحركة الاسماعيلية النزارية . وقد شكلت تلك كثرة من لـحصون والمواضع والأراضي الاسماعيلية المتنوعة جماعة واحدة متماسكة يوحددها حسناتها برسالتها .

وقد أوحى ذات الهيكلية اللامركزية للسلطة القائمة للسلاجقة وقوتهم العسكرية المتفوقة الى حد كبير ، لحسن الصباح باستخدام أسلوب مساعد لتحقيق أهدافه لسياسية والعسكرية ، ألا وهو أسلوب الاغتيال . غير أن حسناً لم يكن مخترعاً لاسلوب اغتيال الأعداء السياسيين - الدينيين واستخدامه كسلاح سياسي . إذ نجد عدداً من الجماعات

الاسلامية المبكرة ، مثل بعض الشيعة المبكرين الفلاة والخوارج ، كانت قد لجأت الى هذه السياسة ، وفي زمن ثورة الاسماعيليين الفرس ، عندما كانت السلطة متوزعة محلياً على أساس شخصي ، لجأت جميع الفئات والأحزاب عموماً الى الاغتيال ، بما فيهم السلاجقة ، لكن حسناً أناط دوراً هاماً الى هذه السياسة التي استخدمت بطريقة منتظمة وعلمية مع بدء الثورة المسلحة للاسماعيليين الفرس ضد السلاجقة الأكثر قوة وتفوقاً . وسار خلفاء حسن في آلموت على هذه السياسة مع أنها راحت تفقد أهميتها الأولية تدريجياً . وعلى أية حال ، صارت هذه السياسة تقرن بطريقة مبالغ فيها بالاسماعيليين النزاريين بحيث أن أية عملية اغتيال لأية شخصية دينية أو سياسية أو عسكرية ذات أهمية في الأراضي الاسلامية المركزية إبان عصر آلموت كانت تُنسب اليهم .

وكان ينفذ الاغتيالات النزارية فدائيهم أو فداويتهم ، أي أولئك الشباب من الجماعة المخلصين الذين ضحوا بأنفسهم ووهبوا حياتهم في عمليات انتحارية . ولانعلم سوى تفاصيل قليلة بخصوص تجنيد الفدائيين وتدريبهم ، وهم الذين عظمتهم الجماعة وكرمتهم لشجاعتهم وتفانيهم<sup>(٢١)</sup> . وكانت لوائح بأسمائهم وعمليات الاغتيال قد صُنفت ، كما هو واضح ، وأُحفظ بها في آلموت وربما في حصون أخرى أيضاً<sup>(٢٢)</sup> . ولا يبدو أن الفدائيين قد تلقوا تدريباً في اللغات أو أية موضوعات أخرى ، كما توحي به الروايات المحبوبة لكُتّاب الأخبار الغربيين من الصليبيين والكتاب الأوروبيين المتأخرين . بل إن الصليبيين والغربيين الآخرين كانوا مسغولين ، في حقيقة الأمر ، عن وضع عدد من الحكايات المترابطة بخصوص تجنيد الفدائيين الاسماعيليين النزاريين وتدريبهم ، وهم الذين تطوعوا شخصياً للتضحية بأنفسهم عن اعتقاد وقناعة في سبيل دينهم وجماعتهم ، ووضعها موضع التداول<sup>(٢٣)</sup> ، ومنذ وقت مبكر ، وفيما بعد ذلك ، صارت تلك الاغتيالات تُقابل بردة فعل تمثّلت بمذابح للاسماعيليين ، أو لجميع أولئك الذين كانوا متهمين أو يُشكك بانتمائهم الى الاسماعيلية من سكّان المدينة<sup>(٢٤)</sup> . واستدعت تلك المذابح بدورها عمليات اغتيال للمحرّضين عليها ، وهي التي كانت تؤدي الى مزيد من الاغتيالات .

وبينما كانت ثورة الاسماعيليين الفرس تتكشف بنجاح ، كانت الاسماعيلية تعاني من أعظم نزاع داخلي واجهته . ففي ذي الحجة ٤٨٧ / كانون أول ١٠٩٤ ، توفي أبو تميم معد المستنصر بالله ، الامام - الخليفة الفاطمي ، في القاهرة بعد حكم حافل بالأحداث دام حوالي ستين سنة . إذ أن النزاع على خلافته تسبّب في قسم الاسماعيليين بشكل دائم الى فريقين منفصلين اثنين<sup>(٢٥)</sup> . وكان بدر الجمالي ، السيد الحقيقي للدولة الفاطمية إبان العقدين



لأخيرين من حكم المستنصر ، قد توفي قبل ذلك بأشهر قليلة بعد أن دبر الأمر لولده لأفضر بـخلفه في منصبه وزيراً وقائداً للجيش . أما الخليفة المستنصر فكان قد سمى أكبر أولاده لأحياء ، أباً منصور نزار (٤٧٧ - ١٠٤٥/٤٨٨ - ١٠٩٥) خلفاً له في الامامة والخلافة بموجب القاعدة الشيعية ، النص . غير أنه كانت للأفضل ، الذي كان يهدف الى تقوية مركزه لدكتاتوري ، كانت له خططة الأخرى . وتحرك الأفضل عقب وفاة المستنصر مباشرة في خسوة وصلت الى حد الانقلاب في القصر ، تحرك بسرعة بدعم من الجيش ونصب أخاً غير شقيق أصغر لنزار ، أباً القاسم أحمد (٤٦٧ - ١٠٧٤/٤٩٥ - ١١٠١) ، على رأس عرش لفاطمي ولقبه المستعلي بالله . وكان على المستعلي ، أصغر أبناء المستنصر ومتزوج من شقيقة الأفضل ، كان عليه الاعتماد على وزيره القوي اعتماداً كاملاً . وفر نزار مخسوع ، انذي كان قد رفض الموافقة على خطط الأفضل ، الى الاسكندرية حيث قام بثورته في وقت مبكر من عام ١٠٩٥ / ٤٨٨ بدعم محلي كبير . وهناك أعلن نزار خليفة بنقب مصطفى لدين الله وبايعه سكان الاسكندرية . ويشهد على اعلان نزار خليفة وإماماً في الاسكندرية دليل أثري تمثّل بقطعة نقود قديمة ظهرت الى النور سنة ١٩٩٤ . وتحمل نقوش هذا الدينار الذهبي المكتشف حديثاً ، أول نوع من جنسه ، والممسكوك في الاسكندرية سنة ٤٨٨هـ ، زمن ثورة الامام نزار هناك ، تحمل عبارة «المصطفى لدين الله» ، و«دعاء الامام نزار»<sup>(٢٦)</sup> وقد نجحت ثورة نزار في بداية الأمر ووصلت قواته لمتقدمة الى المناطق المجاورة للقاهرة ، غير أنه لم يثبت أن تعرض لهزيمة وبالنتيجة عسى يدي لأفضر . واستسلم نزار ، في سياق تلك الأحداث ، وأخذ أسيراً الى القاهرة حيث أودع السجن ثم أحتجز هناك ، وهذه الأحداث كلها وقعت سنة ١٠٩٥/٤٨٨ .

ونتهى النزاع على خلافة المستنصر بانشقاق دائم ، قسم الاسماعيليين الفاطميين الى فريقين متنافسين اثنين . أما الذين اعترفوا بإمامة المستعلي ، الجالس على عرش الخلافة الفاطمية ، فهم اسماعيليو مصر الذين كانوا لايزالون أقلية هناك ، وكامل الجماعة الاسماعيلية في اليمن ، وهي التي كانت تابعة للحكم الفاطمي آنئذ . وبما أن اسماعيليين كجرات في غرب لهند كانوا جماعة رافدة لاسماعيليين اليمن ، فقد اعترفوا بالمستعلي إماماً جديداً لهم في تلك الفترة أيضاً . وأصبح أولئك الاسماعيليون الذين تنبؤوا الامامة في نسل المستعلي يعرفون بالمستعلية أو المستعلوية ، وحافظوا على علاقاتهم بمقر قيادة الدعوة في القاهرة ، لتي أصبحت منذ تلك الفترة وفيما بعد ذلك مقراً للاسماعيلية المستعلية .

أما بحالة في الأراضي الشرقية في طول الممتلكات السلجوقية وعرضها ، حيث لم يعد

بنفطميين أي نفوذ سياسي هناك ، فقد كانت مختلفة اختلافاً بالغاً . فبحسب سنة ١٠٩٤/٤٨٧ ، كان حسن الصباح قد ظهر قائداً بلا منازع للاسماعيليين الفرس ، بل ولكل الاسماعيليين داخل الممتلكات السلجوقية فعلاً . ولانعلم شيئاً بخصوص السنوات لأخيرة لابن عكاش الذي يبدو أن حاله قد انكسفت تدريجياً بظهور حسن الصباح . وعلى أية حال ، فإن مسؤولية اتخاذ موقف بشأن النزاع النزارى - المستعلي وقعت في لدرس وفي المملكة السلجوقية الأوسع على كاهل حسن الصباح في تلك الفترة . فقد سبق له اتباع سياسة ثورية مستقلة لسنوات عديدة مضت ، ولم يظهر أي تردد في تأييد قضية نزار في تلك الفترة ولا في قطع روابطه بنظام الحكم الفاطمي وبمقر قيادة الدعوة في القاهرة ، حيث كان الاسماعيليون قد حولوا ولاءهم الى المستعلي . ولقي حسن تأييد كامن لجماعة لاسماعيلية الفارسية لهذا القرار دون معارضة أحد . وهذه شهادة أخرى على قيادة حسن ندجحة وعلى سيطرته القوية على الاسماعيليين الفرس ، وهم الذين مكثو متحدين في معارضتهم للسلاجقة أيضاً . وفي الحقيقة ، فإن حسن الولاء للاسماعيليين الفرس وحدثهم متماسكة وأصلاً كونهما مصدر دهشة للسلاجقة المتخاصمين وللمؤسسة السنّية بقائمة .

وكان قرار حسن الصباح بعدم الموافقة على التطورات التي حدثت في مصر لفاطمية ولا على امامة المستعلي قد لقي تأييداً نه من قبل اسماعيلي العراق ، حيث لاقت زعامته اعترافاً بها هناك أيضاً ، واعترف أولئك الاسماعيليون المتمسكون بالنص المعلن للمستنصر في صالح نزار ، اعترفوا في تلك الآونة بالأخير خلفاً لوالده في الإمامة ، وصارو يسمون بالنزارية ، المصطلح الذي نادراً ما استخدمه النزاریون أنفسهم . وقد تمّ قمع متحزبين نزار في مصر على وجه السرعة على يدي الأفضل . أما ردة الفعل الأصلية لاسماعييين سورية على هذا الانشقاق فتبقى غامضة . والظاهر أن كلا الحزبين قد وجد في بداية الأمر في سورية ، حيث كان الحجم الكلي لجماعة الاسماعيلية هناك لايزال غير ذي أهمية لى حد ما في تلك الفترة . وباعتبارها كانت تخضع سابقاً للنفوذ الفاطمي ، فإن جلّ لاسماعييين السوريين ، كما يبدو ، قد اعترفوا بامامة المستعلي في بداية الأمر . ولم يكن حتى لعقد اشاني (١١٢٠/٥١٠) أن راح المستعليون السوريون يتقلّصون أمام اجماعة لنزارية لمتنامية بسبب نجاح الدعاة الفرس الذين بعثت بهم آلموت ، وأصبح النزاریون لجماعة الاسماعيلية الوحيدة في سورية .

غير أن الاسماعيليين النزاریين ، الذين اعترفوا بنزار إماماً جديداً لهم بعد لمستنصر ، سرعان ماواجهوا صعوبة رئيسية تمثّلت بخليفة نزار في الإمامة . وكان نزار ، كم سفت

بإشارة ، قد زعم الإمامة إبان ثورته . لكنه أعدم بعد وفاة والده بعام تقريباً . ووقعت لنزرية الوليدة في حيرة من أمرها في تلك الفترة بخصوص هوية إمامهم بعد نزار . ولا بد أن لمسألة كانت في غاية التعقيد ، خاصة وأنه لا يظهر أن أيّاً من بيت نزار قد أعلن زعماً واضحاً بالإمامة عقب وفاة نزار .

ونبه لتحقيق تاريخية أنه كانت لنزار ذرية من الذكور . فالمصادر التاريخية تذكر أسماء اثنين من أبنائه على الأقل : أبي عبد الله الحسين وأبي علي الحسن . كما أنه معبوم أيضاً من الخطأ من النزاريين المتحذرين من أبناء نزار واصل تواجد في المغرب ومصر حتى وقت متأخر من الأزمنة الفاطمية . وبعض أولئك النزاريين كان من بين الذين ادعوا حقهم بالخلافة الفاطمية ، وربما كانوا من الذين زعموا الإمامة النزارية أيضاً . وعلى سبيل المثال ، فإن أبا عبد الله الحسين نفسه كان قد شنّ ، من مقره في المغرب ، ثورة محبطة ضد الخليفة الفاطمي لحافظ ، لكنه وقع أسيراً وأعدم سنة ٥٢٦/١١٣١<sup>(٢٧)</sup> . وتروي المصادر خبر محاولة محبطة أخرى سنة ٥٤٣/١١٤٨ للاستيلاء على السلطة في القاهرة على يدي أحد أحفاد نزار<sup>(٢٨)</sup> . وكان هذا النزاري ، الذي لم تحفظ المصادر لنا اسمه ، قد اتخذ قاعدته في المغرب أيضاً حيث تلقى تأييداً لا بأس به من كتامة ومن البربر الآخرين . وآخر محاولة معروفة لنزريين المتمركزين في المغرب للإطاحة بالسلالة الفاطمية وقعت في عهد العاضد (٥٥٥ - ٥٦٧/١١٦٠ - ١١٧١) ، آخر الخلفاء الفاطميين<sup>(٢٩)</sup> . وفي العام ٥٥٦/١١٦١ ، ورد إلى برقة محمد بن الحسين بن نزار ، أحد أحفاد نزار ، قادماً من مقره في المغرب . وقام بثورة لقيت تأييداً كبيراً بهدف الاستيلاء على القاهرة ، وتلقّب بلقب المنتصر به . لكنه لم يلبث أن تعرّض لخيانة أحد حلفائه الرئيسيين الذي قبض عليه وأرسله إلى القاهرة حيث أعدم .

في غضون ذلك ، لم يقدم حسن الصباح على تسمية خلف نزار في الموت . إذ من الممكن ألا يكون الاسماعيليون الشرقيون قد علموا بالمصير المأساوي لنزار في القاهرة في الوقت المناسب ، وأنهم واصلوا لبعض الوقت انتظار ظهوره مرة أخرى . وتبقى المسألة غامضة ، خاصة وأنه لم تتم استعادة أية مصادر نزارية من تلك الفترة المبكرة . غير أن دلة نقشية منشورة تكشف أن اسم نزار وثقه قد استمر في الظهور على النقود المسكوكة في كرسي بديل ، أي الموت ، لبعض من سبعين سنة ، عقب وفاته حتى زمن محمد بن بوزورك - أوميد (٥٣٢ - ٥٥٧/١١٣٨ - ١١٦٢) ، خليفة حسن الصباح الثاني في الموت . وآخر لنموذج لمعروفة من مثل هذه النقود ، دنانير ضربت في الموت عامي ٥٥٣/١١٥٨

١١٦١/٥٥٦ ، وتحمل النقش «علي ولي الله/ المصطفى لدين الله ، نزار» ، الذي يبارك على ذرية نزار بدون تحديد<sup>(٣٠)</sup> .

وكائناً ما يكون الأمر ، فقد تركت النزارية الوليدة في تلك الفترة من دون إمام يمكن الوصول إليه . وكان الاسماعيليون قد اختبروا مرة قبل ذلك ، أي إبان فترة ما قبل الفاطميين من تاريخهم ، حالة مماثلة عندما كان الأئمة الاسماعيليون مستورين عن أعين أتباعهم . ونسجاً على تلك السابقة الأقدم ، فقد كان النزاريون يشهدون في تلك الفترة دوراً من الستر أيضاً ، عندما لم يعد الأئمة في متناول أتباعهم . وطبقاً لتقاليد نزارية متأخرة وكما روى مؤرخونا الفرس ، فقد سبق للعديد من النزاريين من زمن حسن الصباح الاعتقاد بوجهة النظر القائلة بأن ولداً أو حفيداً لنزار أحضر سرّاً في الحقيقة إلى فارس من مصر<sup>(٣١)</sup> ، ولابد أن تلك الرواية النزارية كانت قد حققت تداولاً واسعاً بحلول السنوات الخماسية من حياة حسن الصباح إذ نجدها لقيت تأكيداً لها في رسالة مرائية مناوئة للنزاريين صدرت عن ديوان الإنشاء الفاطمي سنة ١١٢٢/٥١٦ . ففي تلك الرسالة المرسلة إلى الجماعة المستعلية في سورية ، يسخر الخليفة الفاطمي الأمر (٤٩٥ - ١١٠١/٥٢٤ - ١١٢٠) من فكرة أن حفيداً لنزار كان يعيش في مكان ما في فارس في تلك الفترة<sup>(٣٢)</sup> . وحيث أن حسناً نفسه استمر في ظل غياب إمام ظاهر يلقي تأييد وطاعة الحركة النزارية باعتباره قائدها الأعلى وصاحب السلطة دون منازع ، فقد كان ذلك شهادة أخرى بعد على ماحقه للجماعة النزارية من منجزات ، وعلى سيطرته عليها .

ويبدو أنه لم يكن بعد انشقاق ١٠٩٤/٤٨٧ بفترة طويلة ، أن تمّ الاعتراف بحسن حجة أيضاً للامام المستور ، الأمر الذي يذكّرنا بتقليد اسماعيلي آخر من عهد ما قبل الفاطميين . وجدير بالذكر أنه كان يُنظر إلى القادة المركزيين للحركة الاسماعيلية المبكرة ، حتى سنة ٨٩٩/٢٨٦ على الأقل ، على أنهم حججٌ للامام المستور الذي كانت دعوته إلى الظهور منتظرة بشوق . وعلى أساس من هذا التقليد ، فقد ساد الاعتقاد أن الحجة في زمن الامام المستور سوف يكون ممثله الرئيس في الجماعة . وقد لعب حسن الصباح دور حجة الامام بانتظار الوقت الذي سيظهر فيه الامام ويتولى بنفسه قيادة الجماعة<sup>(٣٣)</sup> . وكان في ظل مثل تلك الظروف أن تكون لدى الغرباء ، منذ وقت مبكر وفيما بعد ذلك ، انطباع متميز بأن حركة الاسماعيليين (النزاريين) الفرس عكست تعليماتاً جديداً ، أصبح يُعرف فيما بعد «بالدعوة الجديدة» بالمقابلة مع «الدعوة القديمة» للاسماعيلية الفاطمية التي تمسك بها الاسماعيليون المستعليون<sup>(٣٤)</sup> . واستخدام «الدعوة الجديدة» اللغة

لفارسية لغة تعبير لها صار علامة على ابتعاد الاسماعيليين الفرس عن الأدب الاسماعيلي لأقدم لمكتوب باللغة العربية ، وهو الأدب الذي احتفظ به جزئياً الاسماعيليون لنزاریون السوريون فيما بعد باعتبارهم كانوا يستخدمون اللغة العربية . غير أن «الدعوة الجديدة» لم تكن تمثل أية مجموعة جديدة من العقائد ، بل كانت بشكل أساسي إعادة صياغة ، بصريّة أكثر تشدّداً ، لعقيدة شيعية ذات ثبات طويل بين الاسماعيليين : «عقيدة لتعميم» ، أو التعليم الصادق ؛ وأعاد حسن الصباح تدوين تلك العقيدة باللغة الفارسية في تلك لفترة في رسالة بعنوان «چهار فصل» (الفصول الأربعة) لم تكتب لها النجاة ، لكن مؤرخون الفرس شاهدوا تلك الرسالة واقتبسوا منها<sup>(٣٤)</sup> ، هم ومعاصر حسن ، الشهرستاني (ت ١١٥٣/٥٤٨) ، الذي ربما كان اسماعيلياً مبطناً . وقد حفظ لنا الشهرستاني مقطع مطوّل من هذه الرسالة في كتابه عن الفرق باللغة العربية الذي كتبه قرابة عام ١١٢٧/٥٢١ . أي بعد وفاة حسن بسنوات قليلة<sup>(٣٥)</sup> . فمن خلال عرضه لسلسلة من أربع قضايا ، أثبت حسن قصور العقل الانساني عن معرفة الله وجادل بخصوص الحاجة لمعلم صادق من أجل الهداية الروحانية للبشر ، معلم لن يكون أحداً آخر غير امام الزمان الاسماعيلي . وأصبحت عقيدة «التعليم» التي شددت على السلطة التعليمية المستقلة لكل إمام في زمانه ، عقيدة مركزية لنزاریين الأوائل الذين صاروا يعرفون في تلك الفترة «بالتعليمية» أيضاً . وهكذا فقد شددت العقيدة على الولاء للإمام ، ونمّثه الكامل الذي كان يقود الحركة آنئذ ، كما وفّرت الأساس لكل التعاليم النزارية اللاحقة لعصر الموت .

وكان نجم الاسماعيليين قد واصل صعوده في فارس إبّان عهد بركياروق . فبالإضافة إلى ستيلائهم على الحصون وتوطيد مركزهم في رودبار وقوميس وقوهستان ، رح الاسماعيليون في تلك الفترة يوجهون اهتمامهم باتجاه أقرب إلى مقر السلطة السلجوقية ، أي إلى أصفهان ، وقد حقّق الاسماعيليون نجاحاً سياسياً لهم في تلك المنطقة بالحصول على قلعة شاه دز سنة ١١٠٠/٤٩٤ من خلال جهود أحمد بن عبد الملك بن عكاش . وكان من شأنه قد أعد بناء شاه دز ، المتوضعة إلى الجنوب من أصفهان بحوالي ثمانية كيلومترات ، باعتبارها قلعة مفتاحية تحرس الطرق المؤدية إلى العاصمة السلجوقية الرئيسية . وبعد ذلك بفترة قصيرة ، اتفق بركياروق في غربي فارس وسنجان في خراسان على وضع حد ، كر في الأراضي التابعة له ، للقوة المتعاطفة للاسماعيليين الذين كانوا في تلك الفترة يوجهون تهديداً عاماً للسلاجقة . غير أن الثورة الاسماعيلية تواصلت في فارس بكامل زخمها على الرغم من الهجمات السلجوقية المتكررة .

وبحلول وفاة بركيا روق سنة ١١٠٥/٤٩٨ ، نجح حسن الصباح في مد نشاطه الى سورية ، الأمر الذي يعكس طموحاته الاسماعيلية الأوسع والأشمل<sup>(٣٧)</sup> . وكان عدد من الدعاة لفرس قد وصلوا الى شمال سورية في تلك الفترة حيث ركزوا جهودهم على حلب ولبد ن الواقعة في منطقة الجزر . وكان الحكم السجوقي في سورية قد تسبب ، كما كان الحال في فارس ، بالعديد من المشكلات وكان ممقوتاً من قبل السوريين الذين كانوا منقسمين على أنفسهم وعاجزين عن دفع الأتراك . واستخدم الدعاة الفرس امبعوثين من الموت أساليب الصراع ذاتها المتبعة في فارس بهدف تنظيم وقيادة الجماعات النزارية الصغيرة في سورية ولكسب مستجيبين جديداً من الطوائف الأخرى . وعلى الرغم من أن حسن أصبح نجح في إقامة جماعة موالية له في سورية ، إلا أن الأمر تطلب نصف قرن من الجهود متصلة قبل أن يتمكن الاسماعيليون النزاریون في نهاية الأمر من الحصول على شبكة من الحصون الجبلية وسط سورية .

وابتدأ طور جديد في العلاقات الاسماعيلية - السلجوقية مع صعود محمد تبر (٤٩٨ - ١١٠٥/٥١١) إلى عرش السلطنة السلجوقية ، الذي صار علامة على نهاية النزاعات الوراثة بين السلاجقة . وقد سبق لبركياروق وسنجان أن وضعا حداً لما كان يمكن أن يتحول الى اجتياح نزاری عبر الممتلكات السلجوقية الفارسية ، لكن النزاریين تمكنوا من محافظة على مواقعهم المحلية ، أو بالأحرى عززوها في العديد من الأراضي . وانصق محمد تبر في تلك الآونة لحسم الأمر مع النزاریين بحزم أكبر . وفقد النزاریون في عهده معظم حصونهم في جبال زاغروس وفي العراق أيضاً ، كما فقدوا مركزهم في شمال سورية غير أن حملة محمد تبر الرئيسية ضد النزاریين ، والتي قادها السلطان بنفسه ، فقد كانت موجهة ضد قلعة شاه دز<sup>(٣٨)</sup> . ويسقط شاه دز سنة ١١٠٧/٥٠٠ ، فبعد النزاریون تأثيرهم ونفوذهم في منطقة أصفهان أيضاً .

ومنذ وقت مبكر وفيما بعد ذلك ، شغل السلطان محمد تبر نفسه بالمركز الرئيسي بقوة النزارية في رودبار ، ولاسيما الموت حيث كان يقيم حسن الصباح نفسه . وبعد عدة حملات أولية في المنطقة ، أناط السلطان أمر اخضاع الموت الى حاكم ساوا ، أنوشتكين شيرغير وذلك في العام ١١٠٩/٥٠٣ . وطبقاً لمؤرخينا الفرس ، قام شيرغير لمدة ثماني سنوات متتالية ، بحصار الموت ولاسار مدمراً المحاصيل الزراعية في رودبار ومشتبكاً مع النزاریين في معارك متقطعة<sup>(٣٩)</sup> . واستمرت مقاومة حسن الصباح خلال تلك لفترة تشير دهشة شيرغير ، الذي كان يتلقى تعزيزات منتظمة من أمراء السلاجقة الآخرين . وفشر

أسلحة رغبة عن قوتهم العسكرية الأكثر تفوقاً وحرب الإنهاك المتطاولة ، فشو في الاستيلاء على الموت عنوة ، وما أن تنهى اليهم نأ وفاة محمد تبر حتى قوضوا معسكرهم على وجه السرعة وغادروا رودبار . وهكذا خرج حسن الصباح منتصراً من حالة خضرة كان يمكن لها أن تنتهي بهزيمة محزنة .

وبوفاة محمد تهر دخلت سلطنة السلاجقة مرة أخرى في فترة من الصراع لدخلي وقرت فرجة زمنية أخرى للاسماعيليين النزاريين كي ينهضوا من بعض الهزائم التي لحقت بهم سابقاً ، غير أن الثورة النزارية ضد السلاجقة كانت في معظمها قد فقدت تأثيرها في تلك الفترة ، بشكل يشبه كثيراً فشل الهجوم السلجوقي على النزاريين زمن محمد تهر في تحقيق أهدافه . وبكلمات هـدجسون<sup>(٤٠)</sup> ، فإن العلاقات الاسماعيلية - السلجوقية كانت قد دخلت في تلك الفترة طوراً جديداً من «الجمود» . وكان الاسماعيليون النزاریون قد قاموا ، ومدة ثلاثة عقود تقريباً ، أي منذ استيلائهم على الموت ، بثورة معلنة في صور لمتمنكت السلجوقية وعرضها . كما كانوا قد وجهوا تهديداً جدياً لِمَقَرِّ السلطة السلجوقية في أصفهان نفسها . في غضون ذلك ، عانى النزاریون أنفسهم من هزائم خطيرة . إذ لم يكتفِ السلاجقة بوضع حد لنمو قوتهم في مواضع متعددة ، بل إن أنصارهم والمتحيزين لهم في المدن واصلوا تعرضهم للمذابح . لقد فشل حسن الصباح بالنتيجة في الإطاحة بالسلاجقة ، ولم يتمكن من شن ثورة جديدة من القواعد الجبلية التي بقيت في أيدي النزاريين كما فعل في السابق . لكن ثورته حققت نجاحات موضعية مكّنت الاسماعيليين النزاريين نفوس من الثبات في أراض هامة في رودبار وقوميسر وقوهستان ، مع ما فيها من الحصون والقرى والبلدان الكثيرة .

وحافظ حسن الصباح على التزامه بما كرس له نفسه حتى آخر لحظة في حياته ، لم توهن عزيمته قط ولم ييأس في وجه الهزائم العسكرية والمذابح التي نزلت بأتباعه . وتكشف آخر تصرف حكيم له في الطريقة التي أعدها بعناية لتسليم قيادة الجماعة الاسماعيلية النزارية ، فما أن أحس بدنو أيامه الأخيرة حتى بعث يستدعي نائبه في لاسار كيا بوزورك - أوميد وسمه رئيساً بجماعة النزارية ودولتهم . وأوصاه بأن يحكم بالتشاور مع ثلاث شخصيات نزيهة فارسية ، ممن لديهم خبرات ميدانية مختلفة ، حتى يحين ذلك الوقت الذي سيظهر فيه لاسم . وتوفي حسن الصباح في الموت قرابة نهاية ربيع الثاني ٥١٨ / أواسط حزيران ١١٢٤ بعد فترة مرض قصيرة ، ودفن الى جوار قلعة الموت ، وبقي النزاريون يزورون ضريحه بانتظام حتى تم تدميمه هو الآخر على أيدي جحافل المغول سنة ١٢٥٦ / ٦٥٤ .

قد كانت الحركة الاسماعيلية النزارية المبكرة حقاً حركة سياسية - دينية متعددة الأبعاد . ومن جهة عامة ، يمكن القول إنها كانت حركة ثورية اسلامية - ايرانية جمعت جوانب من الطموحات « القومية » الايرانية مع الاسلام الاسماعيلي في ردة فعل على تحديات التي فرضتها تلك الفترة من الزمن . ومن هذا المنطلق ، يمكننا لمس بعض جذورها في تقاليد الاحتجاج الاجتماعي الايرانية والاسماعيلية الأقدم وفي معارضة سياسية - الدينية للنظام القائم . أما في المجال السياسي ، فقد ابتدأت ، كم سفت لإشارة ، كحركة ثورية ايرانية بشكل أساسي ، ممثلة للمعارضة الايرانية للسيطرة العربية - لعباسية . غير أنها كانت في المجال الديني ، وفي مناخ القرن الخامس الهجري / نحدي عشر الميلادي ، عندما اكتمل دخول الفرس في الاسلام واعتناقهم له ، كانت تجري باسم لامم الاسماعيلي واعتنقت مثل ذلك الفرع من الاسلام الشيعي ، وقطعت الحركة في وقت لاحق لنزاع النزاري - المستعلي ، علاقاتها مع القاهرة ومع نظام الحكم الفاطمي . و استعداد الاسماعيليون الفرس من زمن السلاجقة الحماس الثوري لاسماعيلية العهد الفاطمي الذين عارضوا الحكم الجائر للعباسيين المدعومين من قبل المؤسسة السنية القائمة . وهكذا تستحق مساهمات حسن الصباح التي نالها بجدارة ، اعترافاً صحيحاً بها في سياق كل من تاريخ الحركات الثورية الايرانية ، ومن أنه من بين المنظمين الرئيسيين للحركات الاسلامية .



## الحواشي

- ١ - مجلة الكلاسيكية لشورة الخرمية ومذهبها نجدتها في : الحركات الدينية الإيرانية في القرنين الثاني والثالث الهجريين . تأليف G.H. Sadighi (باريس ١٩٣٨) ، ص ١١١ وما بعدها . وفي تاريخ كمبردج لايران ، م ٤ (كمبردج ، ١٩٧٥) ، ص ٤٨١ وما بعدها ، وفي : مادنونغ ، الاتحافات الدينية في إيران الإسلامية المبكرة (بني ، ١٩٨٨) ، ص ١ - ٢ ، ومقالة مادنونغ ، «خرمية» ، في : الموسوعة الإسلامية ، ط ٢ ، م ٥ ، ص ٦٢ - ٦٥ .
- ٢ - من أجل المزيد من التفاصيل انظر :  
B Sa'at: Iran IN Prob-- Islamischer Zeit (wiesbaden, ١٩52). PP 225FF .  
ريبكا ، ج ، تاريخ الأدب الإيراني (دور دريخت ، ١٩٦٨) ، ص ١٢٦ - ١٧١ ، بوزورث ، إيران والإسلام ، في ذكرى المرحوم ف . مينورسكي (انبرغ ، ١٩٧١) ، ص ٥٣٥ وما بعدها .
- ٣ - حول استعادة الشعور « القومي » الفارسي عند البويهيين انظر مقالة مادنونغ في « مجلة الدراسات الشرق أوسطية » ، ٢٨ (١٩٦٩) ، ص ٨١ - ١١٠ - ١٦٨ ، وكتاب مينورسكي ، السيطرة الديلمية (باريس ، ١٩٣٢) ، ص ١ - ٢٦ .
- ٤ - نظام الملك ، سياسة نامه (سير الملوك) ، تح . دارك (ط ٢ طهران ، ١٩٦٨) ، ص ٢٨٩ - ٣٠٥ ، ومقالة شتيرن في مجلة BOSOAS ، ٢٣ (١٩٦٠) ، ص ٥٦ - ٩٠ ، دفتري ، الاسماعيليون ، ص ١٢٠ وما بعدها .
- ٥ - انظر مقالة مادنونغ بالألمانية في مجلة Der Islam ، ٢٧ (١٩٦١) ، ص ٦٥ ، ومقالة دفتري في Studia Islamica ، ٣٧ (١٩٩٢) ، ص ١٢٢ - ١٢٩ ، تاريخ الاسماعيليين ، ص ١٢٥ - ١١١ .
- ٦ - انظر على سبيل المثال : ابن الأثير ، الكامل ، تح . تورنبرغ (لندن ، ١٨٥١) ، م ٩ ، ص ٢٦٦ ، ٣١١ ، ٣٢١ ، ٣٨٤ ، ٢٥٨ .
- ٧ - لمزيد من التفاصيل انظر مقالة دفتري في :  
Iran Journal of the British Institute of Persian studies, 30 (1992), P. 91-97 .
- ٨ - توجد مجموعتان قصيرتان لسيرة حسن الصباح في مكتبة معهد الدراسات الاسماعيلية في لندن ، وكلتاهما نسخت في بداية القرن الحالي ، وتضمنت أحداً متناقضة .
- ٩ - الجويني ، تاريخ جهان - فوشي ، تح . قزويني (لندن - لندن ، ١٩١٢ - ١٩٣٧) ، م ٢ ، ص ١٨٦ ، وترجمته ، الإنكليزية ، بويل (مانشستر ، ١٩٥٨) ، م ٢ ، ص ٦٦٦ - ٦٨٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، م ١٠ ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٣٦٩ ، وتناول جواد مستطلي وعارف تامر ومصطفى غالب سيرة حسن الصباح . انظر أيضاً مارشال ، فرقة الحشاشين (١٩٥٥) ، ص ٤١ - ٩٨ ، ومقالته عن الدولة الاسماعيلية في تاريخ كمبردج لايران ، م ٥ .
- ١٠ - حافظ ابرو ، مجمع التواريخ السلطانية ، تح . مدرسي زنجاني (طهران ، ١٩٨٥) ، ص ١٩١ - ٢٢٥ .
- ١١ - ابن الأثير ، الكامل ، م ١٠ ، ص ١٦١ ، رشيد الدين ، م ٧٧ ، كاشاني ، ص ١١٤ ، المقريري ، انماط الحنفا (لقدرة ، ١٩٦٧) ، م ٢ ، ص ٣٢٢ .

- ١٢ - ايحانوف ، ألموت ولا مسار (طهران ، ١٩٦٠) . ومقالة ألموت في مجلة EIR ، م٠ ١ ، ص ٧٩٧ - ٨٠١ ، ويسى قلاع الحشاشين (لندن ، ١٩٦٢) ص ٢٠٤ .
- ١٣ - هنجسون ، اندونة الاسماعيلية ، ص ٤٢٩ .
- ١٤ - رشيد الدين ، ص ١٣٢ ، الجويني ، م٠ ٣ ، ص ٢١٥ ، كاشاني ، ص ١٦٨ .
- ١٥ - رشيد الدين ، ص ١١٢ ، كاشاني ، ص ١٤٨ .
- ١٦ - ايحانوف ، رسالتان اسماعيليتان مبكرتان (بومباي ، ١٩٢٣) ، ص ٣٠ .
- ١٧ - رشيد الدين ، ص ١٤٩ - ١٥٢ ، كاشاني ، ص ١٨٦ - ١٩٠ ، مادلونج ، اتجاهات دينية ، ص ٩ - ١٢ .
- ١٨ - الجويني ، م٠ ٣ ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ ، رشيد الدين ، ص ١١٦ - ١٢٠ ، كاشاني ، ص ١٥١ - ١٥٥ .
- ١٩ - المصادر السابقة اضافة الى ايحانوف ، ألموت ، ص ٦٠ - ٧٤ ، ويلي ، قلاع ص ٢٦٩ - ٢٧٩ ، ستودا ، قلاع ، ص ٥٤ - ٧١ ، مقالة «لايسار» في الموسوعة الاسلامية ، ط ٢ ، ص ٦٥٦ .
- ٢٠ - ندين في نقاشنا هنا الى الأفكار الجديدة والرائدة لمارشال هنجسون . انظر أعماله «فرقة الحشاشين ، ص ٧٧ ، ٨٩ ، «الدولة الاسماعيلية» ، ص ٤٣٩ - ٤٤٢ .
- ٢١ - ايحانوف ، مقالة «شعر اسماعيلي في مدح المداوية» مجلة JBBRAS ، ١٤ (١٩٢٨) ، ص ٦٢ - ٧٢ .
- ٢٢ - انظر رشيد الدين ، ص ١٣٤ - ١٣٧ ، كاشاني ، ص ١٦٩ - ١٧٢ .
- ٢٣ - حول المزيد من التفاصيل حول هذه الحكايا المزيفة ، انظر «دفتري ، خرافات الحشاشين ، ترجمة - سيف ندين انقصور (دمشق ، ١٩٩٦) .
- ٢٤ - انظر على سبيل المثال : ظهير الدين نيسابوري ، سلجوق نامه (طهران ، ١٩٧٣) ، ص ٤٠ - ٤١ ، التروندي ، راحة الصدور ، تح . اقبال (لندن ، ١٩٢١) ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .
- ٢٥ - حول النزاع على وراثة المستنصر انظر : الجويني ، م٠ ٣ ، ص ١٧٩ - ١٨١ ، رشيد الدين ، ص ٧٧ ، ٧٩ ، كاشاني ، ص ١١٤ - ١١٥ ، ابن القلاسي ، ذيل تاريخ دمشق ، تح . امدرورز (لندن ، ١٩٠٨) ، ص ١٢٨٨ ، ابن ميسر ، أخبار مصر (القاهرة ، ١٩٨١) ، ص ٥٩ ، ابن ظافر ، أخبار الدول المتقطعة (القاهرة ، ١٩٧٢) ، ص ٨٣ - ٨٥ ، المقريزي ، تعاض ، م٠ ٣ ، ص ١١ - ١٦ ، ابن تغري بردي ، النجوم انزاهرة (القاهرة ، ١٩٢٩ - ١٩٧٢) ، م٠ ٥ ، ص ١٤٢ - ١٤٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، م٠ ١٠ ، ص ١٦١ - ١٦٢ ، مقالة «نزار بن المستنصر» في الموسوعة الاسلامية ، ط ٢ ، ص ٨٢ .
- ٢٦ - انظر ، So many Coins, Together with Historical Medals... Catalogue LN 4229, "Nizar" (London, 1994), PP.36-37 .
- ٢٧ - ابن ظافر ، أخبار ، ص ٩٧ ، المقريزي ، تعاض ، م٠ ٣ ، ص ١٤٧ .
- ٢٨ - ابن القلاسي ، ذيل ، ص ٣٠٢ ، ابن ميسر ، أخبار ، ص ١٣٦ ، المقريزي ، تعاض ، م٠ ٣ ، ص ١٨٦ ، ابن تغري بردي ، النجوم ، م٠ ٥ ، ص ٢٨٢ .
- ٢٩ - ابن ظافر ، أخبار ، ص ١١١ ، المقريزي ، تعاض ، م٠ ٣ ، ص ٢٤٦ ، ابن تغري بردي ، النجوم ، م٠ ٥ ، ص ٢٣٩ .
- ٣٠ - كازانوف ، «نقود الحشاشين الفرن» ، مجلة ، Revue Numismatique, 3serie, العدد ١١ (١٨٩٢) ، ص ٢٤٣ - ٢٥٢ ، ومقالة مايلز في مجلة Oriemlin Lovanionse Periodica ، العدد ٢ (١٩٧٢) ، ص ١٥٥ - ١٦٢ .
- ٣١ - الجويني ، م٠ ٣ ، ص ١٨٠ - ٢٢١ ، رشيد الدين ، ص ٧٩ ، ١٦٦ ، كاشاني ، ص ١١٥ ، ٢٢٠ ، ابن القلاسي ،

- ذيل ، ص ١٢٧ ، ١٢٩ ، ابن ميسر ، أخبار ، ص ١٠٢ ، هـجسون ، فرقة ، ص ١٦٠ ، دفتري ، الاسماعيليون ، ترجمة . سيف الدين القصور ، ج ٣ .
- ٢٢ - الأمر بأحكام الله ، الهداية الأمرية (بومباي ، ١٩٣٢) ، ص ٢٢ ، ومقالة شتيرن في مجلة IRAS (١٩٥٠) ، ص ٢٠ .
- ٣٦ ، ابن ميسر ، أخبار ، ص ٩٩ - ١٠١ ، المقرزي ، المعامل ، ص ٢٠ ، ص ٨٤ .
- ٣٣ - هفت باب (ترجمة هـجسون) ، ص ٢١ ، نصير الدين الطوسي ، روضة التسليم (لیدن ، ١٩٥٠) ، ص ١٤٨ .
- ٢٤ - الشهرستاني ، الملل والنحل (لندن ، ١٨٤٢) ، ص ١٤٧ - ١٥٠ ، الجويني ، ص ٢٠ ، رشيد الدين ، ص ١٠٥ ، كاشاني ، ص ١٤٢ .
- ٢٥ - الجويني ، ص ٢٠ ، رشيد الدين ، ص ١٢٢ - ١٢٤ ، كاشاني ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .
- ٣٦ - الشهرستاني ، الملل ، ص ١٥٠ - ١٥٢ ، هـجسون ، فرقة ، ص ٥١ - ٦١ ، والدولة الاسماعيلية ، ص ٤٣٣ - ٤٣٧ ، دفتري ، الاسماعيليون ، الترجمة العربية ج ٢ .
- ٣٧ - انظر الفصل الذي كتبه هرنارد لوريس من الاسماعيليين والحشاشين في تاريخ الصليبيين ، تح . سيتون ، ص ١٠ ، المائة سنة الأولى ، تح . بولدوين (١٩٦٩) ، وكتابه ، الحشاشون ، ص ٩٧ .
- ٣٨ - رشيد الدين ، ص ١٢٠ - ١٢٢ ، كاشاني ، ص ١٥٦ - ١٥٧ ، ظهير الدين النيسابوري ، سلجوق نامه ، ص ٤١ - ٤٢ ، الراوندي ، راحة الصدور ، ص ١٥٥ - ١٦١ ، ابن الأثير ، الكامل - ص ١٠٠ ، ص ٢٩٩ - ٣٠٢ ، ابن القلانسي ، ذيل ، ص ١٥١ - ١٥٦ .
- ٣٩ - الجويني ، ص ٢١١ - ٢١٢ ، رشيد الدين ، ص ١٢٤ - ١٢٢ ، كاشاني ، ص ١٦٠ - ١٦٧ .
- ٤٠ - هـجسون ، فرقة ، ص ٩٩ ، والدولة الاسماعيلية ، ص ٤٤٧ - ٤٤٨ .



## صراع السلطة بين السلاجقة واسماعيلية الموت،

٤٨٧-٥١٨/١٠٩٥-١٢٤: منظور سلجوقي

كارول هيليتبراند\*

لقد سبق لتاريخ صراع السلاجقة ضد اسماعيلية الموت أن كُتبَ مرات عدة ، لكن هذه دُماً تفرساً جديداً ونظرات مُعمّقة علينا التقاطها من خلال قراءة مفصلة لمصادر الأولية ، وأملّي أن أكمل وأعدل في بعض الأحيان ، ما قد سبق أن قاله باحثون من أمثال هيجسون ولويس ودفترى <sup>(١)</sup> . أمّا في ما يتعلق بأحداث تلك الفترة من وجهة نظر سلجوقية . فإن دراسة سناء الله المستفيضة التي تغطي تلك السنوات الحاسمة على وجه التحديد . لا تتناول مع الأسف جميع جوانب العلاقات السلجوقية مع الموت <sup>(٢)</sup> . وكذلك فإن دنة كفيسوغللو (Kafesoglu) العاطفية والمبسطة لهذه الفترة ، من جهة أخرى ، لا يمكنها بصمود في وجه التدقيق والتمحيص .

«إن التاريخ العام لدولة سلاجقة العراق وخراسان هو ، باستثناء عهد السلطان سنجار ، أخبار حكام شعمان ، لكنهم حمقى يفتقرون إلى الحسن السياسي وليسوا جديرين بأجدادهم ، ورجال دولة طموحين يلجأون إلى الأساليب الملتوية ، وجرائم الباطنية...» <sup>(٣)</sup> .

غير أن عبارته تلك توفّر ، مع ذلك ، نقطة بداية مناسبة لتحليل نشاطات اسلاجقة ما بين ١٠٩٤/٤٨٧ و ١١٢٤/٥١٨ ومعاينتها .

\* Carole Hillenbrand محاضرة في الدراسات العربية والاسلامية في جامعة ادنبرغ ، وهي محررة عامة لسلسلة Studies in Islamic Surveys .  
الصادرة عن مطبعة جامعة ادنبرغ ، ومختصة في التاريخ الاسلامي ولها عدة مؤلفات ومقالات في مجلات علمية والموسوعة الاسلامية . كما ترجمت الجزء (٢٦) من تاريخ الطبري الى الانكليزية (انباري ، ١٩٨٩) .

## عهد بركيا روق ٤٨٧-٤٩٨/١٠٩٤-١١٠٥

شكّلت سنة ١٠٩٢/٤٨٥ سنة مصيرية بالنسبة إلى الدولة السلجوقية ، حيث أزلت في طريقها ، وبتتابع سريع ، عمودين توأمين من أعمدتها ، الوزير نظام الملك والسلطان ملك شاه ، بعد فترة من الحكم المتواصل دامت طويلاً . إذ عقب ذلك مباشرة تقريباً ، قام أولاد ملك شاه وقرابته بالعرض التقليدي من أجل السلطة . وعلى الرغم من أن ولده الأكبر ، بركيا روق ، كان قد حصل بحلول سنة ١٠٩٥/٤٨٨ على اعتراف الأكرية به سلطاناً على العراق وإيران الغربية ، إلا أن سلطته كانت واهية دائماً إذ أمضى بقية فترة حكمه مكرساً طاقاته بكاملها تقريباً باتجاه الدفاع عن مركزه ضد جميع الدخلاء<sup>(١)</sup> . وبشكل خاص ، أمضى بركيا روق الفترة حتى سنة ١١٠٣/٤٩٧ منشغلاً في صراع منهك على السلطة كلفه غالباً مع أخيه غير الشقيق ، محمد ، الذي أول من ثار عليه سنة ١٠٩٩/٤٩٢ . وكانت خراسان المقاطعة الوحيدة التي تمتعت إبان عهد بركيا روق ببعض الاستمرارية السياسية في ظل ولاية أخيه غير الشقيق ، سنجار ، الذي كان قد ولاه نائباً له على المقاطعات الشرقية سنة ١٠٩٧/٤٩٠<sup>(٢)</sup> . غير أنه لا يوجد شك عموماً في أن سكان المناطق في ظل السيطرة السلجوقية قد عانوا في تلك الفترة على أيدي الأمراء والحكام السلاجقة : ابن القلانسي في دمشق البعيدة ، يعلّق تحت أحداث سنة ١١٠١/٤٩٥ ، على الحالة السائدة في الأراضي السلجوقية في خراسان والعراق وسورية مبرزاً «الشقاق المتماذي والعداوة والحروب والفساد والخوف المشترك» ، الذي اختبره السكان نتيجة كون حكامهم «منشغلين بالنزاعات والقتال عن العناية بهم والالتفات الى شؤونهم»<sup>(٣)</sup> . وامتازت فترة بركيا روق ، الى جانب سوء الحكم وفساد الإدارة ، باللامركزية ، وقيام مختلف الأمراء السلاجقة والتركمان بنقل ولاءاتهم في أغلب الأحيان والمناورة من أجل السلطة ، وبتزايد تجزئة الامبراطورية الى إيلات شبه مستقلة على أطرافها ، ولذلك لا يبقى سوى عجب ضئيل بخصوص تمكّن كل من الضليبيين والاسماعيليين من شق طريقهم داخل الأراضي السلجوقية بمثل تلك السهولة إبان تلك السنوات .

وكما هو معروف جيداً ، فقد كان إبان عهد بركيا روق أن حقق الاسماعيليون من الموت أعظم نجاحاتهم في الأراضي السلجوقية ، من حيث عدد القلاع المستولى عليها ، واغتيالات الشخصيات العامة ، والتفغل داخل الدوائر الحضرية والبلديات<sup>(٤)</sup> . ففي

سنة ١٠٩٦/١٨٨٩ ، استولى الاسماعيليون على جيرد كوه قرب دامغان ، وهي بقعة على طريق من خراسان الى ايران الغربية . كما استولوا على شاه دز خارج اصفهان ، وهي التي كانت مفتاحاً للسيطرة على المدينة ، إضافة الى العديد من الحصون الأخرى في جزء مختلف من ايران<sup>(٨)</sup> .

أما قائمة الاغتيالات المفصلة التي قدمها كاشاني زاعماً أن الاسماعيليين قاموا بها والتي بُنيت على مادة عشر عليها زمن الاجتياح المنغولي لآلموت ، فليس لنا قبولها دون نقد ، حتى على الرغم من أنها تعطينا تواريخ وأسماء كل من الضحايا والقتلة .

وهذا تباين واسع فعلاً بين بعض تواريخه ، على سبيل المثال ، وتلك التي أوردها بن لأثير وخباريون آخرون<sup>(٩)</sup> . غير أنه يتضح من الروايات كلها أن السنوات الحاسمة التي وقع فيها لعدد الأكبر من الاغتيالات تشكل ضمة تمتد ما بين ١٠٩٥/١٨٨٨ و ١١٠٠/١٩٩٣ . وذروتها قرابة ١٠٩٧/١٩٠٠ . وهذا التوقيت موحٍ بحد ذاته - فهو تخمين في لحظة ضعف وانتشوش القصوى من جانب السلاجقة . وبالإضافة الى الاستيلاء على القلاع ووزة الشخصيات العسكرية والدينية البارزة ، كانت هناك شائعات حول تغفل «العدوى» لاسماعيلية داخل دوائر الجيش والبلاط السلجوقية . وستكون تلك اللحظة من العطب لقصوى موضع تفحص مفصل أكثر أدناه .

وتنزع معظم المصادر الى القسوة في تناولها لبركيا روق ، على الرغم من المصاعب لتحقيقية التي كان على أي حاكم سلجوقي مواجهتها أثناء تثبيت نفسه في امبراطورية مفعوجة بالشخصية الشامخة لنظام الملك . وللتأكد من ذلك ، فقد نعم اولاد لأخير بعضاءات جمعة وشغل العديد منهم مراكز هامة في تلك الفترة . غير أنهم لم يكونوا يتمتعون بقدرة والدهم وافترقوا ، فوق ذلك كله ، الى قدرته في البقاء في منصبه لفترة طويلة جد<sup>(١٠)</sup> . ولم ينقص بركيا روق الدعم الإداري المناسب وحسب ، بل ويبدو أنه قد جاء في انظمية ، أو لقوات الممتازة للوزير الراحل ، الذين نقضوا ولاءهم وحالفوا محمد وسنجان<sup>(١١)</sup> . من لأمر وكأن معظم الأخباريين المتكتمين الى هذا الحد ، عادة يفثشون عن كبش فداء من خلال تدولهم لتلك الفترة الرهيبة من الضعف السلجوقي والتفكر فيها . والقاء اللوم على بركي روق ليس بالأمر الصعب . فبالإضافة الى حكاية التعدييات الكنيية والمتواليية من جانب لصيبيين والدمار الرهيب الذي أحدثه الاسماعيليون يقدم الاخباريون مايلطخ سمعة بركي روق ويعرض به . ويصف الحسيني بركي روق بالسكير<sup>(١٢)</sup> ، بينما يتحدث البنداري عنه أنه تصف « بشخصية السيئة » ، و« المصاحب للفلمان » ، والمنغمس في صناعة الموسيقى

المُبتذلة<sup>(١٢)</sup> . وكان من سوء حظ بركيا روق أنه أصيب بالجذري والباسور<sup>(١٣)</sup> وهما مرضان نادراً ما ساعدها على تحسين صورته عند العامة .

ولا نجد هنا أية تنازلات تُقدّم بخصوص السن الصغيرة جداً لبركيا روق ولا لعدم خبرته في الحياة ، على الرغم من أن هاتين الصفتين من الحداثة وعدم الخبرة قد تمّ التغاضي عنهما ضمناً عند أخويه غير الشقيقتين ، محمد وسنجار . لكن الأخباريين يكتبون بالطبع مستفيدين من فترة كون كتاباتهم تأتي بعد انقضاء عهد بركيا روق ، وأن كلا أخويه تمتع بفترتي حكم أكثر نجاحاً بلا جدال .

وأسوأ لطفة من جانب اخباريي التاريخ السلجوقي هي الشبهة بأنه كانت لبركيا روق نفسه ميول اسماعيلية . فإلى أي مدى يصدق ذلك ؟ لقد كان هو نفسه ، بعد ذلك كله ، هدفاً لمحاولة اغتيال فاشلة<sup>(١٤)</sup> ، والدليل الذي أورده كل من ابن الأثير وابن الجوزي بهذا الخصوص يستحق تفحصاً عن قرب . فكلاهما اختار سنة ١١٠١/٤٩٤ - أي مباشرة بعد أكبر دفعة من الاغتيالات انتشاراً جرى تدوينها - للنظر بشكل عمومي أكثر في نهضة الباطنيين وثورتهم<sup>(١٥)</sup> . إن تغطية ابن الأثير للنزعة الاسماعيلية المزعومة لبركيا روق هي أشمل مما هي في رواية ابن الجوزي ، ولذلك فإنها هي التي سنتتبعها هنا . ويذكر هذا المؤرخ أن أصفهان شهدت قدراً كبيراً من النعمة تجاة حقيقة أن معظم الأمراء الذين قتلوا في تلك الموجه من الاغتيالات ، من أمثال أرغوس وسورموز ، كانوا ينتمون الى النظامية والى جانب محمد كليهما . وهذا مادفع بالشكوك نحو بركيا روق . وتشير التفاصيل التي قدمها ابن الأثير الى أن جواً من الدسائس والمؤامرات لا بدّ وأنه قد تفشى بين كل من الجيش والبلط . وتدهورت الحالة أكثر عندما تشبّع الاسماعيليون بهزيمة محمد لبركيا روق ، وراحوا يتغلغلون داخل جيش الأخير وأصبحت لديهم اليد العليا فيه تقريباً . عندئذ ، سارع الأصحاب المقرّبون من بركيا روق ، وهم الذين أخذوا على أنفسهم ارتداء الدروع تحت ألبيتهم ، الى الطلب اليه للتحرك قبل قوات الأوان ، لاسيما في ضوء حقيقة أنه كانت له هو نفسه « ميول اسماعيلية » . ولذلك ، قام بركيا روق باجتثاث الكثير من المشبوهين وقتلهم بمن فيهم القائد المزعوم للقوات الاسماعيلية ، محمد بن دُشمنزيار من بلدة يزد . لقد تصرّف بقوة وبشدة ، مع أن الأمر كان متأخراً وتمّ تحت الضغط . لكن ذلك لا يعني أنه كان متعاطفاً اسماعيلياً سرياً . لقد كان يفتقر الى القوات والى المال إضافة الى أنه ربّما كان مريضاً فنجراً من الحرب أسينت نصيحته . ويبقى الدليل المقدم ضده غامضاً بجمع النقيضين .



وفي العام ١١٠١/٤٩٤ أيضاً ، قام بعمل ضد الاسماعيليين ، حيث أرسل حملة الى قوهستان بقيادة أحد أمرائه ، بوز - قوش ، غير أنه تم إقناع بوز - قوش عن طريق لرشوة برفع حصاره عن القلعة الاسماعيلية طبس مسينان ، مما سمح للاسماعيليين بالتعويض عن خسائرهم فيما بعد<sup>(١٧)</sup> . وفي حملة ثانية جرت عام ١١٠٤/٤٩٧ ، منح بوز - قوش سكان طبس أمناً على أنفسهم . وقد علق ابن الأثير بالقول أن «أناساً كثيرين غضبوا من سنجار بسبب ذلك»<sup>(١٨)</sup> .

أما الأجيال اللاحقة فربما كانت قاسية بعض الشيء في حكمها على بركي روق . فالمؤكد أن لحظات المهادنة مع الاسماعيليين قد تم التفاوضي عنها عند سنجار ، بينما كانت موضع ديانة عنده ، حتى أن لويس يسير على الخط الذي وضعه اخباريو العصر بوسيط ويتحدث عن «رضى» بركيا روق تجاه التهديد الاسماعيلي أو ماهو أسوأ من ذلك وماتقوله الأدلة المستوحاة من المصادر هو أن لا بركيا روق ولا سنجار ولا حتى محمد كانوا قديرين منفردين على مقاومة الحاجة لاستخدام ماتوفر لهم من قوات ، حتى ولو كانت تلك لقوات «اسماعيلية» . والثلاثة متهمون باستخدام الاسماعيليين في وقت من لأوقات للتخلص من أعدائهم . والحقيقة هي أن أحداً من الأخوة الثلاثة ، بمن فيهم محمد ، لم ينظر الى اجتثاث الاسماعيليين «الهرطقة» على أنه جزء رئيس من استراتيجيته العسكرية . وقد تُح صغر سنهم وقلة خبرتهم وانشغال بعضهم ببعض الفرصة للاسماعيليين للتوسع . إن عهد بركي روق . وكانت المذبحة التي قام بها بركيا روق لثمانمائة مشتبه اسماعيلي في أصفهان الاجراء الحاسم الوحيد الذي استهدف وضع حد لمتوهم وتغلغلهم .

#### عهد محمد تبر: ٤٩٨ - ٥١١/١١٠٥ - ١١١٨

لم يشهد عهد محمد تضاملاً في عدد الاغتيالات المنسوبة الى الموت وحسب ، بر وستقرر سياسياً أكبر أيضاً . وكان ذلك ممكناً بسبب كل من العلاقات المنسجمة التي أقامها مع أخيه لأمه ، سنجار ، والدعم المستمر الذي قدمته قوات النظامية الى محمد . ومع أن فترة حكمه لم تخل من الأزمات ، إلا أن شبح الحروب المثقلة تقريباً لعهد بركي روق كان قد ولى .

وفي ضوء ذلك الأفق السياسي المتقدم ، قد يكون من المتوقع أن يتمكن محمد من توجيه تنباهه الى «الأعداء من الداخل» ، الى اسماعيلية الموت . لكن ماهي الاجراءات

التي اتخذها ضدهم بالفعل خلال الثلاث عشرة سنة من عهده ؟ جاء أول تحرّك له سريعاً ، في وقت يعود الى سنة ١١٠٦/٥٠٠ ، عندما استعاد السيطرة على قلعة شاه دز لشي كانت قد سقطت بأيدي الاسماعيليين . واقتنص الاخباريون الذين قلقوا من كثرة ماروو عن ضعف السلاجقة ونجاح الاسماعيليين ، هذا النصر بشغف . فالمؤرخ الدمشقي ابن نفلانسي ، لذي ضمّن أخبار مدينته تنفاً أو مقتبسات مطولة من أخبار أجزاء أخرى من لعالم لاسلامي ، قطع روايته لأحداث سنة ٥٠٠ هـ منتصراً ليروي نصاً مطولاً يفهم منه أنه كن «فتح - نامه» ، كتبه كاتب محمد ، أبو نصر بن عمر الأصفهاني ، بعد استعادة لسيطرة عى شاه دز ، وكانت النية أن يُقرأ من على منابر الامبراطورية<sup>(٢٠)</sup> . وقد منح علان لنصر هذ ، والذي تمّت صياغته بقالب انشائي رفيع المستوى ، منح العالم السنّي في النهاية سابقة لابتهاج على «إراقة نهر من دماء الباطنيين الهراطقة»<sup>(٢١)</sup> .

وهكذا أصبح محمد بطل الساعة . فقد اتّخذ اجراء مبكراً ضد الاسماعيليين في عهده ونجح . ومن هنا بدأت العملية التي بموجبها قام الاخباريون السنة بتزويق نشاطات محمد ، وانتهت بإبداع صورته على نحو ظهر فيها على أنه «البعير القوي» للسلاجقة<sup>(٢٢)</sup> . إلا أن نسبة الاجراء الآتي الذي اتّخذه محمد ضد شاه دز الى حماسة ايديولوجية سيبدو نوعاً من إضفاء السمعة التاريخية عليه وتحسين صورته . وفي ذلك ، أي في تلك المبادرة الوحيدة طوال عهد الاسماعيليين والتي شارك فيها شخصياً ، كانت دوافعه ، في جزء منها على كل حد ، أكثر عملية وواقعية . لقد كان مضطراً للتعامل مع مسألة الاسماعيليين في أصفهان لأن تلك المدينة كانت قاعدة له ، وكان الاسماعيليون متجذرين هناك ويتلقون دعماً واسع لانتشار . حتى أنهم كانوا يقطعون ثمار العائدات الضريبية من المناطق الممتدة خارج أصفهان وحولها . ويمكننا المجادلة هنا بأنه لم يكن لمحمد خيار سوى التحرك . فخزينة السلاجقة وعتادهم كانا هناك ، وشكّلت قلعة شاه دز مفتاحاً للسيطرة على المدينة<sup>(٢٣)</sup> . وأصفهان هي المركز التقليدي للحكم السلجوقي وكانت سمعة محمد وسلطته مرتبطة بامتلاكها . ولذلك فقد بدأ محمد بحصار لقلعة شاه دز ، وهذا إجراء استصّل رهنياً بفرض ميقوق عنه ابن الأثير بأنه ذرائع تأخيرية من جانب الاسماعيليين في الداخل . غير أن محمداً تمكّن أخيراً من الاستيلاء على القلعة وتدميرها وقتل قادة الاسماعيليين ، ومنهم أحمد بن عكاش وولده . وهكذا تمّ تحقيق نصر تام ، بل حاسم . وكان سقوط شاه دز علامة على نهاية السلطة الواسعة للاسماعيليين في أصفهان ، على الرغم من أنه وجه ليهم اللوم بإحراق مسجد جامع سنة ١١٢١/٥١٥ - وهو عمل لا يبدو أنه من تدبيرهم . لأن مشر

تمت لتكتيكات لم تكن من المظاهر المعتادة لاستراتيجيتهم المناوئة للسنة<sup>(٢١)</sup> . ومنذ تبد  
لفترة وفيما بعد ذلك ، أو حتى وفاته سنة ١١١٨/٥١١ ، حافظ محمد على أصفهان مركزاً  
رئيسياً بسنطته .

وتحرك محمد في السنة ذاتها ضد وزيره الخاص ، سعد الملك ، واستولى على  
ممتلكاته وصلبه على بوابة أصفهان . وكان سعد الملك قد اتهم بالخيانة ضد السلطان ، لا  
أن أربعة من الأصحاب المقربين ، الذين كان يشك بأن لديهم معتقدات باطنية ، قد تم  
قتلهم معه أيضاً . فإذا ما افترضنا أن محمداً كان قد احتمل كلفة حصار طويل لشه دز وأن  
مصدرة وزراء الدولة أو قتلهم غالباً ماحدث في لحظات المصاعب الاقتصادية ، فإن قتل  
محمد هؤلاء الخمسة يكون قد وقع بدافع دنيوي أكثر مما هو بدافع الحماسة والاندفاع ضد  
الاسماعيليين<sup>(٢٥)</sup> .

إن أصبح الشك قد وجه نحو الكثيرين . فعندما تم إحضار أحد المتهمين  
بالاسماعيلية . شخص يدعى سورخان بن كيخسرو الديلمي ، أمام محمد ، استغل ابن  
الآثير فرصة لظهور وثائق لايرقى إليها الشك بخصوص روح محمد السقية ووضع على لسان  
السلطان كلمات التقوى والصلاح التالية :

« لقد أقسمت بالله ألا أقتل سجيناً . أما إذا ثبت أنك من الباطنية ، فإنني سوف  
أقتلك »<sup>(٢٦)</sup>

أما التحرك التالي ضد الاسماعيليين والذي كان بمبادرة من محمد ، فقد ضرب قلب  
سلطتهم ، الموت ، التي أرسل السلطان إليها جيشاً بقيادة وزيره أحمد بن نظام الملوك<sup>(٢٧)</sup> .  
ربما في العام ١١٠٩/٥٠٣ . وطبقاً لابن الآثير فقد رفع الحصار بالنتيجة لأن « الشتاء  
فاجأهم فغادروا دون تحقيق هدفهم »<sup>(٢٨)</sup> ونجد اعترافاً مماثلاً بفشل مشرف عند  
نجويني<sup>(٢٩)</sup> . أما الحسيني فقد غلف الحقيقة بالزعم بأن الجيش السلجوقي قد « وقع هزيمة  
بالباطنيين »<sup>(٣٠)</sup> .

وأكثر الهجمات المضادة للاسماعيليين طموحاً في عهد محمد كان ذلك الذي نفذ  
أنوشتكين شيرغير ضد الموت سنة ١١١٨/٥١١<sup>(٣١)</sup> . وكان الحصار طويلاً ، دم قرابة  
تسعة أشهر<sup>(٣٢)</sup> . ومن المرجح أن الأخباريين قد نجأوا إلى أداة معهودة في إضفاء لغموض  
على الحقيقة المرة بأن الحصار قد فشل . فالجويني يجادل مؤكداً أن الحملة التي قادها قزل  
سريخ د خر قوهستان في عهد ملك شاه ، سنة ١٠٩٢/٤٨٥ ، كانت قد فشلت بسبب  
وصول نبأ وفاة ملك شاه في غير أوانه :

«وقبل تمكنه من الاستيلاء على المكان . تلقى نبأ وفاة ملك شاه ، فقام برفع الحصار إثر ذلك وتفرق جيشه»<sup>(٣٣)</sup> .

واستخدم الجويني جدلاً معائلاً لتبرير رفع شيرغير للحصار سنة ١١١٨/٥١١ . ويملي انخداع بريء القول بأن المصادر متفقة في تأكيدها على أن شيرغير ، كما يقول الحسيني « كان على شفا الاستيلاء على الموت » ، عندما وصلت أنباء وفاة السلطان<sup>(٣٤)</sup> . ولم يعد هناك من أمل بمواصلة الحصار بعد ذلك ، إذ سارع القادة الى مغادرة المكان على الفور ، واستولى سكان الموت على المؤن التي خلفوها وراءهم . وهكذا يتدخل القدر مرة أخرى ويخلف النصر من بين أيدي السلاجقة ، إذ ليس هناك من إشارة الى ثبات الاسماعيليين ووقوفهم في وجه حصار لقلعتهم .

### تذييل

حصل الاسماعيليون على فُرجة بعد وفاة محمد بسبب ما أعقب ذلك من صراعات للسلاجقة على السلطة . وقد حافظوا بكل تأكيد على تحصنهم في الموت . واستعادوا قوة كافية لهم في قوهستان أجبرت سنجار على التفاهم معهم<sup>(٣٥)</sup> . وكان سنجار هذا ، الذي لم ير حاجة للحضور شخصياً الى غرب ايران إبان حكم أخيه محمد للمشاركة في قتال الاسماعيليين واستئصالهم من هناك ، كان قد حضر سنة ١١١٩/٥١٢ على رأس جيش كثيف تحيطه مظاهر الأبهة ، في عرض للقوة ضد ابن أخيه محمود بن محمد<sup>(٣٦)</sup> . وقد أصبح سنجار قائداً بلا منازع للسلاجقة قبل وفاة حسن الصباح بفترة لا بأس بها<sup>(٣٧)</sup> ، ومع ذلك ، لا يبدو أنه شعر بأن منصب المسؤولية هذا قد وضع على كاهله أمر المعالجة الجدية للمسألة الاسماعيلية .

### بعض الملاحظات التاريخية

إن معالجة ابن الأثير لهذه الفترة هي من النوع المعمق والشامل ، وتطرح عدداً من المسائل الهامة . فمن وقت لآخر ، يقطع ابن الأثير في تاريخه العالمي الشكل التقليدي للرواية الحولية لينظر بعمومية أكبر في موضوع تاريخي ذي أهمية . وهو ، مثل ابن الجوزي ، يولي ظهور اسماعيلية الموت استطراداً خاصاً تحت سنة ١١٠١/٤٩٤<sup>(٣٨)</sup> . أمّا

الحوادث الفردية التي لها علاقة بالتعاملات الاسماعيلية - السلجوقية ، فقد تمّ التعامل معها ضمن سياقها التاريخي الصحيح . وعندما يستعيد رواية أنشطة الاسماعيين في أصفهان ، يتحدث ابن الأثير عنهم بنوع من التشنيع والطعن يذكّرنا بما قاله نظام الملك أو الجويني : «وعندما أصبح هذا البلاء متفشياً بين الناس ، أتاح العلي القدير لظنّائهم أن ينكشف وللانتقام أن يُستوجب منهم»<sup>(١٠)</sup> .

وطبقاً لابن الأثير ، لم يكن ، بعد تولّي محمد للعرش ، من أمر أكثر الحاحاً يثير انتباه لسلطان الجديد من التعامل مع التهديد الاسماعيلي ووضع حد له . «وعندما أصبح محمد سلطاناً ولم يعد هناك من معارض له ، لم يبق من مسألة أكثر أهمية له من الهجوم على الباطنية ، وقتالهم والاقتصاص للمسلمين من تعديّاتهم وظلمهم»<sup>(١١)</sup> .

كما يخصّص ابن الأثير عدة صفحات للحديث عن خبر وفاة محمد وراثته . وهذا لحديث نموذج في المبالغة والخداع البريء . فقد وصف فيه محمد بالسلسلة المعتادة من نقاب الثناء - العادل ، الفاضل ، والشجاع . وأحد الأمثلة على عدالته كان إلغاؤه للمضرائب والمكوس غير الشرعية في جميع أراضي مملكته . أما بقية الرثاء فقد خُصص للحديث عن نشاطات السلطان ضد الباطنية :

«من بين محاسن أعماله ما فعله بالباطنية ، على نحو ما سنرويه ، وقد سبق لنا القول عمّا قام به من حصار لقلاعهم . وسنأتي هنا على ذكر تعاظم اهتمامه بأمرهم ، لأنه عندما أدرك أن صلاح حال المؤمنين والبلاد يقع في اجتثاثهم وإزالة آثارهم وتدمير حصونهم وقلاعهم ، قرّر تكريس نفسه لمهاجمتهم بلا كلل»<sup>(١٢)</sup> .

إنها فعلاً كلمات رثاءة . لكنّ الجدل مازال قائماً ، كما رأينا ، حول ما إذا كان ستئصل لاسماعيليين قد احتلّ الأولوية في اهتمامات محمد . بل ولم يشارك شخصياً قط في أي هجوم عليهم في الموت . والمشاركة الشخصية الوحيدة كانت عندما استعد مركز سبطه لخاصة في أصفهان ، وهو تحرك ربّما كان دافعه منقعة شخصية لا أكثر . أمّا لسير للاحق في الرثاء الذي أورده ابن الأثير لبيان حماسة محمد ضد الاسماعيليين فقد يكون من رواية مفصلة لحصار الموت سنة ١١١٨/٥١١ .

وكن محمد قد ألقي بمهمة تنفيذ تلك المقاومة على كاهل أنوشكين شيرغير . حاكم ساوه ، وسى نشاطات هذا الرجل ، أكثر مما هو إلى موضوعه الظاهري ، خصّص ابن الأثير ما تبقى من فصل رثائه . وتجبر الدقة التاريخية ابن الأثير على الاعتراف بفشل السلاجقة في

الماضي . وهناك إشارة موجزة لكنها غامضة بخصوص محاولات فاشلة قام بها محمد للاستيلاء على آلموت : « وبعث السلطان إليه (أي إلى حسن الصباح) بالقوات ، كما أسلفنا الإشارة ، وعادوا دون تحقيق مرادهم »<sup>(١١)</sup> .

ثم يتلو ذلك رواية حول حصار ناجح لآلموت ، رُفِعَ إثر ذبأ وفاة محمد . إنه نفي غير مناسب بأي مقياس كان . ولهذا ، مامقدار ما يستحقه محمد من المديح الذي يكيّله له ابن الأثير ؟ وكم كان صلياً في قتاله ومجاهدته « للهراطقة » وانقاذه لمصير البيت السلجوقي ؟ إن ما يبدو أن الصورة التي خلفها له ابن الأثير والآخرين هي صورة تقي وهمية . والدليل النقشي المعاصر على السلطة الاسمية لمحمد يبدو مألوفاً . فالنقش غير المؤرخ على غولبايفان باسمه يعطيه الألقاب المدحية والطويلة نسبياً التالية : « الملك العادل ، والسلطان المعظم ، والشاهنشاه المبجل ، مولى العرب والعجم ... قسيم أمير المؤمنين »<sup>(١٢)</sup> . لكن ليس هنا من إشارة ، كما يريدنا ابن الأثير أن نعتقد ، إلى أن محمداً كان مجاهداً ضد الهراطقة عموماً ، أو اسماعيلية آلموت خصوصاً .

ويبدو أن تصوير السلطان محمد « بقاتر الهراطقة » المتحمس كانت قد تحصّلت له في المناخ الذي سادت فيه روح السنية والجهاد القوية زمن الزنكيين والأيوبيين ، عندما صارت إنجازات القادة العسكريين الأتراك في هذا الميدان تُعزى من قبل كتّاب الأخبار في تلك الفترة إلى أسلافهم الأتراك ، إذا ما عدنا بذاكرتنا إلى الماضي ، أي إلى السلاجقة العظام . وينتهي ذلك كله بطريقة ما إلى تفسير موقف ابن الأثير من السلطان وتضخيمه الحذر ، لكن الهادي للعيان ، لدور محمد في هجمات السلاجقة على اسماعيلية آلموت . وكانت وفاته علامة على نهاية الحكم السلجوقي المؤثر في غربي السلطنة ، كما أن عهده كان إشارة إلى بداية التراجع في النجاحات الاسماعيلية . قد كان الأخير في خط السلالة الحاكمة ، وكان بذلك موضوعاً مناسباً لإعادة تشكيل تاريخية .

وهناك تعارض وعدم اتفاق بين المصادر بخصوص العدد الفعلي للهجمات السلجوقية ضد آلموت . وطبقاً للجويني ومؤرخين فرس آخرين<sup>(١٣)</sup> ، فقد بعث السلاجقة بهجمات إلى آلموت لثمانين سنوات متلاحقة ، في حين لا تذكر مصادر أخرى سوى محاولتين محدّتين ، وما يلمح إليه ابن الأثير بطريقة غامضة نسبياً هو أنه ربما كانت هناك مغامرات فاشلة أخرى<sup>(١٤)</sup> . فمن جهة تتضمن الرواية التي قدمها الجويني تصميماً سلجوقياً ثابتاً على تدمير مركز الاسماعيليين ، بينما تقترح الرواية الموجودة في المصادر الأخرى ، من جهة ثانية ، جهوداً متقطعة ومتفرقة من جانب السلاجقة . فما هي التفسيرات التي يمكن تقديمها بناء

على وجهات النظر المتعارضة تلك؟ من الممكن المجادلة بأنه من المؤكد أن إعصاء مصداقية ستفسير الأخير هو أمر خلاب أكثر لأن القسم الرئيسي من مصادر تلك الفترة ، وابن لأثير فوق كل شيء ، تشكو وهي تمتدح السلاجقة ، ولاسيما منجزات السلطان المتلاحقة ضد الموت ؟ إن مثل هذا العدد من الحملات كان سيبدو علامة واضحة على الالتزام بالجهاد ومحو آثار « الهرطقة » . والخط الآخر من الجدل سيكون أن القسم الرئيسي من المصادر سيرغب بشكل طبيعي في تقليل أهمية حقيقية أن السلاجقة فشوا في محاولات لتدمير مركز الاسماعيليين في الموت . ولذلك ، فهي لم تكشف الحجم الحقيقي لجهود السلاجقة وانظر في فشلهم له مايفسره أيضاً ، لقد كان قدر المغول ، بعد ذلك كله ، تحقيق غزو حاسم لآلموت عندما حان الحين لذلك .

« بيد أنه عندما لم يكن قد آن الأوان بعد ، خلال عهد حسن الصباح ، فإن قلعة آلموت نفسها تلك ، التي كانت مواردها وحاميتها صغيرة ومحدودة ، تعرضت للحصار عدة مرات خلال ١١ عاماً من قبل محمد بن ملك شاه بن أنب أرسلان (كما يمكن قراءته في كتب التاريخ) لكن دون جدوى»<sup>(١٦)</sup> .

وهكذا ربما كان لجويني أسبابه الخاصة الجيدة التي دفعته الى تضخيم العدد الفعلي للحملات السلجوقية الفاشلة ضد الاسماعيليين في الموت . وكذلك للزعم بأنه كانت هناك ثماني حملات وليس بالأحرى اثنتان . وكما يجادل مورغان بحق ، إنه من الصعب أن يقوم الجويني مصادفة بجعل التدمير المغولي لآلموت ذروة كتابه فقد كان باستطاعة الجويني « تمييز بعض البطانات الفضية في السحب المغولية»<sup>(١٧)</sup> . وإحدى مثل تلك « البصائد الفضية » . كانت ما قام به هولاكو فعلاً ، والذي بدا وكأنه استئصال لاسماعيلية آلموت ويحذف لجويني ، وكما هو حريء بموظف عند المغول ، كل ماله صلة بحصارهم لبغداد وبقتل لمغول آخر خليفة عباسي سنة ١٢٥٧/٦٥٦ ، لكنه يرى من ناحية تاريخية أنهم فرصة ليبلغ في عدد المحاولات السلجوقية الفاشلة على آلموت لكي يبرز بقوة أكبر روعة لانجاز المغولي في تخليص العالم الستني من عدوه الذي صمد طويلاً .

ويذكر ابن الأثير عرساً نقطة هامة في ملاحظته الرثائية عن محمد . فهو يكتب أنه بينما كنت الباطنية تعاني من الشدائد ، وصلت اليهم أنباء وفاة السلطان محمد . عند ذلك ارتفعت الروح المعنوية للباطنية . ثم يصف التفصيلات القليلة التالية : « وقد وصلت الأنباء الى القوات المحاصرة لهم (أي للباطنية) بعد يوم من عملهم (أي الباطنية) بها»<sup>(١٨)</sup> .

إن هذه لمعلومة الخفية لاتزال دون تفسير ، إذ يحترق المرء حول كيفية حدوث ذلك

وسبب ذكر ابن الأثير لها . غير أن ابن الأثير يشير ، عن غير قصد ، الى نظام الاتصالات الأكثر فاعلية للاسماعيليين المُحاصرين الذين سمعوا بهذه المعلومة الهامة من الأنباء قبل وصولها الى السلاجقة . ويدعم هذه التفاصيل دليل أثري يكشف عن الرؤية المتداخلة لشبكة القلاع الاسماعيلية في الديلم التي تسمح بتبادل إشارات النار أو الضوء أو الدخان ، إذا لم نذكر شيئاً عن الرسائل التي يحملها الحمام الزاجل . وأصبح معروفاً بدليل أثري أيضاً أنه كانت لفوتيتار ، على سبيل المثال ، رؤية متداخلة مع الموت ولامسار وميمون دز<sup>(٤٩)</sup> .

لكن هل كان لحسن الصباح والشخصيات الاسماعيلية البارزة الأخرى نوع من الجيش النظامي أو حتى قوات غير نظامية في تلك الفترة كان بإمكانهم الاعتماد عليها أو تأجيرها الى قادة عسكريين آخرين ؟ هناك بعض الإشارات المغرية ، إلا أنها موجزة ، في مصادرنا تدعم الفرضية الأخيرة . ففي وقت مبكر يعود الى سنة ٤٩٣/١١٠٠ ، ذُكر أن بعضاً من خمسة آلاف جندي باطني راجل كانوا جزءاً من قوات أمير داد حبشي ، صاحب حصن جيردكوه ، في معركة ضد بركيا روق . والظاهر أن أولئك الجنود الراجلة كانوا من جنود اسماعيل الكلكلي ، صاحب طبس<sup>(٥٠)</sup> . أما الحسيني فيجعل سنجار يقاتل الى جانب بركيا روق في تلك المعركة<sup>(٥١)</sup> ، بينما ذكر ابن الأثير أن سنجاراً حارب مع قوات حبشي<sup>(٥٢)</sup> . ويذكر ابن الأثير تحت سنة ٤٩٧/١١٠٣ تجمّعاً ضخماً للاسماعيليين من منطقة بهيق كانوا في حالة هياج ، ويضيف أن ذلك كان بسبب اهمال من السلاطين الثلاثة<sup>(٥٣)</sup> . وفي العام ١١٠٧/١٠٥ ، تمكّن صدّقة من جمع عشرين ألف فارس من « الفرق المتبعثرة للأكراد والترك والديالمة والعرب »<sup>(٥٤)</sup> . لكن الديالمة ليسوا بالضرورة مرادفين للاسماعيليين . إذ يذكر ابن الأثير تحت سنة ٥١٣/١١١٩ ، اسم قوزغلو على أنه قائد « الأتراك الاسماعيليين »<sup>(٥٥)</sup> . أما بالنسبة لجيش سنجار المرمم الذي اصطحبه سنة ٥١٣/١١٩ الى الري عبر خراسان من أجل ارباب ابن أخيه ، محمود ، ليدخل في طاعته ، فقد اشتمل على خمسة ملوك و« آلاف من الباطنية والكفار »<sup>(٥٦)</sup> .

ليس واضحاً أن هوية تلك القوات ولا وضعيتها بالنسبة الى الجيوش السلجوقية ، لكن من المرجح أنها كانت مأجورة لمعركة محدّدة ، وكان في مقدورها الظهور على أحد الجانبين في الصراع السلجوقي الداخلي على السلطة . غير أنه واضح أن المسائل العقائدية لم تلعب سوى دور ضئيل في ذلك كله ، على الرغم من أن الأخباريين رأوا أنه من الأهمية بمكان ذكر الوجود الاسماعيلي هنا . ويوحى انغماسهم في النشاطات السرية السلجوقية أن السياسة الاسماعيلية القائمة على اغتيال الشخصيات الرئيسية كانت ، حتى في زمن حسن



لصبح ، قد بدأت تفسح المجال لاستراتيجيات وتكتيكات للنجاة لقادة مواقع أخرى صغيرة نغمرسو في صراعات السلطة لتلك الأيام . وبحلول سنة ١١٢٤/٥١٨ ، كان الاسماعييون جماعة من بين كثيرين يتنافسون على السلطة ضمن إطار محلي . وتوحي الإشارات بى مشركتهم العسكرية في مختلف صراعات السلطة في ذلك الوقت بأن وجودهم ضمن الاطار الايرني كان مسموحاً به أكثر مما كان يحاول إخباريو العصر الوسيط المتأخرون . بتشنيعاتهم على النمط المعادي للاسماعيين .

### خاتمة

يتضح من المناقشة السابقة أنه لا تزال هناك نظرات معمقة جديدة يجب جمعها و استخلاصها من موضوع يمكن النظر اليه على أنه مألوف للغاية تقريباً في أكتتاب التبحرية ، ولا سيما عندما يكون أولئك المتبحرون العاملون في هذا المجال من ذوي الكفاءات العالية ويكتبون بطريقة مقنعة . ومع ذلك ، فلا تزال هناك أسئلة دون أجوبة تتعلق بكل من الحوادث الفردية كما بالمجموعة الأكبر من الأحداث ، ومن السهل جداً قبول جميع ما قاله الأخباريون من العصور الوسطى من حيث قيمته الظاهرية . لكن هناك حاجة لتقبه بعمر أكبر بكثير يتناول القاعدة التاريخية التي انبثقت عنها التاريخ العام للصراع الاسماعي - السلجوقي .

المصادر السننية من القرنين السادس/ الثاني عشر و السابع/ الثالث عشر تحاول عموماً تضخيم الانجازات السلجوقية ضد اسماعيلية الموت . والحال كذلك في ما يتعلق بمحمد على وجه الخصوص . فالجوني الذي يستمد من مواد عثر عليها في الموت ، يقترح نشاطاً كبيراً من جانب السلاجقة ضد الاسماعيليين في مراحل معينة ، وعدد أكبر من لعمليات الفعلية ضد الموت . كما يمكن أن تكون هناك دوافع دعائية وراء ذلك في توقع - وتحديد من أجل تجنيد الفتح المغولي لآل الموت وتعظيمه .

ربما كان بإمكان قوات محمد وسنجان مجتمعة إزاحة الاسماعيليين عن الموت ، وزلة مركزهم العسكري الرئيسي بالتالي من الوجود ، غير أن خطر العمليات الاسماعيلية لسرية ، التي كانت تهدف الى التحويل الى المذهب عن طريق الإقناع والإخضاع ، في لبلاد وفي المدن الرئيسية من الامبراطورية السلجوقية ، ربما كان سيستمر في الوجود أيضاً ، ومثل تلك «العدوى الخبيثة» الأكثر افساداً ستكون في وضع يصعب عزله واحتوائه

غير أن من الصعب إثبات وجودها بشكل قاطع اعتماداً على المصادر الأولية التي غالباً ماتلجأ الى قصص وحكايات غريبة وخيالية هستيرية .

لم يقدم محمد وبركياروق وسنجار قط على تشكيل جبهة متحدة ضد اسماعيلية الموت في فترة النمو والتطور الاسماعيلية في ايران ، ٤٨٥ - ١٠٩٢/٤٩٨ - ١١٠٥ . بل إن محمداً وسنجاراً اتحدا في مناسبات ضد بركياروق ، لكن لم يحدث قطعاً في عهد الأخير أن قام الأخوة الثلاثة جميعاً بمهاجمة عدوهم المشترك المقيم بين ظهرائهم . إن فقدان التضامن والتضحية المشتركة هذين نادراً ما كانا مغيرين للدهشة : فالعلاقة يتطلعون الى ميراث أجدادهم ولن يتخلوا عن حصصهم منه دون صراع عسكري . إن ثلاث قطع كبيرة من ميراث الأجداد كان عليهم تقاسمها والاستيلاء عليها من الامبراطورية السلاجوقية العظيمة التي حكمها ملك شاه . أما سنجار فقد كان آمناً نسبياً في الشرق . لكن المقاطعات الغربية (ايران الغربية والعراق) كانت مسرحاً لصراع حاد دام طويلاً بين بركياروق ومحمد ، واستمر حتى وفاة بركياروق سنة ١١٠٥/٤٩٨ تقريباً ، وهو الصراع الذي أضعف الجانبين كليهما ، إن خمساً من المعارك بين بركياروق ومحمد لابتدأ وأنها تطلبت موارد ضخمة واستنزفت أموالهما ، وكان الاستمرار في تأمين رواتب عسكرهما الشغل الشاغل لهما . ولذلك ، فإن أي هجوم مشترك ضد الاسماعيليين لم يكن أمراً أولوياً بل ولاهدفاً رئيساً لأي من الآخرين في تلك المرحلة . لكن هل كان بإمكان محمد وسنجار مجتمعين الحاق هزيمة بالاسماعيليين في الموت ؟ إنه من الصعب الإجابة على هذا السؤال . من ناحية عديدة ، كان بإمكانهما أن يكونا أكبر ، لكنهما افتقدا الهالة التي أحاطت بالمغول بأنهم لايتقهرون عندما وفدوا أخيراً الى الموت ، وكذلك سلاح الرعب الذي أوقعته تلك الهالة في ضحايا المستقبل .

وعندما أصبح محمد حاكماً بلا منازع في غربي السلطنة فيما بعد ، أي بعد سنة ١١٠٥/٤٩٨ ، لابد أنه عانى من مشاكل مالية حادة لفترات من عهده على الأقل . فقد كانت هناك متطلبات أخرى فرضت على خزينته مثل تمويل حملات ضد الصليبيين ، كان مضطراً للقيام بها فيما بعد . وواضح أنه وجدت حدود بالنسبة الى الوقت والموارد المالية التي كان بإمكانه توفيرها لاستثمارها في حملات عسكرية وعمليات حصار للموت وللمراكز الاسماعيلية الأخرى . وكان عليه في النهاية اتخاذ خطوات لإبقاء نفسه في السلطة إضافة الى وجود تداءات أخرى ما بين عامي ١١٠٥/٤٩٨ و ١١١٨/٥١١ استوجبت انتباهه أيضاً .

وعنى كل حال ، فقد تم إرسال العديد من الحملات الى الموت ، وما أخبر به هو أن  
السيطان محمد لم يذهب شخصياً قط الى هناك لمهاجمة العدو . فقد أوكل تلك المهمة  
بشكر دائم إما الى أحد أبناء نظام الملك (الذين كانت لهم أسبابهم في بغض  
الاسماعيليين) ، أو الى قائد عسكري قدير ، ولا سيما شيرغير . وتوحي تلك الحال من  
جانب السلطان محمد أنه خلال الثلاث عشرة سنة من فترة حكمه لم يقدم ، في الحد  
الأدنى على الأقل ، على جعل استئصال التهديد الاسماعيلي على رأس أولوياته . ولتذكر  
المصادر ولا تشير الى وجود حاجات أكثر إلحاحاً من التهديد الذي فرضه العدو « المنحد »  
من داخل . وواضح أن الصليبيين الذين كانوا ناشطين في توليد مركزهم في سورية  
ولأراضي المقدسة وقادرين على أن يشكلوا مخرجاً بديلاً وشرعياً لطاقت محمد ، لم  
يكونوا سوى على الهامش من نشاطاته . ولذلك ، فأقصى ما يمكننا قوله بخصوص جهود  
السيطان محمد ضد الاسماعيليين هو أنها كانت جهوداً متقطعة وأوكلت الى مساعديه .  
ونهذا كانت ذات فاعلية محدودة .

ويمكننا ، في نهاية هذه المناقشة ، تلخيص حقائق محددة . لم يقدم السلاجقة على محو  
التهديد الاسماعيلي الكتي لكنهم أبعدا تهديد انقوة الاسماعيلية الرئيسية عن أصفهان  
ووضح أنهم كرسوا جزءاً من طاقتهم ، لكن ليس كلها ، لهجمات على الاسماعيليين . غير أن  
الجزء الأكبر من « اللوم » في فشل السلاجقة في استئصال الاسماعيليين داخل أراضيهم يقع  
عليهم ولا يجوز نسبته الى عزيمة الاسماعيليين وفاعليتهم وحدها .

وتبقى الإمكانية بأنه ربما كان في مقدور قوات محمد وسنجار مجتمعتين استئصال  
الاسماعيليين في الموت بشكل قاطع بالطريقة ذاتها التي اتبعتها قوات هولاكو بنتيجة .  
وتتضمن العوامل التي ساهمت في فشل السلاجقة القيام بذلك ، تجزؤ القوات السلجوقية ،  
وفتقدهم الى أنشطة عسكرية سلجوقية متضافرة ، ومسألة الموارد المالية - حتى في ظل  
السيطان محمد - واحتمال أن الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، وفقاً لما نجده في مصادر  
السلجوقية وحسب ، لم تكن محصورة في الحصون الاسماعيلية المعروفة ، بل كانت متغلقة  
بشكر أعظم بكثير في العديد من مناطق إيران ، الريفية منها والحضرية ، وداخل كر من  
الجيوش السلجوقية وبلاطاتهم . لقد كان من الصعب ، والأمر كذلك ، طردهم وتخلص  
منهم . وعموماً إذن ، وفي تلك المرحلة من الدعوة الاسماعيلية النشطة في ظل قيادة حسن  
المصبح ، لم تكن هناك من إرادة أو جهد متضافر حقيقي في الامبراطورية السلجوقية لتعمر  
مع الاسماعيليين ووضع حد لهم .

## الحواشي

- ١ - انظر هــجسون ، فرقة الحشاشين . (١٩٠٥) ، ص٧٢-٩٩ ، برنارد لويس ، الحشاشون (لندن ، ١٩٦٧) ، ص٢٣-٦٢ ، دفتري ، الاسماعيليون (كمبريدج ، ١٩٩٠) ، ص٢٥١-٢٧١ (الترجمة العربية ، سيف الدين القصير ، ط٢ ، سلمية ١٩٩٦) .
- ٢ - م . سناء الدين ، تدهور الامبراطورية السلجوقية (كلكتا ، ١٩٢٨) .
- ٣ - ليزر ، تاريخ السلاجقة (كاربونندال ، ١٩٨٨) ، ص٥٦ .
- ٤ - صدر الدين الحسيني ، أخبار الدولة السلجوقية ، تح . اقبال (لاهور ، ١٩٢٥) ، ص٧٦ ، ابن القلائسي ، ذيل تاريخ دمشق (لیدن ، ١٩٠٨) ، ص١٣٧-١٤٠ ، أبو القاسم كاشاني ، زبدة للتواريخ (طهران ، ١٩٨٧) ، ص١١٥ .
- ٥ - ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تح . عباس (بيروت ١٩٦٨) ، م٢ ، ص٤٢٨ .
- ٦ - ابن القلائسي ، ذيل ، ص١٤٠ .
- ٧ - هـجسون ، فرقة ، ص٧٥-٧٧ ، كاشاني ، زبدة ، ص١١٥-١١٦ .
- ٨ - انظر أسماء القلاع عند ابن الأثير ، الكامل في التاريخ (لیدن ، ١٨٥١) ، م١٠ ، ص٢١٥-٢١٨ .
- ٩ - كاشاني ، زبدة ، ص١٥٤-١٥٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، م١٠ ، ص٣٦١ .
- ١٠ - انظر على سبيل المثال ، كلوزنر ، الوزارة السلجوقية (كمبريدج ، ١٩٧٢) ، ص١٠٦ .
- ١١ - ابن الأثير ، م١٠ ، ص٢٢٠ .
- ١٢ - الحسيني ، أخبار ، ص٧٨ .
- ١٣ - البنداري ، زبدة النصرة (لیدن ، ١٨٨٩) ، ص٨٤ ، الراوندي ، راحة الصدور (لندن ، ١٩٢١) ، ص١٢٨ .
- ١٤ - البنداري ، زبدة ، ص٨٩ ، سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان (١٩٥١) ، م٨ ، ص١٣ .
- ١٥ - ابن الجوزي ، المنتظم (بيروت ، ١٩٩٢) ، م٧ ، ص٤٨٨ .
- ١٦ - ابن الأثير ، م١٠ ، ص٢١٣-٢٢٠ ، ابن الجوزي ، المنتظم ، م١٧ ، ص٦٢-٦٥ ، الغزالي ، فضائح الباطنية (القاهرة ، ١٩٦٤) .
- ١٧ - ابن الأثير ، م١٠ ، ص٢٢١ .
- ١٨ - المصدر السابق ، م١٠ ، ص٢٥٢ .
- ١٩ - لويس ، الحشاشون ، ص٥٢ .
- ٢٠ - ابن القلائسي ، ذيل ، ص١٥٢-١٥٦ ، ابن الجوزي ، مرآة ، م٨ ، ص٢٠ .
- ٢١ - ابن القلائسي ، ذيل ، ص١٥٥ .
- ٢٢ - البذاري ، زبدة ، ص١١٨ .
- ٢٣ - الراوندي ، راحة الصدور ، ص١٦١ ، ابن الأثير ، م١٠ ، ص٢٩٩ ، الحسيني ، أخبار ، م٧٩ ، ابن الجوزي ، مرآة ، م٨ ، ص٢٠ ، والمنتظم ، م١٧ ، ص١٠٢ ، والبنداري ، زبدة ، ص٩٠ .
- ٢٤ - ابن الأثير ، م١٠ ، ص١٢٠ .
- ٢٥ - البنداري ، زبدة ، ص٩٠ .

- ٢٦ - ابن الأثير ، م ١٠ ، ٢١٣ .
- ٢٧ - المصدر السابق ، م ١٠ ، ص ٣٣٥ ، الحسيني ، أخبار ، ص ٨١ ، الجويني ، تاريخ (مانشستر ، ١٩٥٨) م ٢ ، ص ٦٨٠ .
- ٢٨ - ابن الأثير ، م ١٠ ، ص ٣٣٥ .
- ٢٩ - الجويني ، تاريخ ، م ٢ ، ص ٦٨٠ .
- ٣٠ - الحسيني ، أخبار ، ص ٨١ .
- ٣١ - المصدر السابق ، ص ٨٢ ، البنداري ، زبدة ، ص ١١٧ ، ابن الأثير ، م ١٠ ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .
- ٣٢ - الجويني ، تاريخ ، م ٢ ، ص ٦٨١ .
- ٣٣ - المصدر السابق ، م ٢ ، ص ٦٧٦ - ٦٧٥ .
- ٣٤ - الحسيني ، أخبار ، ص ٧٩ .
- ٣٥ - الجويني ، تاريخ ، م ٢ ، ص ٦٨٢ .
- ٣٦ - ابن الجوزي ، مرآة ، م ٨ ، ص ٤٢٨ .
- ٣٧ - ابن الأثير ، م ١٠ ، ص ٢١٢ .
- ٣٨ - المصدر السابق ، م ١٠ ، ص ٢١٣ .
- ٣٩ - المصدر السابق ، م ١٠ ، ص ٢١٤ .
- ٤٠ - المصدر السابق ، ص ٢٩٩ .
- ٤١ - المصدر السابق ، ص ٢٦٩ .
- ٤٢ - المصدر السابق .
- ٤٣ - ابن خلكان ، وفيات ، م ٥ ، ص ٧٢ ، ونظر أيضاً Herzfeld, *Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum* (Paris, 1955), VOL. 1, P. 118-119. Herzog: "Monnaies Saljuquides". *Annales Islamologiques*, 19 (1983), P. 76-92.
- ٤٤ - الجويني ، تاريخ ، م ٢ ، ص ٦٨١ ، كاشاني ، زبدة ، ص ١٦٦ .
- ٤٥ - ابن الأثير ، م ١٠ ، ص ٣٦٩ .
- ٤٦ - الجويني ، الأخبار ، م ٢ ، ص ٦٣٧ .
- ٤٧ - مورخان ، الصفول (أكسفورد ، ١٩٩٠) ، ص ١٧ - ١٨ .
- ٤٨ - ابن الأثير ، م ١٠ ، ص ٣٧٠ .
- ٤٩ - كلاركس ، «كلاع الحشاشين في إيران» في «الفن السلجوقي في إيران والأناضول (كاليفورنيا ١٩٩٤)» .
- ٥٠ - الحسيني ، أخبار ، ص ٨٧ ، ابن الأثير ، م ١٠ ، ص ٢٠١ ، البنداري ، زبدة ، ص ٢٥٩ .
- ٥١ - الحسيني ، أخبار ، ص ٨٧ .
- ٥٢ - الحسيني ، م ١٠ ، ص ٢٠١ .
- ٥٣ - المصدر السابق ، م ١٠ ، ص ٢٧٠ .
- ٥٤ - الحسيني ، أخبار ، ص ٥٥ .
- ٥٥ - ابن الأثير ، م ١٠ ، ص ٣٩٢ .
- ٥٦ - سبط بن الجوزي ، مرآة ، م ٨ ، ص ٧٧ .

## اسماعيلية قوهستان وملوك نيمروز اوسستان

ادموند بوزورث\*

كانت المنطقة الفارسية الشرقية في قوهستان (البلاد الجبلية)، وهي المجاورة حالياً لحدود فارس الشرقية مع أفغانستان، في نظر المؤرخين والجغرافيين المسلمين من العصر الوسيط واحدة من المناطق ذات الطبيعة غير المحددة. وتشكل القسم الجنوبي من المقاطعة الأكثر تحديداً، خراسان، لكنها بدون شخصية خاصة بها محددة تماماً. كما أنها لم تحتو على مدن كبيرة بالمقارنة مع تلك التي على حدودها، مثل نيسابور وطوس وهرات وزرنج، وأن اقتصادها كان من النوع المحلي، أي زراعي اعتمد كلية على الري من لأقنية ولأبر (لأن المنطقة افتقرت إلى أنهار ذات جريان دائم)، وصناعي اعتمد على منتجات من لسجاد والمنسوجات (التي حقق بعضها شهرة كانت أكثر محلية، مثل ثياب قوهي ولحرير لذي ذكره الجغرافيون على أنه من بين منتجات قوهستان)<sup>(١)</sup>. وتظهر الروايات بمتداثرة لمؤرخين المسلمين من العصر الوسيط أن المدن والقلاع المتواصلة لقوهستان خضعت في زمنة متنوعة لحكم أمرائها أو حكامها المحليين الخاصين بها على الرغم من أن منطقة كانت ملحقة إدارياً عموماً ضمن الوحدة الأكبر لخراسان، أو ضمن الوحدة المتمركزة في

\* C. Edmund Bosworth، من المختصين البريطانيين الرواد في الدراسات الإسلامية، وأستاذ فخري للدراسات العربية في جامعة مانشستر (إنجلترا). وهو محقق مشارك للموسوعة الإسلامية. ومحقق مستشار للموسوعة الإيرانية، وله دراسات متميزة نشرت في عدد من المجلات والأعمال التاريخية مثل: تاريخ كمبودج لاهران، وتاريخ كمبودج للأدب العربي، وله كتاب عن الفريسيين (أدبيرغ، ١٩٩٢) والسلاسل الإسلامية الحاكمة (أدبيرغ، ١٩٦٨) وسبستان في ظل العرب (أدبيرغ، ١٩٦٧)، والخزنيين المتأخرين (أدبيرغ، ١٩٧٧)، وتاريخ سبتان وملوك نيمروز (نيويورك، ١٩٩٤). كما ترجم ثلاثة أجزاء من تاريخ العنبري إلى لاسكيزية

هرات وغربي أفغانستان كما في فترتي الإيلخانيين والتموريين على سبيل المثال .  
 إن الطبيعة الجبلية لتضاريس قوهستان واقتارها لمركز مبرز في التاريخ الاسلامي  
 الشرقي جعل المنطقة مؤهلة لدور ملائم حيث لعبت الاعتقادات الدينية والمعادن الاجتماعية  
 الأقدم ، أو «زنادقة» الاسلام ، ولم تتعرض لسوء من جانب السلطات السنية  
 الأرثوذكسية للمدن الخراسانية . وبقيت ملجأ للزرادشتية لفترات طويلة من الأزمنة  
 الاسلامية المبكرة . وقاشرت بشدة في الفترة العباسية المبكرة ، كما كان الحال بالنتيجة مع  
 كامل خراسان وسيستان أيضاً ، بالحركة الخارجية النشطة لحمزة بن الأزرق  
 (ت ٢١٣/٨٢٨) . وانزعت فيها ، مع مقدم السلاجقة العظام ، دعوة اسماعيلية نزارية بعد  
 أن أرسل حسن الصباح تابعه حسين قاضي إلى بلدة الأم قوهستان سنة ٤٨٤/١٠٩١  
 لينشر من هناك ذلك الشكل من الشيعة<sup>(٢)</sup> .

وأصبحت الاسماعيلية التي استغلت التذمر المحلي ضد ادارة سلجوقية غاشمة ،  
 ونسجت بشكل مفهوم على قوتر محلي ملح من «الزنادقة» الاسلامية ، أصبحت متجذرة في  
 قوهستان بشكل ثابت بحيث أن السكان الاسماعيليين المحليين في مراكز مثل طيس  
 مسينان ، وقائين ، ومؤمن آباد ، وتورشيز ، وتون ، ودارا - الناس الذين وصفتهم المصادر  
 التاريخية السنية بالملاحدة القوية - صاروا عاملاً في التاريخ الداخلي لخراسان إبان فترات  
 السلاجقة والفوريين ، والخوارزمشاهية ، لكن نجد هنا ، كما في أي مكان آخر من الأراضي  
 الفارسية ، أن الغزوات المغولية في القرن السابع/ الثالث عشر ، كانت ستضع حداً قاسياً  
 للنشاط السياسي والعسكري الخارجي لاسماعيلية قوهستان ، وأن الجماعة كانت ستنحو  
 وتحيا في عصر مابعد المغول على نطاق أضيق بكثير مما تتصور<sup>(٣)</sup> (ولو أنها بقيت مزدهرة  
 وناشطة فكرياً ، وهو ما يظهر لنا من أعداد الباحثين ورجال الأدب الذين أنتجتهم الجماعة) .

إننا لسنا معنيين هنا بتتبع مجريات الدعوة النزارية في قوهستان . إن ذلك يمكن  
 تتبعه في أعمال نموذجية تتناول تطورات الاسماعيلية وتاريخها كما في تلك التي لمارشال  
 هيجسون<sup>(٤)</sup> وفرهاد دفتري<sup>(٥)</sup> ، على الرغم من أن دراسة كاملة التفاصيل لتلك الحركة ذات  
 العلاقة لاتزال حاجة مرغوب فيها . وكذلك ، فإن تفسيراً لجغرافية قوهستان التاريخية  
 وطوبوغرافيتها هو أمر هام في هذا الوقت أيضاً ، وذلك لأنهم [القوهستانيين] ، بالإضافة إلى  
 المجموعات الاسماعيلية الحضرية ، مارسوا السلطة إلى حد كبير ، كما في الديلم وسورية ،  
 من سلسلة من القلاع (وصل عددها وفقاً للمؤرخ الفوري المعاصر ، منهاج سراج  
 جوزجاني ، إلى سبعين من العقود المبكرة من القرن السابع/ الثالث عشر)<sup>(٦)</sup> ، جرى تسمية

بعضها بشكل محدد في المصادر ، ولاتزال بقايا قلاع بعينها قائمة الى يومنا هذا <sup>(٧)</sup> . أما بالنسبة إلى الفترة الأقدم ، فإن مقالة كرامر (J.H.Kramer) المعدلة في الموسوعة الإسلامية حول قوهستان لاتزال مفيدة ، وقدمت جين اويان (Jean Aubin)<sup>(٨)</sup> مراجعة تاريخية قيمة على وجه الخصوص لمنطقة قوهستان ولجغرافيتها في الأزمنة التيمورية ، أي في القرنين لثمن/ الرابع عشر والتاسع/ الخامس عشر اللاحقين . ولابد من الاقرار أن ذبذبات يغطي لفترة لتي تلت الازدهار الأعظم للإسماعيلية في قوهستان ، لكن القسم الأعظم من تسب لمعومات لا يزال هاماً وصحيحاً بالنسبة إلى الأزمنة الأقدم . وهكذا ، فقد لاحظت أوبن أن جماعات نزارية كانت قد تواجدت في مقاطعات مثل تون ، ونهارجن ، ومؤمن اباد في لقرن تسع/ ،لخامس عشر ، وأن مساهمات مالية كانت تقدم ، كما يقال عنها ، من قبر امؤمنين في تلك المجموعات الى أئمتهم<sup>(٩)</sup> . غير أن القسم الأعظم في قوهستان ربما كن . بحلول ذلك الوقت ، سنياً في ولاته الديني . فالسيطرة الاسماعيلية في قوهستان كنت متقطعة ومتجزئة على الدوام ، وترافقت بثبات العديد من البلدان والمناطق لريغبة على ولائها وعدم تحولها إلى السنية . وهكذا بقيت بلدة زوزن سنية عموماً<sup>(١٠)</sup> ، وربما كان بناء المسجد الكبير - أو مجمع المدرسة فيها سنة ٦١٥ - ٦١٦/١٢١٨ - ١٢١٩ في وقت كان فيه الاسماعيليون المحليون ناشطين على نحو خاص ، مما يشهد على دوام قوة السنية وقوة تأثيرها في تلك اللحظة من الزمن<sup>(١١)</sup> .

والى الجنوب - الجنوب الشرقي من قوهستان تقع ، وبشكل ملاصق لها ، مقاطعة سيستان . أو نيمروز «أرض الظهيرة أي الجنوبية» ، كما كانت تسمى في الغالب منذ لقرن لخمس/ االحادي عشر وفيما بعد ذلك . وقد تمايزت سيستان عن قوهستان في أنها متسكت شخصية متميزة وتماسك قائم بذاته مع تقاليد تاريخية قديمة امتدت في لماضي على مايفترض الى أزمنة الملاحم الايرانية الأسطورية<sup>(١٢)</sup> . ونما في ظل سلالات حاكمة أهية مثل الصفاريين ثم ملوك نيمروز النصريين ، نما شعور خاص بالتضامن المحلي كن من أثره أن جعل السفريين أو السيستانيين ناقلين على السيطرة الخارجية مثل تلك التي سحكم لعرب من العباسيين والطاهريين والحكام الأتراك الغزنويين في وقت مبكر من قرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، وهو شعور ، في حين كان شيئاً أقل لحديد من لشعور المؤيد للقومية ، يظهر للعيان في تاريخين محليين لسيستان ، «تاريخ سيستان» ، المجهول المؤلف و«إحياء الملوك» ، لملك شاه حسين . ومن وجهة نظر دينية ، فإن «بزندقة» الأقدم المتمثلة بحركة الخوارج كانت قد اختفت من سيستان بحلول لقرن



لخامس/ الحادي عشر ، وإن محاولة الداعي الفاطمي ، أبي يعقوب اسحق بن السجستاني ، لإدخال لاسماعيلية من منطقة ماوراء النهر الى سيستان (بعد فشل الاسماعيلية في تأمين أرضية لها في مملكة نصر بن أحمد الساماني) قد أحبطها قيام أمير خلف بن أحمد الصفري بإعدام السجستاني في تاريخ مجهول وظروف غامضة<sup>(١٤)</sup> . وهكذا فقد كانت السنية مسيطرة في سيستان في عهد الملوك النصريين الذين كان ارتباطهم بولانهم للسلاجقة العظام وهياً (، إذ كن هؤلاء الملوك قد تركوا وحدهم من ناحية عملية ما خلا بعض المتطلبات الطارئة في بعض المناسبات مثل إرسال كتائب القوات الى جيش السلطان سنجار والقيام بحملات عسكرية محددة)<sup>(١٥)</sup> .

وكننت صلات وثيقة في عدد من النقاط الخاصة بتواريخهم قد تلت بشكل طبيعي نتيجة تجاورهم جغرافياً . فهناك طريق تسيير من زرنغ ، عاصمة سيستان ، باتجاه شمس عبر جوين المتوضعة الى الشمال من حوض هامون ، الى دارا ثم الى طيس مسينان وبيرجند ، كما كان بالإمكان الوصول الى قوهستان بالسفر غرباً الى بلدة نه الحدودية والالتفاف من ثم شمالاً الى بيرجند ، وكان الى قوهستان أن قام القادة المهزومون أو المدعون لعرش سيستان في زرنغ باللجوء من آن لآخر في الأزمنة الصعبة ، وأصبحت قوهستان مملوكة لبعض الوقت من السنوات الأخيرة من القرن السابع/ الثالث عشر لأمير من الأسرة الحاكمة في سيستان من ملوك مهربانيد .

واستدعى قيام الدعوة الاسماعيلية الديناميكية في قوهستان أواخر القرن الخامس/ الحادي عشر ، والتي كانت في حالة تضاد بالضرورة مع المناخ السني المحيط بها ، استدعى ظهور عدم جديد في العلاقات بين المنطقتين . إذ سرعان ما أصبح اسماعيلية قوهستان تحت رحمة هجمات جيوش سلاطين السلاجقة العظام ، بدءاً بزمان ملك شاه وفيما بعد ذلك حتى فترة حكم سنجار في خراسان ، وكذلك فقد قاد الأمراء الأتراك ، الذين ورثو مركز السلاجقة في خراسان بعد وفاة سنجار عام ١١٥٢/٥٥٢ ، هجمات لهم أيضاً على قوهستان ، ولو أن أيّاً من تلك الحملات لم تنجح في زحزحة الاسماعيليين أو في طردهم<sup>(١٥)</sup> . وشعرت الجماعة الاسماعيلية في قوهستان أنها متجذرة بثبات كافر هناك كي تأخذ زمام المبادرة في الهجوم وتحاول نشر رسالتها الدينية خارج حدود المنطقة . وشكّنت سيستان ، التي اعتمد ملوكها على مصادرهم العسكرية بالكلية تقريباً ، بفضل النظر عن خضوعهم نظرياً للسلاجقة العظام البعيدين ، كما ذكرنا أعلاه ، شكّلت هدفاً جذاباً لاسماعيليين .

وقد بدأت الغارات في وقت مبكر . ففي العام ١٠٩٤/٤٨٧ ، أي بعد سنتين فقط من الحملة التأديبية التي قادها الى قوهستان القائد السابق لملك شاه ، قزل سريع ، سارت قوة اسماعيلية من قوهستان ووصلت أبواب بلدة نه تقريباً قبل إيقافها . وقد حرّض هذا العمل هجوماً مضاداً عقب ذلك بستين من جانب الملك بهاء الدولة خلف بن أبي الفضل نصر ، عندما تمكن جيش من سيستان من هزيمة الاسماعيليين (سنة ١٠٩٦/٤٨٩) في مكان قرب بلدة نه يدعى مختاران (٩) ، لايعرف موضعه على وجه الدقة . وطبقاً لمؤرخ محلي لسيستان ، فإن ١٤٠٠ من القرامطة ، كما يسميهم المؤلف هنا بشيء من المفارقة ، قد قتلوا<sup>(١٦)</sup> . ومع ذلك ، لم يثن هذا التراجع الاسماعيليين ولم يردعهم ، بل نجدهم في العام ١١٠١/٤٩٥ قد تسللوا الى سيستان نفسها ، ووصلوا بعيداً حتى ذرق قرب جوين<sup>(١٧)</sup> ، وربما لأسباب لها صلة بأعمال النهب والتخريب تلك أن حضر بوز - قوش ، كبير قواد سنجار ، الى زرنگ سنة ١١٠٣/٤٩٦ وعقد اتفاقاً مع الملك بهاء الدولة خلف وولده ، الملك تاج الدين (الثاني) أبي الفضل نصر مستقبلاً . ولا بد أن ذلك كان بهدف تقديم المساعدة والعمليات الداعمة المتبادلة ، لأن بوز - قوش كان قد قاد حملة سنة ١١٠١/٤٩٤ الى قوهستان وحاصر الاسماعيليين في طبس مسينان . وكان عليه العودة الى هناك مرة أخرى سنة ١١٠٤/٤٩٧ مع قوة من القوات النظامية إضافة الى المتطوعين باسم الجهاد ، ليستولي على طبس ويعيث فيها فساداً<sup>(١٨)</sup> .

ومما لاشك فيه أن الغارات الاسماعيلية على سيستان - وقد جرى تدوين دفعة أخرى منها للملاحظة في العام ١١٢٩/٥٢٢<sup>(١٩)</sup> قد ساعدت في زيادة حدة الحالة المضطربة للمناطق الريفية لسيستان في تلك الفترة ، حيث كانت مدنها وقراها تعاني من تحرّشات التركمان ، ومن مكائد كبرائها المحليين للوصول الى السلطة هناك ، إضافة الى العديد من المجاعات الحادة وفقاً لما تظهره رواية «تاريخ سيستان»<sup>(٢٠)</sup> .

غير أن الهجمات الاسماعيلية في العقود الوسطى من القرن السادس/الثاني عشر ، لم تُذكر على كل حال ، على الرغم من أن ذلك قد يكون مجرد انعكاس لهشاشة مصادرها في ما يتعلق بتاريخ سيستان في ذلك الوقت ، مع استمرار تحوّل التاريخ المحلي المجهول ليصبح ضئيلاً جداً للفترة من أواخر القرن الخامس/الحادي عشر الى أوائل الثامن/الرابع عشر ، والتي بعدها يبدأ كتاب «احياء الملوك» لملك شاه حسين بتزويدنا برواية مفصلة جداً عن المهربانيين المتأخرين<sup>(٢١)</sup> . لكن الاسماعيليين قاموا عندئذ ، إبان عهد الملك تاج الدين (الثالث) حرب بن عز الملوك محمد سنة ١١٩٤/٥٩٠ ، بالإغارة على قرية في

سيستان تدعى خورق أو جورق . وتمّ صد هجوم مضاد لقوات من سيستان ، وشنّ لاسماعيليون هجوماً جديداً سنة ١١٩٥/٥٩١ استولوا خلاله على قرية تدعى ريح (٩) مع قسعتها وحملوا معهم قاضيين محليين منها . وكانت خطورة ذلك الحدث كافية لاستدعاء هجوم مضاد ثان من قبل قوات مجتمعة من النصريين في سيستان والغوريين في أفغانستان وقوت من خراسان (وكانت الأخيرة إما قوى من الأمراء والأتراك المحليين في خراسان مابعد السلاجقة وإما قوات الأمير الخوارزمي والمدعي لعرش الخوارزمشاهية لسطان شاه بن ايل أرسلان) (٢٣) .

وربما كان للهجوم الغوري الواسع النطاق على قوهستان ، أو ملحدستان كما يصصح جوجزجاني تسميتها من باب التشنيع ، سنة ١٢٠٠/٥٩٧ (وفقاً لابن الأثير) و سنة ١٢٠٤/٦٠١ (وفقاً للجوزجاني ، أي عندما كان السلطان غياث الدين محمد وشقيقه معز لدين أو شهاب الدين محمد بن بهاء الدين سام يقودان هجوماً على خوارزم ، ريثم كنت له صلة بتلك الأحداث كلها . وكان معز الدين (وفقاً لابن الأثير) أو ابن عمه علاء الدين محمد بن شجاع الدين علي (وفقاً للجوزجاني) قد قاد جيشاً الى قانيش ثم الى غوناباد (التي وصف سكانها بأنهم اسماعيليون بالكلية) ، حيث استولى عليها وجعل الصلاة لعمدة تقدم هذت وفقاً للطقوس السنية . ولرواية ابن الأثير ضفيرة إضافية معقدة في أنها تحكي كيف أن زعيم الاسماعيليين هناك (صاحب قوهستان ، ويُفترض أن يكون المحتشم) احتج عند السلطان القوري الأعلى ، غياث الدين محمد ، بخصوص العمليات العدوانية لعز الدين ضد مختلف المراكز الاسماعيلية في المنطقة ، منتهكاً بذلك عهداً كان يقوم بين جماعة سنزرية والسلطان ، لكننا لانعلم شيئاً عن مثل ذلك العهد أو الاتفاقية ، وما إذ وجدت أصلاً (٢٤) .

وأحد أواخر ملوك بني نصر في نيمروز كان يمين الدين بهرام شاه بن تاج لدين (الثالث) حرب (الذي حكم من ٦١٠ - ٦١٨/١٢١٣ - ١٢٢١) . وقد سار على سياسة والده في بقاء الاسماعيليين بعيداً عن التحرش بحدود سيستان عن طريق عروض لقوته عسكرية . فقد تولّى قيادة حملتين ضدهم تضمنتا غزو مركزهم في تورشيد وزرع ١٠٠,٠٠٠ ألف (كذا) من «الملاحدة وفقاً لكاتب السير وجامع المختارات الأدبية محمد عوفي الفارسي . ويقتبس كل من عوفي وجوزجاني قصيدة مديح لشرف لدين أحمد فرهي نظمها في تمجيد أعمال الملك ووصفه «بالغازي» لقوهستان (١٥) غير أن محدوة يمين دين بهرامشاه لاستعادة قلعة تدعى شاهنشاهي (حددها تيت tite على أنها القلعة المخربة

التي تدعى شاه دز حالياً على قمة تل خارج بلدة نه) ، كان ابن عمه عثمان شاه ابن نصر الدين عثمان قد باعها الى الاسماعيليين لأسباب لم تتوضح ، دفعت المجموعة الأخيرة الى ارسال عصابة من الفدائيين الى زرنغ ، وهؤلاء قتلوا يمين الدين بهرام شاه بينما كان في طريقه الى المسجد لأداء صلاة الجمعة في الخامس من ربيع الثاني ٦١٨/٢٩ أيار ١٢٢١<sup>(٢٦)</sup> .

ووصل خط ملوك بني نصر في سيستان نهايته في العام ٦٢٢/١٢٢٥ ، بعد تعرض سيستان لهزة جواء الغزو المغولي سنة ٦١٩/١٢٢٣ ، فقد عاث المغول فساداً في زرنغ وقتلوا تاج الدين نصره بن يمين الدين بهرام شاه<sup>(٢٧)</sup> . وخرج من فترة الفوضى التي تلت في سيستان قائد غوري خوارز مشاهي سابق ، تاج الدين أينال لتجين الخوارزمي ، فقبض على السلطة هناك في العام ٦٢٢/١٢٢٥ ، واحتفظ بها قرابة عقد من الزمن . وكانت لأينال لتجين علاقات جيدة مع اسماعيلية قوهستان في بداية الأمر ، حيث واصل سياسة التسوية لآخر ورثة يمين الدين بهرام شاه من بني نصر . وكان الجوزجاني نفسه قد ذهب في سفارة الى المحتشم أبي الفتح شهاب الدين منصور عبر قاتنين وذلك في العام ٦٢١/١٢٢٤ ، وقد أطنب في تاريخه في مدحه للمحتشم بسبب حكمته ومعرفته وكرمه مع زواره المسافرين الفقراء واللاجئين الهاربين من وجه المغول ، بحيث تحولت مجالسه الى أماكن احتشاد رائعة لعلماء خراسان اللامعين . ويضيف الجوزجاني أن كرمه المفرط هذا وروحه العالية هما اللذان دفعا الزعيم المركزي للجماعة الاسماعيلية في آلموت - ويفترض أن يكون علاء الدين محمد الثالث ، خليفة جلال الدين حسن الثالث ، المتوفي سنة ٦١٨/١٢٢١<sup>(٢٨)</sup> - الى الخوف لئلا تتبدد موارد الجماعة النزارية في قوهستان ، ولذلك فقد بعث بمحتشم جديد الى هناك هو شمس الدين حسين اختيار ، الذي شكّمه الجوزجاني بأنه جندي أكثر منه عالماً . وفي سنة ٦٢٢/١٢٢٥ كان الجوزجاني في سفارة ثانية في قوهستان مرة أخرى ذهب فيها من غور الى طيس مسينان ، ومن مؤمن آباد الى قاتنين حيث التقى المحتشم الجديد هناك «شمس الدين» وكان الدافع وراء تلك المهمة كما نصت عليه المصادر هو رغبة الغوريين في افتتاح طريق تجارية للقوافل بين غور و قوهستان<sup>(٢٩)</sup> .

لكن العلاقات بين اسماعيلية قوهستان والزعيم الجديد لزرنغ ، أينال لتجين ، سرعان ما راحت تتدهور بسرعة بعد تلك البداية السليمة ، والسبب المبرر لذلك كان مرة أخرى القلعة الحدودية لشاهنشاهي قرب بلدة نه . فسار أينال لتجين على رأس جيش الى الاسماعيليين هناك ، لكنه انهزم واضطر الى اللجوء الى فراه . وأراد أن يبحث بالجوزجاني

في مهمة إلى قوهستان لتحقيق السلام مع الاسماعيليين مرة ثانية ، على الرغم من أن  
لمؤرخ الذي كان ينوي السفر الى الهند في تلك المناسبة رفض (وإن أينالتجين زج به في  
السجن ستة أسابيع لعناده)<sup>(٢٠)</sup> .

وإن فترة الغزو المغولي عانت قوهستان مثلما عانت سيستان والأجزاء الأخرى من  
نعلم لاسلامي الشرقي . فقد عانت قوات الأليخان هولكو فساداً في المراكز الاسماعيلية  
هناك سنة ١٢٥٣/٦٥١ و١٢٥٦/٦٥٤ ، ومنها تورشيز وتون<sup>(٢١)</sup> . غير أن المعتقد نجح  
وعاش هناك ، ولو كان ذلك على نطاق أضيق ، وأصبحت قوهستان إبان العقود المبكرة من  
حكم لايسخانيين تتبع إدارياً ولاية نواب الإيلخانيين ، ملوك هرات الكرانيين ، حتى نهاية  
القرن السابع/الثالث عشر عندما قام ملك سيستان المهرباني ، نصر الدين محمد بن مبرز  
الدين أبي الفتح ( حكم من سنة ٦٥٣ - ١٢٥٥/٧١١٨ - ٢١١٨ ) ، بغزو قوهستان مؤقتاً  
ومنحه . قطعاً لولده شمس الدين علي<sup>(٢٢)</sup> . وفي جميع الأحوال فقد توقفت الجماعة  
لاسماعيلية في قوهستان عن كونها ذات أهمية عسكرية لسيستان ، وليس هناك من ذكر  
لهجمات اسماعيلية في «تاريخ سيستان» بعد الهجوم على زرنج سنة ١٢٢٢/٦١٩ .

## الحواشي

- ١ - سيرجنت ، المنسوجات الإسلامية (بهرت ، ١٩٧٢) ، ص ٩٥ - ٩٦ .
- ٢ - انظر : دفتري ، الاسماعيليون - تاريخهم وعقائدهم (كمبردج ، ١٩٩٠) ، الترجمة العربية ، سيف الدين القصير (دمشق ، ١٩٩٥) .
- ٣ - هـجسون ، فرقة العشاشين (ص ٢٧٥) ، دفتري ، الاسماعيليون ، ص ٤٣٩ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ .
- ٤ - هـجسون ، ص ٧٤ - ٧٧ ، ٧٨ ، ١٠٢ ، ١١٥ - ١١٦ ، ١٤٦ ، ٢١٥ .
- ٥ - دفتري ، ص ٢٤١ - ٤١٤ .
- ٦ - جوزجاني ، طبقات ناصري (كابول ، ١٩٦٢) ، م ٢ ، ص ١٨٦ ، والترجمة الانكليزية (لندن ، ١٨٨١) .
- ٧ - انظر مقالة ديالي عن العشاشين في مجلة ، Journal Of The Royal Central Asian Society ، العدد ٥٥ (١٩٦٨) ، ص ١٨٠ - ١٨٢ .
- ٨ - انظر مقالة اويان في مجلة ، Revue des Etudes Islamique ، العدد ٢٥ (١٩٦٧) ، ص ١٨٥ - ٢٠٤ .
- ٩ - المصدر السابق ، ص ١٠٢ .
- ١٠ - حول هذه الحادثة انظر : هـجسون ، فرقة ، ص ٢١٥ نقلاً عن النسوي .
- ١١ - أول ماورد ذكر لهذا البناء الرلغ عند اندريه كودار في ، آثار ايران (١٩٤٩) ، ٤ ، ص ١١٧ .
- ١٢ - انظر بوزورث ، تاريخ الصفارين في سيستان وملوك نيمروز (نيويورك ، ١٩٩٤) ، ص ٣٠ .
- ١٣ - انظر مقالة شتيرن في مجلة BSOAS ، (طهران ، ١٩٢٥) ، ص ٢٨٨ .
- ١٤ - بوزورث ، تاريخ ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .
- ١٥ - دفتري ، الاسماعيليون ، ص ٢٤١ - ٢٩١ .
- ١٦ - تاريخ سيستان ، تح . ملك الشعراء بهار (طهران ، ١٩٢٥) ، ص ٢٨٨ .
- ١٧ - حول هذا الموقع انظر : تبت ، سيستان ، دراسة في التاريخ - (كلكتا ، ١٩١٠) ص ١١٨ - ١٩٠ .
- ١٨ - تاريخ سيستان ، ص ٢٨٩ .
- ١٩ - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ (بهرت ، ١٩٦٥) ، م ١٠ ، ص ٣٧٨ ، ٣٢٤ .
- ٢٠ - تاريخ سيستان ، ص ٣٩١ .
- ٢١ - بوزورث ، تاريخ ، ص ٢٨٩ - ٣٩٢ .
- ٢٢ - المصدر السابق ، ص ٢٤ - ٢٤ ، حيث نلاحظ اختلاف في صياغة النص بين فترة وأخرى .
- ٢٣ - تاريخ سيستان ، ص ٣٩٢ .
- ٢٤ - جوزجاني ، م ١ ، ص ٢٨٠ ، ابن الأثير ، م ١٢ ، ص ١٦٦ - ١٦٧ ، بوزورث ، تاريخ ، ص ٤٠٠ .
- ٢٥ - هوفي ، لباب الألباب ، تح . نفيسي (طهران ، ١٩٥٦) ، ص ٥٠ ، جوزجاني ، م ١ ، ص ٢٨٢ .
- ٢٦ - تاريخ سيستان ، ص ٣٩٢ ، جوزجاني ، م ١ ، ص ٢٨٢ .

- ۲۷- تاریخ سیستان ، ص ۳۹۶ ، جوزجانی ، م ۱ ، ص ۲۸۳- ۲۸۴ .
- ۲۸- هدجسون ، فرقة ، ص ۲۵۶- ۲۵۸ ، دفتري ، ص ۴۱۲- ۴۱۳ .
- ۲۹- جوزجانی ، م ۱ ، ص ۲۸۵ ، م ۲ ، ص ۱۳۵ ، ۱۸۲- ۱۸۷ .
- ۳۰- تاریخ سیستان ، ص ۳۹۵ ، جوزجانی ، م ۲ ، ص ۱۸۱- ۱۸۵ ، هدجسون ، ص ۲۴۱- ۲۴۶ ، دفتري ، ص ۴۱۳- ۴۱۴ .
- ۳۱- جويني ، تاريخ جهان- غوشي (لندن ، ۱۹۱۲) ، م ۳ ، ص ۱۰۲- ۱۰۳ ، دفتري ، ص ۴۲۱- ۴۲۲ .
- ۳۲- پوروورت ، تاريخ ، ص ۴۳۶ .





## الوزير/ الفيلسوف؛ خواجه نصير الدين الطوسي والاسماعيليون

حميد دبشي\*

كان خواجه نصير الدين الطوسي (٥٩٧ - ٦٧٢/١٢٠١ - ١٢٧٤) لا يزال في نيسابور يكمل منهاج دراساته عندما غزا المغول خراسان . وقد ترك فرار السلطان محمد خوارزم شاه المنطقة الشمالية الشرقية الغنية من إيران بلا دفاعات تحت رحمة الغزاة المغول . وعندما كان الخواجه نصير طالباً في الحادية والعشرين من العمر في نيسابور سنة ٦١٧/١٢٢٠ ، احتل جنكيز خان بلاد ماوراء النهر ، في حين كان آخر سلاطين الخوارزمشاهية ، جلال الدين مينجبورنو (٦١٧ - ٦٢٨/١٢٢٠ - ١٢٣١) ، قد باشر قضاء بقية حياته في سلسلة من المحاولات البطولية ، لكن العقيمة ، لإنقاذ مملكته . وقد ترك لغزو لمغولي لإيران البلاد في خراب . ولم يسألم أي مؤرخ لقرون عديدة تالية ، قص من روية لفضائح الوحشية التي ارتكبها المغول . ولا يزال في مقدورنا تتبع احساس موهن من لخوف والعجز في روايات تاريخية متنوعة وصلتنا من تلك الأيام<sup>(١)</sup> .

وسم يسلم جزء من خراسان من المذبحة العامة للغزو المغولي ما خلا بضع قلاع اسماعيلية جيدة التحصين . وقد وفرت تلك القلاع ملاجئ آمنة في منطقة قوهستان لأولئك الذين لم يتمكنوا من مغادرة خراسان بانكليية . وكان الزعيم الاسماعيلي المحلي في

\* Hamid Dabashi استاذ مساعد لدراسات الفارسية في جامعة كولومبيا (نوليات المتحدة) . له عدد من الدراسات البارزة في الفلسفة والدين من أبرزها « المرجعية في الاسلام » (بروكليوك ١٩٨٩) ، و«دين المتذخرين . الأسس الايديولوجية للثورة الاسلامية في إيران » (نيويورك ١٩٩٢) ، إضافة إلى العديد من الدراسات المنشورة في كتب جماعية ومجلات علمية بارزة متخصصة

قوهستان رجل يقرب اسمه من ناصر الدين عبد الرحيم بن أبي منصور (ت ١٢٥٧/٦٥٥) ، الذي ترأس شؤون الجماعة النزارية هناك باسم الامام الاسماعيلي النزاری المعاصر ، علاء الدين محمد الثالث (٦١٨ - ١٢٢١/٦٥٣ - ١٢٥٥) . ويرد ذكر ناصر الدين على أنه أمير محب ومتعلم على نحو خاص ، اجتمع في بلاطه الأمن العديد من رجال العلم - من الاسماعيليين وغير الاسماعيليين - الذين تابعوا اهتماماتهم الفكرية دونما تدخل<sup>(٢)</sup> .

واقترب الأمير الحامي والفيلسوف الخائف على سلامة كل من الآخر بشكل طبيعي ، وسرعان ما وجد خواجه نصير في وقت مابين ١٢٢٢/٦١٩ و ١٢٣٤/٦٢٢ ، وهو الذي كان قد أصبح عالماً ناضجاً ، وجد ملاذاً آمناً عند ناصر الدين عبد الرحيم<sup>(٣)</sup> . وبعد أن أمضى بعض الوقت مع ناصر الدين ، استدعي خواجه نصير الى بلاط الامام الاسماعيلي ، علاء الدين محمد الثالث ، أي الى قلعتي ألموت وميمون دز في الديلم . وكان مع آخر صاحب لآلموت ، ركن الدين خورشاه ، عندما استسلم النزاریون في نهاية الأمر للمغول سنة ١٢٥٦/٦٥٤ .

كانت فترة ارتباطه بالاسماعيلية ، وهي التي دامت بعضاً من ثلاثين عاماً ، أي حتى ١٢٥٦/٦٥٤ ، فترة إنتاج على شكل خاص للخواجه نصير . ومن بين الأعمال التي كلفه بها ناصر الدين عبد الرحيم ترجمة كتاب «زبدة الحقائق» لعين القضاة الهمذاني الى الفارسية<sup>(٤)</sup> . وفي وقت مابين ١٢٣٠/٦٣٠ و ١٢٣٤/٦٣٢ ، طلب الناصر عبد الرحيم من خواجه نصير ترجمة «كتاب الطهارة» ، المعروف أيضاً «بتهذيب الأخلاق» لأبي علي أحمد مسكويه الرازي مع فقرات وتعليقات إضافية الى الفارسية . وقد وصلتنا تلك الرسالة ، التي اعتمدت في جزء منها على عمل مسكويه ، باسم «أخلاق ناصري»<sup>(٥)</sup> .

وتتسم انتاجية خواجه نصير في تلك الفترة بتنوع رائع في فنون الأدب والأبحاث . فإلى جانب «أخلاق ناصري» و«أخلاق محتشمي» ، اللذين كتبهما لرابعه الرئيس ناصر الدين عبد الرحيم وباسمه ، أنتج رسالته الأساسية في المنطق . باسم «أساس الاقتباس» ، وتعليقه المشهور على كتاب ابن سينا «الإشارات والتنبيهات» باسم «شرح الاشارات» . وكتب خواجه نصير وهو في خدمة الاسماعيليين عملاً في الفلك باسم «الرسالة المعينية» ، ومعها شرح بالفارسية وأهداها الى معين الدين بن ناصر الدين عبد الرحيم .

وكتب خواجه نصير الدين إبان الفترة التي أمضاها بين الاسماعيليين عدداً من الرسائل أيضاً حملت بصمات اسماعيلية في ما يتعلق بتعاليمها الدينية . ويجدر بالذكر من بين ذلك سيرته الذاتية الروحية بعنوان «سير وسلوك» ، و«آغاز وأنجام» ، و«أوصاف الأشراف» .

أما نسبة كتابات اسماعيلية معينة إلى خواجه نصير فقد بقي موضوع جدل كبير - قسها البعض<sup>(٧)</sup> ، وموضع تساؤل من قبل آخرين<sup>(٨)</sup> - على الرغم من أن صحة تأليفه لكتاب «روضة تسسيم» ، وهو من الرسائل الاسماعيلية الرئيسية من عصر الموت المتأخر ، قد قسها المتبحرون في الدراسات الاسماعيلية .

وعقب وفاة جنكيز خان ، خرج القسم الأكبر من آسية الغربية من سيطرة مغول . وبينما كان خواجه نصير في خدمة الاسماعيليين ، بعث القائد المقاتل الأعلى لمغول ، مغو (٦٤٩ - ٦٥٨ / ١٢٥١ - ١٢٥٩) ، بشقيقه هولاكو ليهزم الاسماعيليين ويستولي على بغداد ويتقدم ربما أبعد من ذلك ، ففي وقت مبكر من ذي الحجة سنة ٦٥٣ / كانون الثاني ١٢٥٦ ، عبر هولاكو نهر جيحون ، وابتدأت بذلك المذبحة الكبرى الناجمة عن إعادة الغزو المغولي . وبحلول أواخر ٦٥٤ / ١٢٥٦ ، كان الإسماعيليون من شمال فارس قد تعرضوا لهزيمة ، كما تم القبض على آخر خليفة عباسي ، المستعصم ، وقتل . غير أن جيش هولاكو اندحر في نهاية الأمر على أيدي المماليك في معركة عين جالوت في فلسطين سنة ٦٥٨ / ١٢٦٠ . وأسس هولاكو في تلك الفترة ، وهو الذي كان يسيطر على فارس والعراق ونقوذ والأناضول ، أسس السلالة الحاكمة الإيلخانية ، التي استمرت في الحكم من سنة ٦٥٤ / ١٢٥٦ إلى ٧٥٤ / ١٣٥٢ ، عندما اضمحلّت وتحولت إلى سلالات حاكمة محلية ، ورحلت تنتظر تدشين تيمور للامبراطورية التيمورية الرئيسية التالية في إيران والأراضي المجاورة لها .

وكان لخواجه نصير الفضل في تسهيل استسلام ركن الدين خورشاه (٦٥٣ - ٦٥٤ / ١٢٥٥ - ١٢٥٦) ، الحاكم الاسماعيلي الأخير في الموت . وهكذا دخل خواجه نصير في خدمة هولاكو سنة ٦٥٤ / ١٢٥٦ وهو في السابعة والخمسين من عمره . ووافق القائد لمغولي بعد ذلك في فتح بغداد وتدميره للخلافة العباسية<sup>(٩)</sup> . وأنشأ خواجه نصير إثر عودته من بغداد المرصد الفلكي الشهير في مراغه ، وهو مؤسسة للتعليم العالي يعد أحد أعظم لإنجازات الفكرية في فارس العصر الوسيط<sup>(١٠)</sup> . وبعد وفاة هولاكو ، دخر خواجه نصير في خدمة أبنا (٦٦٣ - ٦٨٠ / ١٢٦٥ - ١٢٨٢) مواصلاً أبحاثه العلمية والفلسفية ، وتوفي خواجه نصير الدين الطوسي ، وهو الذي تقلد الوزارة زمن الإيلخانيين أيضاً ، في بغداد ودفن فيها في ١٨ ذي الحجة ٦٧٢ / ٢٥ حزيران ١٢٧٤ .

ومما وجود خواجه نصير في بلاط الأمير الاسماعيلي موضوعاً لبعض الجدل بهام . فدعماء الشيعة الإمامية الاثنا عشريون مصرّون على أنه كان قد احتفظ به في قوهستان

خلافاً لإرادته ، ويلجأون على أنه أجبر على الذهاب الى الموت أيضاً وأبقي هناك خلافًا لرغبته<sup>(١١)</sup> . وتظهر المصادر الاثنا عشرية الورعة في تمجيدها تبني خواجة نصير لقضية لشيعه الامامية ، وكأنها تروي سيرة أحد القديسين فعلاً . أما الدارسون الأكثر تعاطفاً مع الاسماعيليين ، فإنهم يذهبون ، على كل حال ، الى حد اقتراح أن خواجة نصير كان هو وعائلته اسماعيليين في حقيقة الأمر<sup>(١٢)</sup> . بينما يقترح عدد من الدارسين الأكثر موضوعية ، مكنية تحول مؤقتة لخواجة نصير الى الاسماعيليه<sup>(١٣)</sup> . بل إن بعض الدارسين أدان خواجة نصير وشكك في مبادئه الأخلاقية . ويذهب ادوارد ج . براون بعيداً الى حد القول مستغرباً : « يالتلك المفارقة ، كيف يكون مثل ذلك الخائن المزدوج مؤلفاً لأحد أفضل أعمال المعروفة المكتوبة بالفارسية عن الأخلاق »<sup>(١٤)</sup> . أما ويكنز ، الذي بدأ أكثر كرمًا من براون بقبيل ، فقد لاحظ أن « مقابلة حياته العملية بتطويره لنظام أخلاقي من هذا صنف تمرين أكثر صحة بقليل من مقابلة السحب المفرط overdraft لعالم رياضيات بكتبته حول نسجام الوظائف »<sup>(١٥)</sup> . وتعرض البعض الآخر لدفاع خواجة نصير عن نفسه وبررو تغيير ولائه بالظروف السياسية القاهرة السائدة آنئذ .

ويشكو خواجة نصير ، في مناسبات قليلة ، من مصاعب فسرها بعض الدارسين العصريين على أنها تعبير عن كونه محتجزاً في الموت خلافًا لإرادته . ففي ختام شرحه المشهور لكتاب ابن سينا « الاشارات والتنبهات » ، على سبيل المثال ، كتب يشكو قنلاً :

« لقد دوت معظم [شرح الاشارات] في ظل أصعب الظروف ، ظروف لا يمكن أن يوجد أصعب منها . وصنفت معظمه في زمن من القلق العاطفي ، ليس هناك من حالة من التقى تفوقها اضطراباً - زمن كان كل جزء فيه مستودعاً لحزن وألم وحسرة لا تحتمل... له تمرّ حفنة منه دون تفاقم في حسرتي وتضاعف في مصائب وحزني . إنه فعلاً زمن ينصبق عليه قول الشاعر بالفارسية ، ما يمكنني رؤيته حولي حتى الآن هو أن الرزايا خاتم ود نصير له »<sup>(١٦)</sup> .

ولخواجة نصير تعميم أكثر شمولية في الفقرة ذاتها ، التي ربما أضيفت بعد سنوات من شرحه الأصلي « لشرح الاشارات » ، بخصوص ظروفه العاطفية في الحياة ، يقول فيه :  
« لم تمر لحظة في حياتي لم تكن مليئة بالأحداث الباعثة على الحسرة المستمرة ولحزن الدائم . وكان جيش من الحزن وجنود من التنفيس تعترض حياتي على لدوم .  
لهي أسألك بحق رسولك المختار ، ووصيه الحق [علي] ، عليهما وعلى آلهم سلام له

ورحمته ، أن تنجيني من أذى أمواج الرزايا وسيول العداوات ، وأن تنقذني مما يخرجني ويؤذيني . ليس لي إلا إياك وأنت أرحم الراحمين»<sup>(١٨)</sup> .

وكان كاتب سيرة للطوسي اثنا عشري عصري قد استخلص من تلك النصوص « أن خواجه كان يتألم ويعاني أثناء وجوده في القلاع الاسماعيلية . فهو لم يكن يقيم هناك طوعاً . بل على العكس فقد أقام هناك كرهاً واضطراً . وفي الحقيقة ، كان سجيناً هناك . ولهذا لسبب كان يدعو الله أن ينقذه من تلك الظروف بأسرع ما يمكن ، ويخلصه من سجن الاسماعيلية»<sup>(١٩)</sup> .

وهذه إشارات تاريخية كافية ، على كل حال ، للشك بالقبول المؤقت عني لأقر لعقائد الاسماعيليين أو التحول الى قضيّتهم<sup>(٢٠)</sup> . وكما لاحظت دفتري ،

« ليس هناك من دليل يوحى بأن أولئك الغرياء [مثل خواجه نصير] كانوا محتجزين عند جماعة [الاسماعيلية] خلافاً لإرادتهم أو أنهم أُجبروا على اعتناق الاسماعيلية أثناء قمتهم بين النزاريين ، على الرغم من أن الطوسي وعدداً قليلاً آخر من العلماء ممن كانوا في مثل وضعه ، زعموا خلاف ذلك زمن الغزو المغولي . وعلى العكس من ذلك ، يبدو أن مشرّولئك الضيوف العلماء اقتسموا كرم النزاريين وضيافتهم طوعاً ، وكانوا أحراراً . زمن الاستر ، في الاحتفاظ بمعتقداتهم الدينية السابقة»<sup>(٢١)</sup> .

غير أنه لا يمكن التقليل من شأن علاقة السلطة بين أمير وفيلسوف بلاطه . ولم يكن باستطاعة خواجه نصير الذي كان يحفظ في ذهنه الحكمة المشهورة ، «الناس على دين ملوكهم»<sup>(٢٢)</sup> ، البقاء لامبالياً كلية تجاه الحضور الملكي لراعيه ، ولا يمكن النظر الى لانتماء ديني لراعٍ / أمير قوي ، في حصنه ينشغل المرء بأمور الدين والفلسفة وحقوق المعرفة الأخرى ، على أنه أمر غير ذي أهمية مطلقاً وخارج عن السياق .

ووصل مدرّس رضوي ، بعد استعراضه لعدد من المصادر التاريخية ، الى نتيجة مفدها أن ،

« خواجه نصير ، ربّما كان قد ذهب الى قوهستان وآلموت طوعاً في البداية عقب دعوة تسقّاه من ناصر الدين وعلاء الدين [محمد الثالث] . وقد قرّر الإقامة مع الاسماعيين صوعاً بسبب حالة الفوضى التي سادت المراكز الحضريّة الايرانية ، وسلوك العنف الذي اتّبعه لفزة لمغول ، وتمصّب «علماء» السنة واضطهادهم للشيعه ، واعتقاده بأنه ربّما وجد في قوهستان و آلموت الراحة والإطمئنان اللذين أمّنا له بهذا الشكل متابعة أبحاثه وبرامج كتاباته»<sup>(٢٣)</sup> .

ويبدو التعليقان الأخيران لدفتري ومدرس رضوي الأكثر اعتدالاً من بين التقييمات التي يمكن وضعها بخصوص الوقت الذي أمضاه خواجه نصير مع الاسماعيليين ، إذا ما أبقينا أنفسنا ضمن إطار الموضوعات السائدة للعداء الطائفي بين السنة والشيعة الاثني عشرية والاسماعيليين الشيعة . غير أنني أرغب في تحويل النقاش بخصوص شخصية خواجه نصير ووضعيته السياسية الى مستوى آخر مختلف . وما أعتقد هو أن التأكيد الزائد على الإنتماء الطائفي للشخصيات الفكرية والسياسية في فارس العصر الوسيط (أو الاسلام عموماً) يشوه تعقيدات شخصياتهم ويعمي أبصارهم عن فهم الاختيارات الأخلاقية والسياسية المحددة التي كان عليهم القيام بها . وتطبيق المبادئ الأخلاقية المجردة يتجاهل بقدر مساو الضرورات التاريخية الطارئة الخاصة التي في ظلها يتم اتخاذ القرارات السياسية والأخلاقية وتنفيذها .

وافترض مواقف أخلاقية قائمة على مبادئ أخلاقية مجردة أو طائفية بشكل كامل ، سواء سجلناه في مصلحة خواجه نصير أم ضده ، يهمل جانباً أساسياً من شخصيته كفيلسوف/ وزير فارسي ، كان كامل الحضور والفعالية ضمن الإطار السياسي والاجتماعي لزمته . وقد سبق لي أن عالجت بشكل مسهب قضية النظر الى فئة «الفيلسوف/ الوزير» النظرية على أنها عنصر هام في الثقافة السياسية الفارسية<sup>(٢٤)</sup> . وضمن إطار تلك القضية النظرية ، أودّ النظر في شخصية خواجه نصير السياسية عموماً وارتباطاته بالاسماعيليين خصوصاً . وباستطاعتنا فهم خواجه نصير الدين الطوسي لا كشيوعي إمامي (الذي ربما كان مضطراً أو غير مضطر للتحويل الى الاسماعيلية) ولا كفرد كانت تنقسه المبادئ الأخلاقية المثزّة . إنه يجب أن يُفهم بالأحرى كفيلسوف/ وزير بشكل أساسي اهتم بأمور السلطة والمعرفة ، والسياسة والفلسفة في آنز معاً . إن حجم الرسائل العلمية المؤثر الذي خلفه وراءه ، وإنجازه الجبار في إقامة مرصد مراغة ، وارتباطه برجال المعرفة من جميع الإنتماءات والأصول الدينية والأثنية والمعرفية بلا تمييز ، إن ذلك كله يترك الإنطباع بأن الخواجه نصير رأى نفسه في صنف يسمو فوق الانقسامات الطائفية ويتعداه . وقد ضمت قائمة أصدقائه وزملائه صينيين وأتراكاً وفقهاء عرباً وفرساً ، وفلاسفة ، ورجال دين ، ومتصوفة ، ورياضيين ، وفلكيين ، إلخ... من ذوي الاعتقادات الدينية المتنوعة<sup>(٢٥)</sup> . واعتبار العلاقة بالسلطة مجلبة لأي انتاج معرفي ، إضافة الى سيطرتها على أي انتاج شرعي لقواعد السلوك ، تفضي بنا الى طريقة لفهم ارتباطات خواجه نصير الاسماعيلية تقع خارج نطاق النقاشات الطائفية الأسنة المؤيدة للاثني عشريين ضد الاسماعيليين .

وقد خدم خواجه نصير أميراً اسماعيلياً (وامامين اسماعيليين اثنين) واثنين من المغول

نوثنيين بذات الكفاءة الإدارية والفكرية . وهناك أسباب تدفع الى الاعتقاد بأنه في وقت سابق لسعيه للحصول على ملجأ آمن عند الاسماعيليين في قوهستان ، كان قد حاول حتى لا يجد مسجاً له عند الخليفة العباسي (السنّي) المستعصم ، لكن دون جدوى<sup>(٢٦)</sup> . وعلى كل حد ، فإن الافتراض بأن هذه المحاولة قد تمت من خلال ابن العلقمي ، وزير المستعصم ، هو افتراض غير مقبول . فابن العلقمي وصل الى السلطة في بغداد سنة ١٢٤٤/٦٤٢ ، بعد زمن طويل من التحاق خواجه نصير بالاسماعيليين - الذي تمّ في وقت ما بين ١٢٢٢/٦١٩ ، السنة التي نال فيها خواجه نصير «الإجازة» من سالم بن بدران ، و١٢٣٥/٦٣٣ ، لسنة التي أتمّ فيها كتاب «أخلاق ناصري» ، وكائناً ما يكون الأمر ، فإن حقيقة محاولة خواجه نصير لالتحاق ببلاد المستعصم تبقى إشارة متينة إلا أنه لم يكن من الخطأ في علمه لأخلاقي لالتحاق بحاكم سنّي ، أو اسماعيلي ، أو اثني عشري ، أو حتى وثني . ورتب طائفة خوجه نصير الفعلية بعدد متنوع من الحكام توفر إشارات واضحة الى أنه يتحمّ عين بنصر به وتشخيصه كفيلسوف/ وزير ، وليس كمسلم اسماعيلي أو إمامي اثني عشري حصر .

ماهي المصطلحات المطابقة لوصف الشخصية هذه «بالفيلسوف/الوزير» ؟ إن العلاقة الوثيقة التي قيل إنها قائمة بين ناصر الدين عبد الرحيم وخواجه نصير الدين الطوسي هي تذكر صارخ بالخرافة الكلاسيكية لأنوشروان وبوزورغمير ، النموذج الذي حافظ على بقاءه ، منذ عهد ما قبل الاسلام ، كدافع متكرر في الثقافة السياسية الفارسية . وبناء على ذلك المثل ، فعلاقة «الفيلسوف/ الملك» التي قيل إنها قامت بين خواجه نصير ، ونصير الدين ، كانت قد اتسمت لتتحول من مجرد ضرورة سياسية ، التي غالباً ماتكون في مثل ذلك نوع من العلاقات ، الى أعمال تعاونية شملت الأخلاق والفلسفة والسياسة . والعملاقان الرئيسيان لخوجه نصير في هذا الميدان ، «أخلاق ناصري» ، و«أخلاق محتشمي» لم يكونا مقدمين سوى أمير نزاری وحسب ، بل كانا عمليين تعاونيين من حيث النتيجة . فالتصميم ليهيكي والعمل الأصلي في «أخلاق محتشمي» كانت من أفكار ناصر الدين عبد الرحيم نفسه . لكن مسؤولياته الإدارية حانت دون اتمامه لهذا المشروع ، وهكذا فقد ترك توجهات صحيحة لخواجه نصير للمضي قدماً في تلك الخطة وإنهاء الكتاب وفقاً لذلك . ومثل تلك حوادث تفضي على نحو خاص الى التذكارات الخرفائية بخصوص نموذج أنوشروان/بوزورغمير الذي يمثل نسخة فريدة للمفكرة الأفلاطونية حول الفيلسوف/نصير<sup>(٢٧)</sup> . وكان للصفات القابلة للمبادلة لأنوشروان وبوزورغمير ، كما هو واضح على نحو خاص في «شاه نامه» لفردوسي ، أثرها القوي والطويل المدى على العديد من زوجيات

سموك والفلاسفة اللاحقة في التاريخ الإيراني . وكان خواجه نصير نفسه ، كما سفت لإشارة ، قد خدم ليس ناصر الدين عبد الرحيم ومحمد الثالث وولده وخليفته ركن لدين خورشاه وحسب ، بل وانضم إلى هولاكو فيما بعد وإلى خليفته أبفا بصفته فيلسوف بهلاط ووزيره وطيبه وفلكيه ومدون أحداثه . وتكرر ذات النموذج ، قبل ذلك بأجيال ، على يدي امنك السلجوقي ملك شاه (٤٦٥ - ١٠٧٢/٤٨٥ - ١٠٩٢) ووزيره خواجه نظام الملك ، و من قبل علاء الدولة محمد بن دوشمنزيار (٣٩٨ - ٤٣٣/١٠٠٨ - ١٠٤١) وابن سينا . كما أن النموذج ذاته قد استخدم فيما بعد من قبل الملك الصفوي شاه عباس الأول (٩٩٥ - ١٠٣٨/١٥٨٧ - ١٦٢٩) وجماعية كل من ميرداماد/ ميرفندريسكي/ شيخ بهائي ، أو حتى من قبل ناصر الدين شاه (١٢٦٤ - ١٣١٣/١٨٤٨ - ١٨٩٦) وأمير كبير إبن لفترة نقاجارية ، آخر ملكية في التحول الثقافي السياسي الفارسي ما قبل الحديث .

ويعتبر إنتاج كتاب «أخلاق ناصري» بالفارسية حقيقة عليها المعول لفهم طبيعة وضعية خوجة نصير السياسية باعتباره فيلسوفاً/ وزيراً . والنسخة الأصلية لمقدمة خواجه نصير لهذا النص تشهد على ولاته الصريح للأمير الاسماعيلي ناصر الدين عبد الرحيم . وكتاب «أخلاق ناصري» ، الذي أتمه سنة ١٢٣٥/٦٣٣ ، هو ترجمة محققة ، مع بعض الفصول الإضافية ، لعمل مسكويه ، «كتاب انطهارة» ، أما مسكويه (ت٤٢١/١٠٣٠) فقد كان زرادشتياً فارسياً اعتنق الاسلام . وتظهر أهمية الارتباط الزرادشتي في تبين الخط غير لاسلامي للبحث الأخلاقي الذي شكل لغة شرعية بديلة قوية لنموذج الفيلسوف/ الوزير وتشكل التسمية المعتمدة للرسائل الأخلاقية التي كتبها خواجه نصير باسم راعيه ناصر لدين عبد الرحيم ، محتشم أو زعيم النزاریين في قوهستان ، دليلاً مفتاحياً على لصفات خنقية الصورية للفيلسوف والأمير . و«أخلاق ناصري» ، و«أخلاق محتشمي» هم ، كما يشير عنوانهما ، كتابان معروفان كلاهما باسم الأمير الراعي الذي إليه كان تقديمهم . وهذه إشارة رمزية فاصلة في أن فكرة الفيلسوف/ الملك في سياق الثقافة السياسية الفارسية تنقسم لى قسمين من الصفات الخلقية الصورية واضحة (خواجه نصير) والملك (ناصر لدين عبد الرحيم) . وليست الصفات الصورية الأخلاقية واضحة المعالم في حالات نجد فيها لامنك يتولى مراكز فلسفية في تأليف نص وحسب ، بل وفي تولي الفيلسوف لمركز ملكي أيضاً ، كما حدث مع خواجه نصير عندما فاوض حول شروط استسلام الاسماعيليين للمغول ، أو عندما تولى فيما بعد ، وبصورة مؤكدة ، قيادة جناح من جيش المغول في هجومه على بغداد .



غير أنه لم يكن للعلاقة الإنتاجية بين الفيلسوف وبين راعيه/ الأمير الاسماعيبي أن تستمر صويلاً . إذ مالبث الجيش المغولي المتقدم أن وجد طريقه الى القلاع الاسماعيية في نهاية الأمر ، وواجه النزاريون الاسماعيليون ، في فارس ما يشبه النازلة المنتظرة . وفي تلك لفترة ، ترك خواجه نصير حماته النزاريين وانضم الى هولاء لينغمس تماماً بذات العلاقة لشكلية بين السلطة والمعرفة . فكتب رسالة فلكية باسم زعيم المغول الحاكم ودعه «زيج - يلخاني» . وهذه الرسالة ، هي و«أخلاق ناصري» ، كتبتا بالروح ذاتها ، روح تعكس في إنتاج المعرفة ماتهكسه المفاوضات باسم الاسماعيليين مع هولاء ، وقيادة جند من جيش هولاء ضد المستعصم في سياق السلطة . وليس ارتباط خواجه نصير بالإمامة لاثني عشرية أو الاسماعيلية هو ما يميزه أكثر من أي شيء آخر . إن توصيفه الأكثر تاريخية وذا الصلة يقع في ذلك البناء الشكلي للسلطة - و - المعرفة الذي يضع سيفاً في يده ليقا تل باسم أمير أو زعيم بالسعادة ذاتها التي تضع قلماً في اليد ذاتها وتجعله يكتب رسالة في الأخلاق أو الفلك باسم ذلك الحاكم ذاته .

وبإتقانه لتلك الحقول المتنوعة من المعرفة الاسماعيلية ، من علوم الدين الى الفلسفة والصوفية ، ومن ثم معادلة أهمية كل منها الخاصة بنظم علمية كالفلك والرياضيات والموسيقى والمنطق ، راح خواجه نصير يتحدى الزعم الذي يحصر أي «فرع» اسلامي من فروع لمعرفة بالسلطة السياسية . وكان رجال العلم في نظر المعرفة المنتظمة الدينية وغير .لدينية كليهما هم رجال السلطة بالنتيجة . إن تكريس اللاهوت لرجال الدين ، والفقه لفقهاء ، وفلسفة للفلاسفة ، والصوفية للمتصوفة ، والفلك بالطبع للفلكيين ، أوجدت نظاماً مؤسسة من السلطة/ المعرفة . وحافظت عليها . وقد أتقن خواجه نصير معظم تلك نظم ، وأنتج نموصاً أصيلة في معظمها تقريباً . وكانت نتيجة هذا الإتقان أن أعاد الى الوجود ، في مجل تقنييد الفارسي الكلاسيكي للفيلسوف/ الوزير ، سلطة لمنصب الوزارة ومؤسستها وومئذ . وكان على جميع ماتبقى من مؤسسات السلطة القائمة - أي تلك التي لرجال الدين وفقهاء ، والفلاسفة والمتصوفة والفلكيين ، ألخ - كان عندهم الخضوع لمركزه المتفوق في لسلطة/ المعرفة ، مدعوماً بأيما راع/ أمير يحدث أن يكون في السلطة ويكون بحاجة لمساعدة الفيلسوف/ الوزير .

ن مركزية منصب الوزير في الثقافة السياسية الفارسية عموماً وفي الفترة اسجوقية خصوصاً قد تمت الإشارة اليها ومعاينتها بإسهاب من قبل عدد من المتبحرين<sup>(٢٨)</sup> . ويكرس كنوزلر(Klausner) ، على نحو خاص ، اهتماماً جديراً بالاستحقاق لتعليم الوزير وتدريبه

ولخلفيته الدينية والثقافية<sup>(٢٩)</sup> . غير أن أهمية المعرفة الموسوعية لكل من «العقل» و«العلوم التقليدية» التي ترتقي بمركز الوزير الفارسي الى ذلك الذي للفيلسوف/ الوزير ، لم تلق بعد من يتفحصها بأي شكل من أشكال التفصيل . ففي حين فشل ماكس ووبر (M.Weber) ، في معالجته للمركز الحامي لما اصطلح عليه بـ(Grosswesirs) ، صوناً منه للوضع الالهامي للملوك الفرس أو الخلفاء المسلمين ، فشل في التعرف على هذا الجانب من الوزراء الفرس<sup>(٣٠)</sup> ، إلا أنه اقترب كثيراً في معالجته للأدباء الصينيين من مثل هذا المفهوم عندما اشترط مفهوم الـ(Bidlung) كعامل يحدد تلك الطبقة الصينية ويعرفها<sup>(٣١)</sup> . وقد لاحظ ووبر في تعريفه لطبقة الأدباء الصينيين «أنها ذات أهمية بالغة من أجل الطريقة التي من خلالها قد تطورت الثقافة الصينية بحيث أن تلك الطبقة الرائدة من المثقفين [أي الأدباء الصينيين] لم يكن لها قط صفة كهنوت المسيحية أو الاسلام ، ولاخاضعات اليهود ، ولابراهمات الهنود ، ولا كهنة المصريين القدماء ، ولا الكتبة الهنود أو المصريين<sup>(٣٢)</sup> . لقد نظر ووبر الى ذلك المركز ، بشكل مغلوط (في ضوء ما اقترحه الآن بخصوص الفيلسوف/ الوزير الفارسي) ، على أنه شيء خاص بالأدباء الصينيين وميَّزه بشكل محدد عن النماذج المسيحية والاسلامية والهندية والمصرية . كما فشل أيضاً في ملاحظة أي شبه بين وظيفة الأدباء الصينيين بما له علاقة مع الامبراطور ، وبين المفهوم الأفلاطوني للفيلسوف/ الملك . وذلك الفشل مثير للدهشة على نحو خاص في ضوء حقيقة أنه قد لاحظ فعلاً جزئين نقديين اثنين من بيانات كان بحاجة اليهما : إنه «طبقاً لكتب الأخبار ، فإن الامبراطور قد خاطب الأدباء وحدهم بأسيادي ، وأطلق على الأدباء اسم «بوتشي» ، أي «المكتبات الحية» . فالتفريق/ الجمع الاسمي الشخصي للفيلسوف/ الملك الى «فيلسوف» و«ملك» حال دون ملاحظة ووبر لتلك الميزات الصورية .

ويتضح هذا التحول على نحو صارخ في الحالة الفارسية<sup>(٣٣)</sup> . وللأمير والفيلسوف في النسخة الفارسية من الفيلسوف/ الملك ، صفات صورية متبادلة من خلالها تتم ممارسة المعرفة الموسوعية للوزير علناً ، عبر «رسائل» يرعاها البلاط وتُنشر باسم الأمير ، في حين يجري عرض «السلطة» الأقوى للأمير وتديرها علناً عبر وساطة الوزير . وهذا مايفسر ، كما أرى ، حمل الرسائل الفلسفية والعلمية والأدبية التي كتبها طبقة الوزراء الفرس أسماء رعاتها من الأمراء : «أخلاق ناصري» ، «أخلاق محتشمي» ، الخ... وماهو متنازع عليه هنا هو الوظيفة السياسية للفيلسوف/ الوزير باعتباره نسخة فارسية على نحو خاص للفيلسوف/ الملك الأفلاطونية ، والتي بها تُترجم الشخصية الصورية

لفيلسوف/ ملك سياسياً الى المعرفة/السلطة الإدارية لفيلسوف/ الوزير ، تاركاً لمركز إلهامي للملك محصناً من جهة رمزية ضد الفشل السياسي . وقد أدرك ويبر جيداً هذا المقدار من المركز الحامي للوزير الفارسي عندما لاحظ أن «مركز الوزير لأعض... يحمي الشاه ويحمي إلهامه»<sup>(٢٤)</sup> . ويرفعه لمنصب الفيلسوف/ الوزير فوق لانقسامات مذهبية والمدرسية الملازمة للثقافة السياسية الإسلامية وخارجها ، يصبح ذلك لمنصب ومنصب الملك الملهم تجاوزاً كلاهما محصن من جهة رمزية ضد عنم سريع تتقرب في انزاعات المعرفة والعقائدية . وهكذا تصبح ترجمة الفيلسوف/الملك لأفلاطونية لى الفيلسوف/الوزير الفارسية ذات فائدة من ناحية سياسية ، في حين تحافظ على مساحة ملكية تبقى السلطة الإلهامية للملك فيها محصنة ضد أي انفجار خطير وتبررها .

ويرتكز لنظر الى خواجه نصير الدين الطوسي على أنه فيلسوف/وزير على عرض نظري يرى ،بلاط الفارسي على أنه مؤسسة تستمد شرعيتها من ذاتها وتقوم على حقوق من لسلطة متميزة خاصة بها . إن جميع أدوات السلطة .. الشعارات والاحتفالات ، والشخص وشفقات ، والضرورات الوظيفية ، والإسنادات الذاتية الهيكلية - هي حاضرة من ناحية تاريخية في ذلك البلاط وشرعيته . ويسهل النموذج المثالي للفيلسوف/ الوزير ، المتمثل في شخص خوجة نصير وارتباطاته بالاسماعيليين وبغيرهم ، يسهل صياغة دراسة أخلاقية لذلك البلاط . وأصبح انتاج الرسائل المتعلقة بالأخلاق بشكل خاص ، بحثاً في البلاط لفارسي يستمد شرعيته من ذاته خلافاً لعلم الكلام والفقهاء الاسلاميين .

وسواء أكان إلقاءها في صيغة رواية أخلاقية ، أي الأخلاق نفسها ، أم في صيغة نصيحة مصونة ، لا أن دراسة الأخلاق راحت تباعد عن الفقه الاسلامي بعدد من الرموز الهامة ، أولها ، وسبق مسبق منها ، هو أنها كانت تلقى بلغة فارسية غير منقولة ، وثانيها ، هو أن مكوناتها من لأمثلة المروية مستمدة من تقاليد غير اسلامية بذات المقدار الذي استمدت به من مصدر الاسلاميه ، وثالثها ، هو أن وسيلة الإلقاء وواسطته ، الوزارة ، هي طبقة واضحة من غير رجال الدين تقف في تمايز مؤسساتي بالمقابلة مع رجال الدين الاسلامي ، ورابعها ، هو أن قاعدتها المؤسساتية تتوضع داخل البلاط ، وهي متميزة تماماً عن المدرسة ومسجد لجمع .

ن فهمنا لمثل تلك النصوص الفارسية عن الأخلاق ، «كأخلاق فارس» و«أخلاق محتشمي» ، يجب أن تركز على اعتراف بأنها قد كتبت بالفارسية في سياق ثقافة فلسفية

وأدبية طغت عليها العربية بتفوقها اللغوي المقدس . أما الإنتاج العقائدي لسلطة فكرية وسياسية فإنه يركز بالنسبة إلى خواجه نصير ، خارج نطاق هويته المذهبية ، وعلى تبنيه للفارسية تحديداً كجمال للبحث الأخلاقي . ويتضمن المصير التأويلي لنصوص فارسية مثل «أخلاق ناصري» ثقلًا فكرياً من مصادر عربية لما قبل الإسلام مجتمعة في مصادر يونانية غير إسلامية وفارسية وهندية ، لكنه يقف مع ذلك ، في فضاء روائي يقع خارج نطاق أي واحدة من تلك القوى المكونة .

وأرغب بالمجادلة هنا في أن الإنتاج النصي لأية رسالة أخلاقية باللغة الفارسية يقود إلى إنتاج أخلاقي لفضاء سياسي يقع خارجاً ، لكنه مجاور لأرض دينية إسلامية . واستخدام خواجه نصير للغة الفارسية يقضي إلى اعتماد عالم النص جراء ذلك عن أية إشارة مرئية إلى المخيلة الدينية الإسلامية . بل إن رسائل من مثل «أخلاق ناصري» تعتمد ، حتى خارج حدود الجانب اللغوي للبحث الأخلاقي ، على مصادر إسلامية وغير إسلامية إلى حد كبير من أجل وصايا أخلاقية محدّدة . ويوصفه مؤلفاً لنص فارسي في الأخلاق يركز على مراجع قرآنية وأحاديث بقدر ما ارتكز على تقاليد يونانية وفارسية وهندية غير إسلامية ، فإن خواجه نصير في سيطرة كاملة ، ومنفتح سياسياً ، من الفضاء الأخلاقي والسياسي الذي تمّ بهذا الشكل اختباره في «أخلاق ناصري» و«أخلاق محتشمي» .

ويتجذّر إنتاج ذلك الفضاء الأخلاقي والسياسي ، واعتماده على الفارسية كرواية أخلاقية تبريرية ، في الاستغلال المؤسساتي الذاتي للبلاط الفارسي . وكان البلاط الفارسي منتظماً طوال أزمنة العصر الوسيط في إنتاج نصوص تحمل شرعيتها بذاتها . ويعتبر نص «شهر مقالة» (المعروف أيضاً «بمجمع النوادر») لأحمد بن عمر نظامي عروضي ، المصنّف قرابة ١١٥٥/٥٥٠ ، مثلاً واحداً هاماً من بين أمثلة أخرى (مثل «سياسة نامه لنظام الملك المصنّف سنة ١٠٨٦/٤٧٩ ، أو «قابوس نامه» لقابوس بن قوشمخير المصنّف سنة ١٠٨٢/٤٧٥) وجدت في مصالح الوظيفة أو الأداء المستقل للبلاط الفارسي باعتباره مؤسسة ذات شرعية ذاتية . وكان نظامي عروضي قد صنّف كتابه «شهر مقالة» لأبي الحسن حسام الدين علي ، ابن فخر الدين مسعود الغوري (٥٤٠ - ١١٤٥/٥٥٨ - ١١٦٣) الذي حكم باميان وخنارستان . إلا أن حسام الدين علي لم يصبح ، على كل حال ، ملكاً غورياً قط ، لأن شقيقه شمس الدين محمد (٥٥٨ - ١١٦٣/٥٨٨ - ١١٩٢) هو من خلف والده في الحكم ، ومع ذلك ، فقد أهدى نظامي عروضي كتابه «شهر مقالة» للأمير حسام الدين علي ، مشيراً إليه باسم «باديشاه» و«باديشاه - زاده»<sup>(٢٥)</sup> . والحقيقة هي أن العلاقة

بين نظامي عروضي والأمير حسام الدين علي كانت بالضبط على ذات نموذج ملك شاه / نظام الملك أو ناصر الدين / خواجه نصير .

ويحدد نظامي عروضي في كتابه «شهر مقالة» ، الذي أصبح بالنتيجة دليلاً للملكية والإرادة للملكية في فارس العصور الوسطى ، يحدد العاهل الفارسي والبلاط الفارسي على أنهم شخصيات ومؤسسات للسلطة الملكية ذات استقلال ذاتي<sup>(٢٦)</sup> . إنه يتقدم بشكر أكثر تحديداً لى ، (١) إنتاج نص فارسي بخصوص وظائف وآداب البلاط الصحيحة ، و(٢) يفييه بالقصص والحكايات ذات الأصول غير القرآنية ، و(٣) يعين نفسه من حيث النتيجة في منصب لو كالة الشرعية لإصدار مثل ذلك الدليل وتبريره ، و(٤) يعمل من ثم على إقناعه في لقاعدة لمؤسساتية لبلاط الأمير حسام الدين علي . ويشكل تألف العوامل الأربعة تلك «مر» دستورياً لإقامة البلاط الفارسي كمؤسسة تكتسب شرعيتها بذاتها ولها دراستها ذات صلة بالإضافة إلى شعارات السلطة ورموزها . وضمن هذا الإطار يتوجب علينا فهم بنية عمل لسياسي / الفكري للفيلسوف / الوزير الفارسي ، علينا ، بالتالي ، النظر إلى شخص خواجه نصير على أنه فيلسوف / وزير فارسي ، وليس باعتباره شيعياً اثني عشرياً أو شيعياً اسماعيلياً حصرياً - ولا سيما من جهة علاقته بالأمير الاسماعيلي ناصر الدين عبد الرحيم وبالقائدين العسكريين ، هولاء وأبغا .

ومن العوامل التي زادت في تحصين البلاط ضد السلطة المؤسساتية للمسؤولين الدينيين (سنة كانوا أم شيعية اثني عشريين أم اسماعيليين) ، وعملت بذلك على حماية لفضاء «العلماني» من أجل الأداء السياسي للفيلسوف / الوزير ، كان الحضور المتوازن بعدد من الأديان في بلاطي المغول والایلخانيين كليهما . وراح المغول يوفرون تدريجياً حماية متوازنة لى حد ما لتابعيتهم من النصارى والمسلمين والبوذيين والكونفوشيين . وقد حال الجمع بين الأديان هذا دون قيام دين محدد ، والاسلام على وجه الخصوص ، بالوصول إلى سطة مؤسساتية مهيمنة . كما لم يؤد تحول محمود غازان خان (٦٩٤ - ٧٠٣ / ١٢٩٥ - ١٣٠٤) لى الاسلام إلى تغيير ذي أهمية في قواعد السلوك المعهودة ، ولا سيما في المسائل المتعلقة بالإدارة السياسية للامبراطورية .

وسواء نظرنا إلى خواجه نصير ضمن البلاط الاسماعيلي الحر ، والذي كان منجاً مناً نسبياً لعدم الفلاسفة من جميع المعتقدات الدينية ، أو ضمن البلاط المتعدد الأديان لقادة العسكريين الایلخانيين ، فإن كتاباته باللغة الفارسية ، وأعماله في القصص الأخلاقية ذات الشرعية الذاتية ، وأبحاثه العلمية المرجعية ، وتلاميذه وزملاءه من ذوي الأصول

الدينية والأثنية المختلفة يجب أن تقودنا في نهاية الأمر الى وضعه في مرتبة من هوية تقع خارج نطاق التصنيفات الطائفية العامة أو الأخلاقية المجردة . ويقدم المركز النموذجي ~ لمثلي للفيلسوف/الوزير الفارسي وجهة نظر تاريخية متدرجة بخصوص العالم الاجتماعي والأخلاقي من زمن نصير الدين الطوسي ، والطبيعة السياسية لثقافته ، وعلاقته بالاسماعيليين ، والمغول ، ومن ثم بمجمل طبقة الوزراء والفرس التي تقع خارج نطاق هذه لحالات .

## الحواشي

- ١ - انظر على سبيل المثال: شهاب الدين محمد النسوي، سيرة جلال الدين منكبورتو، تح. ميتوفي (طهران، ١٩٦٥)، ص ١١٠-١٣٠، عطا الله الجويني، تاريخ جهان غرضاي، تح. قزويني (لندن، ١٩١٢-١٩٣٧)، م ١، ص ١٠٣-١٤٩، وترجمته الى الانكليزية بعنوان "The History Of World Conqueror" لبويل (BOEL) مانشستر، ١٩٥٨، م ١، ص ٢١٢-٣٤٠.
- ٢ - انظر: ميتوفي، «الباطنية الاسماعيلية» في كتابه، تاريخ وفرهنگ (طهران، ١٩٧٣)، ص ١٧٠-٢٢٥، مدرسي رضوي، أحوال وآثار خواجه نصير الدين الطوسي (طهران، ١٩٧٥)، ص ١٣٦-١٣٨، مقلد، نظام الحكم في الاسلام، أو النبوة والإمامة عند نصير الدين الطوسي، (بيروت، ١٩٨٦)، ص ٢٤٣، مقدمة ايفانوف لكتابه خواجه نصير، روضة التسليم (لندن، ١٩٥٠)، ص ٢٤، دفتري، الاسماعيليون، تاريخهم وعقائدهم (كمبردج، ١٩٩٠)، ص ٤٠٧-٤١٠، وترجمته العربية، سيف الدين القصير (ط ٢، سلمية، ١٩٩٧).
- ٣ - مدرسي رضوي، أحوال، ص ٨، الاسماعيليون، ص ٤٠٨.
- ٤ - القاضي نور الدين انشوستري، مجالس المؤمنين (طهران، ١٩٨٦)، م ٢، ص ٢٠٧.
- ٥ - مدرسي رضوي، أحوال، ص ٨-٩، مقلد، نظام، ص ٢٤٥.
- ٦ - خواجه نصير الدين الطوسي، أخلاق ناصري، تح. ميتوفي وحيدري (طهران، ١٩٧٧)، المقدمة، ص ١-٢٢، مادلونج، «أخلاقيات نصير الدين الطوسي...» في كتاب الأخلاق في الاسلام (كاليفورنيا، ١٩٨٥)، ص ٨٥ وما بعدها.
- ٧ - ملاحظات ايفانوف في «روضة التسميم لطلوسي، المقدمة، ص ١٧-٢٣، وكتابه: الأدب الاسماعيلي، مسح ببلوغرافي (طهران، ١٩٦٣)، ص ١٣٥، بونولا، ببلوغرافيا الأدب الاسماعيلي (كاليفورنيا، ١٩٧٧)، ص ٢٦٢، مقلد، نظام، ص ٢١١-٢٢٧.
- ٨ - دانشمزه، مقاله حول نصير الدين في مجلة، «مجلة دانشكدي أدبيات»، ٢ (١٩٥٦)، ص ٨٢.
- ٩ - انظر وصف خواجه نصير لمساهمته في طزو بغداد في الجويني، تاريخ، م ٢، ص ٢٨٠-٢٩٢.
- ١٠ - كندي، «المعلوم الدقيقة في ايران في ظل السلطنة والمنول»، في تاريخ كمبردج لايران، م ٥، تح. بوير (كمبردج، ١٩٦٨)، ص ٦٥٩-٦٧٩، ومقالة جورج صيبا في مجلة، Revue de Syntheses، السلسلة ٤، ٣-٤ (١٩٨٧)، ص ٣٦١-٣٧٣.
- ١١ - مدرسي رضوي، أحوال، ص ١٠-١٦، مدرسي زنجاني، سيرة وعقائد فلسفية خواجه نصير (طهران، ١٩٨٤)، ص ٤٩-٥١.
- ١٢ - شوستري، مجالس، م ٢، ص ٢٠١-٢٠٢، محمد باقر خوالساري، روضة الجنات (طهران، ١٩٨١)، م ٦، ص ٢٢١-٢٢٢، ميژر محمد تونكابوني، قصص العلماء (طهران، ١٩٨٥)، ص ٣٦٧.
- ١٣ - انظر ملاحظات ايفانوف في «روضة التسليم للطوسي»، المقدمة، ص ٢٥.

- ١٤ - مینوچی وحیدری ، «أخلاق ناصري» للطوسي ، ص ١٤ - ٢٢ ، وانشیزوه ، «أخلاق محتشمي» ، للطوسي ، (طهران ، ١٩٨٢) ، ص ١٠ - ١٤ ، دقري ، الاسماعيليون ، ص ٤٠٨ - ٤١١ .
- ١٥ - ادوارد براون ، تاريخ فارس الأدبي (کمبردج ، ١٩١٨) ، م ٢ ، ص ٤٥٧ ، ج . ريبکا ، تاريخ الأدب الايراني (دوردرشت ، ١٩٦٨) ، ص ٣١٢ - ٣١٤ .
- ١٦ - انظر الترجمة الانكليزية لـ «أخلاق ناصري» دويكن ، المقدمة (لندن ، ١٩٦٤) ، ص ١٢ .
- ١٧ - الطوسي ، شرح الإشارات (قم ، ١٩٨٢) ، م ٢ ، ص ١٤٥ .
- ١٨ - المصدر السابق ، م ٢ ، ص ١٤٥ .
- ١٩ - مدرسي رضوي ، أحوال ، ص ١٢ .
- ٢٠ - النوشهري ، مجالس ، م ٢ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٨ ، كتاب «ديستان مذهب» ، تاج . رضا زاده (طهران ، ١٩٨٢) ، م ١ ، ص ٢٥٨ ، هبائي ، مقدمة ، ص ١٧ ، مدرسي رضوان ، أحوال ، ص ١٤ - ١٦ ، مدرسي زنجاني ، سيرة ، ص ٥٤ - ٢٩ ، الطوسي ، أخلاق محتشمي ، ص ١٠ - ١٤ ، دقري ، الاسماعيليون ، ص ٤٠٨ - ٤٢٤ ، ٦٩٢ - ٦٩٤ .
- ٢١ - دقري ، الاسماعيليون ، ص ٤٠٨ .
- ٢٢ - يدیع الزمان فروزنافر ، أحاديث متنوي (طهران ، ١٩٨٢) ، ص ٢٨ .
- ٢٣ - مدرسي رضوان ، أحوال ، ص ١٢ .
- ٢٤ - انظر مقالة دبشي في مجلة Iran Shenshi ، ٢ (١٩٩٠) ، ص ٢٢١ - ٢٤١ .
- ٢٥ - انظر مقالة مینوچی في مجلة دانشکدای ادبیات ، ٢ (١٩٥٥) ، ص ١ - ٢٦ .
- ٢٦ - مدرسي رضوان ، أحوال ، ص ٩ - ١١ ، تونکابوني ، قصص ، ص ٣٧٨ .
- ٢٧ - للمزيد انظر دبشي ، «فرهنگ سياسي» ، ص ٢٢٧ - ٢٣٧ .
- ٢٨ - انظر على سبيل المثال ، عباس اقبال ، الوزارة في عهد سلاطين السلاجقة (طهران ، ١٩٥٩) ، سورديل ، الوزارة العباسية من ٧٤٩ - ٩٤٦هـ (دمشق ، ١٩٦٠) ، كارلا كلوزنر ، الوزارة السلجوقية : دراسة في الإدارة المدنية (کمبردج ، ١٩٧٢) لاميتون ، النظرية والتطبيق في الحكومة الفارسية في العهد الوسيط (ليدن ، ١٩٨٠) ، الدولة والحكومة في اسلام العصر الوسيط (أكسفورد ، ١٩٨١) .
- ٢٩ - كلوزنر ، الوزارة السلجوقية ، ص ٦٢ - ٧٥ .
- ٣٠ - ماكس ويبر ، الاقتصاد والمجتمع (بهرکلي ، ١٩٧٨) ، م ٢ ، ص ١١٤٧ .
- ٣١ - م ويبر ، مقالات في السوسيولوجيا ، تاج . جهرت وکميلز (نوربورک ، ١٩٤٦) ، ص ٤١٦ - ٤٤ .
- ٣٢ - المصدر السابق ، ص ٤١٦ - ٤١٧ .
- ٣٣ - دبشي ، فرهنگ سياسي ، ص ٢٢٧ وما بعدها .
- ٣٤ - م . ويبر ، الاقتصاد والمجتمع ، م ٢ ، ص ١١٤٧ .
- ٣٥ - نظام صروضي ، شهر مقاله ، تاج . تفریني (ليدن ، ١٩٠٩) ، ص ٢ .
- ٣٦ - المصدر السابق ، ص ٢ .



## «أحياناً بالسيف، وأحياناً بالخنجر»: دور الاسماعيليين في

### العلاقات المغولية - المملوكية في القرن ١٤/٨

تشارلز ميلفيل\*

بتسليمهم لحصنهم في جيردكوه في ٢٩ ربيع الثاني ١٢٧٠/٤ كانون أول ١٢٧١ وفشلهم في استعادة السيطرة على الموت سنة ١٢٧٥/٦٧٤ ، توقف الاسماعيليون النزاريون ، وهم الذين سبق لهم التراجع بشكل كبير عن مسرح التاريخ ، عن توجيه أي تهديد سياسي لسلالة المغولية الجديدة الحاكمة في فارس<sup>(١)</sup> . وفي الوقت ذاته ، أصبح النظام لمموكي ، الجديد في مصر الى حد كبير ، في طريقه انى تدمير استقلال الفرع الغربي للاسماعيليين . فمع استلام الكهف ، القلعة الاسماعيلية الأخيرة ، في ٢٢ ذي الحجة ١٠/٦٧١ تموز ١٢٧٣ ، وزالة قوتهم من سورية ، أكمل بيبرس الأول ماكان هولاكو قد بدأه في فارس سنة ١٢٥٦/٦٥٤<sup>(٢)</sup> .

لكن بقيت للاسماعيليين فوائدهم ، على كل حال ، حيث لم يتردد بيبرس في استخدامهم ضد كل من عارضه ، قاصياً كان أو دانياً ، حتى عندما كان يقوم بخضعهم لسيطرته<sup>(٣)</sup> . وبما أن أعداءه كانوا خصوماً سابقين للاسماعيليين فلم يكونوا بحاجة الى كبير عند إقناعهم بالتعاون ، ولا سيما إذا كان ذلك يساعدهم في الحصول على رضا بيبرس .

\* Charles Meville ، محاضر في الدراسات الإسلامية في جامعة كمبردج ، وزميل في كلية ييمبروك ، كمبردج ، ومحرر - مساعد سمجد اسابع من «تاريخ كمبردج لايران (كمبردج ، ١٩٩١) كما ساعد في تأليف «النصارى والمسلمون في مبادية» (وورمنستر ، ١٩٩٢) ، وحزير ، Pembroke Persian Papers التي نشرها مركز الدراسات الشرق أوسطية (كمبردج) ، وكذا ساهم بكتابة العديد من المقالات العلمية والدراسات حول المفلول الايلخانيين في الموسوعة الايرانية وفي عدد من المجلات والدوريات المتخصصة الأخرى .

ومن بين أهداف السلطان ، شكّل الفرنجة الصليبيون أقرب الأهداف إلى يده<sup>(٤)</sup> . وهم أنفسهم ، لم يحجموا عن استخدام القتل ، إذ يبدو أن بوهموند السادس حاكم نصكية وطربلس ، كان وراء مؤامرة لقتل بيبرس سنة ١٢٧١/٦٦٩ . وقد هدّد السلطان بترد على ذلك لإطراء ، وحذّر بوهموند من الاعتماد على مساعدة أبغا ، الإيلخان المغولي<sup>(٥)</sup> . كما أن بارتوليميو ، حاكم مرقية ، كان ضحية أخرى في تلك الفترة ضمن النضاح الذين قصدهم بيبرس . ففي ربيع الأول ٦٧٠/ تشرين الأول ١٢٧١ ، أخبر بيبرس أمراءه أنه قد بعث ببعض «الفداوية» لتعقب حاكم مرقية الذي كان قد فرّ إلى المغول . وعاد أحد الفداوية ليخبره بأنهم قد هاجموا وقتلوه . وقد أوردنا ذلك كمثال على كيفية توصيد لسلطة ، «أحياناً بالسيف ، وأحياناً بالخنجر»<sup>(٦)</sup> . والواقع أن بارتوليميو كان قد نجح بنفسه في لبلاط المغولي ، وعاد فيما بعد ليدافع عن قلعه ضد قلاوون<sup>(٧)</sup> ، لكن نوباً بيبرس بالقتل واضحة بشكل كاف .

وهكذا تكون أرضية قواعد السياسة المملوكية قد أرسيت في هذا المجال ، كما في مجالات أخرى عديدة ، من قبل بيبرس ، أول سلاطين المماليك الفاعلين . وبقي الفرار إلى البلاط المغولي ، في الوقت نفسه ، خياراً جذاباً للعديد من المعارضين للنظام المملوكي في مصر (من أمثال بوهموند وبارتوليميو) . وبالمقارنة مع الصليبيين الذين تمّ طردهم من الأراضي المقدسة سنة ١٢٩٠/٦٩٠ ، فإن الإيلخانيين الأكثر نأياً شكّلوا الخطر الأكبر على لمماليك ، وهو ما يتضح من نظرة بيبرس وخلفائه إلى الأمر واستيعابهم له . وقد دُبّت عداوتهم تلك في الوجود حتى القرن الثامن/الرابع عشر ووصلت ذروة متأخرة لها زمن الناصر محمد (الملك الثالث ، ٧٠٩ - ٧٤١/١٣١٠ - ١٣٤١) عندما تعقّدت العلاقات التي كنت تسير في طريق التحسّن بالإنتفاض الشهير للأمير المملوكي شمس الدين قره سنقر لمنصوري . وكان قراره إلى فارس سنة ٧١٢/١٣١٢ قد أحيا المناقشة بالسيف والخنجر كيهما . ولو أن تلك الصراعات قد برهنت بالنتيجة على أنها قد حلّحت الأمور لتفوض حول معاهدة سلام بين القوتين الاثنتين .

وما أقصده في هذه المقالة هو تسليط الضوء على محاولات الناصر محمد استنوعة لاغتيال قره سنقر (وأخرين) ضمن الإطار الواسع للعلاقات المغولية - المملوكية في عهده . ويستحق حقيقة أن الجماعات الاسماعيلية في سورية قد تدبّرت أمر المحافظة على هويّتها وسمعتها طوال مثل تلك الفترة بعد اندماجها الرسمي داخل الدولة المملوكية ، ليست هي لجنب الأقل أهمية في الحكاية . غير أن المكان لا يسمح لي ، على كل حال ، بمعالجة هذه

ممساة هنا ، ولا بمناقشة الشواهد على أنشطتهم خلال الربع الأخير من القرن السابع / لثالث عشر<sup>(٨)</sup> .

ولا يشهد على بقاء الاسماعيليين على قيد الحياة في الجبال الواقعة الى الغرب من حمص تفصيل المهمات التي قاموا بها في فارس وحسب ، بل والرحالة ابن بطوطة أيضاً ، الذي زر بعض قلاعهم سنة ١٣٢٦/٧٢٦ ووجد أن ذلك الفريق قد حافظ على شخصيته الحصرية به . وقد أطلق عليهم اسم « سهام الملك الناصر » التي كانت تُرسل لتتقّب كل من يفر الى نهرق أو الى أي مكان آخر . غير أن ابن بطوطة يلاحظ ، على كل حال ، أنهم لم يكونوا منتصرين دُماً ، ويتابع إعادة رواية قصة قره سنقر<sup>(٩)</sup> . وكان الأخير ، وهو حاكم مملوكي سابق لحسب ، قد ساند الناصر محمد في استعادته لعرش السلطنة سنة ٧٠٩ / ١٣١٠ وتبقى مكافأة على ذلك حاكمية دمشق . غير أن الرجلين بقيا في خشية أحدهما من الآخر ، خصوصاً لأن قره سنقر كان متورطاً في اغتيال الأشرف خليل ، شقيق الناصر ، سنة ٦٩٣ / ١٢٩٣ .

وقد تمت معاينة الدليل على فعل قره سنقر من قبل دونالد ليتل (D.Life) الذي ناقش ما يمكن تسميته أيضاً بالجوانب الفكرية للعداء المملوكي - المغولي في ضوء انتقاض قره سنقر والأسنوب الذي تناولت به المصادر تلك القضية<sup>(١٠)</sup> ، ويورد كتاب التراجم حوالي ست هجمات منفصلة على قره سنقر ، قائلين إن هجمات أخرى كثيرة قد نُفذت وإن بعضاً من مائة اسماعيلي قد هلكوا في المحاولات التي استهدفت حياته<sup>(١١)</sup> . وبالجمل ، فإن الحوليات قد تضمنت مواد مختلفة بخصوص قره سنقر والاسماعيليين ، لكن غالباً ما تيسر تمييز صيغ مستقمة تتعلق بحادثة بعينها - وتاريخ العيني ذو فائدة خاصة في تحديد معظم الحوادث امروية خارج السياق عند المفضل والمقريزي ووضعها ضمن إطار تسلسلها التاريخي<sup>(١٢)</sup> . والأمر لذي لا بد منه هو وجود تشابهات محددة بين الأحداث الموصوفة ، ومن الممكن أن يكون لمخزون الأساسي ذاته من القصص قد أعيدت ببساطة روايته مع بعض التعديلات والمبلفات والأغلاط . ومهما يكن الأمر ، فإن معظم الأحداث تتطابق مع الحقائق بعدة للتاريخ السياسي والدبلوماسي لتلك الفترة ، ومن الممكن إيجاد سياق لها ضمن تسييس الحوادث الواردة في كتب الأخبار .

وقد فرّ قره سنقر ، الذي كان لشكوكه بنوايا الملك الناصر تجاهه ما يبررها ، الى أفراد من قبيلة الفضل في الصحراء السورية في ذي الحجة سنة ٧١١ / نيسان ١٣١٢ ، ثم بتجاً بالنتيجة الى أولجيتو خان في ربيع الأول ٧١٢ / تموز ١٣١٢ . وكان في صحبته آقوش لأفريم ، الذي كان مثل قره سنقر حاكماً لدمشق قبل الأخير ، ومعه نحو الأفرام ، ويدومور

لزمز انزردكاش ، وبلبان الدمشقي وعدد من المماليك الآخرين . واستقبلهم أولجيتو بحفوة ، وأقطع مراغه لقره سنقر وهمدان للأفرم<sup>(١٢)</sup> . وسرعان ماراح هؤلاء يشجعون الإيبدخن على شن هجوم على أراضي المماليك ، ورافقوا الجيش المغولي الذي ألقى لحصار على بلدة الرحبة على الفرات طوال معظم شهر رمضان ٧١٢/كانون ثاني ١٣١٣ . غير أن أولجيتو تخلى بعد ذلك عن الحصار الذي تبين أنه آخر صراع ذي شأن بين قوتين في سورية ، وعاد الى بغداد<sup>(١٣)</sup> .

وكانت المهمات الاسماعيلية لاغتيال المنتقمين قد بدأت على الفور تقريباً ، وصبتاً للعيني ، فإن قره سنقر قد توقع ، وهو الذي رأى الجموع تحتشد لاستقبالهم في تبريز ، هجوماً للفداوية فنصح مرافقيه بارتداء دروع انزرد تحت ثيابهم . وبعد ذلك ببعض الوقت هجم فداوي الأفرم وجرحه ، ولم ينقذه سوى درعه الواقى . وبعد عراك قصير تكاثرت لجند على لفداوي وقتلوه . وأمر شوبان بإجراء تحقيق في الحادثة ، وتم تطويق كل من في تبريز من غرباء الذين خضعوا للمسألة . واقترح الأفرم إجراء استعراض لهوياتهم ، بحجة أنه كان على معرفة بجميع الفداوية والعلماء السريين بفضل مركزه السابق كحاكم لسورية . وثُفد هذا الاجراء ، لكن تبين أن جميع المشبوهين كانوا تجاراً نظاميين فأطلق سراحهم . واثبت فيما بعد أن العميل الذي أدار الهجوم ، ويدعى [علاء الدين] علي بن المعلم من الحديثة ، كان قد تجنب الظهور يدهاء وتمكن من مفادرة المكان بصحبة تجار من سلماس كان قد حضر معهم ، هو وفداوي ثان فشل في تنفيذ الجزء المخصص له في خطة الهجوم على قره سنقر<sup>(١٤)</sup> .

وبغض النظر عن التفاصيل واختلافاتها ، فإن هذه القصة تشبه واحدة أعيدت روايتها في مصادر أخرى الى درجة تكفي لإظهار أن الوصف يتناول ذات الحادثة . فالهجوم كان بمر من الناصر محمد الذي كتب الى حاكم مصياف يسأله تجهيز فداويين اثنين ، أما المهمة فقد كانت من تنظيم حاكم الرحبة ، بدر الدين الأزكشي<sup>(١٥)</sup> . وعولج الأفرم من جروحه واستعاد صحته . وقيل إن محاولات أخرى عديدة قد استهدفت حياته دون نجاح<sup>(١٦)</sup> ، وإنه قد توفي بأسباب طبيعية في ١٣ محرم ٧١٦/٧ نيسان ١٣١٦<sup>(١٧)</sup> .

ويضع العيني هذه الحادثة بكامنها في العام ٧١١ هـ ، لكن الخطة لم تنفكس ، لا بعد معرفة الناصر محمد بنياً فوار المماليك الى فارس . وعلى الرغم من عدم وجود ديس آخر على أن أولجيتو كان في أوجان عند وصول الفارين ، إلا أن ذلك مقنع تماماً ، سيما وأن المعلومات تفيد أنه سار الى تبريز عند سماعه نبأ الهجوم ، الأمر الذي أكد له أن المماليك

كانوا لاجئين حقيقيين وليسوا جزءاً من خطة ما للغدر . واستقبل المنشقون بعد ذلك في شامي - غزان ، خارج المدينة ، ولابد أن تاريخ الهجوم كان في وقت ما بين وصول لمصاليح في ٣ ربيع الأول/ ٩ تموز ومغادرة شويان للقيام بالحملة على الرحبة في جمادى لثانية ٧١٢/ تشرين أول ١٣١٢ . وبذلت جهود إضافية إبان تلك الفترة لتطويق القديسين لمشبهين حققوا بعض النجاح ، ولو أنه كان من الصعب انتزاع أية معلومات من أولئك الذين وقعوا في أيدي السلطات<sup>(١٨)</sup> .

ووقع هجوم اسماعيلي آخر عقب وصول آردو بغداد قادماً من الرحبة بوقت قصير . فقد تعرض عدة أشخاص لنظن بالسكاكين في بغداد على أيدي «الفداوية الاسماعيلية» يوم ٣٠ ذي لقعدة ٧١٢/ ٢٩ آذار ١٣١٣ . ولم يذكر قره سنقر على أنه الهدف ، والإصابة الوحيدة التي تمت تسميتها كانت قائد الفداوية ، سعد الدين علي جكيين<sup>(٢٠)</sup> . وأكدت وفاة سعد الدين تقرير إضافية وردت من بغداد أحضرها شقيقه جمال الدين عبيدة . وتم توقيف عدد من عملاء المسلمين (أي المماليك) وعرضوا على مماليك الزردكاش الذين كانوا قد وصلوا مع قره سنقر<sup>(٢١)</sup> .

ليس من المؤكد أن سعد الدين كان اسماعيلياً حقيقة . وكان قد عاد إلى القاهرة سنة ٧١١ هـ بعد أن أمضى خمسة أشهر في بغداد يعمل في إدارة مهمة غير محددة<sup>(٢٢)</sup> . ولا يمكن ربط وجوده في بغداد أصلاً بقره سنقر والمنشقين الذين كانوا سنة ٧١١ هـ ميزالون في الأراضي المملوكية ، وما هو أكثر ترجيحاً هو أنه كان جزءاً من برنامج لتجسس طويل الأمد<sup>(٢٣)</sup> . وكان الفداوية الاسماعيليون ، الذين لم يشكلوا فرقاً خاصة وكنوا في جميع الاحتمالات طائفيين عاديين يجري اختيارهم وإرسالهم في مثل تلك المهمات رغماً عنهم ، يكتفون عادة لتنفيذ مهمات محددة ، من خلالها صاروا تحت الإدارة العميية لعملاء النظاميين . ومن المحتمل أن سعد الدين كان قد عاد إلى بغداد في وقت ما سنة ٧١٢ هـ للإشراف على مثل تلك المهمة ومتابعتها ، وما حدث هو أن أعضاء في العميية قد عرض على المماليك التابعين للزردكاش ووجد نفسه مرتبطاً بالاسماعيليين العميين تحت رعايته .

وتشير أدلائ إلى أنه لم يتم اعتقال جميع الاسماعيليين ، على كل حال ، حيث نفذ الفداوية لاسماعيليون بعد ذلك بأسبوعين ، أي يوم الجمعة ١٥ ذي الحجة ٧١٢/ ١٣ نيسان ١٣١٣ ، عميية اغتيال إضافية بأمر من الناصر ملك مصر . وكان الضحية هذه المرة شخص يقرب اسمه من اتقولي<sup>(٢٤)</sup> . وعقب ذلك بفترة قصيرة ، انطلق أولجيتو عائداً إلى السلصنية

وربما كان بالإمكان معادلة هذه الهجمات بما رواه المقرئزي حول مقتل حاكم بغداد في أعقاب معاملته القمعية لتاجر كان يشتري الممالك لملك ناصر . أما المهاجم فقد فرّ إلى مصيف<sup>(٢٥)</sup> . وتسببت هذه الأنباء بقلق إضافي لقره سنقر وشوبان وللوزير الإيخاني ، عني شه ، الذين ضاعفوا من جهودهم ، فتمكنوا من التعرف على أربعة أشخاص وعتقهم ، وحصلوا على معلومات من أحدهم تحت التعذيب<sup>(٢٦)</sup> .

أما أول هجوم فعلي على قره سنقر نُقل إلينا فقد وقع يوم الاثنين ١٧ ربيع لأول ١٢١٤/٧١٤ تموز ١٣١٤ ، عندما تعرض للطعن بسكين<sup>(٢٧)</sup> . وقد نقل عميل مملوكي نبأ قيام رجسين بالهجوم على الأمير في السلطانية وجرحه . وقتل أحد الرجلين المهاجمين ونجا الآخر . وتسبب هذا الهجوم بمقتل عدد كبير من العرب والمستعربة الموجودين في تبريز . ووصت أنباء إضافية تفيد أن الجرح أصاب ساق قره سنقر ، لكنه عولج بنجاح تمكن من الركوب مرة أخرى<sup>(٢٨)</sup> . ويبدو أن تلك كانت المناسبة الوحيدة التي نجح فيها الفدية في إصابة قره سنقر بجروح<sup>(٢٩)</sup> .

وربما كانت حالة تهوُّش الناصر محمد العصبية إزاء قره سنقر تقف وراء الهجوم المملوكي على ملطية في محرم ٧١٥/نيسان ١٣١٥ ، وطبقاً للمقرئزي ، فإن الناصر قد أمر بتلك الحملة لأنه كان قد بعث بمجموعة من الفداوية من مصياف لقتل قره سنقر ، لكن شخصاً كردياً يقرب اسمه من مندوح كان قد وصل ملطية لجمع الضرائب باسم شوبان كشفهم . وخشي حاكم ملطية ، ويدعى ميزمير ، أن يأخذ مندوح مكانه من الإمارة فدخّل في مؤامرة مع السلطان المملوكي لتسليمه المدينة . وعندما وصل الجيش لمملوكي استسلمت ملطية واعتقل مندوح ، لكنه لم يلبث أن فرّ ونجا فيما بعد<sup>(٣٠)</sup> . وحوصرت المدينة ، لكن شوبان الذي ترأس قوة مغولية تمكن من استعادتها على وجه السرعة<sup>(٣١)</sup> . وربما كان توضيح المقرئزي للغارة وتفسيره لها مساوياً في أهميته أي تفسير آخر<sup>(٣٢)</sup> . وإذا ما كان صحيحاً فإنه يشكل دليلاً إضافياً على تأثير انتقاض قره سنقر في توتر العلاقات المغولية - المملوكية . وكانت الحملة قد ابتدأت في وقت متأخر من ذي القعدة ٧١٤/شعبان ١٣١٥ ، ولذلك يظهر أن المزيد من الفداويين كانوا قد أرسلوا ضد قره سنقر في وقت بكر من ذلك العام .

وأقصى قره سنقر الشتاء التالي في بغداد بينما كان أولجيتو في موغان . وفي وقت مبين رمضان ٧١٥ ومحرم ٧١٦ كانون أول ١٣١٥ وآذار ١٣١٦ ، تعرض قره سنقر لهجوم آخر لكنه لم يُغْدش<sup>(٣٣)</sup> . وقد يعتبر عن استياء الناصر جراء فشل الجهود لاعتقال قره سنقر

مرسوم أصدره سنة ١٢١٥/٧١٥ ، وفيه يُنهي حالة إعفاء الجماعة الاسماعيلية في مصيف من استحقاقات مالية متنوعة كانت مفروضة على الناس الآخرين في منطقة حماه<sup>(٢٤)</sup> .

وأختم عهد أولجيتو بإشارة مريرة إلى العداوة وصلت إلى أحد القادة في الحجاز . وكانت ولاية أبي سعيد والسلطة المتنامية لنائبه شوبان قد جلبت معها المزيد من التوجهات الثوفيقية إلى الإيلخانية<sup>(٢٥)</sup> . إلا أن وجود قره سنقر في فارس كان يعمل في اتجاه معكس لسجود المتواصلة للناصر محمد لإزاحته . ويتضح من قصص متنوعة أن محاولات عدة قد استهدفت حياة قره سنقر إبان عهد أبي سعيد (٧١٧ - ٧٢٦/١٢١٧ - ١٢٣٥) ، وكان لها أثر هام في مفاوضات السلام بين القوتين الاثنتين . والشخصية المتقدمة هنا هي مجد لدين سلامي<sup>(٢٦)</sup> . فقد كان منغمساً عن قرب بالمفاوضات من جهة ، وبمهمات لفدية من جهة أخرى ، حيث نجد العديد من الحكايا المتعلقة بالفداوية إنما مرتكزة على تقرير مأخوذة عن السلامي نفسه ، أو أنها تذكر دوره في الأحداث ، مما يجعل الأمر صعباً حيناً للتمييز بين حوادث تحمل جميعها شياً أسروياً شديداً .

كان السلامي قد بنى علاقة حميمة مع وزير أبي سعيد ، علي شاه ، ورعى اتصالات ودية بين علي شاه وناظر الخاص المملوكي ، كريم الدين الكبير . وصار السلامي يستقبل أي شخص يصل من القاهرة إلى فارس على أنه ضيف عليه . وفي سياق العام ٧١٩/١٢١٩ ، بعث الناصر محمد برسالة إلى أمير مصيف يطلب منه بعض الفداوية . فتم إرسال ثلاثين رجلاً أقاموا في القاهرة برواتب مجزية . وعندما وصل رسول للسلامي ، رنما في وقت مبكر من عام ٧٢٠ هـ ، تم إرسال الفداوية معه عند عودته إلى فارس ، لكن واحداً منهم خانهم وكشف أمرهم لقره سنقر الذي راح يطوقهم واحداً واحداً<sup>(٢٧)</sup> . ومع ذلك ، تمكن واحد منهم من مهاجمة قره سنقر على الرغم من أنه قد هلك في تلك المحاولة . عند ذاك ، عُين قره سنقر ، لا نذار بالخطر ، وأشاع الفداوية أن لم يحضروا لقتله وحده ، بل ولقتل أبي سعيد وشوبان وعلي شاه أيضاً . وقد تسبب ذلك بهلع كبير بين المغول ، وكان أبي سعيد خائفاً لدرجة أنه رفض مغادرة خيمته لمدة أحد عشر يوماً . وكان رد فعل السلطات المغولية هو تطويق وتعذيب العديد من المشبوهين في تبريز . ومن حسن حظ السلامي أنه كان بعيداً عن المكان في تجارة له في ذلك الوقت ، لكنه استدعي إلى البلاط من قبل شوبان<sup>(٢٨)</sup> .

في غضون ذلك ، هوجم قره سنقر مرة ثانية بينما كان خارجاً إلى الصيد . فقد قفز فدوي إلى حصان قره سنقر بينما كان يعبر نهراً ، لكن الحصان اشرأب عالياً وتمكن لأمر من النجاة في حين هرع مماليكه إلى قتل من كان سيكون قاتله<sup>(٢٩)</sup> .

وبوصول السلافي الى أوردو اتهمه شويان بإحضار الهدايا ورسائل السلام من الناصر لمحمد ، في حين كان الأخير يبعث بالفداوية لزراع الفوضى والإضطراب . وقد احتج السلافي ببراءته من أية معرفة للفداوية ، مشيراً الى غيابه عن مسرح الأحداث في زمن وقوع الهجمات ، وقال أنه لا يمكن تحميله مسؤولية ما قد يكون سلطان المماليك قد فعله في السر . وقدخل علي شاه في صالحه . إلا أن أنباء كانت قد وصلت من بغداد بعد ذلك بخصوص هجوم آخر استهدف حياة الحاكم هناك . ومع أنه نجا من الإصابة ، إلا أن الضربة أصابت أحد أمراء المفلول الذين كانوا في صحبته . وفّر الفداوي قبل أن يقتل نفسه عندما وجد أنه واقع في الأسر لامحالة .

وصبت هذه المعلومات الزيت على قلق شويان وشكوكه ، فوافق مع علي شاه على إرسال سفارة الى الملك الناصر لمعرفة فيما إذا كان السلطان المملوكي راغباً حقاً في السير على طريق السلام كما كان يظهر في رسائله ، وماهو هدفه من إرسال الفداوية الى الأراضي المغولية . وأسندت الى السلافي مهمة رئاسة هذه البعثة<sup>(١٠)</sup> .

وصل السلافي الى حماه يوم التاسع من ذي الحجة ٧٢٠ / ١٠ كانون ثاني ١٣٢١ ، وكان في دمشق مع نهاية ذلك الشهر ، وأستقبل في القاهرة في محرم ٧٢١ / شباط ١٣٢١ . وقام بنقل رغبة المفلول في السلام ولخص الشروط التي اقترحها أبو سعيد . ويكشف ذلك كله المدى الذي وصلت اليه قضية قره سنقر والمهمات التي أرسلت لقتله على العلاقات المملوكية - المغولية في ذلك الوقت . ومن بين الشروط الستة المذكورة نجد أن ثلاثة منها كانت تتعلق بهذه المسألة :

١ - سوف ينهي الناصر محمد وجود الفداوية في الأراضي المغولية ويضمن عدم دخول أي منهم اليها .

٢ - لن يسعى المماليك الى استعادة أي شخص يفرّ الى فارس ، ولن يجبر أي شخص على العودة لأنه كان يقيم في الأراضي المغولية ويحظى بالإحترام المخصص لضيوفهم .

٣ - لن يسعى السلطان المملوكي الى استعادة قره سنقر ، الذي لن يشار أي جدل آخر حوله لأنه كان يقيم في الأراضي المغولية ويحظى بالإحترام المخصص لضيوفهم .

وأخيراً طلب المفلول من الناصر إرسال مبعوث موثوق مزوداً بوثائق من السلطان ، حيث عند ذاك سيقسم أبو سعيد وشويان على المحافظة على السلام بينهما ، وتصبح البلدان بمثابة البلد الواحد<sup>(١٢)</sup> .

وبعد شيء من التردد ، قرّر السلطان الموافقة على هذه العروض مضيفاً اليها بعضاً من



عنده . وربما يكون وقع تحت تأثير اكتشاف جماعة من الفداوية في القاهرة أرسبهم قره سنقر لقتله . واضطر لاتخاذ احتياطات لحماية شخصه عندما صار يظهر راكباً في الشوارع<sup>(١٢)</sup> .

وفي نهاية رجب ٧٢١/ آب ١٣٢١ أرسل السلافي الى فارس محملاً بالهدايا السخية للإيخان<sup>(١٣)</sup> . غير أن ذلك كان لايزال بعيداً جداً عن كونه نهاية لمسألة قره سنقر والفدوية . إذ على الرغم من أن المعاهدة صدقت أخيراً عام ٧٢٣ هـ ، إلا أن التضاد تواصل بين مالمخصته بنود المعاهدة من حيث المبدأ وبين ماحدث بالفعل .

وبوصول السلافي الى القاهرة حاملاً عرضاً بالمعاهدة من أبي سعيد ، جرى تجنيده من قبل السلطان ليكون عيناً له في البلاط المغولي ، ويشرف على مهمات الفداوية<sup>(١٤)</sup> . وعندما عاد سي فارس سنة ٧٢١/ ١٣٢١ ، استغل السلافي مركز الثقة الذي سبق له التمتع به وبقي اتصالاً به بالسلطان الذي بعث عندئذ بعدد من الفداوية الى هناك . وجرى اعتقال ثلاثة منهم مصادفة ، لكن الرابع الذي كان يحمل رسالة (الإدانة) من السلطان الى السلافي تمكن من النجاة والعودة الى مصيف . وواصل السلافي جهوده لتنمية السلام وتدعيمه بين المملكتين<sup>(١٥)</sup> .

وفي ٢٦ ربيع الأول سنة ٧٢٢/ ١٤ نيسان ١٣٢٢ ، وصلت سفارة كبيرة من أبي سعيد الى مصر راغبة في عقد معاهدة السلام . وأعاد المبعوثون تكرار طلبهم ، بعد أن أشاروا الى أن الإيلخانية أصبحت في ذلك الوقت دولة اسلامية بكل معنى الكلمة ، من أجل الحصول على قسَمٍ بالألا يجري إرسال الفداوية من مصر يعد الآن . ويبدو ، على كل حال ، أن تغييراً في النوايا حول مسألة عودة المنشقين كان قد حدث آنذ ، إذ نرى بـ سعيد يتقدم باقتراح إعادة أي شخص يحضر الى أي بلد من البلدين وإعادته الى بسده . أما انصر محمد فقد عارض هذا الأمر . ربما لأن المنشقين القانمين حينئذ مثل قره سنقر لم يكونوا مشمولين به - وفيما عدا ذلك استجاب برضا واستحسان ، ووافق على جميع عروض أبي سعيد مضيفاً اليها بعضاً من عنده . والأكثر أهمية من ذلك كله هو صب نناصر ذكر اسمه في خطبة الجمعة الى جانب اسم أبي سعيد ، وأن يتم تعيين السلافي في (الأردو) المغولي باعتباره تاجراً رسمياً للسلطان ، يشترى له المماليك والعبيد . ثمة عين نناصر محمد أيتمش ليتولى رئاسة السفارة التي ترد الزيارة وتتابع مفاوضات الشروط النهائية<sup>(١٦)</sup> .

وفي مجريات تلك المهمة ، أخبر شوبان أيتمش أنهم قد بلغوا بجميع شروط السلطان

وعروضه ، لكن في ما يتعلق بقره سنقر (الذي لم يأت الناصر محمد على ذكره فعلاً) فقد كان رجلاً عجوزاً وغريباً جاء فارس خوفاً من السلطان ، وكان من المناسب أن يكون ضيفاً عليهم . واعتذر عنه وطالب السلطان باسمه التأكيد على أنه سيلتزم بالشروط المعروضة سابقاً ، ألا وهو عدم إرسال المزيد من النوابية<sup>(٤٨)</sup> .

ويوم الاثنين ١٤ جمادى الثانية ٢٠/٧٢٢ حزيران ١٣٢٣ ، وصل مبعوثو أبي سعيد الى القاهرة ، وأعلموا السلطان بموافقته على بنود المعاهدة وامتناله لها ، وهي التي كانت قد صدقت رسمياً في القاهرة آنئذ . وغادرت البعثة القاهرة في ٢٢ جمادى الثانية/ ٢٨ حزيران . واستدعي كريم الدين السلافي الى مصر لإجراء مناقشة خاصة مع السلطان<sup>(٤٩)</sup> .

وكان مبعوثو أبي سعيد قد أثاروا مسألة الفداوية ، مشيرين الى هجوم آخر ، وقع بعد مغادرة الأخير بفترة قصيرة ، على الرغم من الضمانات التي تضمنتها الوثيقة التي أحضرها أيتمش . وذكر أن الهجوم لم يستهدف سوى رجل « غريب يعيش بيننا » - ربما قره سنقر - بخاصة ، لكن الفداوي قتل واحداً من كبار الأمراء والنواب . وبما أن ذلك شكّل خرقاً لأحد شروط المعاهدة الأولى ، فقد طالب المبعوثون بتفسير لذلك . وبعد شيء من التأخير ، أنكر السلطان أي معرفة بالمسألة . « إن هؤلاء الناس هم في بلدكم لأنني قد طردتهم من بلدي » . وما أن يتم السلام ويتحقق ، فلن يتم إرسال فداويين آخرين ، ولن تستأنف مهماتهم . وأنهى التاجر الناصر الأمر بأن أقسم بالله أنه لم يكن يعرف شيئاً عنهم<sup>(٥٠)</sup> .

ولم يعتمد المصدر ذاته على إخفاء غدر الناصر حيال هذه المسألة ، على كل حال ، إذ ما أن وصل السلافي الى القاهرة استجابة لطلب كريم الدين حتى أخبره السلطان بأن عليه العودة الى فارس ومعه فداوي . وكان الأخير قد بعث به حاكم مصيف والعليقة ، وستره كريم الدين في القاهرة لمدة أربعة وثلاثين يوماً<sup>(٥١)</sup> . واحتج السلافي بأن ذلك انتهاك للمعاهدة التي سبق التوصل اليها للتو ، وأنه إذا ما كشف المغول تورطه ، فلن يواجه نهاية عنيفة وحسب ، بل إن مصالح السلطان في فارس ستعرض للخطر . ولم تلق هذه الاحتجاجات أذنًا صاغية من الناصر محمد ، الذي أخبر السلافي بأن قره سنقر والآخرين كانوا يشعرون بالأمان الآن جراء تلك المعاهدة . وأرسل الى فارس ومعه الفداوي الذي وضعه في منزل أحد عملاء السلطان هناك<sup>(٥٢)</sup> .

وبقي الفداوي مستتراً حتى عيد الفطر (١ شوال ٢٠/٧٢٢ ٣ تشرين أول ١٣٢٣) ، عندما

كان قره سنقر والآخرين في «الأردو» يقدمون تهانيهم الى أبي سعيد وشوبان أولاً ، ثم الى الوزير علي شاه<sup>(٥٢)</sup> . وكان السلافي حاضراً في مجلس علي شاه عندما بعث بعميله لإحضار الفداوي . وأعطى العميل الفداوي السكين المخصصة لهذه المهمة ، ووصف له هدفه ، وأعطاه إشارة عندما يهّم قره سنقر بالمغادرة . وحدث أن كان حاكم الروم ، تيمورتش بن شوبان ، حاضراً في المجلس أيضاً ونهض ليفادر بعد قره سنقر مباشرة . وكانت له رأس جميلة ذات شعر رمادي ويرتدي ، مثل قره سنقر ، رداء شرف أحمر أنعم به أبو سعيد عليه<sup>(٥٣)</sup> . وبالصدف نادى علي شاه قره سنقر ليعود اليه ويقول له كلمة ، بحيث أصبح تيمورتش هو من غادر أولاً فعلاً . وهاجم الفداوي تيمورتش خطأ ظناً منه أنه كان قره سنقر ، وسمع قره سنقر الجلبة فأدرك أنه هو المقصود بهذا الهجوم<sup>(٥٤)</sup> .

ووقع السلافي في ورطة خطيرة ، لأنه تمّ التعرف على الفداوي الذي اعتقل على الفور ، وعلم أنه كان قد حضر الى فارس بصحبته . واستدعاه شوبان وراح يعذّبه بعد أن اتهمه هو والناصر محمد بالعقيدة الفاسدة . وظنّ السلافي أنه قد قُضي عليه ، لكنه استمر يقسم على براءته . وتدخل علي شاه قائلاً أنه كان متأكداً أن السلطان لن يحثّ يمين أقسمه على القرآن . وبناء على ذلك فقد تقرر انتزاع اعتراف من الفداوي المسكين بدلاً من ذلك ، وهو الذي عانى من التمثيل بجسده وهو صامت بينما كان السلافي يدعو الله أن يصبره ويجعله يخفي ارتباطهما . ثم أحضر شوبان كلباً أسود متوحشاً . فأطلق الفداوي المرتعد صرخة مرعبة ، فحشيت فمه بكثرة وأطلق عليه الكلب الذي مزّقه قطعاً قطعاً وراح يلتهمه . ونجا السلافي<sup>(٥٥)</sup> .

وهناك قصة أخرى رويت على ذمة السلافي ربّما تكون نسخة ممّوّهة عن الحادثة ذاتها ، لأنها وقعت في يوم عيد أيضاً في سنة مجهولة ، وكان لابن شوبان ضلع فيها ، لكن فيها من الاختلافات ما يكفي لأن تشير الى مناسبة أخرى . ففي المجلس حدث أن كان قره سنقر جالساً على حاشية لثوب دمشق خواجه ، وعندما وثب الفداوي الى الأمام ، رأى دمشق النسكين تلمع فنهض يريد الفرار ، فسحب ثوبه من تحت قره سنقر الذي انقلب وسقط أرضاً ، ولذلك ، وقعت الضربة بدون أذى في الهواء ، وقطعت سيوف مماليك قره سنقر الفداوي قطعاً قطعاً ، في الوقت الذي التفت فيه قره سنقر الى السلافي واتهمه بأنه كان يستر الفداوي ، وذهب الإثنين الى حضرة أبي سعيد ، وطالب قره سنقر بتأكيد ضمانه نفسه وقال : «حتى الطيور يمكنها الإتكال على فروع الشوك لتحميها من الحرارة والبرودة» . وسأل أبو سعيد السلافي الى متى سيبقى يأوي الفداوية بينما هو مقيم بينهم . فنفى السلافي

تقديم المأوى اليهم ، لكنه سمع الناصر يكرّر القول إن قره سنقر قتل شقيق السلطان ، وهو لن يكف عن محاولة الانتقام منه حتى لو اضطره ذلك لإفلاس خزينة مصر . وقال السلاوي أيضاً أن الفداوي كان في البلد قبل معاهدة السلام ، ولذلك لم يكن مشمولاً بها . ويغترض أن شوبان كان قد شاهد حقيقة ذلك ، ولم تكن لديه الرغبة ليقف بين السلطان وبين المملوك الذي قتل شقيقه ، فأسدل الستار على القضية<sup>(٥٧)</sup> .

وهناك حديث مشابه تقدّم به ايتمش في مناسبة أخرى ، في سياق مهمته الدبلوماسية الثانية إلى الإيلخانية<sup>(٥٨)</sup> . فإذا ما كانت تلك القصة تتناول بالفعل حادثة منفصلة عن تلك التي ذكرت أعلاه فلا بدّ أن الفداوي كان مختبئاً لمدة تقرب من ثلاث سنوات ، إذ أن معاهدة السلام أبرمت في نهاية الأمر سنة ٧٢٢ هـ ، نتيجة لسفارة ايتمش الأولى ، أمّا مهمته الثانية في فارس فقد كانت في منتصف صيف ٧٢٦/١٢٢٦<sup>(٥٩)</sup> . ولابدّ أن آخر محاولة موثقة على حياة قره سنقر قد وقعت في وقت متأخر من عام ٧٢٦ هـ . وطبقاً لمملوكي ايتمش ، قتيبة وكورماز ، اللذين كانا قد وصلا إلى الأردن قبل عيد الأضحى بثلاثة أيام ( ١٠ ذي الحجة / ٧ تشرين الثاني ١٢٢٦ ) ، فقد تعرّض قره سنقر للهجوم يوم العيد بينما كان يغادر خيمة أبي سعيد بصحبة أمراء مغول آخرين . وبرؤيته لمهاجمه رمى بنفسه على الأرض ، وقتل الفداوي بينما كان لا يزال راكباً على صدر قره سنقر . ونهض قره سنقر يهتّز مذعوراً وقد سقطت عنه عمامته وتمزّقت ثيابه .

وجلّبت الضجة أبا سعيد من خيمته . وأحضر المملوكان أمام شوبان الذي هدّد بتزويقهما إلى قطع صغيرة وبتبوير معاهدة السلام مع الناصر محمد . ويبدو من شهادتهما ، على كل حال ، أنهما كانا (خلافاً للسلاوي) برينين من أية معرفة بالفداوي ، وأن قره سنقر هو من سارع إلى نجدهما ، لقد شاهد مهاجمه مرّات متكرّرة ، متنكراً ، في زي تاجر ، وحاول دائماً البقاء بعيداً عنه . وعندما رآه يخرج من بين الجموع ، رمى بنفسه أرضاً ، وكان بتقدير من الله أن استدار بالطريقة التي حدثت بينما كانت السكين تهوي نحوه . ولم يكن المملوكان يملكان أي شيء حوله ، وباركه الوزير على تدخّله ، والتفت شوبان نحو المملوكين قائلاً : « كُتِبَتْ لَكُمَا حياة ثانية »<sup>(٦٠)</sup> .

لم يجر توثيق جيد لمهمة قتيبة وكورماز ، لكن لابدّ أنهما قد أرسلوا إلى فارس عقب عودة ايتمش في تموز ١٢٢٦ . وروي أن كورماز قد عاد إلى القاهرة في النصف الأول من عام ٧٢٧ هـ ، حيث ساعدت المعلومات التي أحضرها الأمير حسام الدين حسين بن خربندا في اتخاذ القرار بالعودة إلى الإيلخانية . وكان قد فرّ إلى مصر قبل ذلك بسنتين ، وأنه تولى

منصب « أمير أربعين » . ففادر القاهرة يوم الخامس من جمادى الأولى سنة ٢٩/٧٢٧ آذار ١٣٢٧ (١١) .

إنه لأمر هام أن المفول كانوا يضغطون من أجل عودة حسام الدين بسبب معاهدة السلام التي عدلوا فيها عرضهم الأول واقترحوا عودة إلزامية للاجئين الى أوطانهم . لكنّ الناصر محمد فضّل الشرط الأصلي وهو أنه ليس على اللاجئين العودة خلافاً لإرادتهم . وشكّل فرار تيمورتش الى مصر في أعقاب سقوط والده شوبان ووفاته في محرّم ٧٢٨/ تشرين الثاني ١٣٢٧ ، أزمة دبلوماسية ، مع ضغط مشابه ، ولو أنه أشد ، من قبل أبي سعيد لاستعادة اللاجئين . وتعتبر قضية تيمورتش قضية منفصلة عن مسألة الاسماعيليين ، التي تصل الى دائرة كاملة عند هذه النقطة . وعلى الرغم من أن الناصر محمد رفض طلبات لتسليم الفار تيمورتش ، إلا أنه مال الى عرض مغولي بإرسال رأس قره سنقر مقابل رأس تيمورتش ، وأعدّم تيمورتش على يدي الناصر وأرسل رأسه مع ايمتش الى البلاط المغولي . لكنّ قره سنقر توفي في مراغة قبل أن يتمكن أبو سعيد من الوفاء بالتزامه في المقايضة . وفي صبيحة ابن بطوطة الملونة عن الحادثة ، نجد قره سنقر يموت مسموماً بسم تناوله بنفسه (١٢) .

وبوفاة قره سنقر زال الهدف الرئيسي لهجمات المعاليك في فارس . ولم نعد نجد في كتب الأخبار روايات إضافية حول حوادث أخرى . على الرغم من أن الأسطورة القائلة ببقاء الفداوية مصدراً قائماً للتهديد ، برهنت على أنها ذات ديمومة (١٣) .

وهكذا رأينا أن سلسلة من الهجمات الفداوية كانت قد شنت من مصر المملوكية الى قلب فارس المغولية لفترة دامت قرابة خمسة عشر عاماً ، أي من ٧١٢/١٣١٢ الى ٧٢٦/١٣٢٦ ، وكانت موجّهة ضد قره سنقر بشكل خاص ، لكن ليس حصرياً . ونجا قره سنقر بفضل يقظته وحسن طالعته ، ولم يتح الفرصة للناصر محمد كي يشفي غليله بقتله (١٤) . ومع أن نسبة جميع تلك الهجمات الى الاسماعيليين تعتبر من باب الفرضية والتخمين ، إلا أنه روي أن أولئك القتلة ، في كل مرة ورد ذكر لأصولهم ، جاؤوا من القلاع الاسماعيلية في سورية ، ومن مصياف في العادة . لكن من غير المحتمل أنهم حافظوا على إخلاص لتلك المهمات على النحو الذي ورد في الروايات ، وليس من شك في أن المصادر تكشف عن استمرار الصورة المشوهة للاسماعيليين في الوجود ، وكذلك الإشاعات التي كانت تحيط بجماعاتهم (١٥) . ومع ذلك ، فإن الدليل على توزعهم يبدو واضحاً بشكل معقول . ولم تشجّع تلك الهجمات المفول على التفاوض مع الناصر محمد على السلام في

محاولة منهم لوضع حد لها وحسب ، بل وساهمت في وضع معاهدة ١٣٢٢/٧٢٢ الى حد ما وذلك عندما تواصلت بالوتيرة ذاتها دون كلل . ويغض النظر عن الخطر الذي أحدثته في فارس ، إلا أنه من المحتمل أن المغول قد قبلوا فكرة أن المهمات الفداوية كانت موجهة ضد قره سنقر وحسب ، وليس ضد الدولة الإيلخانية . وشهدت السنوات الأخيرة من عهد أبي سعيد تناقصاً متدرجاً في التوتر بين القوتين اللتين .

## الحواشي

- ١ - رشيد الدين ، جامع التواريخ ، ٢م ، تح . عني زاده (ياكو ، ١٩٥٧) ، ص. ١٤٠ ، وانتشر أيضاً هنجسون ، فرقة الحفاشين (لندن ، ١٩٥٥) ، ص. ٢٥٨ - ٢٧٠ - ٢٧٥ .
- ٢ - خويطر ، بيبيرس الأول ، جهود و إنجازاته (لندن ، ١٩٧٨) ، ص. ١١٨ - ١٢٦ ، ثورو ، أسد مصر ، السلطان بيبيرس الأول والشرق الأدنى في القرن الثالث عشر (لندن ، ١٩٩٢) ، ص. ١٤٧ وما بعدها .
- ٣ - ابن هداد ، تاريخ السلوك الظاهر ، تح . هوتيه (وايزيان ، ١٩٨٣) ، ص. ٣١٣ .
- ٤ - ثورو ، أسد مصر ، ص. ٢٠٤ - ٢٢٢ (ويبدأ من ١٨ آيار تُقرأ ١٨ حزيران) .
- ٥ - ابن عبد الظاهر ، انوار الازهار ، تح . خويطر (اتريش ، ١٩٧٦) ، ص. ٣٧٧-٣٧٦ ، ومقالة ديفريميري في مجلة *Journal Asiatic* ، سلسلة ٥ ، العدد ٥ (١٨٥٥) ، ص. ٦٥ - ٦٦ ، ابن الدوادري ، كنز الدرر ، ٨م ، تح . هارمان (القاهرة ، ١٩٧١) ، ص. ١٥٧ - ١٦٠ .
- ٦ - بن عبد الظاهر ، الفروض الزاهر ، ص. ٣٩٥ ، المقرئ ، كتاب السلوك ، تح . زيادة وعاشور (القاهرة ، ١٩٣٦ - ١٩٥٨) ، ١م ، ص. ٥٩٩ - ٦٠٠ ، ثورو ، أسد مصر ، ص. ٢٠٨ .
- ٧ - ابن عبد الظاهر ، تشريف الأيام ، تح . كامل (القاهرة ، ١٩٦١) ، ص. ٨٧ ، وانظر مقالة 'روين' حول الفتوحات المملوكية في مملكة طرابلس في كتاب «الصليبيون والاستيطان» ، تح . ايدري (كادي ، ١٩٨٥) ، ص. ٢٤٨ .
- ٨ - انظر مقالة ديفريميري في مجلة *Journal Asiatic* (الحادية دأعلام) .
- ٩ - ابن بطوطة ، رحلات (تر . جب ، كمبودج ، ١٩٥٨) ، ١م ، ص. ١٠٦ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، (القاهرة ، لا . ت) ، ١٤م ، ص. ١٢٤ ، ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ، تح . سيد (القاهرة ، ١٩٨٥) ، ص. ٧٧-١٢٢ ، انلقشندي ، صبح الأعشى (قاهرة ، لا . ت) ، ١م ، ص. ١٦٦ ، ٢٠٢ ، ١٢م ، ص. ٢٤٥ .
- ١٠ - د . ليتل ، مقدمة الى الكتابات التاريخية للمماليك (وايزيان ، ١٩٧٠) ، ص. ١٠٠ - ١٢٥ ، مقالة وايزيت في *Melanges Honoré Masso* (طهران ، ١٩٦٢) ، ص. ٢٨٨ - ٤٠٤ .
- ١١ - النصفدي ، انوالي بانوفيات ، الجامعة العربية ، معهد المخطوطات العربية ، رقم ٥٦٥ - تاريخ ، ورقة ١٠٢ ، المفضل ، السهج السديد ، تح . كورتنامر (فراهرخ ، ١٩٧٤) ، ص. ١١٢ ، المقرئ ، السلوك ، ٢م ، ص. ٥٥٤ ، ابن بطوطة ، رحلات ، ١م ، ص. ١٠٩ .
- ١٢ - العمري ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، مكتبة تويكابي ، استانبول ، مخطوطات أحمد الثالث ، ١/٢٩١٢ . وانظر مقالة ليتل حول تاريخ اليوسفي في مجلة *JAOS* ، ٩٤ (١٩٧٤) ، ص. ٤٢ - ٥٤ .
- ١٣ - أبو الفداء ، يوتات أسامة بن منقذ ، انترجمة الانكليزية (وايزيان ، ١٩٨٥) ، ص. ٥٧ - ٥٩ ، أبو القاسم كدشاني ، تاريخ 'ونبياتو' ، تح . هاميلي (طهران ، ١٩٦٩) ، ص. ١٢٦ - ١٤٢ .
- ١٤ - انظر العمري ، ورقة ٢٩٦/٧ ، مقالة ميثيل ، يوميات السلطان اولجيتو ، مجلة ايران ، ٢٨ (١٩٩٠) ، ص. ٦٥ .
- ١٥ - النعمي ، ورقة ٢٩٢ - ٢٩٤ .

- ١٦ - المنفصل ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، المقريري ، السلوك ، م ٢ ، ص ٥٥٤ - ٥٥٥ .
- ١٧ - الصنفي ، الوافي ، م ٩ ، ج ١ ، إس (وايزيادن ، ١٩٧٤) ، ص ٢٢٤ .
- ١٨ - المنفصل ، ج ١ ، بلوشيه ، ص ٧٧١ ، العيني ، ورقة ٣١٦ ، المقريري ، م ٢ ، ص ١٦٧ .
- ١٩ - المقريري ، م ٢ ، ص ٥٥٥ ، المنفصل ، ج ١ ، كوزلنمتر ، ص ١٠٩ .
- ٢٠ - كاشاني ، ص ١٤٤ .
- ٢١ - المنفصل ، ج ١ ، بلوشيه ، ص ٧١٩ - ٧٢٠ ، ابن كثير ، ص ٦٢ .
- ٢٢ - المنفصل ، ص ٧١٨ .
- ٢٣ - انظر مقالة ايتشي في مجلة Asian And African Studies ، ٢٢ (١٩٨٨) ، ص ١٧٣ - ١٨١ .
- ٢٤ - كاشاني ، ص ١٤٩ ، رشيد الدين ، جامع ، م ٢ ، ص ٢٤٤ .
- ٢٥ - المقريري ، م ٢ ، ص ٥٥٥ .
- ٢٦ - المنفصل ، ج ١ ، كورتا تمر ، ص ١٠٩ ، وتشبه هذه الكتابة ما جاء عند الصنفي ، ورقة ١٠٣ .
- ٢٧ - كاشاني ، ص ١٦٦ .
- ٢٨ - المنفصل ، ج ١ ، بلوشيه ، ص ٧٤٧ - ٧٤٨ .
- ٢٩ - الصنفي ، ورقة ١٠٣ ، ويقول أنه جرح مرة واحدة أمام باب مقر الخزان .
- ٣٠ - المقريري ، م ٢ ، ص ١٤٢ .
- ٣١ - كاشاني ، ص ١٧١ - ١٧٢ .
- ٣٢ - أبو الفداء ، يوميات ، ص ٦٧ - ٦٨ ، المنفصل ، ج ١ ، بلوشيه ، ص ٧٤٩ - ٧٥٤ ، ابن كثير ، م ١٤ ، ص ٧٢ ، ابن الدواودي ، كنز ، م (القاهرة ، ١٩٦٠) ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ ، العيني ، ورقة ٢٠٩ .
- ٣٣ - وقد قتل الفداوي ، أبو الفداء ، يوميات ، ص ٦٩ ، ابن كثير ، م ١٤ ، ص ٧٤ ، كاشاني ، ص ٢٢٠ .
- ٣٤ - أبو الفداء ، يوميات ، ص ٦٨ .
- ٣٥ - ميلليل ، مقالة عام النيل في Studia Iranica ، ٢١ (١٩٩٢) ، ص ١٩٧ - ٢١٤ .
- ٣٦ - الصنفي ، م ٩ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ ، الشجاع ، تاريخ الملك الناصر (وليبيادن ، ١٩٧٧) ، ص ٢٥١ .
- ٣٧ - العيني ، ورقة ٢٢٩ - ٢٣٠ ، وانظر حاشية ١٩ أعلاه .
- ٣٨ - المصدر السابق ، ورقة ٣٢٠ .
- ٣٩ - المصدر السابق ، ورقة ٣٢٠ .
- ٤٠ - المصدر السابق ، ويشكل موجه عند المقريري ، م ٢ ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .
- ٤١ - أبو الفداء ، يوميات ، ص ٨١ ، ابن كثير ، م ١٤ ، ص ٩٧ ، النويري ، نهاية الأدب (مخطوطة ليدن) ورقة ٢ ، المنفصل ، ص ١١ .
- ٤٢ - العيني ، ورقة ٢٢٨ - ٢٢٩ ، المقريري ، م ٢ ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ ، مقالة ميلليل «عام النيل» ، ص ٢٠٤ .
- ٤٣ - العيني ، ورقة ٢٢٠ المقريري ، م ٢ ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .
- ٤٤ - المنفصل ، ج ١ ، ابن كثير ، م ١٤ ، ص ٩٩ .
- ٤٥ - المصدر السابق ، ص ١٠٩ ، والمقريري ، م ٢ ، ص ٥٥٦ ، العيني ، ورقة ٢٢٨ ، ميلليل ، «عام النيل» ، ص ٢٠٤ ، حاشية ٣١ .



- ٤٦ - المقرئزي ، م ، ص ٥٥٦ ، المفضل ، تج . ك ، ص ١٠٩ .
- ٤٧ - بكتاش الفاخري ، ص ١٧٢ ، الميني ، ورقة ٢٢٩ ، مقالة آيالن عن جنكيز خان في مجلة *Studia Islamica* ، ٢٦ (١٩٧٢) .  
ص ١٤٠ - ١٤١ .
- ٤٨ - الميني ، ورقة ٢٤٥ .
- ٤٩ - المصدر السابق ، ورقة ٢٤٣ - ٢٤٤ ، والتواريخ في بكتاش الفاخري ، ص ١٧٢ ، ابن الدوادري ، كتل ، م ، ص ٢١٢ - ٢١٣ .
- ٥٠ - الميني ، ورقة ٢٤٤ ، وليس هناك من ذكر لمداورة ايمتش لتبريز .
- ٥١ - المصدر السابق ، ورقة ٢٤٤ ، المقرئزي ، م ، ص ٥٧٧ .
- ٥٢ - المصدر السابق .
- ٥٣ - لابد أن السنة كانت ٧٢٢ هـ ، انظر المستولي ، ص ٦١٦ ، المفضل ، تج . ك ، ص ١١٠ - ١١١ .
- ٥٤ - عند وصوله الى الإيلخانية كان قوه ستر يقبض بآق ستر بسبب همرة الرمادي .
- ٥٥ - المفضل ، تج . ك ، ص ١١٠ ، المقرئزي ، م ، ص ٥٥٧ - ٥٥٨ .
- ٥٦ - المصدران السابقان .
- ٥٧ - الصفدي (ت ٧٦٤) ، ورقة ١٠٣ ، ليتل ، مقدمة ، ص ١٢٠ ، الميني ، ورقة ٣٢٠ .
- ٥٨ - المقرئزي ، م ، ص ٥٥٧ - ٥٥٨ حيث تسبق حادثة صيد القطر .
- ٥٩ - انظر مقالة لتيل في مجلة *Die Islamischen Welt Zwischen Mittelalter Und Neuzeit* ، تج . هارن (وايزيادن ، ١٩٧٩) .  
ص ٣٩٦ - ٣٩٧ .
- ٦٠ - المفضل ، تج . ك ، ص ١١١ - ١٢٢ ، للمقرئزي ، م ، ص ٥٥٨ .
- ٦١ - النويري ، ورقة ١١٩ ، المقرئزي ، م ، ص ٢٨٢ ، الميني ، ورقة ٢٥٥ .
- ٦٢ - النويري ، ورقة ١٣٦ ، ابن بطوطة ، رحلات ، ص ١٠٩ ، الصفدي ، الولي ، م ، ١٠ (وايزيادن ، ١٩٨٠) ، ص ٤٠٢ ، المقرئزي ، م ، ص ٢٩٩ ، الميني ، ورقة ٢٨١ .
- ٦٣ - المفضل ، تج . ك ، ص ١٠٧ ، الشجاع ، ص ١٢٢ - ١٦٢ .
- ٦٤ - المصدر السابق ، المقرئزي ، م ، ص ٥٥٤ ، الصفدي ، الولي ، ورقة ١٠٤ .
- ٦٥ - برنارد لويس ، المشاهدون (لندن ، ١٩٦٧) ، ص ١٢٢ .



## الجنان\* الاسماعيلي: تأملات في المرجعية والتأليف

علي آساني\*\*

تعتبر الجنان العائدة لجماعات الخوفا من جنوب آسية من بين الأبواب الأدبية الفريدة التي رتبطت بالتراث الاسماعيلي<sup>(١)</sup>. وكانت هذه النقصان التي هي أشبه ماتكون باترنية وجرى تصنيفها بعدة لغات ولهجات هندية ، قد تأثرت تأثراً كبيراً بتقاليد الشعر الشعبي ولفوفي في شمال الهند<sup>(٢)</sup>. وهي تمثل ، بهذا الشكل ، صفيرة اقليمية متميزة ضمن نسج الجسم الأكبر للأدب الاسماعيلي الذي دون معظمه بالعربية والفارسية . ولذلك لا يدهشنا كون لجنان مختلفة بأسلوبها ومبادئها الخلقية بشكل متميز عن الرسائل الاسماعيلية الفارسية والعربية الأكثر علمية ، التي اجتذبت اهتمام الباحثين عادة .

وكان الأسلوب «الدمجي» الذي وُلِّقَ به الجنان المفاهيم الدينية والميثولوجية لهنود أو هندوس لتقديم الأفكار الدينية قد أثار انتساؤلات بخصوص طبيعتها «الاسلامية»<sup>(٣)</sup> وعنى سبيل المثال ، فإن متبخرأ پارزأ من مسلمي جنوب آسية ، المرحوم عزيز حمد ، تولد لديه شعور بأن الجنان قد امتلكت «شخصية أدبية» تنصف بأنها «غير اسلامية» ، وهو شعور يرجح أنه يقوم على خصائصها العامة و«الدمجية»<sup>(٤)</sup> ، وقد أثارت معن هذه

\* الجنان (Ginans) قصائد شعرية ذات طبيعة روحانية تأملية اشتهرت بين الاسماعيين من شبه القارة الهندية المعروفين بالحوجا  
\*\* Ali S. Asadi استاذ اللغات والثقافات الهندو-اسلامية في جامعة هارفارد (الولايات المتحدة) ، ومتخصص في التراث والأدب  
الاسماعيلي في شبه القارة الهندية . وهو مؤلف العديد من الدراسات والمقالات المتخصصة في هذا المجال ، وأشهرها : The Bujh :  
Niranjan: An Ismaili Mystical Poem ، كمبريدج ، ١٩٩١ . وأخيراً أنجز فهرساً لمجموعة الأدب الاسماعيلي باللغات  
الهندوسية في جامعة هارفارد (١٩٩٢) .

الأحكام ، بدورها ، جدلاً داخل الجماعة بخصوص صحة استخدام المظاهر الخارجية للثقافة مثل اللغة والمصطلحات كمقاييس تقاس بها الشخصية الإسلامية<sup>(٥)</sup> . ومن عجائب التقادير ، أنه في الأزمنة المبكرة ، عندما كانت الهوية الدينية لجماعة الخوجا موضع نزاع شديد ، وقفت المحاكم الاستعمارية للهند البريطانية لتستخلص أدلة من تلك التراجم بعينها لتقرر أن الخوجا كانوا بالفعل مسلمين من أتباع المعتقد الاسماعيلى النزارى<sup>(٦)</sup> .

أما بالنسبة إلى مؤرخي الأديان ، فإن للجنان أهمية خاصة بسبب الدور البارز الذي تلعبه في الحياة الدينية لجماعات الخوجا الاسماعيليين في شبه القارة الهندية وفي أمكنة أخرى<sup>(٧)</sup> ، ومثل العديد من أبواب الشعر الصوفي الهندي ، فإنها قد وضعت لتشد بموجب ألحان (Ragus) معلومة . ويشكل إنشاد الجنان مادة بارزة خلال حلقات الصلاة التي تنعقد كل صباح ومساء في دور العبادة ، وكما يبين تعظيم قاسم ، عندما تنشأ الجنان ضمن إطار الممارسة الدينية للخوجا فإنك تصلي . ويؤلف إنشاد الجنان عبادة لها طقوسها ، وهذه ظاهرة تعتبر من خصائص المنظر العام الدينى للهند<sup>(٨)</sup> . وقد يكون للمشاركة في إنشاد الجنان ، ولاسيما في الاجتماعات الكبيرة ، تأثير عاطفي وحسي في الأفراد قوين يشمل حتى أولئك الذين قد لا يفهمون تماماً معاني وأهمية الكلمات التي ينشدونها .

وليس غريباً خلال قراءة خاصة مفصلة بالألحان للجنان أن تشاهد أفراداً يصل حد الإثارة لديهم درجة ذرف الدمع . ومن القصص التي غالباً ما تكرر ضمن الجماعة ، قصة تتعلق بتوبة غانجي (Ganji) اسماعيلي وخلاصه ، ممن هو ليس من اسماعيلية (الجنونذ) (Junagadh) ذوي التقوى الكاملة ، وذلك بعد خضوعه لعملية ذرف الدمع أثناء جلوسه في المسجد يستمع إلى قراءة للجنان<sup>(٩)</sup> .

وفي ماعدا دورها في العبادة ، فإن الجنان تنضح بالحياة الفردية والجماعية بطرق متعددة . فعلى الصعيد الجماعى ، نجد أن الاجتماعات أو الأعمال الوظيفية ، دينية كانت أم دنيوية ، كثيراً ما تفتتح بتلاوة قرآنية قصيرة تُستتبع بإحدى صور قراءة الجنان . وغالباً ما يجري إثبات أبيات من الجنان على سبيل نصوص برهانية خلال المواقف والنقاشات الدينية وفي مواد التربية الدينية . كما أن أنواعاً خاصة من الجنان جرى تفسيرها وكأنها تنبأ بالتطورات السياسية والعلمية الحديثة قبل القنبلة الذرية وقيام الشيوعية<sup>(١٠)</sup> . ومن أن لأخر يجري تنظيم حفلات خاصة (جنان محفل) لأغراض الترفيه والتعذيب الدينى كليهما ، يقوم المنشدون المحترفون والهواة خلالها بإنشاد الجنان بمصاحبة الموسيقى<sup>(١١)</sup> . وكذلك ، فقد تتولى المؤسسات الجماعية المسؤولة عن التربية الدينية رعاية مسابقات تنافسية للجنان ،

هذا الكتاب

مسلك الأستاذ الدكتور  
رمسى زكى بطرس

خارج ، صار التعبد الرسمي أو الصلاة ، يتم الحكم فيها على المتسابقين بموجب قدرتهم على نشد نصوص الجنان ولفظها بشكل سليم . ومثل هذه المسابقات طرائق شائعة بين الموجهين الدينيين لتشجيع الطلاب الشباب والكبار على تعلم الجنان .

وعلى المستوى العائلي والشخصي ، أيضاً ، يجري استخدام الجنان ضمن سياقات مختلفة عديدة ؛ إذ يمكن اقتباس أبيات متفردة بصورة أمثال وحكم ، ويمكن تلاوة أبيات معينة في المنزل لاستجلاب البركة ، البركة المادية والروحية ، وغالباً ما تردده ربّات البيوت ، ويستعملنها من باب التأكيد على الروابط بين الجنان والتقاليد الشعبية . خلال قيامهن بأعمالهن أو أثناء هدهدتهن لأطفالهن ، كما يمكننا العثور على أشرطة تسجيل سمعية لجنان ينشده مفتون شعبيون ، أو تسجيلات (لمحافل) جنان في العديد من منازل الاسماعيليين ، بل وحتى في سياراتهم!

وكما ناقشت في مقالة سابقة<sup>(١٢)</sup> ، فقد تمتعت الجنان بمكانة في جماعة الخوجا تشبه مكانة نكتب المقدسة ، إذ من المؤلف النظر إليها على أنها «مجموعة أدبية إنهيّة»<sup>(١٣)</sup> ، وهذه وجهة نظر ليس بإمكان الجميع المشاركة فيها بإطمئنان . لقد جرى وصف الجنان على أنها «بحر هائل بلا حدود من المعرفة ، ومخزن فريد من الحكمة والهداية للحياة ليومية»<sup>(١٤)</sup> ، إنها تتضمن توجيهات بخصوص قاعدة عريضة من الأخلاق وقواعد السلوك ، والحياة بعد الموت ، والحياة النفسية ، والمسمى الروحاني للنفس الإنسانية . إن وظيفتها كدوات لإيصال التعاليم والمواعظ الدينية تنعكس حقاً في عين تسميتها المشتقة من لكلمة لسنسكريتية (جنانا) ، التي تعني «المعرفة» ، أو «الحكمة المقدسة» .

من في المرأة انذاتية لتقاليد الجماعة ، فقد تأصلت الجنان في الأزمنة الوسيطة ، حولي قرن لخامس/ الحادي عشر أو السادس/ الثاني عشر على وجه التقريب ، عندما صُنفت لأول مرة من قبل دُعاة - أولياء إيرانيين ، أطلق عليهم لقب الشيوخ (بير = PIR) .

وكان الأئمة الاسماعيليون قد بحثوا بأولئك الشيوخ من إيران في مهمات لتحويل هندوس الى الاسلام الاسماعيلي ولتوفير الهداية الروحية للمجماعات التي تمّ تحويلها وتكوينها حديثاً . ويصرّ التقليد جازماً بأنه من أجل التغلب على العقبات العقائدية وسفوية نتي توجه المتحولين المحتملين . أقدم أولئك الدعاة الأولياء على تصنيف الجنان شرح جوهر نقرآن والاسلام الاسماعيلي للسكان الهنود باستخدام لغات (الهنود) ومصصحاتهم لأهمية . وطبقاً لإحدى منشورات الجماعة ، فقد زوّدت تلك المصنّفات الشعرية المؤمن بنهم «سمعني لحقيقي» للقرآن إضافة الى المعنى الحقيقي للدين<sup>(١٥)</sup> . وتوضّح أخرى أنها شروح

حية تتناول القرآن<sup>(١٧)</sup> ، وتوفر السبيل للتغلغل الى « أهميته الباطنية »<sup>(١٨)</sup> . وكانت الجنان ، بالنتيجة ، نصوصاً « ثانوية » تولدت في اللغة الدارجة لتنقل تعاليم كتاب مقدس « أولي » - القرآن - الى أناس لا يتكلمون اللغة العربية<sup>(١٩)</sup> .

وتعود مرجعية الجنان والتعظيم الممنوح لها بكلية الى كونها تُفهم على أنها إثباتات على صحة حقيقة الدين كما علمه الشيوخ - وبالنسبة الى أولئك الذين يجعلونها ، فإن الجنان مقدسة طالما أن الشيوخ هم من نطقوا بها . إذ لم يكن أولئك الدعاة دعاة ومبشرين عاديين ، بل كانوا ، من جهة فهم الجماعة ، أفراداً متنوّرين روحانياً ، وكانت سلطتهم الروحية قد أُتيحت الأئمة الاسماعيليون رسمياً عندما أنعموا عليهم بلقب الشيخ (بير)<sup>(٢٠)</sup> . وتشيد الجنان بفضائل حب الشيخ وإطاعته وإطاعة تعاليمه طاعة عمياء ، لأنه هو المرشد الحقيقي (Sat guru) الذي بإمكانه هداية المؤمن الى طريق الخلاص والنجاة .<sup>(٢١)</sup> وبما أن الأئمة كانوا يقيمون في ايران ، فقد أصبح أولئك الشيوخ رموزاً محسوسة لسلطة الامام في جنوب آسية ويتمتعون بسيطرة شاملة على الجماعة وأفرادها ، ويصف ايقانوف مركزهم الديني على « الصلة بين الله والانسان ، و(باب) الأئمة حقيقة ، الذي بدون هدايته وتوجيهه تبقى جهود الفرد عقيمة بأجمعها لافائدة منها »<sup>(٢٢)</sup> . وليس من المدهش إذن أن يبرز الشيوخ في تاريخ التراث كشخصيات ذات أهمية طاغية ، تأتي في مرتبة تلي مرتبة الأئمة فقط<sup>(٢٣)</sup> . والواقع أن الجنان لا تميز دوماً في العديد من السياقات بين الشيخ (البير) والإمام ، حيث نجد الإثنين كليهما يندمجان في ثنائية مثل (غور - نار gur - nar) و(بير - شاه - Pir Shah) ، بمعنى « الهادي أو المرشد والسيد أو المصاحب »<sup>(٢٤)</sup> .

وأكثر الأسئلة التي تجابه دارسي الجنان ازعاجاً تتعلق بأصولها وتأليفها . وما نملكه من معلومات تاريخية دقيقة بخصوص المؤلفين المشهورين للجنان ونشاطاتهم هو قليل جداً ، كما هي الحال مع العديد من الشعراء - الأولياء من الهند في العصور الوسطى . وما نملكه ، على كل حال ، لا يتعدى روايات من نوع سير الصالحين والأساطير ، بل إن البعض منها جرى دمجه في أشعار الجنان نفسها . وعلى الرغم من محاولات عظيم نانجي المثيرة للإعجاب لمعاينة هذه المادة « الخيالية » ، إلا أن الشخصيات التاريخية للشيوخ تبقى « مبهمه وغامضة »<sup>(٢٥)</sup> . بل إننا في حالة العديد من الشيوخ ، لانجد حتى المعلومات الأساسية المتعلقة بترجماتهم مثل تواريخ الوفاة والولادة . والحقيقة أن الشكوك تلقي بظّلها على الوجود التاريخي للشيخ (البير) ستجور نور Saigur Nur ، الذي زعمت الروايات التقليدية أنه كان أول من أرسل الى الهند في وقت

مبكر يعود الى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي أو الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي<sup>(٢٥)</sup>. وعليقاً لعظيم نانجي ، يبقى هذا الشيخ ، في أحسن الأحوال ، شخصية رمزية وقدوة نموذجية<sup>(٢٦)</sup>. أما بالنسبة إلى خلفائه ، الشيوخ شمس وصدر الدين وحسن كبير الدين ، فإننا نقف على أرض أكثر صلابة قليلاً ، لكن على هذا النحو وحسب . وبالإضافة إلى جمع غفير من المشكلات المرتبطة بترجماتهم ، هناك الكثير من الاضطراب بخصوص الهويات الدقيقة لأول اثنين منهم<sup>(٢٧)</sup>. أما الشخصية الرابعة ، امام شاه (ت ١٥١٣/٩١٩) ، والذي نملك حوله معلومات أكثر وثوقاً نوعاً ما ، فقد زعم أنه مؤسس حركة «انشقاقية» انتهت إلى تشكيل فرقة الإمام - شامية المتفرعة<sup>(٢٨)</sup>. ونتيجة لذلك ، لم يمنحه تراث الاسماعيليين الخوجا سوى مرتبة «السيد» ، وهي مرتبة أدنى من تلك التي للشيخ (البير) . وإلى تلك الشخصيات الأربع ، التي جاء في الروايات أنها عاشت ما بين القرن السادس/ الثاني عشر والتاسع/ الخامس عشر ، تنسب الأغلبية العظمى من أشعار الجنان .

ويوجد دليل صغير جداً في الجنان يؤيد المزاعم الدينية بأنها قد صُنعت إبان الفترة التاريخية المرتبطة تقليدياً بأولئك الشيوخ الأوائل . وعلى العكس من ذلك ، فإن الخصائص اللغوية والنحوية للجنان ، إضافة إلى أسلوبها ومصطلحاتها تشير إلى أصول متأخرة . ومع أن ايشانوف كان يخشى الإساءة إلى مشاعر أصدقائه الاسماعيليين ، إلا أنه أعلن أن الجنان المنسوبة إلى شيخ بعينه تبدو ، حسب رأيه ، وكأنها تدور (حوله) أكثر مما هي وكأنها من تأليفه ، وأنه ليس هناك من شك في أنها قد صُنعت في وقت متأخر أكثر مما كان يُعتقد<sup>(٢٩)</sup>. وثبه كل من كريستوفر شيكل (C. Shackle) وزواهر مواري (Z. Moir) في دراسة حديثة لهما بالقول إنه :

« ليس بالإمكان القيام بأية مناقشة واقعية للجنان دون مواجهة أولاً إدراك أنها ، في صورتها الحالية على الأقل ، ذات أصل حديث تماماً . والدليل اللساني ، الذي يكشف عن فقدان واضح للخصائص الدارسة المميّزة ، هو بحد ذاته برهان كافٍ تماماً على حقيقة هذا الزعم»<sup>(٣٠)</sup>.

ويمضيان إلى القول بثقة تامة إن العديد من قصائد الجنان تلك ، أو ربّما معظمها ، مما هو منسوب إلى الشيوخ الأوائل ، هو في الواقع تصنيفات من فترة متأخرة في تاريخ الجماعة ، الفترة التي يطلق عليها «عصر الأسياد» ، والتي تمتد من ١٥٠٠ - ١٨٥٠م<sup>(٣١)</sup>. ويصل عدد متزايد من الدراسات التي تتناول أعمالاً منسوبة إلى شيوخ منفردين ، إلى نتائج واستنتاجات مشابهة تتعلق بالتأليف . ويشير تحليل لتعظيم قاسم يتناول (براهما بركاسا) ،

وهو عمل ينسب الى بير شمس ، الى تاريخ للتصنيف متأخر أكثر بكثير من الفترة المقترنة بذلك الشيخ<sup>(٣٢)</sup> .

وتوضح دراسة لي لعمل يدعى بوج نيرنجن (Bujh - Niranjana) منسوب الى بير صدر الدين ، بعرض كثيف من الأدلة أن تلك الجنان لم تكن من تصنيفه بل بالأحرى من تصنيف شخص مجهول ارتبط بالطريقة القادرية الصوفية<sup>(٣٣)</sup> . وبشكل مشابه ، فإن أدلة مستقاة من دراسة (ليرلي كيشواني Pyarali Keshwani) تناولت جنان (سي حرفي) تقترح أصلاً صوفياً محتملاً لذلك العمل أيضاً<sup>(٣٤)</sup> . وواضح أننا نخطو هنا على أرض دقيقة حيث نتائج البحث العلمي تقف في مواجهة مكشوفة مع ما يزعمه التراث الديني حول الحقيقة .

وتصبح الحالة حتى أكثر تعقيداً عندما يكتشف أحدنا في تلك النصوص المطبوعة وفي المخطوطات أن الجنان ذاتها قد نُسبت الى اثنين من المؤلفين أو أكثر . فمجموعة (سي حرفي) ، على سبيل المثال ، نُسبت بأشكال متنوعة الى أحمد شاه ، نور محمد شاه ، وإمام شاه<sup>(٣٥)</sup> ، ثم إن مجموعة الجنان (الله ايك خصم سويوكا) نُسبت إلى شيوخين اثنين مرة أخرى على أنهما المؤلفان ، هما بير صدر الدين ، وبير كبير الدين ، الأمر الذي يشير احتمال إمّا تأليف مشترك ، أو ربّما إن أحد الشيوخين (حسن كبير الدين) قام بنقل العمل وإيصاله عن سلف أقدم (بير صدر الدين)<sup>(٣٦)</sup> . ونجد لعدد قليل من قصائد الجنان مؤلفين أفراداً ارتبطت أسمائهم بشخصيات ميثولوجية هندوسية مثل (سهديقا) ، الأصغر من بين الأخوة (بندقا) الخمسة ، و(هريشندرا) ، الملك المشهور بكرمه الأسطوري<sup>(٣٧)</sup> . ونجد في تصنيفات عدة أن اسم المؤلف يتألف ببساطة من لقب تشريف ، مثل (ست غور برهما) أو المرشد الالهي ، أو (بارغور) مرشد الاثني عشر ، أو من مزيج من المصطلحات ، مثل بيرستجور نور (المرشد الحقيقي للنور) . وتصبح هوية المؤلفين غامضة أيضاً بسبب من تشابه وقع أسماء مثل بير إندرا إمام دين ، وإمام دين ، وسيد إمام شاه . ويرى التراث أن تلك الأسماء تشير الى ذات الفرد ، لكن ربّما كنّا في الحقيقة نتعامل ، على أساس من الأسلوب الشعري ، مع ثلاثة أشخاص مختلفين . وأخيراً هناك عدد قليل من الجنان التي لم تزل تحتفظ بشعبيّتها حتى الآن (كلام مولي) ، والتي زُعم أنها ترجمة مجهولة الى الهندوستانية عن العربية أو الفارسية لعمل قيل إنه من كتابة الإمام الشيعي الأول ، علي بن أبي طالب (ت ٦٦١/٤٠)<sup>(٣٨)</sup> .

ماذا باستطاعتنا الوصول اليه من هذه الحالة الشديدة الاضطراب للأمر ؟ إن مزاعم التراث بخصوص تأليف الجنان من قبل الشيوخ ترتكز على حقيقة أنه في كل تصنيف تقريباً



نجد مايسمى بالـ (Bhanita) البهانيتا أو «بيت شعري للتعريف» ، ويتضمن هذا البيت نذير قريبا في نهاية الجنان ، اسم الشيخ (البير) عادة . وعندما يذكر اسم البير أثناء لإنشد ، يعبر أفراد جماعة المصلين عن احترامهم وإخلاصهم لسلطته الروحية عن طريق إحد، رؤوسهم قليلاً ونمس شفاههم و/ أو أرنبة الأنف والجبهة بالسبابة بإشارة مؤلفة من حركتين أو ثلاث حركات .

ويست البهانيتا خاصية شعرية تتفرد بها الجنان . بل هي في الواقع عنصر أساسي لكثير من فنون الشعر الديني لجنوب آسية . بما في ذلك الباد (Pada) ، الشعر استقدي الأكثر شهرة في شمال الهند . وكما في الجنان ، فإن البهانيتا ، التي تتضمن اسم لشاعر تأتي في آخر بيت أو بيتين من الأشعار التعبدية للعصور الوسطى في صورة «توقيع شفوي» ، وجرى تفسير هذه الأبيات التوقيعات عموماً ، كما هي الحال مع الجنان ، على أنها شرت تدل على المؤلف .

وفي دراسة لكسر طوق الجمود حول دور البهانيتا في الشعر التعبدية لشمال الهند ، يوضح جون هولوي (J. Hawley) بإقتناع أن هذا البيت يدل على المؤلف بطرائق أخرى أكثر من مجرد « كاتب» ، كما نستعمل المصطلح عادة<sup>(٢٩)</sup> . وقد جادل ، وهو يثبت تعريفات لكلمة « مؤلف» وردت في قاموس اكسفورد للانكليزية «شخص يُنسب إليه قول ما...» ، و«شخص له سلطة على آخرين...» - جادل بأن ورود اسم الشاعر في القصيدة الشعرية يشير الى جهة المرجعية وليس بالأحرى الى المؤلف تحديداً<sup>(٣٠)</sup> . وعلى سبيل المثال ، لايسمع انمره من ترانيم (غورو غرانث) ، صاحب الكتاب المقدس للشيخ ، سوى اسم غورو نانك ، أو غورو للجماعة ، حتى في أبيات عُرِفَتْ بأنها من تصنيف مرشدين (غورو) آخرين و أصبح اسم غورو نانك ، بشكل واضح ، بمثابة رمز للسلطة أكثر مما هو هوية شخصية وعندما قام المرشدون بتصنيف الأشعار من بعده ، فقد فعلوا ذلك باسمه مستلهمين سبسته ومرجعته<sup>(٣١)</sup> .

وقام هولوي ، تأييداً منه لزعمه هذا ، بدراسة تحليلية للبهانيتا في الشعر المنسوب لى شعراء - أولياء بارزين من تراث بهاكتي (Bhakti) من شمال الهند مثل رقيد س ، وسوردس ، وميراباي ، وقد أظهر في كل حالة من هذه الحالات ، الطرائق العديدة التي تبدو فيها مرجعية الشاعر في «بيت التعريف» أكثر أهمية من الحقيقة الفعلية للتأليف ، «إن ذكر اسم المؤلف في الشعر التعبدية الهندي ، لايرمي الى الدلالة على من قد م قير بمقدار ماهو إشارة الى القوة الصحيحة للإعراب عما في النفس والإصدا نذير

ضمنه يكون تقبلها فيه بأحسن ما يكون . واسم المؤلف ليس مجرد حاشية وحسب . إنه يشد الشعر الى الحياة ، وهو شخصية ، بل وحتى الوهية تعطي الشعر ثقله ووزنه الصحيحين ، وهو يربطه بشبكة من الارتباطات التي تجعل الشعر ليس مجرد ومضة حقيقية عابرة - ليست جديدة ومحبة وحسب - إنما شيئاً سمعنا به من قبل ومحترماً ، شيئاً مألوفاً ومحبوياً»<sup>(١٢)</sup> .

فالبهائيتا تخدم كوسيلة «لرسو» الشعر وتثبيته عن طريق استلهاهم سلطة شاعر- ولي . ويشير هولي بهذا الخصوص أيضاً الى أن البهائيتا قد تسمى أيضاً (شاب Chap) ، أي «طابع» أو «ختم» ، وهو مصطلح يشي الى بوظيفتها من ناحية سلطوية ومرجعية ، أي أن ما قد قيل هو صحيح ويستحق الاستماع له<sup>(١٣)</sup> . إنه يعمل ، بشكل من الأشكال ، كختم بالموافقة المسؤولة على الشعر .

وللعديد من ملاحظات هولي الأخرى بخصوص البهائيتا صلة بمناقشتنا لتأليف الجنان ، ويظهر تفحص سريع «للأدبيات التعريفية» في الجنان أن اسم الشيخ (البير) ذا الصلة قد ارتبط بدون استثناء بأفعال تعني يتكلم ، أو يقول ، أو يلفظ ، أو يوجه ، أو يعلم . وعلى أساس من عبارات مثل «(البير) الشيخ الفلاني يقول...» ظن أولئك الذين يجعلون هذه الترانيم ويستعملونها في العبادة ، إضافة الى أولئك الذين يدرسونها ، أن تلك «التوقيعات» تعرب عن الحقيقة المجردة المتعلقة بتأليف الجنان . ومن الأهمية بمكان القول إن قدراً هاماً من البهائيتا في الشعر التعبدية الهندي ، إما أنه يتضمن فعل «يقول» بشكل واضح أو بعضاً من أمثاله الأخرى ، وإما أنه مضمن في السياق . لكن ليس لذلك أن يُضللنا . إذ من أجل فهم أفضل لتلك الحالة المشوشة ظاهرياً ، نحن بحاجة لمعاينة علاقة «التوقيعات الشعرية» ببقية القصيدة أولاً ، وعلاقة البهائيتا نفسها ببقية الشعر ثانياً .

ونلاحظ في أسلوب الكلام الذي يغلف بهائيتا الجنان وجود انقطاع متكرر في قواعد تركيب الجملة بين الاسم المذكور في التوقيع وبقية البيت الشعري . وتوجد حالة مشابهة في الشعر التعبدية الهندي ، حيث يتم هذا «الانقطاع النحوي» في البهائيتا تحويل مسؤولية تشكيل العلاقة النحوية بين التوقيع وبين البيت الشعري وتركها للمستمع<sup>(١٤)</sup> . وبما أن أفعال «التأليف» الفعلية نادرة ما ترد في بهائيتا الجنان أو أي بيت شعري تعبدية هندي من العصر الوسيط ، فإن تفسير تلك الأبيات يبتنى محفوفاً بالغموض . ويزداد ذلك الغموض كثافة بالأسلوب التلفرافي للشعر الذي نجد الشعراء يفضلونه في التراث الى درجة عظيمة . ويلاحظ هولي ، في ما يتعلق بذلك ، أن «العلاقة بين التوقيع وبين السطر الذي يشكل جزءاً

منه قد تكون مسألة متقصدة فعلاً — إنها ليست بالسهولة التي قد يُوحى بها خط عبارة مش «يقول سورداس» ، أو «يقول رقيداس»<sup>(١٥)</sup> .

وفي ما يخص علاقة البهائيتا بكامل القصيدة الشعرية ، فإننا نلاحظ عادة تغيّراً دقيقاً في توجه الشعر عندما يتمّ الكشف عن توقيع الشاعر . ويرى هولبي في الأمثلة الشعرية التي تفحصها أن هدف هذا التحول هو الإيحاء لا «بالتأليف» وحسب ، بل وبتسليط الضوء على المرجعية أيضاً<sup>(١٦)</sup> . ومثل إعادة التأهيل تلك هي خاصية مميزة للعديد من الجنان حيث نجدها وقد تميّزت بتغييرات درامية في المنظور السردى للبهائيتا ، وكثيراً ما يكون ذلك من الشخص الأول أو الثالث<sup>(١٧)</sup> ، فأحياناً تكون هناك صلاة أو استرحام :

«يقول بير صدر الدين ، ياسيدي ، لك ندين بكل ماتناونناه من طعام . فإذا ما كنت رحيماً ، فإن النفس سوف تتحرّر»<sup>(١٨)</sup> .

«قل بير إندر امام الدين متوسلاً والأمل مرتسماً على شفّتيه : ياسيدي اغفر ذنوب جماعتك»<sup>(١٩)</sup> .

لكن غالباً ما يتألف البيت الشعري من أمر ووصية ، أو حقيقة دينية ذهبية مثلاً ، يخاطب بها المستمع بشكل مباشر :

«يقول بير تاج الدين : كبرِ الله وعظمه! فالمؤمنون الحقيقيون يأخيه هم من سيكافأون»<sup>(٢٠)</sup> .

«اسمع أيها الأخ ، قال بير امام شاه ، ويا إخواني المؤمنون ، دعوا من سيستيقظ أن يبقى مستيقظاً ، فالنور قد انكشف»<sup>(٢١)</sup> .

«يقول بير صدر الدين ، يا جماعة المصلّين اجتمعوا ومارسوا عبادتكم»<sup>(٢٢)</sup> .  
«قال بير صدر الدين : إذا أراد أي واحد منكم جعل ذهنه يفهم ، فماذا يتأتى له من غسل الثياب اذن ؟ فالكشف يأتي من خلال تنظيف القلب»<sup>(٢٣)</sup> .

ومما نريد ملاحظته هنا هو أن البهائيتا تستصرخ بطريقة ما مرجعية الشيخ (البير) وسلطته ، سواء أضمنت طلباً للشفاعة ، أم أمراً ، أم مقولة حول حقيقة دينية .

لذا ما قمنا الآن بإعادة تقييم وتفحص للأبيات التوقيعات في الجنان باعتبارها ستصرخ لمرجعية ، فإن بعض التشويش المتعلق بمسألة «التأليف» لا يلبث أن يبدأ بتبدد ولانقشاع ، العدد الكبير من التصنيفات غير المتناسب والذي ينسب الى أربعة أو خمسة شيوخ لعبوا ، في مرآة الجماعة لذاتها ، دوراً مركزياً ، أو القاحياً في تطور تراث ، صدفرت في الأسلوب في الأعمال التي من المفترض أنها كتبت من قبل ذات لمؤلف ،

ومندرقات تاريخية للمحتوى . إن تلك النقاط جميعها يمكن فهمها الآن بشكل أفضل .  
فإنظر سي بهانيتا من هذا المنظور يجعل بالإمكان فهم كيف كان في مقدور أولئك الشيوخ  
الأفراد ، من أمثال الشعراء - الأولياء المعروفين بالبهاكتي (Bhakti) ، نظم الأشعار بأسماء  
مرشديهم لروحيين كطريقة للتعبير عن انتمائهم الروحي ، إضافة إلى إخلاصهم وتعظيمهم  
لنصحيهم ومعنمهم<sup>(٥٦)</sup> . يضاف إلى ذلك ، أن أسماء الشيوخ حذفت في «تعبيت» الأشعار  
منحة ، ياه ، لوزن والصلاحية ، ومؤكدة على أن التعاليم المتضمنة فيها كانت منسجمة مع  
ما كان يدعو إليه المعلمون العظام . ومن الأهمية بمكان أن الجنان نفسها قد اشتملت على  
بعض لأدلة لداعمة . والمثال الظاهر هنا يرد في جنان شائعة (آي رحيم رحمان) للمؤلفة  
لأنثى لوحيدة المعروفة ، سيدة إمام بيجوم (ت ١٢٨٣/١٨٦٦) . ففي بهانيتا هذ  
لمصنف . تستصرخ أمام بيجوم اسم شيخها ، حسن شاه ، كي يوافق على تعاليمها  
ويصدقها ، لأنه لم يكن يُنظر إليها هي نفسها كشيخة (بير)<sup>(٥٧)</sup> . وبشكل مشابه ، تضمنت  
حنن (موربنجو أورو Murbandhjo Achoro) إشارة إلى المعنى بأنها قد دوتت من قبر  
فمراس (Vimras) ، أحد تلامذة بير شمس . ونجد الشيخ في أمكنة يسأل ذات التلميذ  
تلاوة الجنان للمتحولين الجدد إلى المذهب ، باسمه على ما يظن<sup>(٥٨)</sup> . وفي عدة حالات  
أخرى ، تشير الأبيات الشعرية على نحو خاص إلى أن الجنان المنسوبة إلى بير شمس كانت  
من نظم مريدية<sup>(٥٩)</sup> .

وكون اسم الشيخ في البهانيتا قد فهم على أنه طريقة «لشد» المصنف إلى تراث  
لشيخ لاسماعيلي وتعبيته فيه يتوضح أيضاً من خلاله حالة نص (بوج نيرنجن-Bujh Nir-  
ranjan) فقد بينت في دراستي لهذا النص أن الدليل النصي واللساني يشير بشكل صريح  
إلى أن هذه الجنان قد تم وضعها خارج تراث الخوجا ، وفي الطريقة القادرية الصوفية على  
وجه التحديد<sup>(٥٨)</sup> . وباعتباره شعراً صوفياً ، يلخص المراحل والخبرات المتنوعة على الصراط  
سروحاني ، فإن لمنحاه العام صلة قوية بالأفكار الصوفية الاسماعيلية . وكانت العلاقات  
الاسماعيلية - الصوفية ، في السياق العام الإيراني والهندي ، حميمة تاريخياً لدرجة أنه نشأ  
عنها أسلوب من الحديث بالفارسية اصطلاح له ايثانوف ، وكان محققاً في ذلك ، تسمية  
« لاسماعيلي - لصوفي » ، وذلك لأن الأعمال المصنفة فيه يمكن تفسيرها ضمن المنظورين  
الاسماعيلي ولصوفي كليهما<sup>(٥٩)</sup> . فإذا ما بقيتينا على كل من الروابط الاسماعيلية - الصوفية  
وثيقة ودور « لإجازة » لبهانيتا في الذهن ، صار بإمكاننا تقديم اقتراح يفيد بأن سم  
شيخ (بهر) صدر الدين ، الشخصية التي ربما كانت الأكثر أهمية في تراث الشيوخ عند

خروج . كان قد أضيف الى مجموعة (بوج نيرنجن) كطريقة لاتهدف الى إقامة اسنير على « تأليف » ، بل كطريقة تُجيز تعاليمها وتصادق عليها ، ونقول إنها في توافق مع وصايا لشيخ (البير) ونصائحه . وإنه لأمر هام الإشارة الى أن « البيت - التعريف » ، الذي تبدو صيغة عبارته غريبة الى حد ما ، يقول : « إعرف صراط البير صدر الدين الذي هو صراط مقبول دائماً » . إن هذا البيت لايقدم أي زعم بأن البير هو كاتب القصيدة ، إنه ببساطة يُضهر صراطه ، وبالتالي مرجعيته أو سلطته<sup>(١٠)</sup> . ويعمل اسم الشيخ بمثابة « ختم بالموفقة » ، مما يجعل العمل سريعاً بالنسبة الى تلامذته . وبه يصبح بمقدور الحضور لاسماعيلتي تفسير صوفية (بوج نيرنجن) وباطنيتها ضمن سياق اسماعيلي ذي معنى . ولهذا فننظر الى اقحام اسم الشيخ (البير) على أنه عمل من أعمال السرقة الأدبية ، أو تزوير يعني فوت الفرصة لإدراك الغرض . وكما يبين هولبي : « فمعنى التأليف في الهند امتصوفة يختلف عما أصبحنا نتوقعه في أوروبا وأمريكا منذ عصر النهضة »<sup>(١١)</sup> .

وهناك مسألة هامة أخرى لها علاقة بموضوع أصول الجنان وتأليفها . فتراث الخوج . إضافة الى المتبحرين الذين درسوا الجنان ، يقرأ ويوافق على أن تلك الأشعار الدينية قد بدأت كأدب شفوي تواتر شفويّاً لفترة هامة من تاريخهم قبل أن يخضع للتدوين بالخوجكية وهو خط خاص بالجماعة<sup>(١٢)</sup> . ومع أنه لا يوجد حالياً سوى عدد قليل جداً من مخطوطات لجندن التي تعود بتاريخها الى فترة أقدم من القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي (ويعود تاريخ أقدم مخطوطة مدونة الى سنة ١١٤٩/١٧٣٦)<sup>(١٣)</sup> ، إلا أن عظيم نانجي يذهب الى الاقتراض بأن تراث النسخ المكتوبة ربما يكون قد ابتدأ قرابة لقرن عشر/ لسادس عشر<sup>(١٤)</sup> . وحين لم يتصد أي باحث حتى هذا التاريخ لمعاينة مجموعة جندن وتفحصها من وجهة نظر أصولها الشفوية ، لم يبق لدينا سوى القليل من لأسباب التي توقفنا لنشك بهذه النظرية ، وخصوصاً عندما نبقى في الذهن تراث آداب دينية مورية في جنوب آسية ، مثل السانت (Sant) والبهاكتي (Bhakti) ، وتلك التي تعود لنصوفية . ويعتبر شاكل وموار أن فترة طويلة من التواتر الشفوي خلاصة جداً في ضوء حقيقة أنه لايزر باستدعة بعض الأفراد الأكبر سنّاً في الجماعة اليوم تلاوة مجموعة من مائتي قصيدة من لجندن و أكثر عن ظهر قلب<sup>(١٥)</sup> . أما نانجي ، فيتخصص ، بعد أن أورد دليلاً يتعمق بدور روية لشعر عند البهاكتياس (Bhatias) في السند ، وهم جماعة من المنبوذين يبدو أن لعدد من الخوجا قد تأصلوا فيهم ، ويظن أن تعاليم الشيوخ ربما كانت قد خضعت لموسيقا وقُدمت غناء لمعتنقي المذهب من قبل شعراء زجانين محترفين<sup>(١٦)</sup> ، وتشير

معابنتي الخاصة لدور الجنان في الحياة الدينية للجماعة الى أن الجنان لاتزال ، على الرغم من وجود النصوص المطبوعة ، تقوم بشكل أولي ، حتى في هذه الأيام ، بوظيفة الكتب المقدسة في بعدها السمعي/الشفوي<sup>(٦٧)</sup> .

وإذا ما كانت الجنان حقاً قد تأصلت كأدب شفوي وأنها تواترت في تاريخها شفاهاً ، فإننا بحاجة عندئذ ، وعلى أساس من هذا المنظور ، الى إعادة تقييم الطريقة المستخدمة في مقاربة مسألة تأليفها . وقد جادل زميلي المرحوم البرت لورد أنه من الخرافة افتراض أن في التراث الشفوي نصوصاً ثابتة يجري تناقلها من جيل الى آخر دون تغيير ، ويمكن للمرء الوصول من خلال تحليلها الى « مؤلفيها الأصليين »<sup>(٦٨)</sup> . إن الأغاني التي يجري تناقلها شفاهاً هي من ناحية تزامنية وتاريخية ، « سريعة التحول » ، بمعنى أن من يؤديها قد يغير في أشكالها الخارجية كالصياغة اللفظية التي يرون أنها « غير جوهرية » . وما يبقى ثابتاً بشكل مقبول هو الفكرة الأساسية أو مزيج الأفكار التي تكون صلب الأغنية وحسب . وبكلمات أخرى يلاحظ لورد أن : « فكرته [أي المغني] عن الثبات ، التي هو منقطع اليها بشكل كامل ، لا تتضمن الصياغة اللفظية ، التي لم تكن بالنسبة إليه ثابتة قط ، ولا الأجزاء ، غير الجوهرية من الحكاية . إنه يبني أداءه... على الهيكل الثابت للرواية »<sup>(٦٩)</sup> .

والنتيجة ، أن مفاهيم مثل « المؤلف » ، و« الأصلي » تصبح في التراث الشفوي بلا معنى إطلاقاً ، أو أنه يصبح لها معنى مختلف تماماً عن المعنى المخصص لها عادة<sup>(٧٠)</sup> . إن سرعة تحول الأغاني يجعل من المستحيل في واقع الأمر إعادة تتبع أصول الأغنية من خلال أجيال المغنيين لنصل الى اللحظة التي تم فيها أدائها لأول مرة ، فكل أداء منها يعتبر أصلاً بشكل من الأشكال<sup>(٧١)</sup> . ولم يكن إلا مع حلول التراث المدون أن أصبح النص « الصحيح » ثابتاً ، منذراً بموت العملية الشفوية التقليدية ، وأصبح المغنون بعد ذلك مكررين للإنتاج وليسوا بالأحرى مبدعين<sup>(٧٢)</sup> .

إن ملاحظات لورد قد تشرح التنوع الهائل في نصوص الجنان بالشكل الذي دونت فيه في مخطوطات و« المجال الواسع » الذي يبدو أنه توفّر أثناء إخضاع الأعمال الأصلية للتدوين<sup>(٧٣)</sup> . والشئ الأكثر أهمية من ذلك كله هو أنها كانت بمثابة عبارات للوعظ والتحذير لمجتمعات شامت وانتشرت عن طريق التراث المكتوب ، مجتمعات شعرت أنه لا بد لأي نص موجود من « أصل » يمكن نسبته بطريقة علمية الى مؤلف معين . فإذا ما وجدت الجنان فعلاً في جزء من تاريخها على شكل تراث شفوي قبل إخضاعها للكتابة ، فإننا عندئذ قد نسأل ، أثناء بحثنا عن دليل يتعلق « بالمؤلفين الأصليين » ، أسئلة غير

مناسبة ولا منطقية . وقد كتب لورد يقول : « متى عرفنا حقائق التصنيف الشفوي ، فالواجب يقتضي منا التوقف عن محاولة إيجاد أصل لأي أغنية تراثية »<sup>(٧٤)</sup> .

إن هذه المقالة تقترح حاجة لمقاربات جديدة لمسألة تأليف الجنان . وقد جادلت على عدة أرضيات حول الحاجة لإعادة تحديد الأسلوب الذي من خلاله تمّ النظر الى مسألة « التأليف » عادة ، عندما طبقت على الأشعار الدينية . ومع أن مضامين دعوى هذه المقالة قد تُظهر تحدياً للمزاعم الدينية التقليدية ، إلا أنها لا تُنكر أن اللب المركزي للتراث الأدبي للجنان قد يكون في الواقع من إنشاء الشيوخ أصلاً . ويقتصر قصدها على إظهار أن البحث عن دليل ، على أساس من عوامل داخلية جوهرية بالنسبة إلى عين طبيعة هذه الأشعار ضمن الجنان نفسها لحل الأسئلة المتعلقة بمسألة « تأليفها » (كما نفهم هذا المصطلح عادة) سيكون تمريناً مشيراً للاحباط لن يدعنا إلا في حالة من عدم القناعة والرضى . وتطبيق قوانين النقد النصّي المعهودة بما تشتمل عليه من تتبّع لسلاسل النقل حتى تصل الى راوية نموذجي مثالي أو توقيع بخط اليد ، يعتبر أمراً عقيماً وغير ملائم . وفي [المساحة الزمنية التي تفصل بين] التصنيف الفعلي للجنان وبين إخضاعها للكتابة لأول مرة نجد أجيالاً متعددة من المنشدين والمغنين والنحاة المخلصين الذين تركوا وسمهم أو أثرهم على معظم تلك الأشعار<sup>(٧٥)</sup> . والأسئلة الأكثر أهمية وفائدة التي نحن بحاجة الى طرحها حول الجنان تتعلق بنوعية « صلاتها وسياقها أو عملها »<sup>(٧٦)</sup> . ونعني بذلك تفاعل تلك الأشعار الدينية مع الناس الذين كانوا يستظهرونها ويتلونونها ويستمعون إليها . وبعد التمهيص النهائي ، فإن النصوص تعتبر « مقدّسة » فقط عندما تستطيع جماعة دينية اكتشاف معنى وحقيقة دينيتين داخلها . إن قدرة جماعة الخوجا على استنباط الإلهام من الجنان ، وتفسيرها ، واستثمارها بقوة في نهاية الأمر ، تنقلنا الى موضوع السُلطة الجماعية ، وهو نقاش يجب علينا تأجيله الى منتدى آخر<sup>(٧٧)</sup> .

## الحواشي

- ١ - استخدم مصطلح (خوجا) في هذه المقالة للإشارة إلى الاسماعيليين النزاریين المتأصلين في السند والبنجاب وكجرات ، ويمتقدون أن الأبا خان الرابع هو زعيمهم الديني أو الإمام . وهو تحريف لكلمة (خواجه) الفارسية التي تعني سيد أو صاحب . انظر مقالة ايفانوف حول الخوجا في مجلة SEI ، ص ٢٦٥ - ٢٥٧ ، ومقالة مادلونغ في الموسوعة الإسلامية ، ط ٢ ، ص ٢٥ - ٣٧ .
- ٢ - حول خصائص الجنان ، انظر ما كتبه علي آساني في Divotion Divine, Bhakti Tradition ، من تعليق آيهك وماليسون (باريس ، ١٩٩١) ، ص ١٨ - ١٨ ، شاكل وموار ، تراثهم اسماعيلية (لندن ، ١٩٩٢) .
- ٣ - حول الاختلاط في التراث بين الهندوس والمسلمين الاسماعيليين انظر : عظيم نانجي ، التراث النزاری الاسماعيلي في شبه القارة الهندية - الباكستانية (نيويورك ، ١٩٧٨) ، ص ١١٠ - ١٢٠ .
- ٤ - عزيز أحمد ، للتاريخ الفكري للإسلام في الهند (لندن ، ١٩٦٩) ، ص ١٢٦ .
- ٥ - حول دور الجنان والاعتراض على جعل التبشير بالإسلام ولهم قاصراً على اللغتين المريية والفارسية انظر ماورد في مؤتمر الجمعيات الاسماعيلية في نيروبي ، كينيا ، ١٩٨٠ ، ص ٣٠ .
- ٦ - انظر على سبيل المثال قضية الخوجا لعام ١٨٦٦ في : آسف فيضي ، قضايا في الشرع المحمدي للهند وباكستان (لندن ، ١٩٦٥) ، ص ٤٠٤ - ٥٤٩ .
- ٧ - لأسباب اجتماعية واقتصادية ، انتشرت جماعة الخوجا إلى جنوب شرق آسيا والرقيا الشرقية وأوروبا الغربية وأمريكا الشمالية .
- ٨ - انظر : معظم قاسم ، أغاني الحكمة وحلقات الرقص ، رسالة دكتوراه (جامعة ماك غيل ، ١٩٩٢) ، ص ١٠ .
- ٩ - أبغال اسماعيليون عظماء (كراتشي ، ١٩٧٣) ، ص ٩٨ - ٩٩ .
- ١٠ - مثال على ذلك محاضرة أقيمت في تورنتو ١٩٨٢/١/٢٩ بعنوان «الجنان : تنبؤات وعلم في الجنان» .
- ١١ - مثل تلك الحلقات الموسيقية لاتقام داخل قاعات المساجد .
- ١٢ - علي آساني ، «الجنان الاسماعيلي» ، في الأدب النسكي في جنوب آسيا (كمبردج ، ١٩٩٢) ، ص ١٠١ - ١١٢ .
- ١٣ - حول نفس وجود عناصر هندوسية في الجنان : مؤتمر الجمعيات الاسماعيلية ، نيروبي ، كينيا ، ١٩٧٩ ، ص ١١ .
- ١٤ - انظر مقالة في مجلة «مرآة اسماعيلية» ، (الباكستان ، آب ، ١٩٨٧) ، ص ٣٢ .
- ١٥ - مؤتمر الجمعيات الاسماعيلية ، نيروبي ، كينيا ، ١٩٨٠ ، ص ٣٦ .
- ١٦ - المصدر السابق ، ١٩٧٩ ، ص ٢٠ .
- ١٧ - المصدر السابق ، ص ١٠ .
- ١٨ - من وجهة النظر هذه ، هناك أعمال موازية للجنان مثل «المفتوي» لجلال الدين الرومي .
- ١٩ - تم تمييز الشيوخ من قبل الإمام . انظر مجموعة جنان بير صدر الدين (بومباي ، ١٩٥٢) ، التمهيد .
- ٢٠ - شاكل وموار ، تراثهم اسماعيلية ، ص ٢١ .



- ٢١ - يفانوف ، « ستنبثت في Colectanea » ، م ١ (لندن ، ١٩٦٨) ، ص ٢١ .
- ٢٢ - عزيز سماعيل ، اسماعيلية ستنبث... (الطروحة دكتوراه ، جامعة ادنبرغ ، ١٩٧١) ، ص ١٤ .
- ٢٣ - شاكن وموار ، ترانيم اسماعيلية ، ص ٢٢ .
- ٢٤ - نانجي ، تراث اسماعيلي نزارى ، ص ٦٩ .
- ٢٥ - شاكن وموار ، ترانيم ، ص ٧ .
- ٢٦ - نانجي تراث اسماعيلي ، ص ٦١ .
- ٢٧ - المصدر السابق ، ص ٥٠ - ٨٢ ، وقاسم « آغان الحكمة » ، الفصل ٥ ، ص ١٤٢ - ٢٠٥ .
- ٢٨ - مقالة ايغانوف حول الامام شامية في مجلة JBBRAS,NS ، ١٢ (١٩٢٦) ، ص ١٩ - ٧٠ .
- ٢٩ - ايغانوف ، « ستنبث » ، ص ٤١ .
- ٣٠ - شاكن وموار ، ترانيم ، ص ١٥ .
- ٣١ - المصدر السابق ، ص ٨ .
- ٣٢ - انظر مقالته قاسم بخصوص بير شمس في « آغان الحكمة » ، ص ٩ .
- ٣٣ - علي آساني ، بوج تيرنج : شعر صوفي اسماعيلي (كمبريدج ، ١٩٩١) .
- ٣٤ - ب . كيشواني ، سي حربي ، رسالة في الجنان (دراسة غير منشورة) .
- ٣٥ - المصدر السابق ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .
- ٣٦ - انظر النص في : Sau Gnanji Cupad Cogadivari (Bom bay, 1903), PR 48-50 .
- ٣٧ - شاكن وموار ، ترانيم ، ص ١٥٤ - ١٩١ .
- ٣٨ - انظر : كلام مولى (ط . ثامنة ، يومياني ، ١٩٦٢) .
- ٣٩ - انظر مقالة هولبي في مجلة ' Journal of Asiatic Studies ' ، ٤٧ (١٩٨٨) ، ص ٢٦٩ - ٢٩٠ .
- ٤٠ - المصدر السابق ، ص ٢٧٠ .
- ٤١ - المصدر السابق ، ص ٢٧٤ .
- ٤٢ - المصدر السابق ، ص ٢٨٧ .
- ٤٣ - المصدر السابق ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .
- ٤٤ - المصدر السابق ، ص ٢٧٨ .
- ٤٥ - المصدر السابق ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .
- ٤٦ - المصدر السابق ، ص ٢٨٢ - ٢٨٥ .
- ٤٧ - شاكن وموار ، ترانيم ، ص ٢٧ .
- ٤٨ - المصدر السابق ، جنان رقم ٢٢ .
- ٤٩ - المصدر السابق ، جنان رقم ٢ .
- ٥٠ - المصدر السابق ، جنان رقم ٨ .
- ٥١ - المصدر السابق ، جنان رقم ١٦ .
- ٥٢ - المصدر السابق ، جنان رقم ٣٠ .

- ٥٢ - المصدر السابق ، ج١٢ رقم ١٢ .
- ٥٤ - نجد حالة مشابهة في شعر مولانا جلال الدين الرومي (ت ١٢٧٢/١٢٧٣) .
- ٥٥ - انظر : Son ghanji oopad calu giram egal na chapsala bhag rijo (Born bay, 1903), P. 108 .
- ٥٦ - نانجي ، تراث اسماعيلي ، ص ٨٦ ، ١٣٢ ، الاسم ، آفاني الحكمة ، ص ٢١٩ .
- ٥٨ - آساني ، بوج نيرونجن ، فصل ١ ، ص ١٩ - ٤٦ .
- ٥٩ - ايلانوف ، الأدب الاسماعيلي (طهران ، ١٩٦٣) ، ص ١٠ وما بعدها ، ومقالته حول المصونية والاسماعيلية في مجلة Revue Iranienne d'Anthropologie (١٩٥٩) ، ص ١٢ - ١٧ ، نانجي ، تراث ، ص ١٢٦ .
- ٦٠ - انظر : آساني ، بوج نيرونجن ، ص ٢٤ - ٢٥ .
- ٦١ - هولي ، مؤلف وتأليف ، ص ٢٨٧ .
- ٦٢ - مقالة آساني حول الخط الخوجكي في مجلة JAOS ، ١٠٧ (١٩٨٧) ، ص ٤٣٩ - ٤٤٩ .
- ٦٤ - نانجي ، تراث ، ص ١٢ .
- ٦٥ - هاكل وموار ، تراليم ، ص ١٥ .
- ٦٦ - نانجي ، تراث ، ص ١٢ .
- ٦٧ - آساني ، الجنان الاسماعيلي كأدب تمبدي ، ص ١٠٤ - ١٠٦ .
- ٦٨ - البرت لورد ، مقني الحكايات (كمبردج ، ١٩٦٨) ، ص ٩ .
- ٦٩ - المصدر السابق ، ص ٩٩ .
- ٧٠ - المصدر السابق ، ص ١٠١ .
- ٧١ - المصدر السابق ، ص ١٠٠ .
- ٧٢ - المصدر السابق ، ص ١٣٧ .
- ٧٣ - ايلانوف ، ستنبث ، ص ٤١ .
- ٧٤ - لورد ، مقني ، ص ١٠٠ .
- ٧٥ - ربما هدت العبارة الحالية محيرة في ضوء ماكتبه في عمل سابق حول « بوج نيرونجن » .
- ٧٦ - استمرت هذا المصطلح من دراسة لوليام غراهام ، ما بعد الكلمة المكتوبة - (كمبردج ١٩٨٧) .
- ٧٧ - وسهاده على قوة السلطة الجماعية ، نشير هنا الى المصنفات العصبية المنسوبة الى أشخاص لم يكونوا شيوخاً رسميين أو ماذونين ، ومع ذلك أثبتت مصنفاتهم كجزء من أعب الجنان .

هذا الكتاب  
ملك الأستاذ الدكتور  
رمزي زكي بطرس

## حركة محمود بسيخاني النقطنوية ودوره\* المادي - الصوفي العجمي

عباس آمانات\*\*

في العام ١٠٠٢ من الحقبة الإسلامية (١٥٩٣ - ١٥٩٤) ، وفي ذروة الاضطهاد الصفوي للهراطقة النقطنوية ، أقدم شخص يقرب اسمه من درويش كوتشك ، وهو قلندر من قزوين ، على الانتحار عن طريق تناول جرعة كبيرة من الأفيون . وكان الزعيم النقطنوي ، وهو الذي طلبه زبانية الصفويين بسبب معتقده الهراطقية ، قد قال لمراقبيه من الحراس قبل وفاته مباشرة ، « نحن نغادر حتى نعود في دور آخر ، (رفيتم تا دور ديغر بيانيم) ، ثم غطى رأسه بردائه<sup>(١)</sup> [ومات] . إن ثقة درويش كوتشك بتناسخه الشخصي ، إذا كان ذلك هو ما كان يدور في ذهنه ، ربما وجدت ، أو لم تجد ، مايسوغها . غير أن روح التجديد الألفية\*\*\* ، التي كانت الدافع المحرك له وللعديد من أمثاله ، دأبت على التواجد ، سيما وأنها دامت لقرون عديدة في مناخ الزندقة الفارسي . بهذا المعنى نجد حقيقة رمزية في كلمة درويش كوتشك .

\* الدور هنا بمعنى فترة زمنية (Cycle) في التاريخ الديني تشمل عهد نبي من الأنبياء الذين أطلق عليهم تسمية أولي العزم وهم آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وهيسى ، ومحمد .

\*\* عباس آمانات Abbas Amanat هو أستاذ التاريخ في جامعة ييل (الولايات المتحدة) ومحرر سلسلة دراسات إيرانية التي تصدرها جمعية الدراسات الإيرانية . وكذلك محرر استشاري للموسوعة الإيرانية ، ومتخصص في الدراسات التاريخية والدينية لفارس ، له العديد من الدراسات المنشورة والكتب المطبوعة أشهرها Cities and Trade: Conson Abbott On Economy and Society of Iran, 1847 - 1866,

London, 1983); Pivot of the Universe: Monarchy under Nasir al - din Shah Qajar (Berkely, 1996).

\*\*\* بمعنى ألف كل عام .

كان تدمير قلعة الموت وبقيّة الحصون الاسماعيلية النزارية على أيدي الجيوش المغولية وتفرّق الجماعات النزارية بعد سنة ١٢٥٦/٦٥٤ قد شكّل تحوّلًا في التاريخ الاسلامي لا تقل أهمية عن الموت المتزامن للخلافة العباسية في بغداد . وكان تقليد الإنشقاق لمتجذّر ، لذي بقي حيّاً لقرون عديدة بفضل الاتجاهات الاسماعيلية المتنوعة ، قد فقد في تلك الفترة صبه لمنظّم ، والجماعة التي حصرت وجودها في القلاع . وأرغمت جيوب المقومة للنزارية في يرن على تبني وجود سري كثيراً ما كان في زي الطرق الصوفية . وتبقى معرفتنا حول الاسماعيليين من عصر ما بعد الموت واستمرار وجودهم الجماعاتي نادرة ، لكننا نعرف ما يكفي للاعتقاد بأن النشاط النزاری كان قد تحوّل في معظم الحالات الى استكثان محدودة من صنف ما ينطبق على جميع الأديان الطائفية في مرحلة ما بعد الثورة . ولم يكن هناك من تغيير ملحوظ في هذا النموذج قبل القرن الثاني عشر / الثامن عشر .

غير أنه لم يكن في مقدور العناصر الحركية المطبوعة في الاسماعيلية أن تبقى في سبات الى ما لانهاية . إذ شهد القرنان الثامن / الرابع عشر والتاسع / الخامس عشر واحداً من أكثر أصوار انتعاش « البدع والزندقة » حدة وكثافة ، إلا أنها منتشرة ، في العالم الإيراني مع خصائص عقائدية ونتائج سياسية من شبه الاسماعيلية النزارية ، واقتسمت تلك الحركات التي تراوحت ما بين طرق نعمة الله والنوربخشية الصوفية الى الهرطقات الحرفية وناقصة . اقتسمت نموذجاً عقائدياً تأسس على أفكار من التجدد للزمن الديني ، واستباقاً لمقدم المسيح المنتظر ، وتفسير باطني للنص . وقد دانت الحركة الصوفية في جزء من صيرورتها الى ذلك المناخ النابض بانتظار مقدم المسيح / المهدي المنتظر . غير أن الدولة الصفوية (٩٠٧ - ١١٣٥ / ١٥٠١ - ١٧٢٢) عملت بالنتيجة ، من جهة أخرى ، على اضطهاد ذات روح تتنذر مقدم المسيح / المهدي وتبذرها في صالح شيعة معهودة ، يترأسها علماء شيعة ثديون . وقد ساعد القمع الصفوي الرسمي على انتشار تلك الحركات الى مذبح الهند مغولية والأناضول العثمانية ذات المناخ الديني الأكثر تقبلاً . بل وأبعد من ذلك .

مع الحركة النقطوية فقد كانت من النواتج الهامة ، والمغفلة الى حد كبير ، بهذا لتخمر ولجيشان الحركي . وبلغونها الى مادية وليدة ذات جذور في المعتقدات الفارسية - اليونانية القديمة ، صارت النقطوية تمثل مثلاً نادراً لانفصال متعمد عن الاسلام . يضاف الى ذلك أن إحساساً ناشئاً لوعي « بالقومية الفارسية » ساهم في إكمال الانفصال لنقوي نعدندي . ومن الممكن النظر الى الخاصية السابقة على أنها منتهى التطّعات الاسماعيلية لقرمسية (وغلاة شيعة معينين) لمد التجدد الدوري ليخرج خارج نطاق الاسلام . وقد

استبقت السمة الأخيرة ، من جهة أخرى ، الحركة الصفوية وخاصيتها الشيعة - الفارسية ، التي قُدِّرَ لها أن تشكل صلب طبيعة ايران القومية . ومع فسحة دينية اقتقدناها في العهد الصفوي الذي تبنّى الشيعة ديناً للدولة ، تمكّنت النقطوية ، وبشكل مشابه للحركة الأم الحروفية ، من توفير صلة وصل هامة ما بين الإنشاق الديني للعهد الاسلامي الكلاسيكي وبين تطوّراته في عصر الامبراطوريات الاسلامية في أوائل الفترة الحديثة .

### ـ التاريخ المبكر للنقطوية:

إن النزر الثمين الذي نعرفه حول التاريخ المبكر للنقطوية وحياة مؤسسها ، محمود بسيخاني ، يقوم على دليل دوّن بعد ذلك بقوانين من الزمان تقريباً . ومثل بقية حركات العالم الايراني من عصر ما بعد الاسلام ، فإن تاريخ النقطوية مفقود ومتروك للأجيال القادمة في غاليته ، وربما قد لا يستعاد أبداً . وحتى يحين مثل ذلك الوقت الذي تظهر فيه الى النور نصوص نقطوية من مجموعات ايرانية وهندية (هذا إذا كانت لاتزال موجودة) ، نجد أنفسنا ملزمين بالاعتماد ، الى حد كبير ، على روايات أدبية وتاريخية لأناس غير نقطويين . ونستطيع تدارك صورة ضبابية لتاريخ الحركة المبكر ولمؤسسها ، من خلال تطبيق معالجة نقدية على دليل هزيل جُمعت قطعه التي تكفي فقط لإبراز الحاجة الى مزيد من البحث<sup>(٢)</sup> .

كان محمود بسيخاني المولود في بسيخان ، في جوار رشت في مقاطعة جيلان (على الشواطىء الجنوبية لبحر قزوين) في النصف الثاني من القرن الثامن/ الرابع عشر ، ومنها أخذ اسمه ، كان قد بدأ الدعوة الى دينه الجديد قرابة العام ١٣٩٧/٨٠٠ - ١٣٩٨ . ونعلم أن قرية بسيخان ، مسقط رأس محمود ، كانت ساحة صراع بين منطقتين متشاحتين : بيا - بهش التي يسيطر عليها محاربو جيلان الشرقية (المتمركزون في لاهيجان ولنجرود) ، ومنافسوهام الجيلانيون الغربيون من بيا - بس (المتمركزون في فومن ورشت)<sup>(٣)</sup> . وربما كان لوضعية حدودية كهذه بعض الأثر في موقف محمود تجاه السلطة السياسية وطبيعتها الدينية .

وليس من الواضح الى أي مدى كانت حركة محمود جهداً واعياً ، إن كان ذلك على الإطلاق ، لنقطيعة والانفصال عن معاصره ومعلمه المفترض ، فضل الله استرابادي ، مؤسس الحركة الحروفية . ولكي نكون على يقين ، يبدو أن محموداً قد دان بفضل الله بالكثير من

الرمزية القبلية\* والباطنية التأويلية . وبعد إعدام فضل الله سنة ١٤٠١/٨٠٤ على يدي الأمير التيموري ميران شاه ، ربما يكون محمود قد انغمس في صراع على السلطة مع قادة آخرين للحركة . وربما حاول أيضاً إدخال زخم جديد من الاعتقاد الألفي\*\* إلى الحروفية التي كانت لها شعبيتها آنذ في طول شمال إيران وعرضها ، وفي القوقاز والأناضول<sup>(١)</sup> . إذ لم تكن تصريحات محمود المتعلقة بالمهدي المنتظر في مطلع القرن التاسع أمراً عرضياً ، وقد تكون دعوة محمود قد استلهمت أيضاً ، وبشكل مشابه لتلك التي لفضل الله ، نبوءة شعبية منسوبة إلى النبي محمد توقعت مقدم مجدد اسلامي مع إنطلاقة كل قرن (مجدد رأس مائة) . وفي نموذج مألوف للعديد من التيارات القائلة بالمهدية في الاسلام ، يبدو أن محموداً قد انطلق في دعوة إلى رسالة أكثر واديكالية في جوهرها من حركة الحروفية المتناقضة القائمة آنذ . وربما كان مثل ذلك الإبتعاد الدرامي عن حركتها الأم سبب قيام مصدر حروفي بوصفه «بمحمود المطرود» ، على أساس من أنانيته المزعومة . وقد يكشف هذا اللقب المحط للتدبر عن أمر يتجاوز الطموح الشخصي بغض النظر عن حقيقة أنه طبقاً لمصدر حروفي آخر فإن محموداً كان واحداً من أربعة من أقرب المقربين من أصحاب فضل الله<sup>(٢)</sup> .

وتتضح دوافع محمود للقطيعة مع الحروفية بالفعل في عقيدته القبلية . وبالمقابلة مع الحروفية التي تؤكد أهمية أسرار الحروف ، فإن محموداً قد أحكم بناء نظام يعتمد على النقط . وكما صاغها أحد المصادر ، «لقد أوجد نظاماً مبنياً على نقطة» ، (آز نقطة كارخانيب پر داخت) . وقد عرض في كتبه الستة عشر ورسائله التي روي أنها بلغت ألف رسالة ورسالة ، عرض مركزية النقطة ، وهو جهد رأى فيه أحد المؤلفين المؤيدين للحروفية «زخارف» تستحق إدانة أبدية ، على الرغم من شعبيتها بين أمناء النقطوية<sup>(٣)</sup> ، وكذلك فإن عنوان أكثر أعمال محمود أهمية ، الميزان ، الذي لا يزال مفقوداً حتى الآن ، يتضمن دلالة قبلية واضحة . ولنا أن نظن بأنه ربما رأى في كتابه ميزاناً نبوئياً به توزن أعمال الخير أو الشر يوم القيامة ، وهو مفهوم مشابه لمفهوم «الفرقان» ، أحد أسماء القرآن التي تشير إلى خاصيته الأيسكاتولوجية (الأخروية) . ومن الممكن أن الحساب والحكم بالغباب أو العقاب كما ورد في «الميزان» كان قد تفرز عن سبيل «الجفر» (علم التكنن التنجيمي) ، وهذه ممارسة شائعة لدى جميع الحركات الشيعية .

\* القبالة (cabbalah) طريقة دينية باطنية الريانيون لليهود لتفسير التوراة ومعرفة الغيب في المستقبل .

\*\* الاعتقاد بمودة المسيح/المهدي وحكمه ألف سنة على الأرض .

أما معلوماتنا بخصوص الإعتكاف النسكي لمحمود في محله غير محددة على ضفة نهر آراس على حدود آذربيجان وآران (القوقاز) ، حيث توفي قرابة العام ٨٣١/١٤٢٧ ، فهي ضئيلة لا تفني بالغرض . وقد يظن الواحد أن مغادرة محمود لمقاطعته الأم هي أمر يعود إلى حقيقة أن مرشده ، فضل الله ، كان يقيم في منطقة شيروان على الساحل الشمالي لغربي لبحر قزوين ، التي لم تكن تبعد كثيراً عن ضفاف نهر آراس . وكانت إقامة محمود في الجور لعام لأردبيل ، مكان اعتكاف الشيخ صفى الدين الأردبيلي الشهير (ت ٧٣٥/١٣٣٤) ، مؤسس الطريقة الصفوية التي تحولت في سياق القرن التاسع/خامس عشر إلى طريقة شيعية عننية .

وكانت مدينة تبريز العاصمة في شمال غرب إيران واحدة من أكبر حواجز عالم لاسلامي طوال كامل فترة العصر الإيلخاني . وقد ازدهرت من التجارة عبر منافذه التجارية على البحر الأسود ، مثل ميناء ترابزون البيزنطي ، وتعاملت مع إيلات الأناضول ومراكز لأرمينية وال جورجية في القوقاز ، ومع الدول المدن المغامرة للبحر الأبيض المتوسط مثل لبندقية . ومن الممكن أيضاً ملاحظة أثر هذا المناخ المائج بالحركة في انقصال « نبي » بجيلاني وخروجه على القواعد الاسلامية . فقد مارس الرهينة والعزوبية واعتبرها ساحة لأرقى في هرمية دينه ، وهذا عمل نسكي يذكّرنا بتقاليد الرهينة البيزنطية . لا ن موضوعات التناسخ في العقيدة النقطوية قد تشير ، إلى جانب الرهينة ، إلى أثر بوذي (و حتى مانيكوي) شرقي كان متفشياً في ظل التسامح الديني للمغول<sup>(٧)</sup> .

## ٢- العقائد والنظرة إلى العالم:

تعتبر فكرة التجدد الدوري للرسالات النبوية من الموروث الزرادشتي القديم الحاضر في فرس الاسلامية والبارزة على نحو خاص في الاسماعيلية . إلا أنها أخذت مع النقطوية اتجاهاً درمياً يعتبر أساسياً لفهم الفكر الديني الفارسي في العهد التيموري وفيما بعد ذلك ، وفيما حافظت على ولائها للنظرية الأساسية للتجدد الدوري ، فقد نظرت النقطوية إلى التاريخ الإنساني على أنه سلسلة من الأدوار النبوية المتعاقبة ، كل دور منها قضى فترته قبل أن يتجاوزها واحد آخر جديد . وقد اتبعت هذه الأدوار نموذجاً متماثلاً في ما يتعلق بفتوح دور وقضاء مدته ثم نهايته لكن ذلك لا يعني أن تجددتها ، في أداء النقطوية على الأقل ، كان خالياً من التقدم إلى الأمام في الزمن .

غير أن التجدد العقائدي لم يتضمن ، بالنسبة إلى النقضوية ، على كل حال ، ظهوراً مهدوياً سلامياً بالمعنى المعهود . إذ لم يكن مقدّم المهدي الاسلامي ، الذي غالباً ما كان يُنتظر منه دعم دعائم الدين وتوطيدها وليس بالأخرى إلزاتها ، في الصورة ذاتها التي كانت في ذهن محمود . بل إن مقدّم النبي الجديد في برنامج النقضوية كان بالأحرى من أجل وضع حد لدور الاسلامي برمته واستبداله بدور جديد ابتداءً محمود نفسه . ومثل هذا التحول عن وحد من أهم المعتقدات الاسلامية الأساسية ، وتحديد الطبيعة الخالدة لرسالة النبي محمد لإلهية ووضعيته باعتباره «خاتم النبيين» ، يجب النظر إليها على أنها ظاهرة ددرة في تاريخ لاسلامي ، فالاسماعيليون الأوائل ، على سبيل المثال ، نظروا الى مهديهم على أنه سيفتتح صوراً مكملاً داخل الدور الاسلامي وليس بالأخرى عهداً جديداً يتجاوز ويضع خارج نطاقه .

ولأكثر أهمية هو أن ذلك الانشقاق عن الاسلام قد ارتبط في كتابات النقضويين بجلاء بالأصل لإثني لنبي الجديد وبتعاليمه . وقد تم تجاوز نهاية «دور العرب» ، الذي ابتدأه محمد ،عربي ، في الدين الجديد بدور محمود بسيخاني الفارسي (دور - عجم) ، وهو الذي كان «النفس الفارسية» (نفس - عجمي) والشخص الفريد (شخصي وحيد) للدور الجديد . ويمكن تتبع هذا الطموح لطلاق الدين العربي ، على سبيل المثال ، في بيت من الشعر لشاعر نقضوي مجهول يبدو أنه كان يعمل على إثارة مشاعر شعوبية لأزمة غابرة :

«والآن جاء دور ذوي العاقبة المحمودة ، فقد مضى الآن زمن تعنيف العرب عجمه<sup>(٨)</sup> . وهكذا كان الدور الفارسي (دور عجم) الطور الأخير في عملية كوزمولوجية عريضة . وطبقاً للمؤلف الهندي - الفارسي لكتاب «ديستان - مذاهب» ، انذي وفر لنا أكثر شروحات للعقيدة النقضوية إيجازاً من القرن الحادي عشر الهجري/الانسابع عشر ميلادي ، فقد نظر محمود الى مجمل الحياة الزمنية للعالم على أساس من أربعة دور فوقية ، كل دور منها من (١٦ ، ...) سنة تغطي كامل الفترة من بداية خلق العالم وحتى نهايته . ولاتزال البشرية الآن في الدور الأول من هذه الأدوار الفوقية ، الذي يتكوّن هو نفسه من دورين متتاليين أقصر زماناً ، العمانية آلاف سنة الأولى ، وهو الدور العربي ، طبقاً لاعتقاد محمود ، الذي ابتدأ بآدم ، واستمر مع ستة أنبياء آخرين ، واختتم بمحمد . أما ثمانية آلاف سنة الثانية في الكوزمولوجية النقضوية ، أوالدور الفارسي (العجمي) من جهة أخرى ، فقد ابتدأت بمحمود وستستمر بعده مع سبعة ظهورات متتالية مقترنة بما يسمى بمسبيين ، وقد حدد دور الثمانية آلاف سنة الأولى على أنه (فوق الثرى) ، وذلك لأنه كان



إلهياً في أصله والهامه ، كما يظهر ، أي فوق العالم المادي بالنتيجة ، أما الدور العجمي فقد نُظر إليه على أنه ، من جهة أخرى ، دور ال (تحت الثرى) ، لأنه تأمل في التراب ، كما هو مُفترض ، وجُبل بجوهر إنساني ، ويعلم «ديستان» أنه عندما يسود الدور العجمي سيكتشف الناس الحقيقة ويمبدون الانسان ويعتقدون بأن الجوهر الانساني هو الحقيقة<sup>(٨)</sup> . وبالإمكان تتبع هذه المقابلة بين (فوق الثرى) و(تحت الثرى) في الماضي والعودة بها الى العقائد الزرادشتية .

وازدادات الفرقة بين دوري كل من محمد ومحمود بروزاً في المصادر النقطوية من خلال الرمزية السماوية ، المشابهة للحكم والأمثال المجازية في الزرادشتية . فمحمد هو البدر (القمر الكامل) في السموات النبوية ، بيد أنه ينظر إليه على أنه المنبئ ، أيضاً عن مقدم محمود المعترف بأنه شمس النبوة . والمقابلة السماوية بين الفوضى القمرية والجرم الشمسي قد أُستخدمت لفترة طويلة في نظم الإيمان الإيراني لشرح حالة الجرم الأصغر الانساني . وتم ربط هذا المجاز في المعتقد النقطوي أيضاً بالإختلاف بين التقويم العربي/ الاسلامي القمري والتقويم الإيراني الشمسي أو «البروج القديمة» ، كما وردت في المصدر النقطوي . ويجزم محمود على أن تقويم محمد القمري هو دون التقويم الشمسي الفارسي . والسبب هو أن الأخير قد تأسس على اثني عشر شهراً محددة وثابتة ، فهي «صحيحة وثابتة لاتشبه الأشهر القمرية التي تقوم على قمر كامل (بدر) ونصف قمر وهلال»<sup>(٩)</sup> . وبينما محمد هو صاحب العمانية والعشرين ، أي دورة الشهر القمري ، فإن محموداً هو صاحب «الاثني عشر» ، أي الأشهر الشمسية ، وهذه فكرة تلمح في الوقت ذاته الى ارتباط خفي مع أئمة الشيعة الاثني عشر . ولم تكن دورة أجرام البروج هي التي تقاس بالتقويم الشمسي وحسب ، بل انصب سعي محمود على استعادة مركز السرة في عالمه الديني أيضاً . وكان على صلاة النقطويين الخاصة أن تقام مستقبلية جهة الشمس بالمقابلة مع القبلة الاسلامية ، وهو فعل تعبدي يشير بوضوح الى تعظيم زرادشتي «للمهر» (الشمس) .

ولا حاجة للقول بأن التأكيد على حساب الزمن قد ذهب بعيداً متجاوزاً وظيفته العملية . ودلّ تبني التقويم الفارسي على نهاية الدور الاسلامي وبدء الأزمنة الإيرانية . وقد أتاح التقويم القمري المتناوب لمحمود الفرصة فعلاً لتوسيع مجال انتقاداته لتصل الى جوانب أخرى من الدين الاسلامي بهدف تضخيم تفوق دينه الخاص . ووجدت المقابلة بين النبيين الاثنيين في العرق السماوي ذاته أبعداً تأويلية أخرى مألوفة ، بالنسبة الى النظرة الفارسية العالمية . فبينما محمد هو الليل ، مثل الشعر الأسود للمحبوب ، فإن محموداً هو النهار ،

مثل وجه المحبوب ، وفي حين محمد هو مخلوق (أي جديد) على أنه « أمير منوي » (مير - صد « ومنبي » (مخبر) . فإن محموداً هو غير مخلوق (أي قديم) ومبشّر « بالملك الألفي » (باديشاه هزار) ، ومهمة محمود هي إيضاح (أي بيان) سر الخلق الغامض<sup>(١١)</sup> . وإن ظرفية الاسلام الفيلية ، مثل الشعر الأجداد<sup>(١٢)</sup> ، كن للمحبوب الإلهي سوف تنتهي في فجر الوجه . ولا شك في أن التأويل الصوفي يلمح بلا خطأ الى شعر حافظ في القرن الثامن/الرابع عشر ، أحد معاصريه الذين كان لهم الإعجاب ذاته بالزراذشتية .

غير أن الجانب الأكثر إثارة في العقيدة النقطوية كان ، على كل حال ، نظرتها المادية بخصوص نشأة الكون (كوزموغوني) ، والطريقة التي فسرت بها سياق التطور الفكري للانسان . فمن وجهة نظر النبي الفارسي (المجمي) ، فإن كامل الخلق قد تأصل أساساً في التراب (خاك) ، الذي كان بالنسبة إلى النقطويين ، مصدراً للعناصر الأساسية الثلاثة الأخرى . لقد كان التراب ، في الفكر النقطوي ، أصلاً لعملية تطورية حدثت على مدى أدوار متتالية . ويقصّ النظر عن ظهور صفاتها وكأنها صفات حديثة ، فقد اشتركت النقطوية في نظرتها الحلوية تلك مع الصوفية من المدارس الفارسية . فمن المادة الترابية (الجماد) ظهر النبات ، ومن النبات جاء الحيوان ، ومن الحيوان نما الكائن الانساني ، هكذا إدعا محمود . غير أن الايسكاتولوجية النقطوية ، وبالمقابلة مع المجري الرئيس للصوفية ، نظرت الى الانسان على أنه كائن ترابي قابل للإرتداد الى أصله الترابي . « ما أن يموت الكائن الإنساني ويدفن ، حتى تبدأ أعضاؤه الجسدية بالإنقلاب والتحول الى أشكالها المادية والنباتية . ثم يتم استهلاك (الشكل) النباتي من قبل الحيوان أو الكائنات الانسانية ليظهر [من جديد] في ثوب انساني » . ومع ذلك ، ليس هناك من فقدان كامل لجوهر الوجود الانساني . « إن جميع الأجزاء البسيطة للجسم التي تستحق العلم والعمل سوف تعود بعضها مع بعض ولن تتحلل ، سواء أكانت في حالة الجماد (اللاعضوية) أو النباتية ، أو الحيوانية ، أو الانسانية ، حتى ولو تعرض تركيبها للتفكك » . إنه لأمر صعب تحديد أصل هذه الايسكاتولوجية التناسخية . إذ ربما كانت نتاجاً لمناخ هندي متأخر عندما تفاعلت النقطوية مع الهندوسية والبانوية في الفترة المغولية .

إن التأكيد النقطوي على التراب باعتباره الأصل الأولي لجميع الكائنات له أهميته لأنه يتطابق مع وضعية الانسان باعتباره الهدف النهائي للتراب ونتاجه . وقد يجادل أحدنا بأن مثل هذه النظرة الى ديمومة الانسان الأولية (أي في شكلها العنصري البسيط) قد حُرقت من أجل حل مسألة القيامة الجسمانية في الاسلام . وفي مقابلة ظاهرة مع أديان التوحيد في تلك

الفترة ، التي نظرت الى الجنس البشري على أنه خلق فريد لله ، نرى أن النقطوية قد نظرت الى الانسان على أنه ذو ارتباط ترابي محض وأنه مايزال مخلوقاً من قبل الله . وللمقولة المنسوبة الى محمود ، « أنا المركب المبين » نغمة منافحة من مثال ماديته الصوفية . فالإنسان لا يعتمد كونه مركباً ترايباً وهب مهمة (أو رسالة) ظاهرة أو بيّنة ، وهذا مفهوم يدكرنا بالبيت المشهور لمعاصره حافظ :

« حلمت الليلة الماضية أن الملائكة تفرع على باب العانة ،

تمزج طينة الانسان وتغذف بها في فئجان » .

وقد تعززت فكرة الأصول الترابية للانسان أكثر بقناعة من الاعتماد على النفس تلخصت في شعار النقطوية : « استمن بنفسك الذي لا إله إلا هو » . ويبدو أن الضمير الملفز « هو » يشير في السياق النقطوي الى المكانة الإلهية للانسان في مركز الخلق . وهكذا ، يظهر أن المادية النقطوية التي ترى في الانسان قطب الرحي تبعد عن النظرة المتشككة الدفينة في الدهرية الفارسية ، وإنها أقرب في الجهر الى المفهوم الحديث للإنسان . فالتركيز على العلم والعمل ، والاعتماد على النفس ، والإعتقاد بالتطور الأرضي الذي ينتهي في الإنسان في الوقت الذي نعتقد فيه بتركيبته القابلة للتلف ، كلها أمور تشير الى ذلك الإتجاه .

واقسم النقطويون حينهم الى المهدي المنتظر مع حركات « متطرفة » أخرى ، إلا أن تأول الحروف ، والنظر فيها اتخذ بالنسبة إليهم تحولاً أساسياً متميزاً . فهم لم يظهروا ، خلافاً للحروفيين ، اهتماماً كبيراً بالقيم السحرية للحروف ، ولذلك كانوا غريباء ، على مبلغ مائعرفه ، على أبجد حساب الجمل . وبدلاً من ذلك ، أكد محمود ، سيراً على خطى اتجاهات قبالية في الصوفية أقدم (كما في الصوفية اليهودية) ، أكثر على أهمية النقطة باعتبارها مدماك البناء لنظامه الرمزي الذي منه تم تركيب الحروف الأولى ومن ثم الكلمات . وبهذا الشكل كان التعريف التقريري لدينه الجديد بالنقطوية ، ولتأويلاته القبالية بعلم النقطة ، ولأتباعه بأهل النقطة<sup>(١٦)</sup> .

إن التبنّي الرمزي للنقطة للدلالة على العناصر الأساسية الأربعة : التراب والماء والهواء والنار يبدو وكأنه أمر تتفرد به النقطوية . فالمركب المربع ، الممثل بأربع نقاط على الشكل التالي ( : ) ، كان في النصوص النقطوية في القاعدة في كوزمولوجية محمود . ولم تكتسب تلك الكوزمولوجية ، التي عُرفت « بالذات المربعة » ، كمالها البنائي في الدور النقطوي إلا عندما حقق « الذات المربع » ، الذي هو المنصر الترابي ، مكانته الأولية . وعندما يصبح

خالياً من «الذات الرابع» ، فإن «العقد الثالث» المتبقي ، والممثل بثلاث نقط ( : : ) ، يتحول الى تلخيص للدور المحمدي ، وهكذا يتم استهلاك ثنائية محمد مقابل محمود بكاملها ولمصلحة الأخير في معظمها . والرابع الأساسي ( : : ) وصل كماله مرة في صورته الإنسانية ، الممثلة بالنقط العمودية الأربع ( : : ) ، الدالة على الإنسان الأصلي ، آدم ، المكون من العناصر الأربعة والذي هو المرحلة الرابعة والخاتمة للخلق المتعالية فوق الأشياء والنبات والحيوان . ويظهر الانسان الأصلي على كل حال ، في أكمل صورة له في شخص محمود نفسه . فهو يقف في مقارنة المجسد «للعقد الثالث» ، ولذلك جرى تمثيله في الرمزية النقطوية بثلاث نقط عمودية ( : : ) . ووجود فرق من نقطة واحدة بين الشخصين يترجم في العقيدة النقطوية الى مدى كامل من الاختلافات الأخرى ، التي تتفق مرة ثانية مع نظرية مؤلفها التطورية الى النبوة<sup>(١٢)</sup> .

وعلى كل حال ، فإن العقيدة النقطوية تُنكر ، خارج نطاق المجابهة مع «الذات الرابعة» التي هي معادلة في فكر محمود لظهور أرضي لقيامة دورية ، الإيسكانولوجية المعهودة للإسلام ، بما في ذلك الجنة والنار بمعانيهما المعهودة . والقيامة النقطوية القائمة على الإنسان باعتباره قطب الرحي مرتبطة بشكل وثيق مع التقدم الذي يحققه الإنسان في سياق الزمن وموجهة باتجاه فهم ذاته الأرضية الخاصة ، وهذا ارتباط يجعل القيامة تتحول الى حدث في العالم الأرضي هذا وفي متناول الإنسانية . والقيامة حدث يقع في حياة الإنسان نفسه بسبب من أفعاله الخاصة وليس بالأخرى حدث خارج نطاق سيطرته ولا يقع إلا بعد وفاته وحسب . وبالمثل ، فإن أصحاب النعيم هم ليسوا سوى «أهل النقطة» ، الذين ينالون مكافأتهم العالية في هذا العالم ليس لأنهم اتبعوا الشريعة ، بل لأنهم عرفوا حقيقة دين محمود . وبالمقابل ، فإن أصدقاء محمود قد ألوا الى هوة جحيم هذا العالم لأنهم تجاهلوا مَقْدَم النبي الجديد . أما التركيز على الفضيلة وليس بالأخرى الالتزام بالدوغما (أو العقيدة) المسلم بها كما في المسيحية البروتستانتية) فقد كان أمراً ثابتاً في النقطوية . كما ارتبط تحقيق النعيم الأرضي بإجراء معين على هوية ثقافية فارسية .

- النقطوية في ظل الصفويين ومغول الهند -

في ما عدا دليلاً داخلياً يمكن استنتاجه من كتب التعليم النقطوية ، فإن أي دليل خارجي يتوفر حول محمود والتاريخ المبكر للنقطوية يأتي من مصادر صفوية ومغولية كُتبت بعد ما يقرب من قرنين من بدء الحركة . والغياب الملحوظ للنقطويين من الروايات التاريخية لعصري التيموريين وما بعد التيموريين يعني أنهم كانوا في الفترة السابقة للعقود المبكرة من

القرن العاشر/السادس عشر ، موضع اعتبار على أنهم إما فروع للحرفية وإما أنهم فشلوا في جذب أي انتباه إليهم .

وخلال عهد اسماعيل الأول (٩٠٧ - ٩٢٠/١٥٠١ - ١٥٢٤) وطهماسب الأول (٩٣٠ - ٩٨٤/١٥٢٤ - ١٥٧٦) ، ظهرت إشارات إلى النقطوية لأول مرة على كل حال ، على أنها هرطقة تعرضت للمضايقة والإضطهاد على يد الدولة الصفوية . ولم يكن إلا بعد وفاة طهماسب ، أي خلال فترة توقف سادتها المصراعات وعدم الاستقرار السياسي سبقت صعود عباس الأول إلى العرش سنة ١٥٨٨/٩٩٦ ، أن شهدنا إحياء للنقطوية باعتبارها حركة واسعة الانتشار ذات رسالة ألفية . وليس من المستبعد أن يكون هذا الإحياء قد أفاد من سياسة التسامح الديني لإسماعيل الثاني (٩٨٤ - ٩٨٥/١٥٧٦ - ١٥٧٨) . ونجد إحدى أقدم الإشارات المعروفة إلى إعادة تقويم النقطويين في كتاب من القرن العاشر/السادس عشر المتأخر بعنوان «تاريخ ألفي» ، (لأنه أخبر عن حوادث تقع مع انسلاخ الألف الإسلامية الأولى) . فقد دُون تحت سنة ١٥٧٥/٩٨٣ خبر ثورة من قبل أتباع محمود (الذي أخطأ المؤلف في تحديد هويته وقال إنه محمود فساخاني) في القرى المحيطة بمدينة كاشان . ومن الأهمية بمكان أن هذه الثورة قد حدثت باقتران مع انتفاضة في قرية أنجودان الاسماعيلية في منطقة ملاير بقيادة شخص يقرب اسمه من مراد ، وهو إمام نزاری شاب له أتباع في السند ومكران . وتم قمع الثورة النقطوية على يد حاكم همدان القزل باشي ، أمير خان موصلو ، الذي كان يعمل بأمر من شاه طهماسب<sup>(١)</sup> . والتزامن بين الثورتين اللتين امتدت أحدهما إلى ما بعد وفاة طهماسب ، لم يكن أمراً عرضياً . وعلى الرغم من غموض تنوي (Tatawi) بخصوص العلاقة بين الثورتين - حتى على الرغم من أن والده قد شارك بشكل مباشر في قمع ثورة كاشان - فإنه يبدو وكأنه يوحى بأن أتباع محمود كانوا متعاونين مع اسماعيلية أنجودان . وليس من غير المعقول افتراض أن إحياء النقطوية بعد مائة وخمسين عاماً من وفاة محمود ، كما يشير تنوي ، كان جزءاً من صحوه ألفية نمت وترعرعت على شبكة من الجماعات الدينية الأقدم من الاسماعيليين وغير الاسماعيليين في وسط وشمال إيران .

واستمرت الطموحات النقطوية ، على كل حال ، حتى ما بعد تولي أعظم الملوك الصفويين ، عباس الأول (٩٩٦ - ١٠٣٨/١٥٨٨ - ١٦٢٩) ، العرش قبل نهاية الألف الإسلامية الأولى بأربع سنوات . وغالباً ما جرى التقليل من شأن الفعالية الروحية للنقطويين من قبل الأخباريين المؤيدين للصفويين ، ومع ذلك فلا بد أنها كانت ذات حدة كافية

جذبت انتباه عباس الشاب الى البداية المهزوزة لحكمه عندما كان لا يزال يتصارع مع هيمنة القزل باش . وغير خاف أن إعجابه بالنقراطية وإمكاناتها الكامنة لمعادلة « الارثوذكسية » الشيعية ( كان وراء قيامه متنكراً في مناسبات عدة بزيارة تكية زعيم نقطوي بارز هو درويش خسرو قزويني ) ، ويعكس ميل الشاه الموافق نحو النقطويين ، سواء أكان من باب الفضول أو خدمة لمصلحة شخصية ، نمو الحركة بين شرائح يمينها من سكان الحضر الفرس .

وقرابة العام ١٠٠٠ هـ ( ١٥٩١ - ١٥٩٢ ) ، يبدو أن الحركة قد وصلت ذروة شعبيتها . فدرويش خسرو أحد القياديين النقطويين ، الذي كانت آراؤه قد جلبت له المتاعب سابقاً من العلماء وتعرض لإمتحانات ومضايقات متكررة ، يُلام من قبل اسكندر بك مونشي ، مؤلف كتاب « عالم أرا - بي عباسي » ، لأنه كان يستدرج الى تكيته « ذوي العقول الضعيفة من العوام » ، و « الأوباش المفلسين من التركمان والفرس » ، لكن الأمر يبدو كأنه يخفي بعض المديح السري ليس لذوق خسرو السليم في الحياة الكريمة ، « ولحدائقه المعنى بها بشكل جيد » ، ولذوقه في « المصحون الملونة » التي كان يتم تحضيرها في مطبخ تكيته وحسب ، بل وللمهولة التي فاوض بها طويلاً طريقه عبر كمائن دينية وفقهية نصبها له « العلماء » القلقون أبداً . وربما عرف ، باعتباره ارتدى قُشرة حافظية\* ، كيف يجلس مع الأمير ومع المتسول على المائدة ذاتها . وقضى ليالي كثيرة في تكيته يسامر فيها عباساً أثناء الجولات الليلية للشاه حول العاصمة . لكن على الرغم من منجزاته وشعبيته الظاهرة ، فإن الحاجة الى « تطبيق شعائر الشريعة المنيرة » ، كما قال عنها اسكندر بك ، كانت هي التي اضطرت الشاه في نهاية الأمر الى الرد على كرم خسرو بالأمر بتوقيفه هو وأتباعه . وتم بشكل ملائم للغرض تماماً ، العثور على « جرار الخمر » في تكيته ولم يضيع العلماء وقتاً في اكتشاف أن « عقلية » خسرو « المنفتحة » واعتقاداته الخاطئة قد وصلت مستوى ، بحيث أنه لم يعد ملتزماً بفروض الشريعة » ، وما أن حُكم عليه بالموت من قبل الشاه الذي كان مقتنعاً بانتماء خسرو الى النقطوية ، حتى شت من رقبته الى سرج جمل وسُحِل في شوارع قزوين<sup>(١٥)</sup> . وفي وقت أبكر من ذلك ، كان شخص يقرب اسمه من أبي القاسم أمري من إقليم فارس ، وهو شاعر صوفي ظهرت له ميول نقطوية وسبق له أن سُمِلت عيناه بأمر من طهماسب بسبب من معتقده الإلحادية ، كان قد قُتل سنة ١٥٨٢/٩٩٠ دون محاكمة بعد أن دفع العلماء ضده بتهمة التحريض على « فتنة كبرى وعصيان »<sup>(١٦)</sup> . لكن مقتل خسرو

\* نسبة الى الشاعر الفارسي المشهور حافظ شيرازي (ت ٧٩٢/١٢٩٠) .

والأحداث المتعلقة بتنازل الشاه المؤقت عن الحكم هي التي أطلقت بعزم صادق «مذبحة الملاحدة» لعام ١٥٩٢/١٥٩٤ - ١٥٩٤ .

وفي تحرك شاذ على ما يبدو سنة ١٥٩١/١٥٩٠ ، وإثر حدوث الاقتران السماوي المنذر بالسوء مع انسلاخ الألف الهجرية [الأولى] ، أقدم عباس الأول على التدخل عن الحكم لصالح أحد الأمناء النقطويين ، استاذ يوسف تركش دروز ، العاذق في صنع جمع السهام كما يوحي بذلك اسمه . ولم تمض سوى ثلاثة أيام حتى أعيد تنصيب الشاه على العرش وقتل استاذ يوسف على أيدي سياتي البلاط . والظاهر أن هذه التولية المؤقتة قد صيغت وفق طقس سنوي فارسي قديم يتعلق بتجدد الربيع ويعرف باسم «مير - ي نوروز» ، والذي بموجبه يقوم ملك كرنفالي عند حدوث الاعتدال الربيعي بتروّس تحول رمزي وانتقال من الفوضى الى الكون . غير أن الحقيقة هي أن الواقعة كانت دليلاً على قلق عباس الأول وانشغاله بالنبوءات النقطوانية الألفية . وكان الهدف منها منع وقوع البلاء السماوي على الشاه الحقيقي ، وهذا إجراء استباقي ضد رزية ألفية بشرت بها النقطوانية وكانت العامة بانتظارها . ونجد أنه من الممكن ، حتى من خلال روايات اسكندر بك مونشي وملاً جلال منجمي يزدي الموالية للصنويين ، ومن منجم البلاط والمعرض الرئيس للحملة المناوئة للنقطويين الذي أشرف على الخطوة الجائزية المؤقتة ، من الممكن رؤية وميض شعبية نقطوانية بين النقابات الحضرية وبين الدراويش . «لقد أصبح واضحاً ، كتب اسكندر بك يقول : «إن عدد أولئك الناس الذين يسعون جامدين الى النقلة في ممالك [إيران] المحروسة قد ازداد بشكل هائل» .

وفي موجة التنكيل والقتل الجماعي التي أعقبت ذلك وكان بطلها الشاه وباركها العلماء ، تم ذبح عدد كبير من قادة النقطوانية البارزين ، وتعرضت جماعات النقطويين في كاشان (ولا سيما في نصر آباد) وأصفهان واصطهبانات (في اقليم فارس) وقزوين لمذابح جماعية . وكان درويش يوسف نفسه ، كما أوردها اسكندر بك بلهجة مهذبة ، «قد جُرّد من ثوب الحياة ، وسقط من العرش على لوح الموتى» . أما مصير نقطوي بارز آخر ، مولانا سليمان ساوجي ، وهو طبيب من ساوا كان «الأكثر علماً» من بين النقطويين ، فقد أحيل الى العلماء ، وخوفاً من «رد فعل معادٍ من قبل أوياش غافلين» ، وهذه بلا شك إشارة الى مؤيديه من بين سكان المدينة ، فقد اختار العلماء وضعه في الاعتقال المؤقت ، لكن الشاه «المطبع بالشرعية» والذي اعتبر التخلص منه أمراً مساوياً للحج ، فقد أمر على موته . وبشكل مشابه ، فإن مير سيد أحمد كاشاني ، القائد

النقطوي الذي قبض عليه في قرية نصر آباد في نواحي كاشن ، فقد قطع الى نصفين في مكانه بسيف الشاه نفسه<sup>(١٧)</sup> .

وهاجر الكثير من النقطويين المطرودين من « الممالك المحروسة » للإمبراطورية الفارسية الصفوية الى امبراطورية المغول (الهندو - تيمورية) المجاورة حتى في وقت سابق لمذابح عام ١٥٩٣/١٠٠٢ . فوجدوا هناك ملجأ لهم في بلاط الامبراطور أكبر ( ٩٦٣ - ١٥٥٦/١٠١٤ ) ومستمعا متحمسا في شخص المستشار الشهير أبي الفضل عالمي ، مؤلف كتاب « أكبر نامه » . لقد سحقت ثورة النقطويين في ايران في مهدها لكن بقاياها الفكرية دامت وساهمت في ثقافة بلاط مغول الهند . ووجد النقطويون الفرس والمتعاطفون معهم من الهنود أن الامبراطور العظيم مرشح أكثر أهلية لمنصب « الملك الألفي » ، فتحول بلاطه الى مريع لعقد المناظرات بين ممثلي مختلف التقاليد الدينية (ومن بينهم الزرادشتيون الباريسيون والمبشرون اليسوعيون البرتغاليون) وبدعة تخترق المعتقدات . ويعتقد عبد القادر بداعوني ، المؤرخ الرئيس لعهد أكبر والمتعصب هو نفسه للسنية ، أن النقطويين في بلاط أكبر كانوا مسؤولين عن بث النبوءات الألفية ونشرها . ويضمن بداعوني قوله إن الامبراطور كان متأثراً بأراء النقطويين الى الحد الذي دفعه الى اعلان نفسه نبي ما أصبح يعرف « بالدين الإلهي » والدعوة الى « المصالحة الكلية » . وبالفعل ، يبدو أن صالماً نقطوياً بارزاً ولاجئاً في بلاط المغول ، مير شريف آمولي ، كان مصدر إلهام لأكبر ولوزيره ، أبي الفضل عالمي ، مهندس « المصالحة الكلية » وقد نسج آمولي ، وغيره من النقطويين في بلاط أكبر على منوال نبوءات محمد بسيخاني للتخرص حول مقدم « مزيل البهتان » في العام ١٥٨٢/٩٩٠ ، والذي تضمن بالشكل الذي رأوه فيه ، إلغاء للإسلام من قبل أكبر مع نهاية الألف [الأولى] . وتقدم خواجا مولانا شيرازي ، النقطوي المتخصص بالجفر ، « برسالة » الى أكبر يفترض أنها من أشرف مكة تنبأت ، على أساس من حديث اسلامي ، بيوم للحساب وهيك الحدوث ، ومقدم المهدي في نهاية الألف السابعة من زمن آدم . وكانت فكرة الأدوار الألفية السبعة ، المطابقة للأدوار - المتفوقة لمحمود ، ذات شعبية لفترة طويلة بين الاسماعيليين وبين الجماعات الشيعية الأخرى . وبشكل مشابه ، فإن من بين « الخزعبلات الشيعية » الأخرى ، كما يقول عنها بداعوني ، التي اعتمد عليها النقطويون ، رباعية ألفية منسوبة الى الشاعر الاسماعيلي والفيلسوف ناصر خسرو :

« في العام تسعمائة وتسعون يرسم من القدر  
تجتمع النجوم كلها في مكان واحد .



وفي عام الأسد ، وشهر الأسد ، ويوم الأسد

يخرج من خلف الستار أسد الله»...

لقد اعتقد بداعوني أن مثل تلك التعريضات التي أقنعت أكبر «بادعاء النبوة بكل ما فيها ماعدا الاسم» ، وذلك لأنه «صاحب الزمان» ، و«أسد الله» الذي أزال ، كما أصر على ذلك ، النقطيون ، العوائق الجماعية بين الملل الاثنتين والسبعين من أصحاب المعتقدات الاسلامية والهندوسية<sup>(١٨)</sup> .

وبعد أكبر ، بدأت رعاية البلاط للنقطوية تنكمش تدريجياً قبل أن تتحول في نهاية الأمر الى عداء مكشوف في ظل أورنجزيب منتصف القرن الحادي عشر/السابع عشر . ويعتبر سرمد كاشاني ، الشاعر الفارسي المتصوف من أصل يهودي الذي يبدو أنه تبنى في وقت لاحق أفكاراً وممارسات جافية في الهند ، يعتبر آخر نقطي ذا أهمية معروف لدينا . وكان ربيب الأمير والعالم المغولي الشهير وصاحبه ، دارا شكوه ، ابن شاه جيهان ، قد أعدم عندما أصدر العلماء فتوى حكمت عليه بالموت عقب هزيمة الأمير أمام أخيه غير الشقيق أورنجزيب ثم مقتله لاحق سنة ١٠٦٩/١٦٥٩ . فكان ذلك علامة على نهاية الأنشطة المتحررة للنقطويين في الهند لمدة تقرب من القرن . وكانت أيضاً نهاية لعصر رائع من الإبداع الديني والتسامح الطائفي في ظل أباطرة المغول الأوائل<sup>(١٩)</sup> .

غير أن الأثر النقطي في المناخ الهندي - الفارسي لم يُستنزف بالكلية . ففي منتصف القرن الحادي عشر/السابع عشر كان في مقدور مؤلف كتاب «دابستان مذاهب» ، الذي يفترض أنه كان هو نفسه كاهناً بارسياً وتاجاً للتدميج بين المعتقدات في هند المغول ، مقابلة كتاب وشعراء نقطويين هندو - فارسيين في لاهور ، العاصمة الفكرية لشمال الهند ، وتدوين رواية ملخصة عن معتقداتهم باعتبارهم مذهباً «طائفياً متميزاً» . بل حتى في وقت متأخر وصل الى منتصف القرن الثالث عشر/التاسع عشر ، كان الدراويش الجوالون من انتماءات جلالية وحاكسارية وميول قلندرية انتقائية يتفوتون من أن لآخر بآراء تذكرنا بالنقطوية . غير أنه لم يظهر الى النور أي مرجع يشير الى وجودهم الجماعاتي أو الهرمي . وربما تكون قراءة النصوص النقطوانية في الدوائر الصوفية و«الهرطقية» قد تواصلت حتى بلغت القرن الثالث عشر/التاسع عشر . والشبه الصارخ ما بين أفكار سيد علي محمد شيرازي ، الباب (١٢٣٦ - ١٢٦٦/١٨٢١ - ١٨٥٠) ، مؤسس الحركة البابية ، ومعتقدات وممارسات النقطوانية من الواضح بحيث تصعب نسبته الى انتشار باطنية المناخ «الهرطقي»

الفارسي فقط<sup>(٢٠)</sup> . كما لا يمكن لمثل هذه الصلة أن تنسب إلى مدرسة الشيعية لمؤسسها الشيخ أحمد احسانى (ت ١٢٤١/١٨٢٥) وحسب ، وهو الذي تأثر بشكل غير مباشر بالموضوعات ذات الصلة بالاسماعيلية ، كما كان الأمر مع خلفه سيد كاظم رشتي (ت ١٢٥٩/١٨٤٤) .

وخلال القرنين العاشر/السادس عشر والحادي عشر/السابع عشر كان بعض الشعراء والشخصيات الأدبية من المدرسة « الهندية » يستلهمون موضوعات نقطوية مخاطرهن حتى بالتعرض لتعريشات « العلماء » وتنقيصاتهم . وتستلزم حياة هؤلاء وأعمالهم مآعاً معاناة مستقلة ، لكن حتى في وقت مبكر يعود إلى فترة التيموريين المتأخرة نجد أن آثاراً لموضوعات نقطوية يمكن تسميتها في الأسماء الإيرانية وفي شعر معاصر لا يقل أهمية عن محمود بسيخاني هو حافظ شيرازي (ت ٧٩٢/١٣٩٠) . بل إن تلميحات حافظ يمكن أن تُعد من بين أقدم الأدلة على شعبية الموضوعات النقطوية . ويذهب مؤلف كتاب « دابستان » إلى حد الإعتراف بحافظ على أنه متعاطف لنقطوي . ويستند في هذا الزعم على كلمة لنقطوي مجهول ، ربما صديق شيرازي للمؤلف في لاهور . ولدعم هذا الزعم فقد اقتبس أيضاً بيتاً من الشعر مشهوراً ، وملقزاً بالفعل للشاعر [يقول] :

« أيا ربح الصبلا عندما تمرّين بصفاف نهر آرس ،

قبلي تربة السهل وعطري أنفاسك »<sup>(٢١)</sup> .

وسواء أكانت تلك تلميحاً إلى محمود الذي كان يقيم على ضفة نهر آرس شمال أذربيجان ، بحيث أن حافظ يحيى بشكل رمزي تعظيم محمود للتراب ، فذلك أمر يحتمل التفسير . وهناك مايكفي من الإشارات في شعر حافظ إلى « النقطة » ، وإلى تغيّر « الدور » ، وإلى خلق الإنسان وقيّمته التراييتين ، ومايكفي من الشك بخصوص نظرة الاسلام إلى العالم الآخر مما هو جدير بدراسة منفصلة .

إن قلة المعطيات تجعل من الصعب تقدير الارتباطات ما بين النقطوية والاسماعيلية . وأي دليل يتبقى بعد ذلك فهو غير ذي بال . وقد يخمن البعض بأن النقطوية قد تشربت بقيم بعينها كانت ساكنة في الإسماعيلية المتأخرة : تطلعات ألفية قائمة على تجدد دوري ، وانشغال بعلوم الغيب والتنجيم ، وتفسير رمزي للقيامة . وكذلك فإن التدرج الهرمي وتوجه الدعوة إلى السكان من أهل الحضر والريف من خارج النخبة إضافة إلى الانتلجنسيا ، هي من الأمور المشتركة بين الحركتين . ثم إن التوزع الجغرافي للنقطوية قد يضاف أيضاً نموذج المراكز الاسماعيلية السرية في إيران ما بعد العصر المغولي . ومع ذلك ، توجد هناك

اختلافات جذرية . فالنقطوية لم تتصور الإنقسام الباطني - الظاهري بالطريقة ذاتها . ستي  
 فعلت بها الاسماعيلية ، التي لم تبتعد إطلاقاً عن حدود الاسلام الشيعي .  
 وبالإمكان توضيح ذلك من خلال تطلعات الحركة النقطوانية لاستحضار ألفية خيانية لى  
 هذا لعلم متحررة من استتار الباطن أو رعاية إمام مكشوف أو مستور . وللوصول الى ذلك ،  
 يبدو أن النقطوانية كانت تحبذ وجود حاكم محب للخير يمكنه دمج الشرعيتين السياسية  
 ولدينية . وفي هذا السياق ، فقد استبقت النقطوانية مولد الشيعة الصفوية ونشأتها .  
 ولرباط المكرم على الدوام الذي شد وثاق الشقيقين ، « الحاكم العادل » و« الدين  
 صحيح » ، مع حجر الزاوية للنظام الاجتماعي في النظام الاسلامي - الفارسي كان أقوى من  
 أن يسبب قطيعة مع اللا أدوية للألفية للنقطويين ، وما كان يبدو في مكان وزمان آخرين ،  
 وراء عصر التنوير على سبيل المثال ، على أنه فرضية خلافة لإعادة تشكيل المجتمعات  
 الانسانية وأفكارها ، فقد قُدر له أن يُعتبر إلحاداً في عالمه الخاص ويشهد التجمع في حين  
 كن محافظون الدينيون من عهدي الصفويين والمغول المتأخرين يعملون على غلاق  
 صفوفهم ومراتبهم .

## الحواشي

- ١ - اسكندر بكه مولشي ، تاريخ عالم - آراي عباس ، تج . افشار ، (طهران ، ١٩٥٥) ، م٢ ، ص٤٧ - ٤٧٦ .
- ٢ - ليس هناك من معالجة نقدية للنقطة ماخل عمل صادق كيا ، تقطويان يا بسيخانيان (طهران ، ١٩٤١) ، مقالة «نقطوية» الموسوعة الاسلامية ، ط٢ ، ميرفطروس ، جونش حروفية ونهضة بسيخانيان تقطويان (طهران ، ١٩٧٦) .
- ٣ - مير فطروس ، جونش ، ص٦٠ .
- ٤ - انظر مقالة ريتز من مجلة ORIENS ، ٧ (١٩٥٤) ، ص١ - ٥٤ ، مقالة براون في مجلة IRAS (١٨٩٨) ، ص٦١ - ٩٤ ، و IRAS (١٩٠٧) ، ص٥٣٢ - ٥٨١ ، ومقالة «حروفية» ، في الموسوعة الاسلامية ط٢ ، م٢ ، ص٦٠٠ ، صادق كيا ، فاز عيه ، نامه جورجاني (طهران ، ١٩٥١) .
- ٥ - كيا ، فاز عيه نامه ، ص٢٦ ، ومقالة ريتز السابقة .
- ٦ - تقى الدين لوحد بلياني ، عرفات عاشقين (مخطوطة مذكورة عند كيا ، تقطويان ، ص٥٨) .
- ٧ - دبستان - مذاهب ، تج . رضا زاده مالك (طهران ، ١٩٨٢) ، ص٢٧٢ - ٢٧٨ ، وترجمته الانكليزية (لندن ، ١٩٠١) ص٢٢٧ - ٢٤٤ ، كيا ، تقطويان ، ص٥ ، لمصادر أخرى حول محمود بسيخاني .
- ٨ - كلا المصطلحين ، «رند» و«محمود» هما توريتان مقصودتان تحملان دلالات نقطوية ، واضحة (دبستان ، ص٢٧٦) .
- ٩ - دبستان ، ص٢٧٥ .
- ١٠ - كيا ، المصدر السابق (قطويان) ، ص٨٤ .
- ١١ - المصدر السابق ، ص٧٦ .
- ١٢ - المصدر السابق ، ص١٠٢ ، ١٢٠ - ١٢١ .
- ١٣ - المصدر السابق ، ص٨٤ - ٨٦ .
- ١٤ - أحمد تنوي . مذكور في كيا ، تقطويان ، ص٣٦ ، قاضي مير أحمد مولشي قضي . خلاصة التواريخ ، تج . اشراقي (طهران ، ١٩٨٠) ، م١ ، ص٥٨٢ - ٥٨٤ .
- ١٥ - اسكندر بك ، اعلام - آرا ، م٢ ، ص٤٧٦ .
- ١٦ - لوحد بلياني ، عرفات عاشقين ، في كيا ، تقطويان ، ص٥٩ - ٦٠ .
- ١٧ - اسكندر بك ، اعلام - آرا ، م٢ ، ص٤٧٦ .
- ١٨ - عبد القادر بدعواني ، منتخب التواريخ (كلكتا ، ١٨٦٥) ، م٢ ، ص٢٨٦ - ٢٨٨ .
- ١٩ - حول سرمد انظر «جلالي قاضي سز آكر (طهران ، ١٩٦١) ، ص١٢٩ - ١٣٠ ، ٢٤٦ .
- ٢٠ - حول الترابط ما بين النقطة والهاجئة انظر «عباس آمانات ، القيامة والتجديد (إفكا ، ١٩٨٩) ، ص١٣ ، ١٤ ، ١٤٤ ، ٣٢٣ . (بالانكليزية) .
- ٢١ - دبستان ، ص٢٧٧ .

## المراجع

The bibliography includes some basic works of reference and a selection of the published sources cited in the notes to the individual chapters. The abbreviations used in the bibliography are the same as those used in the notes. For a list of these abbreviations see page xiii.

### WORKS OF REFERENCE

- Asani, Ali S. *The Harvard Collection of Ismaili Literature in Indic Languages: A Descriptive Catalog and Finding Aid*. Boston, 1992.
- Bacharach, Jere L. *A Middle East Studies Handbook*. Cambridge, 1984.
- Behn, Wolfgang H. *Index Islamicus, 1665-1905*. Millersville, Pa., 1989.
- Berthels, Andrei E. and Baqoev, M. *Alphabetic Catalogue of Manuscripts found by 1959-1963 Expedition in Gorno-Badakhshan Autonomous Region*, ed. B. G. Gafurov and A. M. Mirzoev. Moscow, 1967.
- Bosworth, C. Edmund. *The Islamic Dynasties: A Chronological and Genealogical Handbook*. Revised edn, Edinburgh, 1980.
- Brockelmann, Carl. *Geschichte der arabischen Litteratur*. 2nd edn, Leiden, 1943-1949.
- Geschichte der arabischen Litteratur. Supplementbände*. Leiden, 1937-1942.
- Da'irat al-ma'arif-i buzurg-i Islami [The Great Islamic Encyclopaedia]*, ed. K. Musavi Bojnurdi. Tehran, 1367- /1989-
- Encyclopaedia Iranica*, ed. E. Yarshater. London, 1982-
- The Encyclopaedia of Islam*, ed. H. A. R. Gibb et al. New edn, Leiden-London, 1960-
- The Encyclopaedia of Religion*, ed. M. Eliade. London-New York, 1987.
- Freeman-Grenville, G.S.P. *The Muslim and Christian Calendars*. 2nd edn, London, 1977.

- Gacek, Adam. *Catalogue of Arabic Manuscripts in the Library of the Institute of Ismaili Studies*. London, 1984-1985.
- Goriawala, Mu'izz. *A Descriptive Catalogue of the Fyze Collection of Ismaili Manuscripts*. Bombay, 1965.
- The Great Ismaili Heroes*, ed. A.R. Kanji. Karachi, 1973.
- Handbook of Oriental History*, ed. C.H. Philips. London, 1951.
- Handwörterbuch des Islam*, ed. A.J. Wensinck and J. H. Kramers. Leiden, 1941.
- Ivanow, Wladimir. *A Guide to Ismaili Literature*. London, 1933.
- Ismaili Literature: A Bibliographical Survey*. Tehran, 1963.
- Lane-Poole, Stanley. *The Mohammadan Dynasties*. London, 1894.
- Modarressi Tabataba'i, Hossein. *An Introduction to Shi'i Law: A Bibliographical Study*. London, 1984.
- Netton, Ian R. *A Popular Dictionary of Islam*. London, 1992.
- Pearson, James D. *Index Islamicus, 1906-1955*. Cambridge, 1958.
- Index Islamicus, Supplement*. Cambridge-London, 1962-
- Poonawala, Ismail K. *Biobibliography of Isma'ili Literature*. Malibu, Calif., 1977.
- Sauvaget, Jean. *Introduction to the History of the Muslim East: A Bibliographical Guide*, English translation based on the second edition as recast by Claude Cahen. Berkeley, 1965.
- Sezgin, Fuat. *Geschichte des arabischen Schrifttums*. Leiden, 1967-
- Shorter Encyclopaedia of Islam*, ed. H.A.R. Gibb and J.H. Kramers. Leiden, 1953.
- Storey, Charles A. *Persian Literature: A Bio-bibliographical Survey*. London, 1927..
- Revised Russian trans., *Persidskaya literatura: Bio-bibliograficheskii abzor*, ed. and tr. Yu. E. Bregel. Moscow, 1972. Persian trans., based on the Russian version, *Adabiyat-i Farsi*, tr. Y. Ariyanpur et al. Tehran, 1362- / 1983-
- Tajdin, Nagib. *A Bibliography of Ismailism*. Delmar, N.Y., 1985.
- Zambaur, B. de. *Manuel de généalogie et de chronologie pour l'histoire de l'Islam*. Hanover, 1927.

#### PRIMARY SOURCES: TEXTS AND TRANSLATIONS

- 'Abd al-Jabbar b. Ahmad al-Hamadani. *Tatbbit Dala'il al-nubuwwa*, ed. 'A. 'Uthman. Beirut, 1966-1968.

- Abu'l-Fida, al-Malik al-Mu'ayyad 'Imad al-Din Isma'il b. 'Ali. *The Memoirs of a Syrian Prince*, tr. P.M. Holt. Wiesbaden, 1983.
- Abu Firas, Shihab al-Din al-Maynaqi. *Risalat matali al-Shumus*, ed. 'A. Tamir, in his *Arba' rasa'il Isma'iliyya*. Salamiyya, 1952, pp. 27-57.
- Akhbar al-Qaramita*, ed. S. Zakkar. Damascus, 1400/1980.
- al-Amir bi-Ahkam Allah, Abu 'Ali al-Mansur. *al-Hidaya al-Amiriyya*, ed. A.A.A. Pyzee. Bombay, etc., 1933, reprinted in *Majmu'at al-watha'iq al-Fatimiyya*, ed. J. al-Shayyal. Cairo, 1958, pp. 203-230.
- al-Antaki, Yahya b. Sa'id. *Ta'rikh*, ed. L. Cheikho et al. Paris-Beirut, 1909; partial ed. and French trans. I. Kratchkovsky and A.A. Vasiliev, *Histoire de Yabya-Ibn-Sa'id d'Antioche*, in *Patrologia Orientalis*, 18 (1924), pp. 699-833, and 23 (1932), pp. 347-520.
- 'Araib b. Sa'd al-Qurtubi. *Silat ta'rikh al-Tabari*, ed. M.J. de Goeje. Leiden, 1879.
- al-Ash'ari, Abu'l-Hassan 'Ali b. Isma'il. *Kitab maqalat al-Islamiyyin*, ed. H. Ritter. Istanbul, 1929-1930; reprinted, Wiesbaden, 1963.
- al-Baghdadi, Abu Mansur 'Abd al-Qahir b. Tahir. *al-Farq bayn al-firaq*, ed. M.Z. al-Kawthari. Cairo, 1948. English trans. under the title *Moslem Schisms and Sects*, part I, tr. K. C. Seelye. New York, 1919; part II, tr. A.S. Halkin. Tel Aviv, 1935.
- al-Biruni, Abu'-Rayhan Muhammad b. Ahmad. *al-Athar al-baqiya*, ed. C.E. Sachau. Leipzig, 1878. English trans. C.E. Sachau, *The Chronology of the Ancient Nations*. London, 1879.
- al-Bundari, al-Fath b. 'Ali. *Zubdat al-nusra wa-nukhbat al-'usra*, ed. M. Th. Houtsma. Leiden, 1889.
- Commentaire de la Qasida Isma'elienne d'Abu'l-Haitham Jorfani*, attributed to Muhammad b. Surkh al-Nisaburi, ed. H. Corbin and M. Mu'in. Tehran-Paris, 1995.
- Dabistan-i madhhab*, ed. R. Ridzada Malik. Tehran, 1362/1983. English trans. D. Shea and A. Troyer, *The Dabistan, or School of Manners*. London, 1901.
- al-Daylami, Muhammad b. al-Hasan. *Bayan madhhab al-Batiniyya wa-butlanuhu*, ed. R. Strothmann. Istanbul, 1939.
- Eutychii Patriarchae Alexandrini Annales*, anonymous continuation of Euthychius (Sa'id b. Bitriq), ed. L. Cheikho et al. Paris, 1909.

- al-Ghazali, Abu Hamid Muhammad. *Fada'ih al-Batiniyya*, ed. 'Abd al-Rahman Badawi. Cairo, 1964. Abbreviated edition with commentary, in I Goldziher, *Streitschrift des Ghazali gegen die Batiniyya-Sekte*. Leiden, 1916.
- Hafiz Abru, 'Abd Allah b. Lutf 'Ali al-Bihadadi. *Majma' al-tawarikh al-sultaniyya; qismat-i khulafa-i 'Alawiyya-ye Maghrib va Misr va Nizariyan va rafiqan*, ed. M. Mudarrisi Zanjani. Tehran, 1364/1985.
- Haft bab-i Baba Sayyidna*, ed. W. Ivanow, in his *two Early Ismaili Treatises*. Bombay, 1933, pp. 4-44. English trans. M. Hodgson, in his *Order of Assassins*, pp. 279-324.
- Hamid Allah Mustawfi Qazwini. *Ta'rikh-i quzida*, ed. 'A. Nava'i. Tehran, 1339/1960.
- al-Himyarī, Nashwan b. Sa'id. *al-Hur al-'in*, ed. K. Mustafa. Cairo, 1948.
- Hudud al-'alam*, ed. M. Sutuda. Tehran, 1340/1961. English trans. V. Minorsky, *Hudud al-'Alam, the Regions of the World*. 2nd edn, London, 1970.
- al-Husayni, Sadr al-Din Abu'l-Hasan 'Ali b. Nasir. *Akhbar al-dawla al-Saljuqiyya*, ed. M. Iqbal. Lahore, 1933.
- Ibn 'Abd al-Zahir, Muhyi'l-Din Abu'l-Fadl 'Abd Allah. *al-Rawd al-zahir fi sirat al-Malik al-Zahir*, ed. A.A. Khawaiter. Riyadh, 1976.
- Ibn al-Athir, 'Izz al-Din Abu'l-Hasan 'Ali b. Muhammad. *al-Kamil fi'l-ta'rikh*, ed. C.J. Tornberg. Leiden, 1851-1876.
- Ibn Battuta, Shams al-Din Abu 'Abd Allah Muhammad b. 'Abd Allah al-Tanji. *Rihla*, tr. H.A.R. Gibb and C.F. Beckingham under the title *The Travels of Ibn Battuta*. Cambridge, 1958-1994.
- Ibn al-Dawadari, Abu Bakr b. 'Abd Allah. *Kanz al-Durar*, vols. 6-9, ed. S. al-Munajjid et al. Cairo, 1961-1971.
- Ibn Fadl Allah al-'Umari, Shihab al-Din Ahmad b. Yahya. *Masalik al-absar fi mamalik al-amsar*, ed. A. Fu'ad Sayyid. Cairo, 1985.
- Ibn Hammad, Abu 'Abd Allah Muhammad b. 'Ali. *Akhbar muluk Bani 'Ubayd*, ed. and tr. M. Vonderheyden. Algiers-Paris, 1927.
- Ibn Hawqal, Abu'l-Qasim b. 'Ali al-Nasibi. *Kitab surat al-ard*, ed. J.H. Kramers. 2nd edn, Leiden, 1938-1939. French trans. J.H. Kramers and G. Wiet, *Configuration de la terre*. Paris, 1964.



- Ibn Hawshab, Abu'l-Qasim al-Hasan b. Faraj Mansur al-Yaman. *Kitab al-rushd wa'l-bidaya*, ed. M. Kamil Husayn, in *Collectanea*: Vol. I, ed. W. Ivanow. Leiden, 1948, pp. 185-213. English trans. W. Ivanow, 'The Book of Righteousness and True Guidance', in his *Studies in Early Persian Ismailism*, pp. 29-59.
- Ibn Hazm, Abu Muhammad 'Ali b. Ahmad. *Kitab al-fisal fi'l-milal*. Cairo, 1317-1321/1899-1903.
- Ibn 'Idhari al-Marrakushi, Abu'l-'Abbas Ahmad b. Muhammad. *al-Bayan al-mughrib*, ed. G.S. Colin and E. Lévi-Provençal. New edn, Leiden, 1948-1951.
- Ibn al-Jawzi, Abu'l-Faraj 'Abd al-Rahman b. 'Ali al-Hanbali. *al-Muntazam fi ta'rikh al-muluk wa'l-umam*, ed. F. Krenkow. Hyderabad, 1357-1362/1938-1943; ed. M. and M. 'Ata. Beirut, 1992.
- Ibn Kathir, 'Imad al-Din Isma'il b. 'Umar. *al-Bidaya wa'l-nihaya fi'l-ta'rikh*. Cairo, 1351-1358/1932-1939.
- Ibn Khaldun, Wali al-Din Abu Zayd 'Abd al-Rahman b. Muhammad. *Kitab al-'ibar*. Cairo, 1289/1872.
- Ibn Khallikan, Abu'l-'Abbas Ahmad b. Muhammad al-Irbili. *Wafayat al-a'yan wa-anba' abna' al-zaman*, ed. I. 'Abbas. Beirut, 1968-1972. English trans. W. MacGuckin de Slane, *Ibn Khallikan's Biographical Dictionary*. Paris, 1842-1871.
- Ibn Malik al-Yamani, Abu 'Abd Allah Muhammad. *Kashf asrar al-Batiniyya wa-akhbar al-qaramita*, ed. M.Z. al-Kawthari. Cairo, 1357/1939.
- Ibn Miskawayh, see Miskawayh, Abu 'Ali Ahmad b. Muhammad.
- Ibn Muyassar, Taj al-Din Muhammad b. 'Ali. *Akhbar Misr*, ed. A. Fu'ad Sayyid. Cairo, 1981.
- Ibn al-Nadim, Abu'l-Faraj Muhammad b. Ishaq al-Warraq. *Kitab al-fihrist*. Cairo, 1348/1929-1930; ed. M.R. Tajaddud. Tehran, 1971. English trans. B. Dodge, *The Fihrist of al-Nadim*. New York, 1970.
- Ibn al-Qalanisi, Abu Ya'la Hamza b. Asad. *Dhayl ta'rikh Dimashq*, ed. H.F. Amedroz. Leiden, 1908; ed. S. Zakkar. Damascus, 1983. Partial English trans. H.A.R. Gibb, *The Damascus Chronicle of the Crusades*. London, 1932. French trans. Roger Le Tourneau, *Damas de 1075 a 1154*. Damascus, 1952.

- Ibn Taghribirdi, Jamal al-Din Abu'l-Mahasin Yusuf. *al-Jum al-zahira fi muluk Misr wa'l-Qahira*. Cairo, 1348-1391/ 1929-1972; ed. T.G.J. Juynboll and B.F. Matthes. Leiden, 1855-1861.
- Ibn al-Tuwayr, Abu Muhammad al-Murtada. *Nuzhat al-muqlatayn fi akhbar al-dawlatayn*, ed. A. Fu'ad Sayyid. Beirut, 1992.
- Ibn Zafir, Jamal al-Din 'Ali b. Abi Mansur al-Azdi. *Akhbar al-duwal al-munqatl'a*, ed. A. Ferré. Cairo, 1972.
- Idris 'Imad al-Din b. al-Hasan. *Ta'rikh al-khulafa' al-Fatimiyyin bi'l-Maghrib* (= *'Uyun al-akhbar*, vol. 5 and part of vol. 6), ed. M. al-Ya'lawi. Beirut, 1985.
- 'Uyun al-akhbar wa-funun al-athar*, vols. 4-6, ed. M. Ghalib. Beirut, 1973-1984.
- Iskandar Beg Munshi. *Ta'rikh-i 'alam-ara-yl 'Abbasi*, ed. I. Afshar. Tehran, 1334-1335/ 1955-1956. English trans. R. M. Savory, *History of Shah 'Abbas the Great*. Boulder, Col., 1978-1986.
- Ja'far b. Mansur al-Yaman, Abu'l-Qasim. *Kitab al-kashf*, ed. R. Strothmann. London, etc., 1952; ed. M. Ghalib. Beirut, 1984.
- al-Jawdhari, Abu 'Ali Mansur al-'Azizi. *Sirat al-ustadh Jawdhar*, ed. M. Kamil Husayn and M. 'A. Sha'ira. Cairo, 1954. French trans. M. Canard, *Vie de l'ustadh Jaudhar*. Algiers, 1958.
- Juwayni, 'Ala' al-Din 'Ata Malik b. Muhammad. *Ta'rikh-i jahan-gushay*, ed. M. Qazvini. Leiden-London, 1912-1937. English trans. John A. Boyle, *The History of the World-Conqueror*. Manchester, 1958.
- Juzjani, Minhaj al-Din Abu, 'Amr 'Uthman b. Siraj al-Din Muhammad. *Tabaqat-i Nasiri*, ed. 'Abd al-Hayy Habibi. 2nd edn, Kabul, 1342-1343/ 1963-1964. English trans. Henry G. Raverty, *The Tabakat-i-Nasiri: A General History of the Muhammadan Dynasties of Asia*. London, 1881-1899.
- Kashani, Abu'l-Qasim 'Abd Allah b. 'Ali. *Ta'rikh-i Uljaytu*, ed. M. Hambly. Tehran, 1348/1969.
- Zubdat al-tawarikh-i Fatimiyan va Nizariyan*, ed. M. T. Danishpazhuh. 2nd edn, Tehran, 1366/1987.
- Khams rasa'il Isma'iliyya*, ed. 'Arif Tamir. Salamiyya, 1956.
- al-Khushani, Abu 'Abd Allah Muhammad b. Harith. *Kitab tabaqat 'ulama' Ifriqiya*, ed. M. Ben Cheneb. Paris, 1915-1920.

- al-Kuwarazmi, Abu 'Abd Allah Muhammad b. Ahmad. *Mafatih al-'ulum*. Cairo, 1923.
- al-Kindi, Abu 'Umar Muhammad b. Yusuf. *Kitab al-wulat wa-kitab al-qudat*, ed. R. Guest under the title *The Governors and Judges of Egypt*. Leiden-London, 1912.
- al-Kirmani, Hamid al-Din Ahmad b. 'Abd Allah. *Kitab al-riyad*, ed. 'A. Tamir. Beirut, 1960.
- Kitab al-'alim wa'l-ghulam*, ed M. Ghalib, in his *Arba' kutub haqqaniyya*. Beirut, 1983, pp. 13-75. Abridged English trans. W. Ivanow, 'The Book of the Teacher and the Pupil', in his *Studies in Early Persian Ismailism*, pp. 61-86.
- al-Kulayni, Abu Ja'far Muhammad b. Ya'qub. *al-Usul min al-Kafi*, ed. 'A. A. al-Ghaffari. Tehran, 1388/1968.
- al-Majdu', Isma'il b. 'Abd al-Rasul. *Fihrist al-kutub wa'l-rasa'il*, ed. 'A. N. Munzavi. Tehran, 1966.
- al-Maqrizi, Taqi al-Din Ahmad b. 'Ali. *Itti'az al-hunafa' bi-akhbar al-a'imma al-Fatimiyyin al-khulafa'*, ed. J. al-Shayyal and M. H. M. Ahmad. Cairo, 1967-1973; partial edition of volume one by H. Bunz. Leipzig, 1909.
- Kitab al-mawa'iz wa'l-i'tibar bi-dhkr al-khitat wa'l-athar*. Bulaq, 1270/1853-1854.
- Kitab al-muqaffa al-kabir*, ed. M. al-ya'lawi. Beirut, 1987.
- Kitab al-suluk li-ma'rifat duwal al-muluk*, vols. 1-2, ed. M. M. Ziyada and S. 'A. F. 'Ashur. Cairo, 1936-1958. Partial English trans. Ronald J. C. Broadhurst, *A History of the Ayyubid Sultans of Egypt*. Boston, 1980.
- al-Mas'udi, Abu'l-Hasan 'Ali b. al-Husayn. *Kitab al-tanbih wa'l-ishraf*, ed. M. J. de Goeje. Leiden, 1894. French trans. B. Carra de Vaux, *Le Livre de l'avertissement et de la revision*. Paris, 1896.
- Miskawayh, Abu 'Ali Ahmad b. Muhammad. *Tajarib al-umam*, ed. and tr. H. F. Amedroz and D. S. Margoliouth under the title *The Eclipse of the 'Abbasid Caliphate*. Oxford, 1920-1921.
- al-Mu'ayyad fi'l-Din al-Shirazi, Abu Nasr Hibat Allah b. Abi 'Imran Musa. *Diwan*, ed. M. Kamil Husayn. Cairo, 1949.
- al-Majalis al-Mu'ayyadtiyya*, vols. 2 dn 3, ed. M. Ghalib. Beirut, 1974-1984.

- Sirat al-Mu'ayyad fi'l-Din da'l al-du'at*, ed. M. Kamil Husayn. Cairo, 1949.
- Mufaddal b. Abi'l-Fada'il. *al-Nahj al-sadid*, ed. and tr. E. Blochet under the title *Histoire des sultans Mamlouks*, in *Patrologia Orientalis*, 12 (1919), pp. 345-550, 14 (1920), pp. 375-672, and 20 (1929), pp. 3-270; ed. S. Kortantamer. Freiburg, 1973.
- al-Muqaddasi (al-Maqdisi), Shams al-Din Abu 'Abd Allah Muhammad b. Ahmad. *Ahsan al-taqasim fi ma'rifat al-aqalim*, ed. M. J. de Goeje. 2nd edn, Leiden, 1906.
- al-Musabbih, 'Izz al-Mulk Abu 'Abd Allah Muhammad b. 'Ubayd Allah. *Akhbar Misr*, ed. A. Fu'ad Sayyid et al. Cairo, 1978-1984.
- al-Nahrawali (al-Nahrawani), Qutb al-Din Muhammad b. Ahmad. *al-I'lam bi-a'lam balad Allah al-haram*, ed. F. Wustenfeld, in his *Die Chroniken der Stadt Mekka*, vol. 3. Leipzig, 1857.
- Nasir-i Khusraw. *Jami' al-hikmatayn*, ed. H. Corbin and M. Mu'in. Tehran-Paris, 1953. French trans. I. de Gastine, *Le livre reunissant les deux sagesse*. Paris, 1990.
- Khwan al-ikhwan*, ed. Y. al-Khashshab. Cairo, 1940.
- Safar-nama*. Berlin, 1341/1922; ed. M. Dabir Siyaqi. 5th edn, Tehran, 1356/1977. English trans. W. M. Thackston, Jr., *Naser-e Khosraw's Book of Travels*. Albany, N.Y., 1986.
- al-Nawbakhti, Abu Muhammad al-Hasan b. Musa. *Firqat al-Shi'a*, ed. H. Ritter. Istanbul, 1931.
- Nizam al-Mulk, Abu 'Ali al-Hasan b. 'Ali al-Tusi. *Siyar al-muluk (Siyasat-nama)*, ed. 'A. Iqbal. Tehran, 1320/1941; ed. H. Darke. 2nd edn, Tehran, 1347/1968. English trans. H. Darke, *The Book of Government or Rules for Kings*, 2nd edn, London, 1968.
- al-Nu'man b. Muhammad, al-Qadi Abu Hanifa. *Asas al-ta'wil*, ed. 'A. Tamir. Beirut, 1960.
- Da'a'im al-Islam*, ed. Asaf A. A. Fyzee. Various editions, Cairo, 1951-1969. Partial English trans. Asaf A. A. Fyzee, *The Book of Faith*. Bombay, 1974.
- Iftitah al-da'wa*, ed. W. al-Qadi. Beirut, 1970; ed. F. al-Dashrawi. Tunis, 1975.
- Kitab al-himma fi adab atba' al-a'imma*, ed. M. Kamil Husayn. Cairo, n.d. [1948].

- Kitab ikhtilaf usul al-madhahib*, ed. S. T. Lokhandwalla. Simla, 1972.
- Kitab al-igtisar*, ed. M. W. Mirza. Damascus, 1957.
- Kitab al-majalis wa'l-musayarat*, ed. al-Habib al-Faqi et al. Tunis, 1978.
- Sharh al-akhbar*, ed. S. M. al-Husayni al-Jalali. Qumm, 1409-1412/ 1988-1992.
- Ta'wil al-da'a'im*, ed. M. H. al-A'zami. Cairo, 1967-1972.
- al-Nuwayri, Shihab al-Din Ahmad b. 'Abd al-Wahhab. *Nihayat al-arab fi funun al-adab*, vol. 25, ed. M. J. 'A. al-Hini et al. Cairo, 1984.
- al-Qalqashandi, Shihab al-Din Abu'l-'Abbas Ahmad b. 'Ali. *Subh al-a'sha fi sina'at al-insha'*. Cairo, 1331-1338/ 1913-1920.
- al-Qummi, Sa'd b. 'Abd Allah al-Ash'ari. *Kitab al-maqalat wa'l-firaq*, ed. M. J. Mashkur. Tehran, 1963.
- Rasa'il Ikhwan al-Safa'*. Beirut, 1957.
- Rashi al-Din Tabib, Fadl Allah b. 'Imad al-Dawla Abi'l-Khayr. *Janu' al-tawarikh*, vol. 3, ed. A. A. Alizade. Baku, 1957.
- Janu' al-tawarikh; qismat-i Isma'iliyan va Fatimiyan va Nizariyan va da'iyān va rafiqan*, ed. M. T. Danishpazhuh and M. Mudarrisi Zanjani. Tehran, 1338/ 1959.
- al-Rawandi, Muhammad b. 'Ali. *Rahat al-sudur wa-ayat al-surur*, ed. M. Iqbal. London, 1921.
- al-Razi, Abu Hatim Ahmad b. Hamdan. *A'lam al-nubuwwa*, ed. S. al-Sawi and G. R. A'vani. Tehran, 1977. Extracts in P. Kraus, 'Raziana II', *Orientalia*, NS, 5 (1936), pp. 35-56, 358-378.
- Kitab al-zina*, vols. 1-2, ed. H. F. al-Hamdani. Cairo, 1957-1958; vol. 3, ed. 'Abd Allah S. al-Samarra'i, in his *al-Ghuluww w'l-firaq al-ghaliya*. Baghdad, 1972, pp. 245-312.
- al-Shahrastani, Abu'l-Fath Muhammad b. 'Abd al-Karim. *Kitab al-milal wa'l-nihal*, ed. W. Cureton. London, 1842. Partial English trans. A. K. Kazi and J. G. Flynn, *Muslim Sects and Divisions*. London, 1984. French trans. D. Gimaret and G. Monnot, *Livre des religions et des sectes*. Paris, 1986.
- al-Shushtari, al-Qadi Nur Allah. *Majalis al-mu'minin*. Tehran, 1365/ 1986.
- Sibt Ibn al-Jawzi. *Mir'at al-zaman*. Hyderabad, 1951.
- al-Sijistani, Abu Ya'qub Ishaq b. Ahmad. *Kashf al-mahjub*, ed. H. Corbin. Tehran-

- Paris, 1949. French trans. H. Corbin, *Le dévoilement des choses cachees*. La-grasse, 1988.
- Kitab al-yanabi'*, ed. and partial French tr. Henry Corbin, in his *Trilogie Ismaeliennne*. Tehran-Paris, 1961, text pp. 1-97, translation pp. 1-127. English trans. Paul E. Walker, in his *The Wellsprings of Wisdom*. Salt Lake City, 1994, pp. 37-111.
- al-Tabari, Abu Ja'far Muhammad b. Jarir. *Ta'rikh al-rusul wa'l-muluk*, ed. M. J. de Goeje et al., 3 series. Leiden, 1879-1901. English trans. by various scholars, *The History of al-Tabari*. Albany, N.Y., 1985-
- Ta'rikh-i Sistan, ed. Malik al-Shu'ara' Bahar. Tehran, 1314/ 1935. English trans. M. Gold, *The Tarikh-e Sistan*. Rome, 1976.
- al-Tusi, Khawaja Nasir al-Din Muhammad b. Muhammad. *Akhlag-i Muhtashami*, ed. M. T. Danishpazhuh. Tehran, 1361/ 1982.
- Akhlag-i Nasiri*, ed. M. Minuvi and 'A. Haydari. Tehran, 1356/ 1977. English trans. G. M. Wickens, *The Nasirean Ethics*. Lonson, 1964.
- Rawdat al-taslim*, ed. and tr. W. Ivanow. Leiden, 1950.
- Umm al-kitab*, ed. W. Ivanow, in *Der Islam*, 23 (1936), pp. 1-132. Italian trans. P. Filippini-Ronconi, *Ummu'l-Kitab*. Naples, 1966.
- Yaqut, Abu 'Abd Allah Ya'qub b. 'Abd Allah al-Hamawi al-Rumi. *Mu'jam al-buldan*, ed. F. Wustenfeld. Leipzig, 1866-1873. Partial French trnas. C. Barbier de Meynard, *Dictionnaire geographique, historique et litteraire de la Perse*. Paris, 1861.
- Zahir al-Din Nishapuri. *Saljuq-nama*. Tehran, 1332/ 1953.

## SECONDARY WORKS

- Arendonk, C. van. *Les debuts de l'Imamat Zaidite au Yemen*, tr. J. Ryckmans. Leiden, 1960.
- Asani, Ali S. 'The Khojki Script: A Legacy of Isma'ili Islam in the Indo-Pakistan Subcontinent', *JAOS*, 107 (1987), pp. 439-449.
- The Bujh Niranjani: An Ismaili Mystical Poem*. Cambridge, Mass., 1991.
- The Ginan Literature of the Ismailis of Indo-Pakistan: Its Origins, Characteristics and Themes', in *Devotion Divine: Bhakti Traditions from the Regions of In-*

- dia*, ed. D. Eck and F. Mallison. Groningen-Paris, 1991, pp. 1-18.
- 'The Ismaili *Ginans* as Devotional Literature', in *Devotional Literature in South Asia*, ed. R. S. McGregor. Cambridge, 1992, pp. 101-112.
- Barthold, Vasilii V. *Turkestan down to the Mongol Invasion*, ed. C. E. Bosworth, 3rd edn, London, 1968.
- Bausani, Alessandro. 'Scientific Elements in Isma'ili Thought: The Epistles of the Brethren of Purity (*Ikhwan al-Safa'*)', in *Isma'ili Contributions to Islamic Culture*, pp. 121-140.
- Becker, Carl H. *Beitrage zur Geschichte Agyptens unter dem Islam*. Strassburg, 1902-1903.
- 'Badr al-Djamali', *EI2*, vol. 1, pp. 869-870.
- Bianquis, Thierry. 'La prise de pouvoir par les Fatimides en Egypte (357-363/ 968-974)', *Annales Islamologiques*, 11 (1972), pp. 49-108.
- Damas et la Syrie sous la domination Fatimide, 359-468/ 969-1076*. Damascus, 1986-1989.
- Bosworth, C. Edmund. 'The Political and Dynastic History of the Iranian World (A.D. 1000-1217)', in *The Cambridge History of Iran: Volume 5*, pp. 1-202, 683-689.
- Sistan under the Arabs, from the Islamic Conquest to the Rise of the Saffarids (30-250/ 651-864)*. Rome, 1968.
- The Medieval History of Iran, Afghanistan and Central Asia*. London, 1977.
- 'The Interaction of Arabic and Persian Literature and Culture in the 10th and early 11th Centuries', *al-Abhath*, 27 (1978-1979), pp. 59-75, reprinted in his *Medieval Arabic Culture and Administration*. London, 1982, article VIII.
- The History of the Saffarids of Sistan and the Maliks of Nimruz (247/ 861 to 949/ 1542-3)*. Costa mesa, Calif., and New York, 1994.
- 'Abbasid Caliphate in Iran', *EIR*, vol. 1, pp. 89-95.
- Bowen, Harold, *The Life and Times of 'Ali Ibn 'Isa 'The Good Vizier'*. Cambridge, 1928.
- Browne, Edward G. *A Literary History of Persia*. Cambridge, 1928.
- Bruijn, J. T. P. de. 'al-Kirmani', *EI2*, vol. 5, pp. 166-167.
- Brunschvig, Robert. 'Fiqh Fatimide et histoire de l'Ifriqiya', in *Melanges d'histoire*

- et d'archeologie de l'occident Musulman, Hommages a G. Marcais*. Algiers, 1957, vol. 2, pp. 13-20.
- The Cambridge History of Iran: Volume 5, The Saljuq and Mongol Periods*, ed. J. A. Boyle. Cambridge, 1968.
- Canard, Marius. 'L'imperialisme des Fatimides et leur propagande', *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales*, 6 (1942-1947), pp. 156-193, reprinted in his *Miscellanea Orientalia*. London, 1973, article II.
- 'Da'wa', EI2, vol. 2, pp. 168-170.
- 'Fatimids', EI2, vol. 2, pp. 850-862.
- Casanova, Paul. 'Monnaie des Assassins de Perse', *Revue Numismatique*, 3 serie, 11 (1893), pp. 343-352.
- 'Notice sur un manuscrit de la secte des Assassins', *Journal Asiatique*, 9 serie, 11 (1898), pp. 151-159.
- 'Une date astronomique dans les Epitres des Ikhwan as-Safa', *Journal Asiatique*, 11 serie, 5 (1915), pp. 5-17.
- 'La doctrine secrete des Fatimides d'Egypte', BIFAO, 18 (1921), pp. 121-165.
- Corbin, Henry. *Etude preliminaire pour le 'Livre reunissant les deux sagesse' de Nasir-e Khosraw*. Tehran-Paris, 1953.
- 'L'initiation Ismaelienne ou l'esoterisme et le Verbe', *Eranos Jahrbuch*, 39 (1970), pp. 41-142, reprinted in his *L'Homme et son ange*. Paris, 1983, pp. 81-205.
- 'Nasir-i Khusrau and Iranian Isma'ilism', in *The Cambridge History of Iran: Volume 4*, pp. 520-542, 689-690.
- 'Un roman initiatique Ismaelien', *Cahiers de Civilisation Medievale*, 15 (1972), pp. 1-25, 121-142.
- Cyclical Time and Ismaili Gnosis*, tr. R. Manheim and J. W. Morris. London, 1983.
- Dabashi, Hamid. 'Farhang-i siyasi-yi Shahnama: Andisha-yi siyasi-yi filsuf/ Padishah dar saltanat-i Khusraw Anushirwan', *Iranshenasi*, 2 (1990), pp. 321-341.
- Dachraoui, Farhat. *Le Califat Fatimide au Maghreb, 296-365 H./ 909-975 Jc*. Tunis, 1981.



- 'al-Mahdi 'Ubayd Allah', EI2, vol. 5, pp. 1242-1244.
- 'al-Nu'man', EI2, vol. 8, pp. 117-118.
- Daftary, Farhad. *The Isma'ilis: Their History and Doctrines*. Cambridge, 1990.
- 'The Earliest Isma'ilis', *Arabica*, 38 (1991), pp. 214-245.
- 'Persian Historiography of the Early Nizari Isma'ilis', *Iran, Journal of the British Institute of Persian Studies*, 30 (1992), pp. 91-97.
- 'A Major Schism in the Early Isma'ili Movement', *Studia Islamica*, 77 (1993), pp. 123-139.
- The Assassin Legends: Myths of the Isma'ilis*. London, 1994.
- 'Carmatians', EIR, vol. 4, pp. 823-832.
- 'Da'i', EIR, vol. 6, pp. 590-593.
- 'Rashid al-Din Sinan', I2, vol. 8, pp. 442-443.
- Daiber, Hans, 'Abu Hatim ar-Razi (10th Century A.D.) on the Unity and Diversity of Religions', in *Dialogue and Syncretism: An Interdisciplinary Approach*, ed. J. Gort et al. Grand Rapids, Michigan, 1989, pp. 87-104.
- Defremery, Charles F. 'Nouvelles recherches sur les Ismaeliens ou Bathiniens de Syrie', *Journal Asiatique*, 5 serie, 3 (1854), pp. 373-421, and 5 (1855), pp. 5-76.
- van Ess, Josef. *Frühe mu'tazilitische Haresiographie*. Beirut, 1971.
- Chiliasmatische Erwartungen und die Versuchung der Göttlichkeit. Der Kalif al-Hakim (386-411 H.)*. Heidelberg, 1977.
- Filippini-Ronconi, Pio. *Ismaeliti ed 'Assassini'*. Milan, 1973.
- Fyzee, Asaf A. A. 'Qadi an-Nu'man: The Fatimid Jurist and Author', *JRAS* (1934), pp. 1-32.
- 'Shi'i Legal Theories', in *Law in the Middle East: Vol. 1, Origins and Development of Islamic Law*, ed. M. Khadduri and H. Liebesny. Washington D.C., 1955, pp. 113-131.
- Compendium of Fatimid Law*. Simla, 1969.
- 'Aspects of Fatimid Law', *Studia Islamica*, 31 (1970), pp. 81-91.
- Outlines of Muhammadan Law*. 4th edn, Delhi, 1974.
- 'al-Nu'man', EI, vol. 3, p. 953-954.
- Gibb, Hamilton A. R. and Kraus, P. 'al-Mustansir', EI2, vol. 7, pp. 792-732.

- Goeje, Michael Jan de. *Memoire sur les Carmathes du Bahrain et les Fatimides*. 2nd edn, Leiden, 1886.
- 'La fin de l'empire des Carmathes du Bahrain', *Journal Asiatique*, 9 serie, 5 (1895), pp. 5-30.
- Guyard, Stanislas. *Fragments relatifs a la doctrine des Ismaelites*. Paris, 1874.
- Halm, Heinz. *Kosmologie und Heilslehre der fruhen Isma'iliya: Eine Studie zur islamischen Gnosis*. Wiesbaden, 1978.
- 'Die Sohne Zikrawaihs und das erste fatimidische Kalifat (290/903)', *WO*, 10 (1979), pp. 30-53.
- Die islamische Gnosis: Die extreme Schia und die 'Alawiten*. Zurich-Munich, 1982.
- 'Der Treuhander Gottes: Die Edikte des Kalifen al-Hakim', *Der Islam*, 63 (1986), pp. 11-72.
- Shiism*, tr. J. Watson. Edinburgh, 1991.
- Das Reich des Mahdi: Der Aufstieg der Fatimiden (875-973)*. Munich, 1991.
- 'Die Fatimiden', in *Geschichte der arabischen Welt*, ed. U. Haarmann. Munich, 1991, pp. 166-199, 605-606, 637-638.
- 'Abu Hatem Razi', *EIR*, vol. 1, p. 315.
- 'Bateniya', *EIR*, vol. 3, pp. 861-863.
- Hamadani, Abbas. 'Evolution of the Organisational Structure of the Fatimi Da'wah', *Arabian Studies*, 3 (1976), pp. 85-114.
- 'Abu Hayyan al-Tawhidi and the Brethren of Purity', *IJMES*, 9 (1978), pp. 345-353.
- 'An Early Fatimid Source on the Time and Authorship of the *Rasa'il Ikwan al-Safa'*', *Arabica*, 26 (1979), pp. 62-75.
- 'Shades of Shi'ism in the Tracts of the Brethren of Purity', in *Traditions in Contact and Change*, d. P. Slater and D. Wiebe. Waterloo, Ont., 1983, pp. 447-460, 726-628.
- 'The Arrangement of the *Rasa'il Ikhwān al-Safā'* and the Problem of Interpolations', *Journal of Semitic Studies*, 29 (1984), pp. 97-110.
- 'Fatimid History and Historians', in *The Cambridge History of Arabic Literature: Religion, Learning and Science in the 'Abbasid Period*, ed. M. J. L. Young et al. Cambridge, 1990, pp. 234-247, 535-536.

- al-Hamdani, Husain F. 'Rasa'il Ikhwan as-Safa in the Literature of the Isma'ili Taiy-ibi Da'wat', *Der Islam*, 20 (1932), pp. 281-300.
- Hasan, Hasan Ibrahim. *Ta'rikh al-dawla al-Fatimiyya*. 3rd edn, Cairo, 1964.
- Hasan, Hasan I. and Sharaf, Taha A. *al-Mu'izz li-Din Allah*. Cairo, 1367/1948.
- 'Ubayd Allah al-Mahdi. Cairo, 1947.
- Hawley, John S. 'Author and Authority in the Bhakti Poetry of North India', *Journal of Asian Studies*, 47 (1988), pp. 269-290.
- Hodgson, Marshall G. S. *The Order of Assassins: The Struggle of the Early Nizari Isma'ilis against the Islamic World*. The Hague, 1955.
- 'The Isma'ili State', in *the Cambridge History of Iran: Volume 5*, pp. 422-482.
- 'Batiniyya', *EI2*, vol. 1, pp. 1098-1110.
- 'Hasan-i Sabbah', *EI2*, vol. 3, pp. 253-254.
- Hourcade, Bernard. 'Alamut', *EIR*, vol. 1, pp. 797-801.
- Huma'i, Jalal al-Din. 'Muqaddima-yi qadim-i Akhlaq-i Nasiri', *Majalla-yi Danishkada-yi Adabiyyat, Danishgah-i Tehran*, 3 (1335/ 1956), pp. 17-25.
- al-Imad, Leila S. *The Fatimid Vizierate, 969-1172*. Berlin, 1990.
- Isma'ili Contributions to Islamic Culture*, ed. S. H. Nasr. Tehran, 1977.
- Ivanow, Wladimir [Vladimir Alekseevich]. 'Notes sur l'Ummu'l-Kitab des Ismaeliens de l'Asie Centrale', *Revue des Etudes Islamiques*, 6 (1932), pp. 419-481.
- 'Some Ismaili Strongholds in Persia', *Islamic Culture*, 12 (1938), pp. 383-396.
- 'An Ismaili Poem in Praise of Fidawis', *JBBRAS*, NS, 14 (1938), pp. 63-72.
- 'The Organization of the Fatimid Propaganda', *JBBRAS*, NS, 15 (1939), pp. 1-35.
- 'Ismailis and Qarmatians', *JBBRAS*, NS, 16 (1940), pp. 43-85.
- Ismaili Tradition Concerning the Rise of the Fatimids*. London, etc., 1942.
- The Alleged Founder of Ismailism*. Bombay, 1946.
- Nasir-i Khusraw and Ismailism*. Bombay, 1948.
- 'Satpanth', in *Collectanea*: Vol. 1, ed. W. Ivanow. Leiden, 1948. pp. 1-54.
- Brief Survey of the Evolution of Ismailism*. Leiden, 1952.
- Studies in Early Persian Ismailism*. 2nd edn, Bombay, 1955.
- Ibn al-Qaddah (The Alleged Founder of Ismailism)*. 2nd revised edn, Bombay, 1957.

- Alamut and Lamasar: Two Medieval Ismaili Strongholds in Iran*. Tehran, 1960.
- 'Isma'iliya', EI, Supplement, pp. 98-102. reprinted in SEI, pp. 179-183.
- Jambet, Christian. *La grande resurrection d'Alamut*. Lagrasse, 1990.
- Kassam, Tazim R. 'Syncretism on the Model of Figure-Ground: A Study of Pir Sham's *Brahma Prakasa*', in *Hermeneutical Paths to the Sacred Worlds of India*, ed. K. K. Young. Atlanta, 1994, pp. 231-241.
- Kiya, Sadiq. *Nuqtawiyān ya Pisikhaniyan*. Tehran, 1320/ 1941.
- Klausner, Carla L. *The Seljuk Vezirate: A Study of Civil Administration, 1055-1194*. Cambridge, Mass., 1973.
- Kleiss, Wolfram. 'Assassin Castles in Iran', in *The Art of the Saljuqs in Iran and Anatolia*, ed. R. Hillenbrand. Costa Mesa, Calif., 1994. pp. 315-319.
- Klemm, Verena. *Die Mission des fatimidischen Agenten al-Mu'ayyad fi d-din in Shiraz*. Frankfurt, etc., 1989.
- Lambton, Ann K.S. *Continuity and Change in Medieval Persia*. Albany, N.Y., 1988.
- Lev, Yaacov. *State and Society in Fatimid Egypt*. Leiden, 1991.
- Lewis, Bernard. *The Origins of Isma'ilism: A Study of the Historical Background of the Fatimid Caliphate*. Cambridge, 1940.
- 'Isma'ili Notes', BSOAS, 12 (1947-1948), pp. 597-600.
- 'The Sources for the History of the Syrian Assassins', *Speculum*, 27 (1952), pp. 475-489, reprinted in his *Studies in Classical and Ottoman Islam (7th-16th Centuries)*. London, 1976. article VIII.
- 'The Isma'ilites and the Assassins', in *A History of the Crusades*, ed. K. M. Setton: Volume 1, *The First Hundred Years*, ed. M. W. Baldwin. 2nd edn, Madison, Wisconsin, 1969, pp. 99-132.
- The Assassins: A Radical Sect in Islam*. London, 1967.
- 'Ibn 'Attash', EI2, vol. 3, p. 725.
- Little, Donald P. *An Introduction to Mamluk Historiography*. Wiesbaden, 1970.
- Madelung, Wilferd. 'Fatimiden und Bahraïnqarmaten', *Der Islam*, 34 (1959), pp. 34-88.
- 'Das Imamāt in der frühen ismailitischen Lehre', *Der Islam*, 37 (1961), pp. 43-135.
- Der Imam al-Qasim ibn Ibrahim und die Glaubenslehre der Zaiditen*. Berlin, 1965.

- 'The Assumption of the Title Shahanshah by the Buyids and the Reign of the Day-lam (*Dawlat al-Daylam*)', *Journal of Near Eastern Studies*, 28 (1969), pp. 84-108, 168-183, reprinted in his *Religious and Ethnic Movements in Medieval Islam*. London, 1992, article VIII.
- 'The Sources of Isma'ili Law', *Journal of Near Eastern Studies*, 35 (1976), pp. 29-40, reprinted in his *Religious Schools and Sects*, article XVIII.
- 'Aspects of Isma'ili Theology: The Prophetic Chain and the God Beyond Being', in *Isma'ili Contributions to Islamic Culture*, pp. 51-65, reprinted in his *Religious Schools and Sects*, article XVII.
- Religious Schools and Sects in Medieval Islam*. London, 1985.
- 'Nasir ad-Din Tusi's Ethics between Philosophy, Shi'ism, and Sufism', in *Ethics in Islam*, ed. R. G. Hovannisian. Malibu, Calif., 1985, pp. 85-101.
- Religious Trends in Early Islamic Iran*. Albany, N.Y., 1988.
- 'Abu Ya'qub al-Sijistani and Metempsychosis', in *Iranica Varia: Papers in Honor of Professor Ehsan Yarshater*. Leiden, 1990, pp. 131-143.
- 'Cosmogony and Cosmology: vi. In Isma'ilism', *EIR*, vol. 6, pp. 322-326.
- 'Isma'iliyya', *EI2*, vol. 4, pp. 198-206.
- 'Karmati', *EI2*, vol. 4, pp. 660-665.
- 'Khodja', *EI2*, vol. 5, pp. 25-27.
- 'Shiism: Isma'iliyah', in *The Encyclopedia of Religion*, vol. 13, pp. 247-260.
- Marquet, Yves. *La Philosophie des Ikhwan al-Safa'*. Algiers, 1975.
- 'Ikhwan al-Safa'', *EI2*, vol. 3, pp. 1071-1076.
- Massignou, Louis. 'Esquisse d'une bibliographie Qarmate', in *A Volume of Oriental Studies Presented to Edward G. Browne*, ed. T. W. Arnold and R. A. Nicholson. Cambridge, 1922, pp. 329-338.
- 'Karmatians', *EI*, vol. 2, pp. 767-772.
- Melville, Charles. 'The Itineraries of Sultan Oljeitu, 1304-16', *Iran, Journal of the British Institute of Persian Studies*, 28 (1990), pp. 55-70.
- 'The Year of the Elephant: Mamluk-Mongol Rivalry in the Hejaz in the Reign of Abu Sa'id (1317-1335)', *Studia Iranica*, 21 (1992), pp. 197-214.
- Miles, George C. 'Coins of the Assassins of Alamut', *Orientalia Lovaniensia Periodica*, 3 (1972), pp. 155-162.

- Minasian, Caro O. *Shah Diz of Isma'ili Fame, its Siege and Destruction*. London, 1971.
- Mudarris Radavi, Muhammad Taqi. *Ahval va athar-i Khwaja Nasir al-Din Tusi*. Tehran, 1354/ 1975.
- Mudarrisi Zanjani, Muhammad. *Sargudhasht va 'aqa'id-i falsafi-yi Khwaja Nasir al-Din Tusi*. Tehran, 1363/1984.
- Muqallid, 'Ali. *Nizam al-hukm fi'l-Islam: Aw al-nubuwwa wa'l-imama 'ind Nasir al-Din al-Tusi*. Beirut, 1406/1986.
- Nanji, Azim. 'An Isma'ili Theory of *Walayah* in the *Da'a'im al-Islam* of Qadi al-Nu'man', in *Essays on Islamic Civilization Presented to Niyazi Berkes*, ed. D.P. Little. Leiden, 1976, pp. 260-273.
- The Nizari Isma'ili Tradition in the Indo-Pakistan Subcontinent*. Delmar, N.Y., 1978.
- 'Isma'ilism, in *Islamic Spirituality: Foundations*, ed. S. H. Nasr. London, 1987, pp. 179-198, 432-433.
- 'Nasir-i Khusraw', EI2, vol. 7, pp. 1006-1007.
- Nasr, S. Hossein. *An Introduction to Islamic Cosmological Doctrines*. 2nd edn, Albany, N.Y., 1993.
- Netton, Ian R. *Muslim Neoplatonists: An Introduction to the Thought of the Brethren of Purity (Ikhwan al-Safa')*. London, 1982.
- Poonawala, Ismail K. 'Al-Qadi al-Nu'man's Works and the Sources', BSOAS, 36 (1973), pp. 109-115.
- 'A Reconsideration of al-Qadi al-Nu'man's *Madhhab*', BSOAS, 37 (1974), pp. 572-579.
- 'Al-Sijistani and his *Kitab al-Maqalid*', in *Essays on Islamic Civilization Presented to Niyazi Berkes*, ed. D. P. Little. Leiden, 1976, pp. 274-283.
- 'Isma'ili ta'wil of the Qur'an', in *Approaches to the History of the Interpretation of the Qur'an*, ed. A. Rippin. Oxford, 1988, pp. 199-222.
- 'al-Mu'ayyad fi'l-Din', EI2, vol. 7, pp. 270-271.
- 'al-Nasafi', EI2, vol. 7, p. 968.
- al-Qadi, Wadad. 'An Early Fatimid Political Document', *Studia Islamica*, 48 (1978), pp. 71-108.

- Quatremere, Etienne M. 'Notice historique sur les Ismaéliens', *Fundgruben des Orients*, 4 (1814), pp. 339-376.
- Rypka, Jan. *History of Iranian Literature*, ed. K. Jahn. Dordrecht, 1968.
- Sayyid, Ayman Fu'ad. 'Lumieres nouvelles sur quelques sources de l'histoire Fatimide en Egypte', *Annales Islamologiques*, 13 (1977), pp. 1-41.
- al-Dawla al-Fatimiyya fi Misr*. Cairo, 1992.
- Scarcia Amoretti, B. 'Sects and Heresies', in *The Cambridge History of Iran: Volume 4*, pp. 481-519, 688-689.
- Schacht, Joseph. *The Origins of Muhammadan Jurisprudence*. Oxford, 1950.
- Shackle, Christopher and Moir, Zawahir. *Ismaili Hymns from South Asia: An Introduction to the Ginans*. London, 1992.
- Silvestre de Sacy, Antoine L. *Chrestomathie Arabe*. 2nd edn, Paris, 1826-1827.
- Exposé de la religion des Druzes*. Paris, 1838.
- Stern, Samuel M. 'The Authorship of the Epistles of the Ikhwan-as-Safa', *Islamic Culture*, 20 (1946), pp. 367-372, and 21 (1947), pp. 403-404.
- 'The Epistle of the Fatimid Caliph al-Amir (al-Hidaya al-Amiriyya) - its Date and its Purpose', *JRAS* (1950), pp. 20-31, reprinted in his *History and Culture in the Medieval Muslim World*. London, 1984, article X.
- 'Heterodox Isma'ilism at the Time of al-Mu'izz', *BSOAS*, 17 (1955), pp. 10-33.
- 'The Early Isma'ili Missionaries in North-West Persia and in Khurasan and Transoxania', *BSOAS*, 23 (1960), pp. 56-90.
- 'Isma'ilis and Qarmatians', in *L'Elaboration de l'Islam*, Colloque de Strasbourg. Paris, 1961, pp. 99-108.
- 'New Information about the Authors of the Epistles of the Sincere Brethren', *Islamic Studies*, 3 (1964), pp. 405-428.
- 'Cairo as the Centre of the Isma'ili Movement', in *Colloque international sur l'histoire du Caire*. Cairo, 1972, pp. 437-450.
- 'The Earliest Cosmological Doctrines of Isma'ilism', in his *Studies in Early Isma'ilism*, pp. 3-29.
- Studies in Early Isma'ilism*. Jerusalem-Leiden, 1983.
- Strothmann, Rudolf. 'Recht der Ismailiten', *Der Islam*, 31 (1954), pp. 131-146.
- 'al-Tusi, Nasir al-Din', *EL*, vol. 4, pp. 980-981.

- Sutuda, Manuchihr. *Qila'-i Isma'iliyya*. Tehran, 1345/1966.
- Walker, Paul E. 'An Isma'ili Answer to the Problem of Worshipping the Unknowable, Neoplatonic God', *American Journal of Arabic Studies*, 2 (1974), pp. 7-21.
- 'The Ismaili Vocabulary of Creation', *Studia Islamica*, 40 (1974), pp. 75-85.
- 'The Doctrine of Metempsychosis in Islam', in *Islamic Studies Presented to Chries J. Adams*, ed. W. B. Hallaq and D. P. Little, Leiden, 1991, pp. 219-238.
- 'The Universal Soul and the Particular Soul in Isma'ili Neoplatonism', in *Neoplatonism and Islamic Thought*, ed. P. Morewedge. Albany, N.Y., 1992, pp. 149-166.
- Early Philosophical Shiism: The Ismaili Neoplatonism of Abu Ya'qub al-Sijistani*. Cambridge, 1993.
- 'The Ismaili Da'wa in the Reign of the Fatimid Caliph al-Hakim', *Journal of the American Research Center in Egypt*, 30 (1993), pp. 161-182.
- 'Abu Tammam and his *Kitab al-Shajara*: A New Ismaili Treatise from Tenth-Century Khurasan', *JAOS*, 114 (1994), pp. 343-352.
- 'Abu Ya'qub Sejestani', *BJR*, vol. 1, pp. 396-398.
- Willey, Peter. *The Castles of the Assassins*. London, 1963.
- 'The Assassins in Qubistan', *Journal of the Royal Central Asian Society*, 55 (1968), pp. 180-183.
- Wustenfeld, Ferdinand. *Die Statthalter von Agypten zur Zeit der Chalifen*. Gottingen, 1875-1876.
- Geschichte der Fatimiden-Chalifen*. Gottingen, 1881.
- Zahid 'Ali. *Ta'rikh-i Fatimiyyin-i Misr*. Hyderabad, 1367/ 1948.
- Hamare Isma'ili madhhab ki haqiqat awr us ka nizam*. Hyderabad, 1373/ 1954.



## رموز الدوريات والموسوعات المستخدمة

- BIFAO : Bulletin de l'Institut Français d'Archeologie Orientale.  
BSO(A)S: Bulletin of the School of Oriental (and African) Studies.  
EI : The Encyclopaedia of Islam, 1st edition.  
EI2 : The Encyclopaedia of Islam, New edition.  
EIR : Encyclopaedia Iranica.  
IJMES : International Journal of Middle East Studies.  
JAOS : Journal of the American Oriental Society.  
JBBRAS : Journal of the Bombay Branch of the Royal Asiatic Society.  
IRAS : Journal of the Royal Asiatic Society.  
NS : New Series.  
SEI : Shorter Encyclopaedia of Islam.  
WO : Die Welt des Orients.  
ZDMG : Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft.

BIBLIOTHECA ALI ANSARI

هذا الكتاب  
ملك الأستاذ الدكتور  
رمزي زكي بطرس

## فهرس الكتاب

5	..... الاهداء
7	..... تقديم
9	..... تمهيد
11	..... ١ - مقدمة: الاسماعيليون والدراسات الاسماعيلية

### القسم الأول : الطور الكلاسيكي

35	..... ٢ - الفاطميون وقراطة البحرين
83	..... ٣ - كوزمولوجية الاسماعيليين من العهد ما قبل الفاطمي
93	..... ٤ - أبو يعقوب السجستاني وقوى العقل المبع
99	..... ٥ - والعهد الاسماعيلي ومجالس الحكمة زمن الفاطميين
125	..... ٦ - القاضي النعمان والفقه الاسماعيلي
147	..... ٧ - دراسة نقدية لتاريخ بول كازانوفا لرسائل اخوان الصفاء
155	..... ٨ - رسم للذات وللآخرين: منظور اسماعيلي لتاريخ الأديان
165	..... ٩ - رواية اسماعيلية من أدب الفرق الغالية حول الفرق الاثنتين والسبعين الخاصة

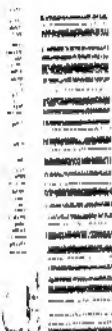
### القسم الثاني : الطور النزاری

185	..... ١٠ - حسن الصباح وأصول الحركة الاسماعيلية النزارية
211	..... ١١ - الصراع السلطة بين السلاجقة واسماعيلية الموت
228	..... ١٢ - اسماعيلية قوهستان وملوك نيمروز أو سيستان
239	..... ١٣ - الوزير/ الفيلسوف: خواجه نصير الدين الطوسي والاسماعيليون
255	..... ١٤ - «أحياناً بالسيف، وأحياناً بالخنجر»: دور الاسماعيليين في الملاقات المغولية - المملوكية في القرن ١٤/٨
273	..... ١٥ - الجنان الاسماعيلي: تأملات في المرجعية والتأليف
289	..... ١٦ - حركة محمود بسيخاني النقطنوية ودوره المادي - الصوفي المعجمي
307	..... المراجع



يبرز هذا الكتاب على التراث الاسماعيلي السياسي والديني والفكري انعام . وتغطي موضوعاته الفترات التاريخية ما قبل الفاطميين ، والفاطمية والنزيرية من التاريخ الاسماعيلي ، وكذلك علاقة قواملة البحرين بالفاطميين . كما يتطرق الى العقيدة الكوزمولوجية للاسماعيليين وتراثهم التعليمي وتطور الفقه في الزمن الفاطمي . ويبحث في اصول الحركة الاسماعيلية النزيرية ونظرة السلاجقة الى النزاريين الأوائل ، ويلقي نظرة جديدة على الانتعاشات الدينية لتصير الدين الطوسي وتراث الجنان عند الاسماعيليين انهود الخوجا .

وهو كتاب لا غنى عنه لكل باحث في التراث الاسلامي والعربي المتعدد الجوانب .



0396295